الجزء الرابع

من حاشية العالم العلامة العارف بالله
تعالى الشيخ أحمد الصاوى
المالكي على تفسير
الجلالين نفعنا الله
بهم أجمعين
آمين

﴿ محل بيعه بمكتبة حضرة الشيخ سيد موسى شريف ﴾
﴿ الكتبى قريبا من الجامع الازهر بمصر ﴾

﴿ الطبعة الثانية ﴾
﴿ بالمطبعة العامرة الشرفية على نفقة مدير ادارتها ﴾ ٢/٣
﴿ حضرة السيد حسين شرف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة غافر ﴾

وتسمى سورة المؤمن لقوله في اثنائها وقال رجل مؤمن وسورة الطول لافتتاحها به في أوصاف البارى تعالى واعلم أنه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ديباج القرآن ومنها لكل شئ ثمرة وان ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم ومنها مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب ومنها لكل شئ لباب ولباب القرآن الحواميم ومنها الحواميم سبع وأبواب النار سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم فكل حم تقف يوم القيامة على باب من هذه الابواب فتقول لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني فتحصل أنه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن أنكر الاول (قوله مكية) أى وكذا بقية الحواميم (قوله الا الذين يجادلون الخ) الصواب أن يقول الا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر الآيتين وأول الآية الثانية لخلق السموات والارض الآية لان هاتين الآيتين هما المدنيتان خلافا لما يوهمه المفسر (قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضم الميم وفتحها وكسرها فالاول على انه خبر لمحذوف والثاني على انه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث أو شبه العجمة والثالث على أنه مبني على الكسر مبتدأ خبره محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم ان هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتيح خزائنه وقيل اسم الله الاعظم وقيل مفاتح السور وقيل كل حرف منه يشير الى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان وهكذا لما روى أن اعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بدء أسماء وفواتح سور (قوله العزيز) في خلقه أشار الى أنه من عز بمعنى قهر وغلب (قوله غافر الذنب) أى ماحيه من الصحف واعلم ان غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لان أوصافه تعالى لا تفاوت فيها بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو اشارة الى أنه

﴿ سورة غافر مكية الا الذين يجادلون الآيتين خمس وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (العليم) بخلقه (غافر الذنب) للمؤمنين (وقابل التوب) لهم

تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير اذ يمكن محو الذنوب من غير توبة ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعض (قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أي وأما العصاة وان عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة (قوله أي الانعام الواسع) وقيل الطول بالفتح المن وقيل هو الغنى والسعة وكلها ترجع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال ان الصفات الثلاثة التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات واضافة المشتق لا تفيده تعريفا فكيف وقعت صفات للمعرفة التي هي لفظ الجلالة فاجاب المفسر بان محل ذلك مالم يقصد بالمشتق الدوام والا تعرف بالاضافة ونظيره ماقيل في مالك يوم الدين وأجيب أيضا بان الكل ابدال وهو لا يشترط فيه التبعية في التعريف (قوله لا اله الا هو) يصح أن يكون حالا لان الجمل بعد المعارف أحوال ويصح أن يكون مستأنفا (قوله اليه المصير) أي فيجازي كل أحد بعمله (قوله ما يجادل في آيات الله) أي في ابطالها والطعن فيها وهذا هو الجدال المذموم وأما الجدال في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الانبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح ومنه قوله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن (قوله فلا يغررك تقلبهم الخ) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت انهم كفار فلا تحزن ولا يغررك امهالهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قبلهم) أي قبل أهل مكة وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أي من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أي يتمكنوا من اصابته بما أرادوه به (قوله أي هو واقع موقعه) أي فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله وكذلك) أي كما وقع للامم السابقة (قوله حقت كلمة ربك) أي وجبت وثبتت والمعنى مثل ما وقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء في الآخرة وأكرامهم في الدنيا بالنعم انما هو ببركتك يا محمد (قوله بدل من كلمة) أي بدل كل من كل ان أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله انهم أصحاب النار أو بدل اشتمال ان فسرت الكلمة بقوله لاملأن جهنم الخ ولا شك ان الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله انهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أي الاسم الموصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم الموصول معطوف على الموصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير في يحملون لايهامه أن من حوله حامل أيضا واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم في الدنيا أربعة وفي يوم القيامة ثمانية وورد أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه من الاربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فينصدع وجناحان يصفق بهما بالهواء يروى ان أقدامهم في تخوم الارض السفلى والارضون والسموات الى حجزهم ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أي وهم الكروبيون سادات الملائكة قال وهب ان حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء يكبر فريق ويهلل فريق ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا اله غيرك والخلق كلها اليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر ما بين جناحي أحدهم ثلثمائة عام وما بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه أربعمائة (قوله أي يقولون سبحان الله وبحمده) أي لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال ان وصفهم بالتسبيح يغني عن وصفهم بالايمان

مصدر (شديد العقاب) للكافرين أي مشدده (ذي الطول) أي الانعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة (لا اله الا هو اليه المصير) المرجع (ما يجادل في آيات الله) القرآن (الا الذين كفروا) من أهل مكة (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) للمعاش سالمين فان عاقبتهم النار (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب) كعاد وثمود وغيرهما (من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) يقتلوه (وجادلوا بالباطل ليدحضوا) يزيلوا (به الحق فأخذتهم) بالعقاب (فكيف كان عقاب) لهم أي هو واقع موقعه (وكذلك حقت كلمة ربك) أي لاملأن جهنم الآية (على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة (الذين يحملون العرش) مبتدأ (ومن حوله) عطف عليه (يسبحون) خبره (بحمد ربهم) ملابسين للحمد أي يقولون سبحان الله وبحمده (ويؤمنون به) تعالى ببصائرهم أي يصدقون بوحدانيته

(ويستغفرون للذين آمنوا) يقولون (ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما) أى وسع رحمتك كل شئ وعلمك كل شئ (فاغفر للذين تابوا) من الشرك (واتبعوا سبيلك) دين الاسلام ٤ (وقهم عذاب الجحيم) النار (ربنا وأدخلهم جنات عدن) اقامة (التى وعدتهم ومن صلح)

عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) فى صنعه (وقهم السيآت) أى عذابها (ومن تق السيآت يومئذ) يوم القيامة (فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لمقت الله) اياكم (أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون) فى الدنيا (الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين) اماتتين (وأحييتنا اثنتين) حياتين لانهم نطفا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فاعترفنا بذنوبنا) بكفرنا بالبعث (فهل الى خروج) من النار والرجوع الى الدنيا لنطيع ربنا (من سبيل) طريق وجوابهم لا (ذلكم) أى العذاب الذى أنتم فيه (بأنه) أى بسبب أنه فى الدنيا (اذا دعى الله وحده كفرتم) بتوحيده (وان يشرك به) يجعل له شريك (تؤمنوا) تصدقوا بالاشراك (فالحكم) فى تعذيبكم (لله العلى) على خلقه (الكبير) العظيم (هو الذى يريكم آياته) دلائل توحيده (وينزل لكم من السماء رزقا) بالمطر

(وما يتذكر) يتعظ (الا من ينيب) يرجع عن الشرك (فادعوا الله) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) اخلاصكم منه (رفيع الدرجات) أى الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين فى الجنة (ذو العرش) خالقه (يلقى الروح) الوحى

فما فائدة ذكره عقبه فأجيب بان التسبيح من وظائف اللسان والايمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن فى الاول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون للذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم وحكمة طلبهم المغفرة لهم انهم تكلموا فى بنى آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم وفيه تنبيه على أن من تكلم فى غيره ينبغى له أن يستغفر له (قوله يقولون) أى فى كيفية الاستغفار لهم وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير يستغفرون (قوله ربنا وسعت كل شئ الخ) قدم هذا بين يدى الدعاء توطئة له للاشارة الى أنه ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالاجابة ولا يتردد فى الدعاء فانه مانع من الاجابة (قوله رحمة وعلما) قدم الرحمة على العلم لان المقام للدعاء والرحمة مقصودة فيه بالذات والا فالعلم سابق عليها (قوله من الشرك) أى وان كان عليهم ذنوب (قوله واتبعوا سبيلك) أى بأن آمنوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه بأن توفقهم لصالح الاعمال (قوله ومن صلح من آبائهم الخ) أى بأن مات على غير الكفر فيدخل فيه أهل الفترة والجنون (قوله وأزواجهم) أى زوجاتهم لما ورد اذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذته (قوله فى وأدخلهم) أى وهو أولى لانه يصير الدعاء لهم بالدخول صريحا بخلافه على وعدتهم فانه ضمنى (قوله وقهم السيآت) الضمير راجع للآباء والازواج والذرية (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق والتقدير يوم اذ ندخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار وهو يوم القيامة (قوله وذلك) أى ما ذكر من الرحمة ووقاية السيآت (قوله ان الذين كفروا) شروع فى ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار اثر بيان انهم من أصحاب النار (قوله وهم يمقتون أنفسهم) أى يبغضونها ويظهرون ذلك على رؤس الاشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه مقتك يا نفسى فتقول الملائكة لهم وهم فى النار لمقت الله اياكم اذ أنتم فى الدنيا وقد بعث اليكم الرسل فلم تؤمنوا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم (قوله لمقت الله) أى بغضه والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب لان حقيقته محالة فى حق الله تعالى (قوله لانهم نطفا أموات) كذا فى بعض النسخ بنصب نطفا على الحال والمناسب أن يقول لانهم كانوا أو خلقوا نطفا فان الاماتة اعدام الحياة ابتداء أو بعد سبق الحياة (قوله ذلكم) مبتدأ وبأنه خبره والضمير للشأن (قوله فالحكم لله) هذا من جملة ما يقال لهم فى الآخرة بدليل قوله فى تعذيبكم وأما قوله هو الذى يريكم آياته فكلام مستأنف منقطع عما قبله ويصح أن يكون الكلام تم بقوله وان يشرك به تؤمنوا وقوله فالحكم لله تفريع على ما تقدم كانه قال اذا علمتم أن الخلق فريقان مؤمنون وكفار فلا تعترضوا فان الحكم لله أى القضاء بان هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده الموصوف بكونه يريكم آياته فيعتبر بها من يشاء فيهتدى ويكذب بها من يشاء فيضل (قوله وينزل لكم) أى من أجلكم (قوله بالمطر) أى بسببه فان الماء سبب فى جميع الارزاق كما هو مشاهد (قوله فادعوا الله) يطلق الدعاء على الطلب حقيقة وليس مرادا هنا باجماع بقرينة ما قبله وما بعده وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لان الدعاء جزء من أجزاء العبادة وسميت العبادة دعاء لانه أعظم أجزائها لما فى الحديث الدعاء مخ العبادة (قوله مخلصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك الى أن الانسان مأمور بالعبادة ظاهرا وباخلاص قلبه من أنواع الشرك والشرك الاكبر والاصغر فقوله من الشرك عام فى الشرك الاكبر وهو الكفر والاصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم هذا اذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا وقاتلوكم ومانعوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك الى أن رفيع صفة مشبهة خبر لمحذوف أى هو منزه فى صفاته عن كل نقص وقوله أو رافع أشار به الى ان فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح)

(من أمره) أى قوله (على من يشاء من عباده لينذر) يخوف الملقى عليه الناس (يوم التلاق) بحذف الياء واثباتها يوم القيامة لتلاق أهل السماء والارض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه (يوم هم بارزون) خارجون من قبورهم (لايخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم) يقوله تعالى ويجيب نفسه (لله الواحد القهار) أى لخلقه (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وأنذرهم يوم الآزفة) يوم القيامة من أزف الرحيل قرب (اذ القلوب) ترتفع خوفا (لدى) عند (الحناجر كاظمين) ممتلئين غما حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (ما للظالمين من حميم) محب (ولا شفيع يطاع) لامفهوم للوصف اذ لاشفيع لهم أصلا فما لنا من شافعين أوله مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أى لو شفعوا فرضا لم يقبلوا (يعلم) أى الله (خائنة الاعين) بمسارقتها النظر الى محرم (وما تخفى الصدور) القلوب (والله يقضى بالحق والذين يدعون) يعبدون أى كفار مكة بالياء والتاء (من دونه) وهم الاصنام (لايقضون بشئ) فكيف يكونون شركاء لله (ان الله هو السميع) لاقوالهم (البصير) بأفعالهم (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم) وفى قراءة منكم (قوة وآثارا فى الارض) من مصانع وقصور (فأخذهم الله) أهلكهم (بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق) عذابه

أى الوحى سمى بذلك لانه يسرى فى القلوب كسريان الروح فى الجسد ولذا كان لايطرأ على النبى النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أى قوله وقيل المراد بالامر القضاء (قوله الملقى عليه) هو فاعل الانذار وهو كناية عن الموصول فى قوله على من يشاء والمفعول الاول محذوف قدره المفسر بقوله الناس والمفعول الثانى هو قوله يوم التلاق (قوله بحذف الياء) أى وصلا ووقفا وقوله واثباتها أى وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالقرا آت ثلاث سبعيات (قوله لتلاق أهل السماء) علة لتسميته يوم التلاق (قوله يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويكتب يوم هنا وفى الذاريات فى قوله يوم هم على النار يفتنون منفصلا لان هم مرفوع بالابتداء فيهما فالمناسب القطع وأما فى غير هذين المحلين نحو يومهم الذى يوعدون يومهم الذى فيه يصعقون فيكتب موصولا لان هم مجرور فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أى ظاهرون لايستترون بشئ لكون الارض اذذاك قاعا صفصفا لما فى الحديث يحشرون حفاة عراة غرلا (قوله لايخفى على الله منهم شئ) الحكمة فى تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لايخفى عليه شئ فى سائر الايام أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا أنهم اذا استتروا بالحيطان مثلا لايراهم الله وفى هذا اليوم لايتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم) هذا حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله يقوله تعالى) قيل فى القيامة كما ورد يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا ويقوله الكافرون غما وانقيادا وخضوعا وقيل بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده فلا يرى غير نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أربعين سنة لله الواحد القهار لانه بقى وحده وقهر خلقه (قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) اما من تتمة الجواب أو حكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق (قوله لاظلم اليوم) لا نافية للجنس ظلم اسمها واليوم خبرها (قوله فى قدر نصف نهار) أى ولايشغله حساب أحد عن أحد بل كل انسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أزف الرحيل) من باب تعب أى دنا وقرب (قوله اذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى أو جمع حنجرة (قوله من حميم) من زائدة فى المبتدا (قوله ولا شفيع يطاع) أى يؤذن له فى الشفاعة فيقبل (قوله اذ لاشفيع لهم أصلا) أى لامطاع ولاغيره (قوله أى لو شفعوا الخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثانى (قوله يعلم خائنة الاعين) خبر رابع عن المبتدا الذى أخبر عنه برفيع وما بعده والاضافة على معنى من أى الخائنة من الاعين (قوله بمسارقتها النظر الى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر الى المرأة فاذا نظر اليه أصحابه غض بصره فاذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظر اليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفى الصدور) أى عن العباد من خير وشر (قوله أى كفار مكة) تفسير للواو فى يدعون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لايقضون بشئ) من باب التهكم بهم اذ الجماد لايوصف بقضاء ولا بغيره (قوله ان الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم أى فيجازيهم بها (قوله أولم يسيروا فى الارض) لما بالغ فى تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا الخ وقوله كيف كان عاقبة الخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة فى محل نصب على المفعولية وقوله كانوا الخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) ويجوز أن يكون منصوبا فى جواب الاستفهام وان يكون مجزوما نسقا على ما قبله (قوله عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (قوله وفى قراءة منكم) أى بالالتفات من الغيبة الى الخطاب (قوله وآثارا فى الارض) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أماكن فى الارض تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله وما كان لهم الخ) لهم خبر كان مقدم وواق اسمها

(ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى

بآياتنا وسلطان مبين) برهان بين ظاهر (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا) هو (ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق) بالصدق (من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا) استبقوا (نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال) هلاك (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وليدع ربه) ليمنعه مني (إني أخاف أن يبدل دينكم) من عبادتكم إياي فتتبعوه (وأن يظهر في الأرض الفساد) من قتل وغيره وفي قراءة أو وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال (وقال موسى) لقومه وقد سمع ذلك (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل هو ابن عمه (يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن) أي لأن (يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) به من العذاب عاجلا (إن الله لا يهدي من هو مسرف) مشرك (كذاب)

مفتر (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين حال (في الأرض) أرض مصر (فمن ينصرنا من بأس الله) أمرا
عذابه إن قتلتم أولياءه (إن جاءنا) أي لا ناصر لنا (قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى

مؤخر على زيادة من ومن الله متعلق بواق ومن فيها ابتدائية ومفعول واق محذوف قدره بقوله عذابه وكان للاستمرار أي ليس لهم واق أبدا (قوله ذلك) أي أخذهم بسبب أنهم كانت الخ (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة في الاحتجاج على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف وإنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء فإن فرعون كان ملكا وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكنوز وإنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما في الكفر والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أولا فإن فعله آخرا دل على أنه مطبوع على الكفر كإبليس (قوله فقالوا) نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر لمحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا الخ) أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم فهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضته أعاد القتل في الأولاد ليمتنع الناس من الإيمان ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان إلى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم في نحورهم (قوله استبقوا نساءهم) أي بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا (قوله لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) في حكمة منعهم له عن قتله وجوه أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره فكان صاحب سر فرعون وكان يتحيل في منع فرعون من قتله ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقارا له فكانوا يقولون إنه ساحر ضعيف فإن قتلته قالت الناس إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته ثالثها بتخوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالا رابعها اشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا من يشتغلوا به تعرضوا للرعايا هم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمر تعجيز في زعم فرعون (قوله فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون (قوله وفي قراءة أو الخ) تحصل أن القراآت أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو وأو (قوله وقال موسى إني عذت) بإدغام الذال في التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره في ضمن المتكبرين لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قيض له من يخاصم عنه هذا المؤمن قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي قال لموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك الخ وفي الحديث الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بني إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون (قوله أي لأن يقول الخ) أي لأجل هذا القول من غير تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذي يعدكم) أي إن لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفا كذابا فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثاني معناه أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه (قوله يا قوم لكم الملك الخ) أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أي من الضمير في لكم (قوله قال فرعون) أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي فلا أظهر لكم

(وما أهديكم الا سبيل الرشاد) طريق الصواب (وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أى يوم حزب بعد حزب (مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) مثل بدل من مثل قبله أى مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم فى الدنيا
(وما الله يريد ظلما للعباد
ويا قوم انى أخاف عليكم
يوم التناد) بحذف الياء
واثباتها أى يوم القيامة
يكثر فيه نداء أصحاب الجنة
أصحاب النار وبالعكس
والنداء بالسعادة لاهلها
وبالشقاوة لاهلها وغير
ذلك (يوم تولون مدبرين)
عن موقف الحساب الى
النار (ما لكم من الله)
أى من عذابه (من عاصم)
مانع (ومن يضلل الله
فما له من هاد ولقد جاءكم
يوسف من قبل) أى قبل
موسى وهو يوسف بن
يعقوب فى قول عمر الى
زمن موسى أو يوسف بن
ابراهيم بن يوسف بن
يعقوب فى قول (بالبينات)
بالمعجزات الظاهرات (فما
زلتم فى شك مما جاءكم به
حتى اذا هلك قلتم) من
غير برهان (لن يبعث الله
من بعده رسولا) أى فلن
تزالوا كافرين بيوسف
وغيره (كذلك) أى مثل
اضلالكم (يضل الله من
هو مسرف) مشرك
(مرتاب) شاك فيما شهدت
به البينات (الذين يجادلون
فى آيات الله) معجزاته
مبتدأ (بغير سلطان)
برهان (أتاهم كبر)
جدالهم خبر المبتدا
(مقتا عند الله وعند
الذين آمنوا كذلك) أى مثل اضلالهم (يطبع) يختم (الله) بالضلال (على كل قلب متكبر جبار) بتنوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر
صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا) بناء عاليا (لعلى
أبلغ الاسباب أسباب السموات) طرقها الموصلة اليها (فأطلع) بالرفع عطفا على أبلغ وبالنصب جوابا لابن

أمراوا كتم عنكم غيره (قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم الا الى طريق الهدى (قوله أى يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك الى أن قوله يوم الاحزاب مفرد فى معنى الجمع أى أيامها (قوله أى مثل جزاء الخ) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله عادة) تفسير للدأب والمعنى جزاء الامر الذى اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يعاقبهم بغير ذنب (قوله ويا قوم انى أخاف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الاخروى (قوله بحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله واثباتها أى فى الوصل والوقف فالقراآت أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فمحذوفة لا غير (قوله وغير ذلك) من جملته أن ينادى ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلانا شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وان ينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وان ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه وينادى الكافر يا ليتنى لم أوت كتابيه وان ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور فهذه الامور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب الى النار) أى لانهم اذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا الى مكانهم (قوله ما لكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتدأ ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله فما له من هاد) باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها فى الخط على كل (قوله ولقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر الى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لان بين يوسف وموسى أربعمائة سنة فالصواب أن يقول عمر الى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر الى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم يتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف بن ابراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله الى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلتم فى شك) أى فما زالت أصولكم (قوله أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا دفعا لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعا فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أتاهم) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدا) هذا أحسن الاعاريب فى هذا المقام وقوله مقتا تمييز محول عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله اياهم سخطه وانزال العذاب بهم (قوله مثل اضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتنوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك الى التوفيق بين القراءتين لانه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصاف الشخص به لان القلب سلطان الاعضاء فتى فسد فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها أنها اذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الافراد واذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الاجزاء وهنا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الافراد وانما أريد هذا المعنى وان كان مخالفا للقاعدة للمبالغة فى وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طولا لا ضخما وتقدمت قصته فى سورة القصص (قوله طرقها) أى أبوابها الموصلة اليها وحكمة التكرار فى أسباب التفخيم والتعظيم أن الشئ اذا أبهم ثم وضح كان أدخل فى تعظيم شأنه (قوله عطفا على أبلغ) أى فيكون داخلا فى حيز الترجى (قوله بالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله

يا ناق سيرى عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

(الى اله موسى وانى لاظنه) اى موسى (كاذبا) فى ان له الها غيرى قال فرعون ذلك تمويها (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وما كيد فرعون الا فى تباب) خسار (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) باثبات الياء وحذفها (أهدكم سبيل الرشاد) تقدم (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) تمتع يزول (وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة) بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس (يرزقون فيها بغير حساب) رزقا واسعا بلا تبعة (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز) الغالب على أمره (الغفار) لمن تاب (لا جرم) حقا (أنما تدعوننى اليه) لاعبده (ليس له دعوة) أى استجابة دعوة (فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا) مرجعنا (الى الله وان المسرفين) الكافرين (هم أصحاب النار فستذكرون) اذا عاينتم العذاب (ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد) قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم (فوقاه الله سيآت ما مكروا) به من القتل (وحاق) نزل (بآل فرعون) قومه معه (سوء العذاب) الغرق ثم (النار يعرضون عليها) يحرقون بها (غدوا وعشيا) صباحا ومساء (ويوم تقوم الساعة) يقال (أدخلوا) يا (آل فرعون) وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة (أشد العذاب) عذاب جهنم (و) اذكر (اذ يتحاجون) يتخاصم الكفار (فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا) جمع تابع (فهل أنتم مغنون) دافعون (عنا نصيبا) جزأ (من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها

وقيل انه منصوب فى جواب الترجى والقراءتان سبعيتان (قوله الى اله موسى) أى أنظر اليه واطلع على حاله (قوله تمويها) أى تلبيسا وتخليطا على قومه والا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق فى جميع ما قاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله باثبات الياء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فهى محذوفة لا غير لانها من ياآت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لا بقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات فلا تحول عنها (قوله من عمل سيئة) أى ولم يتب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها فهو فى ابتداء الامر عند المحاسبة على الاعمال فاذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن بل يتنعمون نعيما خاليا من المال صافيا من الكدر جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه (قوله ويا قوم مالى أدعوكم الخ) أتى بالواو فى النداء الاول والثالث لانه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لانه من تعلقات الكلام الاول والعطف يقتضى المغايرة وقوله مالى أى أى شئ ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب ومحط التعجب هو قوله وتدعوننى الى النار كأنه قال اعجب من هذه الحال ادعوكم لى النجاة والخير وتدعوننى الى النار والشر (قوله تدعوننى لاكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الاول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نفى المعلوم من أصله (قوله وأنا أدعوكم) راجع لقوله أدعوكم الى النجاة (قوله الى العزيز الغفار) أى الى عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله لا جرم) لا نافية وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله أنما تدعوننى فاعله والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم (قوله حقا) مفعول لمحذوف دل عليه لا جرم والمعنى حق ما تدعوننى اليه حقا وهى كلمة فى الاصل بمنزلة لا بد ثم تحولت الى معنى القسم (قوله أنما تدعوننى) ما اسم موصول حقها أن تفصل من النون وانما وصلت تبعا للمصحف (قوله أى استجابة دعوة) أى لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى وقيل المعنى ليست له دعوة الى عبادته لان الاصنام لا تدعى الربوبية ولا تدعو الى عبادة نفسها وفى الآخرة تتبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أى من النصيحة (قوله لما توعدوه) أى ففر هاربا الى جبل فأرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فما كانت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيآت ما مكروا) أى شدائد مكرهم وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضا (قوله قومه معه) أى ولم يصرح به لانه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى بثم اشارة الى انه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة على النار لما روى ان أرواح الكفار فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها (قوله ويوم تقوم الساعة) اما معمول لادخلوا أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعليه درج المفسر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا فعلى القراءة الاولى يكون المنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفعولا لادخلوا (قوله عذاب جهنم) تفسير لاشد فانه أشد مما كانوا فيه لان ذلك عرض وهذا دخول واستدلال (قوله فيقول الضعفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) كخدم وخادم (قوله دافعون) أشار بذلك الى أن مغنون مضمن معنى دافعون فنصيب نصيبا ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيبا (قوله انا كل فيها) أى فلو استطعنا لدفعنا عن

أنفسنا

ان الله قد حكم بين العباد) فادخل المؤمنين الجنة والكفار النار (وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) أى قدر يوم (من العذاب) قالوا) أى الخزنة تهكما (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) بالمعجزات الظاهرات (قالوا بلى) أى فكفروا بهم (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نشفع لكافر قال تعالى (وما دعاء الكافرين الا فى ضلال) انعدام (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (يوم لا ينفع) بالياء والتاء (الظالمين معذرتهم) عذرهم لو اعتذروا (ولهم اللعنة) أى البعد من الرحمة (ولهم سوء الدار) الآخرة أى شدة عذابها (ولقد آتينا موسى الهدى) التوراة والمعجزات (وأورثنا بنى اسرائيل) من بعد موسى (الكتاب) التوراة (هدى) هاديا (وذكرى لاولى الالباب) تذكرة لاصحاب العقول (فاصبر) يا محمد (ان وعد الله) بنصر أوليائه (حق) وأنت ومن تبعك منهم (واستغفر لذنبك) ليستن بك (وسبح) صل ملتبسا (بحمد ربك بالعشى) وهو من بعد الزوال (والابكار) الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون فى آيات الله) القرآن (بغير سلطان) برهان (أتاهم ان) ما (فى صدورهم الا كبر) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (ما هم ببالغيه فاستعذ) من شرهم (بالله انه هو السميع) لاقوالهم (البصير) بأحوالهم ونزل فى منكرى البعث (لخلق السموات والارض)

أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله ان الله قد حكم بين العباد) أى فلا يغنى أحد عن أحد شيأ (قوله وقال الذين فى النار) أى من الضعفاء والمستكبرين جميعا حين حصل لهم اليأس من تحمل بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر فى محل الضمير تقبيحا عليهم أو لبيان محلهم فيها (قوله يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيأ من العذاب فى يوم وقوله أى قدر يوم أشار بذلك الى أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أو لم تك تأتيكم الخ) المقصود من ذلك الزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم (قوله قالوا بلى) أتونا فكذبناهم وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقرون (قوله فانا لا نشفع لكافر) أى لتحتم خلوده فى النار فالشفاعة لا تفيد شيأ (قوله انعدام) أى من الاجابة (قوله انا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر على الاعداء وان وقع لهم بعض امتحان فالعبرة بالعواقب وغالب الامر (قوله ويوم يقوم الاشهاد) معطوف على قوله فى الحياة الدنيا والمعنى ننصرهم فى الدنيا والآخرة (قوله جمع شاهد) أى ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد (قوله وهم الملائكة) أى والانبياء والمؤمنون أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الانبياء فانهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد على باقى الامم يوم القيامة (قوله لا تنفع) بدل من يوم الاول (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لو اعتذروا) جواب عما يقال مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم الا انها لا تنفعهم وحينئذ يكون بينها وبين الآية الاخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تناف فاجاب بان معنى لو اعتذروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مرتب على قوله انا لننصر رسلنا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد فهذا من النصر الدنيوى الموصل للنصر الاخروى (قوله من بعد موسى) أى الى نزول عيسى فآتاه الله الانجيل ناسخة لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه فى جانب بنى اسرائيل بالهدى كما عبر فى جانب موسى اشارة الى أنه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصدق ووبال ان طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك الى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكرى (قوله فاصبر ان وعد الله حق) هذا نتيجة ما قبله أى اذا علمت أن الله ناصر لرسله فى الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الامر تعليم الامة ذلك والا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغائر أو كبائر قبل النبوة وبعدها على التحقيق كجميع الانبياء والى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك أى يقتدى بك وأجيب أيضا بان الكلام على حذف مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك وانما أضيف الذنب له لانه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فاذا لم يسع فى غفرانه فى الدنيا أتعبه فى الآخرة قال تعالى عزيز عليه ما عنتم وكل هذا تشريف لهذه الامة المحمدية فقد تشرفت بامور منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك وأجيب أيضا بان المراد بالذنب خلاف الاولى وسمى ذنبا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله صل) انما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير الخ) بيان لتفصيل أن جدالهم ناشئ من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم وما أعد لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أتاهم) وصف كاشف اذ يستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله ان فى صدورهم) خبران (قوله ما هم ببالغيه) هذا وعد حسن من الله تعالى بان المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وانما يحصل كيده فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجئ اليه فى دفع مكرهم (قوله انه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله لخلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه المشاهد (قوله

ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة والا فالكل بالنسبة اليه تعالى لا تفاوت فيها بين الصغير والكبير بدأ واعادة (قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى والاقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالاعمى الخ) هذا نتيجة ما قبله وهو دخول على قوله وما يستوى الاعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسىء راجع لقوله الاعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة (قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلا ما تتذكرون) قليلا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكرا قليلا وما زائدة لتوكيد القلة (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرهم قليلا) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلا (قوله لا ريب فيها) أى لوضوح الادلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها) أى جحدوا عنادا والاقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعى على أنه تعالى قادر على كل شئ وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم اما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء فى الاصل السؤال والتضرع الى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والاخروية الجليلة والحقيرة ومنه ما ورد ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله اذا انقطع وقوله أستجب لكم أى أجبكم فيما طلبتم لما ورد اذا قال العبد يا رب قال الله لبيك يا عبدى ان قلت ان قوله أستجب لكم وعد بالاجابة ووعده لا يتخلف مع أنه مشاهد أن الانسان قد يدعو ولا يستجاب له أجيب بان الدعاء له شروط فاذا تخلف بعضها تخلفت الاجابة منها اقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء بحيث لا يحصل فى قلبه غير ربه وأن لا يكون لمفاسد وأن لا يكون فيه قطيعة رحم وأن لا يستعجل الاجابة وأن يكون موقنا بها فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له واما أن يؤخرها له فالاجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى ويفوض له الامر فى الاجابة ولذا ورد ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له فى الدنيا واما أن يؤخر له فى الآخرة واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت فما استجاب لى والدعاء من خصائص هذه الامة لما حكى عن كعب الاحبار قال أعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطهن أمة قبلهم الا نبى كان اذا أرسل نبى قيل له أنت شاهد على أمتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقال للنبى ليس عليك فى الدين من حرج وقال تعالى لهذه الامة وما جعل عليكم فى الدين من حرج وكان يقال للنبى ادعنى أستجب لك وقال لهذه الامة ادعونى أستجب لكم وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازا من اطلاق الخاص وارادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء اشارة الى أن المقصود من العبادة الذل والخضوع والفقر والمسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى الخ فتحصل ان فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة ويصح ارادة الحقيقة لانها الاصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا ألبس ثوب الذل فى الآخرة ومن تواضع وتذلل فى الدنيا ألبس ثوب العز والفخر فى الآخرة فباب الذل والانكسار من أعظم الابواب الموصلة الى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى أنه قال طرقت الابواب الموصلة الى الله تعالى فوجدتها مزدحمة الا باب الذل والانكسار وورد أن داود سأل ربه فقال يا ربنا كيف الوصول اليك قال يا داود خل نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الادلة على باهر قدرته تعالى كأنه قال لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى عقلى من اسناد الشئ الى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود واحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقا على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه (قوله ذلكم) الاشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شئ ولا اله الا هو أخبار أربعة (قوله فأنى تؤفكون) من الافك بفتح الهمزة وهو الصرف وأما الافك

بالكسر

ابتداء (أكبر من خلق الناس) مرة ثانية وهى الاعادة (ولكن أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يعلمون) ذلك فهم كالاعمى ومن يعلمه كالبصير (وما يستوى الاعمى والبصير و) لا (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهو المحسن (ولا المسىء) فيه زيادة لا (قليلا ما يتذكرون) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرهم قليلا جدا (ان الساعة لآتية لا ريب) شك (فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بها (وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) أى اعبدونى أثبكم بقرينة ما بعده (ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جهنم داخرين) صاغرين (الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) اسناد الابصار اليه مجازى لانه يبصر فيه (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الله فلا يؤمنون (ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عن الايمان مع قيام البرهان

بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن يامحمد فلا تخصوصية لامتك بل من قبلهم كذلك (قوله افك الذين) بضم الهمزة فعل ماض مبني للمجهول وأشار بذلك الى أن المضارع بمعنى الماضي وأتى به مضارعا استحضارا للصورة الغريبة (قوله الله الذي جعل لكم الارض قرارا) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قرارا) أي محل قرار أي سكون مع كونها في غاية الثقل لايمسك لها الاقدرة الله تعالى (قوله فأحسن صوركم) أي صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الاعضاء تمشون على رجلين وجعل محل المواجهة من أعلى ومحل الاقذار من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أي المستلذات ملبسا ومطعما ومركبا (قوله ذلكم) أي الفاعل لذلك كله واسم الاشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الحي) أي الحياة الذاتية التي لافناء لها ولا انقضاء (قوله اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين ويصح ارادة الآخر وهو السؤال والتضرع والمعنى اذا علمتم أن الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه في جميع ماتحتاجون لان خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله مخلصين) حال وقوله الدين مفعول للمخلصين والمعنى غير مشركين غيره لاظاهرا ولا باطنا (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل انه من كلام العباد فهو مقول لقول محذوف حال والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس من قال لااله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فهو اشارة الى أن العبد لايؤجر على الحمد ولايعد به شكورا الا اذا كان موحدا وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثورا ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليما العباده كيفية الحمد (قوله قل اني نهيت الخ) أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجرا لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الادلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءني) أي حين جاءني (قوله دلائل التوحيد) الادلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت ان أسلم الخ) اما من الاسلام بمعنى الانقياد أو بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الاول أسلم أمري له وعلى الثاني أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى (قوله هو الذي خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهي الليل والنهار والارض والسماء وثلاثة من دلائل الانفس وهي التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكر هنا كيفية خلق الانفس ابتداء وانتهاء (قوله بخلق أبيكم آدم الخ) أي فالكلام على حذف مضاف ويصح ابقاء الكلام على ظاهره باعتبار ان أصل النطفة الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم من علقة) أي بعد مضي أربعين يوما (قوله ثم يخرجكم طفلا) أجمل هنا في المراتب وفصلها في سورة المؤمنون في قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ أي فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العاري عن اللحم (قوله بمعنى أطفالا) انما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فان طفلا حال من الكاف في يخرجكم فالحال مفردة لفظا جمع معنى لان لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومن ذلك قوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا (قوله ثم يبقيكم لتبلغوا) أشار بذلك الى أن قوله لتبلغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم (قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتبلغوا (قوله بضم الشين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره اشارة الى أن قوله ولتبلغوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعلول ماتقدم من الافعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتا محدودا) أي وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبلغوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذي يحيي ويميت) هذا نتيجة ماقبله وقوله فاذا قضى أمرا مرتب على ماتقدم والمعنى من ثبت ان هذه أفعاله علم أنه لايعسر عليه شئ ولايتوقف الا على تعلق ارادته به (قوله بضم النون) أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون (قوله وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة في جواب الامر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور) والاوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الايجاد فالمعنى ان أراد ايجاد شئ وجد سريعا من غير توقف على شئ والا فكلام

(كذلك يؤفك) أي مثل افك هؤلاء افك (الذين كانوا بآيات الله) معجزاته (يجحدون الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) سقفا (وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لااله الا هو فادعوه) اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك (الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) تعبدون (من دون الله لما جاءني البينات) دلائل التوحيد (من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب) بخلق أبيكم آدم منه (ثم من نطفة) مني (ثم من علقة) دم غليظ (ثم يخرجكم طفلا) بمعنى أطفالا (ثم) يبقيكم (لتبلغوا أشدكم) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة الى الاربعين (ثم لتكونوا شيوخا) بضم الشين وكسرها (ومنكم من يتوفى من قبل) أي قبل الاشد والشيخوخة فعل ذلك بكم لتعيشوا (ولتبلغوا أجلا مسمى) وقتا محدودا (ولعلكم تعقلون) دلائل التوحيد فتؤمنون (هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا) أراد ايجاد شئ (فانما يقول له كن فيكون) بضم النون وفتحها بتقدير ان أي يوجد عقب الارادة التي هي معنى القول المذكور

أرسلنا به رسلنا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فسوف يعلمون) عقوبة تكذيبهم (اذ الاغلال فى أعناقهم) اذ بمعنى اذا (والسلاسل) عطف على الاغلال فتكون فى الاعناق أو مبتدأ خبره محذوف أى فى أرجلهم أو خبره (يسحبون) أى يجرون بها (فى الحميم) أى جهنم (ثم فى النار يسجرون) يوقدون (ثم قيل لهم) تبكيتا (أين ما كنتم تشركون من دون الله) معه وهى الاصنام (قالوا ضلوا) غابوا (عنا) فلا نراهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أنكروا عبادتهم اياها ثم أحضرت قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى وقودها (كذلك) أى مثل اضلال هؤلاء المكذبين (يضل الله الكافرين) ويقال لهم أيضا (ذلكم) العذاب (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق) من الاشراك وانكار البعث. (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى الفرح (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى) مأوى (المتكبرين فاصبر ان وعد الله) بعذابهم (حق فاما نرينك) فيه ان الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون   تفصيلا
تؤكد آخره (بعض الذى نعدهم) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أو نتوفينك) قبل تعذيبهم (فالينا يرجعون) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)

المفسر يقتضى ان معنى الآية فاذا أراد ايجاد شئ فاعبر بدل ايجاده فيوجد وهذا الامعنى له (قوله ألم تر الى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) امابدل من الموصول قبله فهو فى محل جر أو فى محل نصب أو رفع على الذم (قوله من التوحيد) أى وسائر الكتب والشرائع (قوله اذ بمعنى اذا) جواب عما يقال ان سوف للاستقبال واذ للماضى وحينئذ فلا يصح تعلق الماضى بالمستقبل فأجاب بأنها مستعملة فى الاستقبال مجازا والمسوغ الاشارة الى أن هذا الامر محقق وواقع (قوله عطف على الاغلال) أى وقوله فى أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أى وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن فى الظرف أو مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم فقيل يسحبون فى الحميم (قوله أو خبره يسحبون) أى وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل أن المعنى أن الاغلال والسلاسل تكون فى أعناقهم ويسحبون فى جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الاولين وعلى الثالث فالمعنى ان الاغلال فى أعناقهم والسلاسل فى أرجلهم ويسحبون فى جهنم وكل صحيح (قوله أى جهنم) وقيل الحميم الماء الحار (قوله يسجرون) أى يعذبون بأنواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضى لتحقق الوقوع (قوله أين ما كنتم) رسم أين مفصولة من ما (قوله وهى الاصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) هذا فى أول الامر يتبرؤن من عبادة الاصنام لرجائه ينفعهم فهو اضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم أحضرت) جواب عما يقال ان حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فأجاب بأنهم أولا تضل عنهم آلهتهم ويتبرؤن ثم تحضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أى توبيخا (قوله تتوسعون فى المعاصى) أى تظهرون السرور فى الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه فى المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وان كان ذما فى الكفار يجر بذيله على كل من توسع فى معاصى الله فله من هذا الوعيد نصيب (قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل فى حيز القول المقدر (قوله فبئس مثوى المتكبرين) لم يقل فبئس مدخل المتكبرين لان الدخول لايدوم وانما يدوم المثوى ولذا خصه بالذم (قوله فاصبر ان وعد الله حق) هذا تسلية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالنصر له على أعدائه (قوله بعذابهم) أى وسمى وعدا بالنظر لكونه نصر اللنبى فهو فى الحقيقة وعد ووعيد (قوله فيه) خبر مقدم وان الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من ان ولم يذكر المدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أى التعليق وقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة فى أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أى تؤكد الفعل خفيف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أى حال كونها واقعة فى آخر الفعل فتحصل ان هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفعل الشرط (قوله بعض الذى نعدهم) مفعول نرينك الثانى والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أى الاول (قوله أو نتوفينك) عطف على قوله نرينك (قوله فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أى ولا يصح أن يكون جوابا عن الاول لان من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم فى الآخرة مسببا عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم تعذيبهم فى الدنيا وفى الحقيقة قوله فالينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (قوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى يقول له انا قد أرسلنا قبلك رسلا وآتيناهم معجزات وجادلهم قومهم وصبروا على أذاهم فتأس بهم وقوله رسلا المراد بهم ما يشمل الانبياء (قوله منهم من قصصنا عليك) أى ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم فى القرآن وهم خمسة وعشرون (قوله ومنهم من لم نقصص عليك) أى لم نذكر لك قصصهم فى القرآن تخفيفا ورحمة بأمتك لئلا يعجزوا عن حفظه وبهذا التقرير اندفع ما قد يتوهم ان النبى صلى الله عليه وسلم مساو لامته فى عدم علم ما عدا الخمسة والعشرين فتحصل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الانبياء

روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) لانهم عبيد مربوبون (فاذا جاء أمر الله) بنزول العذاب على الكفار (قضى) بين الرسل ومكذبيها (بالحق وخسر هنالك المبطلون) أي ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك (الله الذي جعل لكم الانعام) قيل الابل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم (لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع) من الدر والنسل والوبر والصوف (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) هي حمل الاثقال الى البلاد (وعليها) في البر (وعلى الفلك) السفن في البحر (تحملون ويريكم آياته فأي آيات الله) الدالة على وحدانيته (تنكرون) استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض) من مصانع وقصور (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) المعجزات الظاهرات (فرحوا) أي الكفار (بما عندهم) أي الرسل (من العلم) فرح استهزاء وضحك منكرين له (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب (فلما رأوا بأسنا) أي شدة عذابنا (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (التي قد خلت في عباده) في الامم أن لا ينفعهم الايمان وقت نزول العذاب (وخسر هنالك الكافرون) تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك

﴿سورة حم السجدة مكية ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل من الرحمن الرحيم) مبتدأ (كتاب) خبره (فصلت آياته) بينت بالاحكام والقصص والمواعظ (قرآنا عربيا)

تفصيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء في بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم وانما ترك بيان قصصهم للامة رحمة بهم فلم يكلفهم الا بما يطيقون (قوله روى) في عبارة غيره قيل والصحيح ما روى عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا (قوله وما كان لرسول) أي ما صح وما استقام (قوله الا باذن الله) أي بارادته (قوله مربوبون) أي مملوكون والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر الا باذن سيده وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا وغير ذلك مما تقدم تفصيله في سورة الاسراء (قوله فاذا جاء أمر الله) أي حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة في ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون انه ذكر هنا الحق فكان مقابلته بالباطل أنسب وهنالك ذكر الايمان فكان مقابلته بالكفر أنسب (قوله أي ظهر القضاء الخ) دفع بذلك ما يقال انهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهر الامر الذي كان مخفيا (قوله قيل الابل خاصة) أي لانها هي التي يوجد فيها جميع المنافع الآتية (قوله لتركبوا منها الخ) هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل والانعام خلقها لكم فيها دفء الآية (قوله وعليها في البر الخ) أفرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة وقرن بينها وبين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى وقال اركبوا فيها لما قيل ان سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخلق مظروفون فيها وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأي آيات الله الخ) أي منصوب بتنكرون قدم لكونه له صدر الكلام (قوله وتذكيره أشهر من تأنيثه) أي فلم يقل أية آيات الله وذلك لان التفرقة في الاسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهي في أي أغرب لابهامها (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ والاستفهام انكاري وتقدم نظيره غير مرة (قوله كانوا أكثر منهم) كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أي أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أي الاماكن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الاولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية (قوله فرح استهزاء) أي سخرية حيث لم يأخذوه بالقبول ويمتثلوا أمر الله ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قوله أي العذاب) أي فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزؤن بالعذاب الموعود به قال تعالى حكاية عن أهل مكة واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله فلما رأوا بأسنا) أي في الدنيا (قوله بفعل مقدر من لفظه) أي والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التي قد خلت) أي مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الكافرون) أي وقت رؤيتهم العذاب (قوله تبين خسرانهم) أي ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذي قبله

﴿سورة فصلت﴾

مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر أول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصابيح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين الاسمين اشارة الى أن نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك أن النعم من مظاهر تجلي الرحمة فالقرآن نعمة باقية الى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أي وسوغ الابتداء به عمله في الجار والمجرور بعده على حد ورغبة في الخير خير (قوله كتاب خبره) أي وفصلت آياته نعت للخبر (قوله بينت بالاحكام) أي

ميزت ووضحت لفظا ومعنى فاللفظ فى أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والاحكام وغير ذلك من المعانى المختلفة فاذا تأملت فى القرآن تجد بعض آياته متعلقا بذات الله وصفاته وبعضها متعلقا بعجائب خلقه من السموات والارض وما فيهما وبعضها متعلقا بالمواعظ والنصائح وغير ذلك قال البوصيرى فى ذلك المعنى

ولا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أى كل من قرآنا وعربيا فتكون حالا مؤسسة ويصح أن يكون الحال لفظ قرآنا وعربيا صفته (قوله بصفته) أى الكتاب والمعنى أن المسوغ لمجىء الحال منه مع كونه نكرة وصفه بما بعده (قوله متعلق بفصلت) أى والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أى تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أى وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم وأما غيرهم فلا يفهم القرآن الا بواسطتهم (قوله صفة قرآنا) ويصح أن يكونا حالين من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرئ شذوذا على أنه خبر لمحذوف أى هو بشير ونذير أو نعت لكتاب (قوله فأعرض أكثرهم) أى تكبرا وعنادا واستفيد منه أن الاقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كأبى بكر وأضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فأعرض وقوله قلوبنا فى أكنة جمع كنان وهو ما يجعل فيه السهام ويسمى جعبة بفتح الجيم ويجمع على جعاب (قوله مما تدعونا اليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعوله (قوله وفى آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم من حيث انها تمج الحق ولا تميل الى استماعه (قوله ومن بيننا وبينك حجاب) من لابتداء الغاية والمعنى أن الحجاب ناشئ من جهتنا فلا نستطيع التوصل لما عندك والحجاب ناشئ من جهتك فلا تستطيع التوصل لما عندنا فنحن معذورون فى عدم اتباعك لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك (قوله خلاف) أى مخالفة فى الدين (قوله فاعمل على دينك) أى استمر عليه وقوله اننا عاملون أى مستمرون على ديننا (قوله قل انما أنا بشر مثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها لانى بشر من جنسكم تعرفون حالى وطبعى وأعرف حالكم وطبعكم فلست مغايرا لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين ولست بداع لكم الى شئ لا تقبله العقول والاسماع بل أنا داع لكم الى توحيد خالقكم وموجدكم الذى قامت عليه الادلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا اليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه بالى (قوله واستغفروه) أى مما أنتم عليه من سوء العقيدة وفيه اشارة الى أن الاستقامة لا تتم الا بالاستغفار والندم على ما مضى بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع فى النار (قوله وويل للمشركين) مبتدأ وخبر وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لا يؤتون الزكاة) انما خص منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لان المال أخو الروح فاذا بذله الانسان فى سبيل الله كان دليلا على قوته وثباته فى الدين قال تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم الخ أى يثبتون أنفسهم ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالايمان بالمال وقاتل أبو بكر مانعى الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهى زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد فان قلت على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها والجواب أن المراد بالزكاة صرف المال فى مراضى الله تعالى (قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعد المؤمنين اثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أى بل هو دائم مستمر بدوام الله وهذا أحد تفاسير فى هذه الآية وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النعم فى الجنة ويطالبهم بشكرها لانقطاع التكليف بالموت وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة فلا تزال تشكر الله تعالى

حال من كتاب بصفته (لقوم) متعلق بفصلت (يعلمون) يفهمون ذلك وهم العرب (بشيرا) صفة قرآنا (ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) سماع قبول (وقالوا) للنبى (قلوبنا فى أكنة) أغطية (مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) ثقل (ومن بيننا وبينك حجاب) خلاف فى الدين (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه) بالايمان والطاعة (واستغفروه وويل) كلمة عذاب (للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) مقطوع

وان

وان كان غير مطلوب منهم تلذذا وفرحا بنعم الله تعالى ولان الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم
لا يمدد نعمه على أضيافه (قوله قل أئنكم) قدم الاستفهام على التأكيد لان له صدر الكلام وهو
استفهام انكار وتشنيع وان واللام لتأكيد الانكار والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم
العلوي والسفلي فكيف تجعلون له شريكا (قوله وادخال ألف الخ) المناسب أن يقول وتركه لان
القراآت السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه (قوله في يومين) قال ابن عباس ان الله خلق يوما
فسماه يوم الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء
ثم خلق خامسا فسماه الخميس فخلق الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق
مواضع الانهار والشجر والقرى يوم الاربعاء وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفة يوم
الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر
وقيل ان مبدأ الخلق السبت (قوله وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب
(قوله ذلك رب العالمين) اسم الاشارة عائد على الموصول وأتى بالخطاب مفردا اشارة الى أن المخاطب
فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال انه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله والجمع
لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر فأجاب بانه جمع باعتبار أنواعه (قوله بالياء والنون) اشارة لسؤال
آخر فلو أتى بالواو لكان أوضح وحاصل هذا السؤال أن هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير
عاقل فأجاب بقوله تغليبا الخ (قوله مستأنف الخ) هذه العبارة في بعض النسخ وهي معترضة بانه
لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة ولا يقال انه وقع بين أجزاء صلة الموصول لانه يقال
الموصول قد استوفى صلته ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع فالاولى اسقاط هذه العبارة كما هو
في بعض النسخ وقوله للفاصل أي وهو قوله وتجعلون الخ فانه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء
الصلة (قوله من فوقها) الحكمة في قوله من فوقها انه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها لتوهم أنها
هي التي أمسكتها عن النزول فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الانسان ان الارض وما عليها ممسكة بقدرة
الله تعالى (قوله وقدر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب قدر الاقوات قبل أن يخلق الخلق والابدان فخص
كل قوت بقطر من الاقطار وأضاف القوت الى الارض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى
جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه البلدة يحتاجون الى الاشياء الموجودة
في تلك البلد وهكذا فصار ذلك سببا لرغبة الناس في التجارة واكتساب الاموال وجميع ما خلقه الله
لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق أضعافا وانما ينقص توصل بعضهم اليه فلا يجد له
ما يكفيه وفي الارض أضعاف كفايته (قوله في تمام أربعة أيام) أشار بذلك الى ان الكلام على حذف
مضاف دفعا لما يتوهم ان الايام ثمانية يومان في خلق الارض وأربعة في خلق الاقوات ويومان في خلق
السموات فينافي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام والحكمة في تقدير هذه
المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لحظة تعليم العباد التمهل والتأني في الامور والبعد من العجلة
(قوله في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها (قوله للسائلين) متعلق بسواء والمعنى مستوية للسائلين أي
جواب السائلين فيها سواء لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد الى السماء) أي أراد والمعنى
تعلقت ارادته بخلق السموات (قوله وهي دخان) المراد به بخار الماء وذلك أن العرش كان على الماء
قبل خلق السموات والارض ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارتفع فخرج منه دخان
فارتفع وعلا فخلق منه السموات وأما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الارض
(قوله فقال لها الخ) اختلف في قول الله للارض والسموات وجوابهما له فقيل هو حقيقة وأجابتاه
بلسان المقال ولا مانع منه لان القادر لا يعجزه شئ فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا
ويؤيده ما روى أنه نطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بحذائها فوضع الله فيهما حرمة
وقيل ان معنى القول في حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد (قوله

(قل أئنكم) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وادخال ألف بينها بوجهيها وبين الاولى (لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الاحد والاثنين (وتجعلون له أندادا) شركاء (ذلك رب) مالك (العالمين) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء (وجعل) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذي للفاصل الاجنبي (فيها رواسي) جبالا ثوابت (من فوقها وبارك فيها) بكثرة المياه والزروع والضروع (وقدر) قسم (فيها أقواتها) للناس والبهائم (في) تمام (أربعة أيام) أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والاربعاء (سواء) منصوب على المصدر أي استوت الاربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (للسائلين) عن خلق الارض بما فيها (ثم استوى) قصد (الى السماء وهي دخان) بخار مرتفع (فقال لها وللارض ائتيا) الى مرادي منكما (طوعا أو كرها) في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين (قالتا أتينا) بمن فينا (طائعين)

فيه تغليب المذكر العاقل) أى حيث جمعوا جمعه (قوله فقضاهن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أى صيرها سبع سموات) أشار بذلك الى أن قضى مضمن معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق فى نفس اليوم الذى خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها ألوفا من السنين وأجيب بأن المراد أنه خلق فى مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين (قوله وافق ماهنا الخ) أى بتقدير المضاف السابق والمشهور ان الايام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة أيام بقدر الستة آلاف سنة ان قلت ان اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل خلق السموات لا يعقل حصول اليوم فضلا عن تسميته بالاحد ونحوه أجيب بان الله تعالى قدر مقدار ما خلق فيه الارض وسماه الاحد والاثنين ومقدار ما خلق فيه الاقوات وسماه الثلاثاء والاربعاء وهكذا فالتسمية للمقادير التى خلقت فيها تلك الاشياء * بقى شئ آخر وهو أن ماهنا يقتضى ان الارض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازعات المفيدة ان الارض خلقت بعد السموات قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها الى أن قال والارض بعد ذلك دحاها وأجيب بان الله تعالى خلق الارض أولا فى يومين كرية ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحى الارض وبسطها فخلق الجميع فى ستة أيام والدحى بعد ذلك فلا تناقض واستشكل ذلك الرازى وأجاب عنه بما لا طائل تحته (قوله وأوحى فى كل سماء أمرها) الوحى كناية عن التكوين (قوله الذى أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد والثلج (قوله بفعله المقدر) أى وهو معطوف على زينا (قوله ذلك) أى المذكور بتفاصيله (قوله فان أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أئنكم لتكفرون الخ والمعنى بين يا محمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فان أعرضوا بعد اقامة الحجج وبيان الهدى فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الامم لانه جرت عادة الله تعالى أن لا يعذب أمة الا بعد طلوع شمس الحق لهم واعراضهم عنه وفى قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أئنكم الى الغيبة اشارة الى انهم لما أعرضوا جوزوا بالاعراض والالتفات من خطابهم لان الخطاب شأن من يرجى اقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أنذرتكم) عبر بالماضى اشارة الى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هى فى الاصل الصيحة التى يحصل بها الهلاك أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذا صعقة بغير ألف مع سكون العين فى الموضعين وقوله مثل صاعقة عاد وثمود التشبيه فى مطلق الهلاك وان كان هلاك عاد وثمود عاما وهلاك هذه الامة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئى بكلى وبهذا اندفع ما يقال ان العذاب العام لا يأتى لهذه الامة لما ورد فى الاحاديث الصحيحة من أمن الامة من ذلك وأجيب أيضا بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل وحينئذ فالمعنى أنتم ارتكبتم أمورا تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود (قوله اذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية والمعنى صعقتهم وقت مجئ رسلهم اليهم والضمير فى جاءتهم عائد على عاد وثمود وقوله الرسل المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وادريس وشيث وآدم لكن مجئ هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقى ومجئ من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لان كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أى مقبلين عليهم) أى وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أى وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله أن لا تعبدوا الخ) يصح أن تكون أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر يشير للمعنيين الاولين حيث قدر الباء ولا ناهية فى الاوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضا فى الوجه الثانى والفعل منصوب بان حذفت منه النون للناصب ولا النافية لا تمنع عمل ان فى الفعل (قوله قالوا) أى عاد وثمود لهود وصالح (قوله لو شاء ربنا) أى انزال ملائكة بالرسالة

فيه تغليب المذكر العاقل أو نزلتا لخطابهما منزلته (فقضاهن) الضمير يرجع الى السماء لانها فى معنى الجمع الآيلة اليه أى صيرها (سبع سموات فى يومين) الخميس والجمعة فرغ منها فى آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ماهنا آيات خلق السموات والارض فى ستة أيام (وأوحى فى كل سماء أمرها) الذى أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) بنجوم (وحفظا) منصوب بفعله المقدر أى حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذلك تقدير العزيز) فى ملكه (العليم) بخلقه (فان أعرضوا) أى كفار مكة عن الايمان بعد هذا البيان (فقل أنذرتكم) خوفتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أى عذابا يهلككم مثل الذى أهلكهم (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) أى مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتى والاهلاك فى زمنه فقط (أن) أى بأن (لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل) علينا (ملائكة فانا بما أرسلتم به)

فمفعول

على زعمكم (كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا) لما خوفوا بالعذاب (من أشد منا قوة) أى لا أحد كان
واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أولم يروا) يعلموا (أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا) المعجزات (يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فى أيام نحسات) بكسر الحاء وسكونها مشؤمات عليهم (لنذيقهم عذاب الخزى) الذل (فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى) أشد (وهم لا ينصرون) بمنعه عنهم (وأما ثمود فهديناهم) بينا لهم طريق الهدى (فاستحبوا العمى) اختاروا الكفر (على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) المهين (بما كانوا يكسبون ونجينا) منها (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله (و) اذكر (يوم يحشر) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أعداء الله الى النار فهم يوزعون) يساقون (حتى اذا ما) زائدة (جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) أى أراد نطقه (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون)

فمفعول شاء محذوف والمعنى لو شاء ربنا ارسال أحد لجعله ملكا لا بشرا وهذا توصل منهم لانكار الرسالة لزعمهم أنها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أى والا فهم ينكرون رسالتهما (قوله فأما عاد فاستكبروا فى الارض) أى تعظموا على أهلها واستعلوا فيها وهذا شروع فى حكايات ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال فى كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أى فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا قال ابن عباس ان أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا (قوله يجعلها) أى يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا الخ) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم للتعجيب من مقالتهم الشنيعة والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا يجحدون) ضمنه معنى يكفرون فعداه بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصرا) من الصر وهو البرد أو من الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كاشر وفرح وقيل انه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشؤمات) أى غير مباركات من الشؤم ضد اليمن وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الاربعاء الى غروب الاربعاء التى تليها وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما قال ابن عباس ما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء (قوله عذاب الخزى) أى العذاب الخزى فهو من اضافة الموصوف لصفته وقوله الذل وصف به العذاب مبالغة والا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما ثمود فهديناهم) شروع فى ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أى فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أى الايمان (قوله المهين) أى الموقع فى الاهانة والذل (قوله بما كانوا يكسبون) أى من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجينا الذين آمنوا) أى مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم فى الاعراف أنه نجا من كان مع هود قال تعالى فأنجيناه والذين آمنوا برحمة منا وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا فى سورة هود (قوله واذكر يوم يحشر) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أى مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الهمزة) أى من أعداء على انه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الخلود فى النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله الى النار) المراد موقف الحساب وانما عبر عنه بالنار لانها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوى بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافى ما قاله المفسر فان المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أى للتأكيد وانما أكده لانهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أى بأن يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان فتقر بما فعلته من المعاصى حقيقة وهو التحقيق وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصى على تلك الجوارح كظهور النتانة على فرج الزناة ونحو ذلك وقيل النطق من غير فهم ولا ادراك عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ما تدرون مم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم فيقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى الا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا فى شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على اتيان الزنا والاقرب الاول (قوله وقالوا لجلودهم) أى توبيخا وتعجبا من هذا الامر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أى جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أى تردون اليه بالبعث

قيل هو من كلام الجلود وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على انشائكم ابتداء
واعادتكم بعد الموت احياء
قادر على انطاق جلودكم
واعضائكم (وما كنتم
تستترون) عن ارتكابكم
الفواحش من (ان يشهد
عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم) لانكم لم
توقنوا بالبعث (ولكن
ظننتم) عند استتاركم (أن
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم) مبتدأ (ظنكم)
بدل منه (الذي ظننتم
بربكم) نعت والخبر (أرداكم)
أي أهلككم (فأصبحتم
من الخاسرين فان يصبروا)
على العذاب (فالنار
مثوى) مأوى (لهم وان
يستعتبوا) يطلبوا العتبى
أي الرضا (فما هم من
المعتبين) المرضيين
(وقيضنا) سببنا (لهم
قرناء) من الشياطين
(فزينوا لهم ما بين أيديهم)
من أمر الدنيا واتباع
الشهوات (وما خلفهم)
من أمر الآخرة بقولهم
لا بعث ولا حساب (وحق
عليهم القول) بالعذاب
وهو لأملأن جهنم الآية
(في) جملة (أمم قد خلت)
هلكت (من قبلهم من
الجن والانس انهم كانوا
خاسرين وقال الذين
كفروا) عند قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم
(لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه) ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا في زمن قراءته (لعلكم تغلبون) فانه
فيسكت عن القراءة قال الله تعالى فيهم (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي أقبح جزاء عملهم

وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لان المراد بالرجوع البعث وما يترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم (قوله قيل هو) أي قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذي بعده) أي وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أي مناسبته قوله وهو خلقكم ووجه مناسبته له في المعنى أنه يقرب من المقول من حيث ان القادر على الابداء والاعادة قادر على انطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أي تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لا يكون الا بترك الفعل بالكلية لانها ملازمة للانسان في حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك الى أن قوله أن يشهد في محل نصب بنزع الخافض ويصح أن يكون مفعولا لاجله والتقدير مخافة أن يشهد الخ (قوله عند استتاركم) أي من الناس (قوله ان الله لا يعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الاعمال فظنوا ان علم الله مساو لعلم الخلق فكل ما ستر وعن الناس لا يعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم أن الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير ففي الحديث أنا عند ظن عبدي بي والقبيح أن يظن بالله نقصا في ذاته أو صفاته أو أفعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ما قبله (قوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم) ان قلت ان النار مأوى لهم صبروا أولا فما وجه التقييد بالصبر وأجيب بأن في الآية حذفا والتقدير فان يصبروا أولا يصبروا فالنار مثوى لهم وانما حذف المقابل للعلم به لانه اذا كانت لهم النار مع الصبر فهي لهم مع عدمه بالاولى بخلاف الدنيا فان الانسان مع الصبر ربما تخف مصيبته أو يعوض خيرا ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه (قوله أي الرضا) وقيل العتبى الرجوع الى ما يحبون (قوله المرضيين) أي المرضي عليهم (قوله وقيضنا لهم) أي لكفار مكة ومعنى سببنا هيأنا أو بعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزينوا لهم) أي من القبائح (قوله ما بين أيديهم من أمر الدنيا الخ) وقيل ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا قال القشيري اذا أراد الله بعبد سوءا قيض له اخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس وبئس القرين يدعوه اليوم الى ما فيه الهلاك ويشهد عليه غدا واذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وفي الحديث اذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبحه عنده ولا قبيحا الا حسنه عنده وعن عائشة قالت اذا أراد الله بالوالي خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى (قوله وحق عليهم القول) أي ثبت وتحقق (قوله في أمم) حال من الضمير في عليهم والمعنى كائنين في جملة أمم (قوله قد خلت) صفة لامم (قوله هلكت) المناسب أن يقول مضت (قوله انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أي من كفار مكة وانما قالوا ذلك لانه لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصغي اليها المؤمن والكافر خافوا أن يتبعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرئ شذوذا بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث أنصت فقد لغوت (قوله باللغط) بسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أي في القول فاذا غلبتموه سكت لانه لم يكن مأمورا حينئذ بمقاتلهم (قوله قال تعالى فيهم) أي في شأنهم (قوله الذين كفروا) أي استمروا على الكفر وماتوا عليه (قوله أي أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما يتوهم انهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلا والمعنى ان المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفي هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط في حال قراءة القرآن وشوش على القارئ ويغلط عليه

فانه حرام باجماع ان لم يقصد ابطال النفع بالقرآن كراهة فيه والا فهو كافر (قوله ذلك) أى المذكور من الامرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أول أعداء والقراءتان سبعيتان (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى اعرابها ويصح أن يكون بدلا من جزاء ورد بأن البدل يصح حلول المبدل منه محله وهنا لا يصح لانه يصير التقدير ذلك النار ويصح أن يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المقدر) والتقدير يجزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء اما زائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرئينا فالراء فاء الكلمة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذفت الياء لبناء الفعل على حذفها ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها فسقطت الهمزة وصار وزنه افنا وهى بصرية تعدت بالهمزة للمفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الاول الضمير والمعنى صير ناراثين بابصارنا الخ (قوله من الجن والانس) أى لان الشيطان على قسمين جنى وانسى كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقدم الجن لانهم أصل الضلال (قوله سنا الكفر والقتل) لف ونشر مرتب فقابيل قتل أخاه هابيل فهو أول من سن القتل وابليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهما تحت أقدامنا) أى اما حقيقة فيكونان أشد عذابا منا فنشتفى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الاسفل (قوله ليكونا من الاسفلين) أى فى دركات النار (قوله ان الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين اثر بيان وعيد الكافرين والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك الى الممات قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهى ولا تروغ زوغان الثعلب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الحشر وخروج من القبر ولا مانع من الجمع والمراد ملائكة الرحمة تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله أن لا تخافوا) أن مخففة من الثقيلة أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الاولين والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل والحزن غم يلحقها لفوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار الكرامة التى فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله التى كنتم توعدون) أى فى الكتب المنزلة وعلى ألسنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولى المؤمنين ومولاهم ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة والمعنى كنا أولياءكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة (قوله ما تدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الاول والمعنى لكم كل ما تشتهون وكل ما تطلبون ولو لم يكن مشتهى كالرتب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدرا) ويصح أن يكون حالا من قوله ما تدعون (قوله من غفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلا اشارة الى مزيد السرور لهم واكرامهم وانه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة ويتجلى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولا الخ) قيل نزلت هذه الآية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذى جمع تلك الاوصاف لان الداعين الى الله تعالى أقسام فمنهم الداعون الى الله بالتوحيد قولا كالاشعرى والماتريدى ومن تبعهما الى يوم القيامة وفعلا كالمجاهدين ومنهم الداعون الى الله تعالى بالاحكام الشرعية كالائمة الاربعة ومن على قدمهم ومنهم الداعون الى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب بحيث يكون دائما فى حضرة الله ليس فى قلبه سواه كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ومنهم من يدعو الى الله تعالى بالاعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين وهذه

(ذلك) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله) بتحقيق الهمزة الثانية وابدالها واوا (النار) عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك (لهم فيها دار الخلد) أى اقامة لا انتقال منها (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر (بما كانوا بآياتنا) القرآن (يجحدون وقال الذين كفروا) فى النار (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) أى ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل (نجعلهما تحت أقدامنا) فى النار (ليكونا من الاسفلين) أى أشد عذابا منا (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت (أن) بأن (لا تخافوا) من الموت وما بعده (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) أى نحفظكم فيها (وفى الآخرة) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون) تطلبون (نزلا) رزقا مهيأ منصوب بجعل مقدرا (من غفور رحيم) أى الله (ومن أحسن قولا) أى لا أحد أحسن قولا (ممن دعا الى الله)

الاقسام مجموعة في النبي عليه الصلاة والسلام متفرقة في أصحابه ثم انتقلت منهم الى من بعدهم وهكذا الى يوم القيامة لقوله في الحديث الشريف لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك (قوله بالتوحيد) أي وفروعه وانما خصه لانه رأس الامور وأساسها (قوله وعمل صالحا) أي امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعيا الى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا ويؤثر في القلوب وأما من كان بخلاف ذلك فلايكون قوله مقبولا ولايؤثر في القلوب ولاتنبغي صحبته قال العارف لاتصحب من لاينهضك حاله ولايدلك على الله مقاله وقال بعضهم

أتنهى الاناس ولاتنتهي * متى تلحق القوم ياالكع
ويا حجر السن أماتستحي * تسن الحديد ولاتقطع

فمن لم يؤثر كلامه في نفسه فلايؤثر في غيره بالاولى قال بعضهم

ياأيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى * كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى * بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وبالجملة فالدعوة الى الله لاتنفع الا من قلب ناصح وأعظم الداعين الى الله تعالى الاولياء السالكون الذين يوصلون الخلق الى طريق الحق وهم موجودون في كل زمن غير أنه لايجتمع بهم ولايعرفهم الا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين الاولياء عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون نفعنا الله بهم أجمعين (قوله وقال انني من المسلمين) أي تحدثا بنعمة ربه وفرحا بالاسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل أن لا زائدة للتوكيد لان الاستواء لايكون من واحد بل من اثنين كأنه قال لاتستوي الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شر ويحتمل أن لا أصلية والمعنى لاتستوي مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولاتستوي مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا ما مشى عليه المفسر (قوله ادفع بالتي هي أحسن) أي حيث فعلت معك سيئة ادفعها بخصلة هي أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أي أعلى المراتب أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وقد كان هذا أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فاذا الذي بينك وبينه عداوة الخ) اذا فجائية ظرف لمعنى التشبيه فعاملها معنوي مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوي لانه يغتفر في الظرف وفيما لايغتفر في غيرها والذي مبتدأ وبينك خبر مقدم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكأنه الخ خبر الموصول والمعنى فاذا فعلت مع عدوك ماذكر فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابها في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة (قوله كأنه ولي حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذي تهتم لامره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولي الحميم فالولي القريب والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي قال بعضهم في وصفه

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

(قوله في محبته) هذا هو وجه الشبه (قوله اذا فعلت ذلك) أي الاحسان للعدو (قوله التي هي أحسن) الاوضح أن يقول وهي مقابلة الاساءة بالاحسان (قوله ثواب عظيم) وقيل المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس (قوله واما ينزغنك الخ) المراد بالنزغ الوسوسة والمعنى وان يوسوس لك الشيطان بترك ماأمرت به فاستعذ بالله أي اطلب التحصن من شره ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على

بالتوحيد (وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) في جزئياتهما لان بعضهما فوق بعض (ادفع) السيئة (بالتي) أي بالخصلة التي (هي أحسن) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والاساءة بالعفو (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته اذا فعلت ذلك فالذي مبتدأ وكأنه الخبر واذا ظرف لمعنى التشبيه (وما يلقاها) أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن (الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ) ثواب (عظيم واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ينزغنك من الشيطان نزغ) أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فاستعذ بالله) جواب الشرط وجواب الامر محذوف أي يدفعه عنك

ارتكاب

او تكاب منهى عنه فاذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فان لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجلوس ان كان قائما ثم بالاضطجاع ان كان جالسا فان لم يزل بعد ذلك ذهب من المكان الذي هو به (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفي هذه الآية دليل على استعمال التعوذات في الصباح والمساء لان الانسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية فلذلك ورد في الاحاديث وفي كلام العارفين كثرة التعوذ في هذين الوقتين فتدبر (قوله ومن آياته) خبر مقدم والليل وما عطف عليه مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالالوهية الليل الخ أي ظهور كل من هذه الاربع (قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لان الكفار عبدوهما من دون الله (قوله أي الآيات الاربع) وانما عبر عنها بضمير الاناث مع أن غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا العكس نظرا للفظ الآيات فان مفرده آية وهو مؤنث (قوله ان كنتم اياه تعبدون) أي تفردونه بالعبادة فاتركوا عبادة غيره (قوله فان استكبروا) أي تكبروا وعاندوا وحيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله الها معبودا (قوله فالذين عند ربك) علة لجواب الشرط المحذوف والتقدير فلا تنعدم العبادلان الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجاراة الكفار والا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شيء لما في الحديث يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيأ (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الارض الخ (قوله يابسة) أي الارض الخاشعة هي الغبراء التي ليس بها نبات استعير لها حال الخاشع وهو الذل والتقاصر (قوله اهتزت وربت) أي تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارتفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافا لمن قال ان فيها قلبا والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحيي الموتى) أي يبعثهم (قوله ان الذين يلحدون في آياتنا) أي يميلون عن الاستقامة في الدين ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والاكاذيب (قوله من ألحد ولحد) أشار بذلك الى ان هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه أميل الى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أي بأعمالهم (قوله أم من يأتي آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل أم من يدخل الجنة تصريحا بحصول الامن لهم وانتفاء الخوف عنهم (قوله تهديد لهم) أي للكفار وزيادة مسرة للمؤمنين (قوله ان الذين كفروا الخ) خبر ان محذوف قدره المفسر بقوله فنجازيهم وهو أحد أعاريب وهو أسهلها وقيل انه جملة لا يأتيه الباطل الخ والعائد محذوف والتقدير لا يأتيه الباطل منهم والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه بل هو محفوظ منهم وقيل ان الخبر قوله ما يقال لك الخ والعائد محذوف والتقدير ما يقال لك في شأنهم وقيل غير ذلك (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كفروا (قوله وانه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره قال البوصيري

كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل أي مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أي ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفي كلام المفسر لف ونشر مشوش فقوله ليس قبله راجع للخلف وقوله ولا بعده رجع لما بين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذي يضع الشيء في محله (قوله ما يقال لك الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على ما يصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أي من أجل حصوله ووقوعه (قوله ان ربك لذو مغفرة الخ) هذا هو المقول والمعنى ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم الا قولا مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو ان ربك لذو مغفرة الخ

(انه هو السميع) للقول (العليم) بالفعل (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) أي الآيات الاربع (ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا) عن السجود لله وحده (فالذين عند ربك) أي فالملائكة (يسبحون) يصلون (له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) لا يملون (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة لا نبات فيها (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت (وربت) انتفخت وعلت (ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين يلحدون) من ألحد ولحد (في آياتنا) القرآن بالتكذيب (لا يخفون علينا) فنجازيهم (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير) تهديد لهم (ان الذين كفروا بالذكر) القرآن (لما جاءهم) نجازيهم (وانه لكتاب عزيز) منيع (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تنزيل من حكيم حميد) أي الله المحمود في أمره

(ما يقال لك) من التكذيب (الا) مثل (ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة) للمؤمنين (وذو عقاب أليم) للكافرين

(ولو جعلناه) أي الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا لولا) هلا (فصلت) بينت (آياته) حتى نفهمها (أ) قرآن (أعجمي و) نبي (عربي) استفهام انكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا باشباع ودونه (قل هو للذين آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) ثقل فلا يسمعونه (وهو عليهم عمى) فلا يفهمونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق الى يوم القيامة (لقضى بينهم) في الدنيا فيما اختلفوا فيه (وانهم) أي المكذبين به (لفي شك منه مريب) موقع في الريبة (من عمل صالحا فلنفسه) عمل (ومن أساء فعليها) أي فضرر اساءته على نفسه (وما ربك بظلام للعبيد) أي بذي ظلم لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة (اليه يرد علم الساعة) متى تكون لا يعلمه غيره (وما تخرج من ثمرة) وفي قراءة ثمرات (من أكمامها) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف الا بعلمه (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم

(قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا) اقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لولا فصلت آياته) أي بلسان نفهمه وهو لسان العرب وقوله أأعجمي الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم والمعنى انهم طلبوا أولا نزوله بلغة العجم فرد الله عليهم بقوله وقالوا لولا فصلت آياته أي جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم لادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم وكون الجائي به عربيا وغرضهم بذلك انكار كون القرآن من عند الله على أي حال والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري وأعجمي خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أقرآن الخ وكذا قوله وعربي (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أي من غير ألف بينهما وقوله وقلبها ألفا أي ممدودة مدا لازما وهاتان قراءتان وقوله باشباع ودونه سبق قلم منه والصواب أن يقول وتسهيل الثانية باشباع ودونه فالاشباع هو ادخال ألف بين المحققة والمسهلة وعدمه هو ترك الاشباع وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضا وهي اسقاط الهمزة الاولى (قوله قل هو للذين آمنوا) أي صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أي ومن الامراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لا يؤمنون) مبتدأ وفي آذانهم خبر مقدم ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ الاول (قوله فلا يسمعونه) أي لوجود الحجاب على قلوبهم فلا يوفقون لاتباعه (قوله أي هم كالمنادى الخ) أي فالكلام فيه استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ واعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادى من مكان بعيد والجامع عدم الفهم في كل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابهم (قوله لقضى بينهم) أي عجل لهم العذاب في الدنيا (قوله لفي شك منه) أي من أجل المخالفة وقوله مريب أي مورث شكا آخر (قوله فلنفسه عمل) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف ويصح أن يكون خبر المحذوف أي فعمله الصالح لنفسه والجملة على كل حال جواب الشرط ان جعلت من شرطية أو خبرها ان جعلت موصولة وكذا يقال في الجملة بعدها (قوله أي بذي ظلم) جواب عما يقال ان الآية لم تنف أصل الظلم فأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز أي منسوب للتمر والخبز ان قلت ان الظلم مستحيل على الله تعالى عقلا لانه التصرف في ملك الغير ولا ملك لاحد معه فكيف يتصور اثباته حتى يحتاج لنفيه أجيب بأن المراد بالظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم وانما سماه ظلما تفضلا منه واحسانا كأن الله تعالى يقول لا أدخل أحدا النار من غير ذنب فان فعلت ذلك كنت ظالما وهو مستحيل على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله اليه يرد علم الساعة) أي لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو فالمعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه الا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله ان الله عنده علم الساعة (قوله لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لا يفيد علمه غيره تعالى فلا ينافي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن ومن جملته وقت الساعة ولكن أمر بكتمانه فلا يفيد السائل عنه شيأ (قوله من ثمرة) المراد الجنس وقوله وفي قراءة أي وهي سبعية أيضا والجمع ظاهر (قوله جمع كم) بكسر الكاف أي وهو ما يغطي الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضا على أكمة وكمام وأما ما يغطي اليد من القميص فبالضم وجمعه أكمام وقيل ما يغطي الثمرة بالضم والكسر وما يغطي اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الخ) أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكرا أو أنثى واحدا أو متعددا أو غير ذلك ويعلم وقت وضعه ومكانه (قوله الا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الاحوال والتقدير وما يحدث شئ من خروج ثمرة أو حمل حامل أو وضعها الا ملتبسا بعلمه فقد حذف من الاولين لدلالة الثالث عليه ان قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف وبعض الكهنة والمنجمين أجيب بأن صاحب الكشف علمه بالهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند

أين شركائي قالوا آذناك) أعلمناك الآن (ما منا من شهيد) أي شاهد بأن لك شريكا (وضل) غاب (عنهم ما كانوا يدعون)

يعبدون (من قبل) في الدنيا من الاصنام (وظنوا) أيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب من العذاب والنفي في الموضعين معلق عن العمل وجملة النفي سدت مسد المفعولين (لا يسأم الانسان من دعاء الخير) أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما (وان مسه الشر) الفقر والشدة (فيؤس قنوط) من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافرين (ولئن) لام قسم (أذقناه) آتيناه (رحمة) غنى وصحة (منا من بعد ضراء) شدة وبلاء (مسته ليقولن هذا لي) أي بعملي (وما أظن الساعة قائمة ولئن) لام قسم (رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) أي الجنة (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) شديد واللام في الفعلين لام قسم (واذا أنعمنا على الانسان) الجنس (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) ثنى عطفه متبخترا وفي قراءة بتقديم الهمزة (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) كثير (قل أرأيتم ان كان) أي القرآن (من عند الله) كما قال النبي (ثم كفرتم به من)

أي لا أحد (أضل ممن هو في شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم (سنريهم آياتنا في الآفاق) أقطار السموات والارض من النيرات والنبات والاشجار (وفي أنفسهم

لامور ظنية قد تصيب والغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائي) أي بزعمكم وفيه تقريع وتهكم بهم (قوله قالوا) أي يقولون وعبر بالماضي لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك الى أن المراد الانشاء لا الاخبار عما سبق فالجملة خبرية لفظا انشائية معنى ويصح أن يراد الاخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة اعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أي غاب نفعهم عنهم فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم وهذا في المحشر وأما في النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أي فرار ومهرب من النار (قوله والنفي) أي وهو ما وقوله في الموضعين أي وهما ما منا وما لهم (قوله معلق عن العمل) التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا والعامل المعلق هو آذن وظن (قوله وجملة النفي) أي في الموضعين (قوله سدت مسد المفعولين) أي الاول والثاني لظنوا والثاني والثالث لآذنا فانه يتعدى لثلاثة كأعلم وأرى والمفعول الاول الكاف (قوله لا يسأم الانسان) المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر (قوله من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرهما) أي كالولد ونحوه من خير الدنيا (قوله فيؤس قنوط) خبران لمبتدأ محذوف أي فهو وقيل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد وقيل اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط اظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى أفلم ييأس الذين آمنوا ويئس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله وما بعده) أي وهو قوله ولئن أذقناه الى قوله للحسنى وأما قوله فلننبئن الخ تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لي) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسده جواب القسم مسده للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أي بعملي) أي بمالي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة) أي تقوم (قوله ولئن رجعت الى ربي) أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعنت منها القسم وان وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا) جواب لقول الكافر ولئن رجعت الخ (قوله الجنس) أي من حيث هو مسلما أو كافرا ولكنه مشكل بالنسبة للكافر فانه تقدم انه عند مس الشر كان يؤسا قنوطا وهنا أفاد انه ذو دعاء عريض فيقتضي أنه راج فحصل بين الآيتين التناقض وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الاوقات مختلفة فبعض الاوقات يكونون آيسين وبعض الاوقات يكونون راجين (قوله ونأى بجانبه) بتقديم الالف على الهمزة بوزن قال وقوله وفي قراءة أي وهي سبعية أيضا وقوله بتقديم الهمزة أي على الالف بوزن رمى والنون مقدمة على كلهما (قوله فذو دعاء عريض) أي فهو ذو دعاء (قوله كثير) أشار بذلك الى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض في الدعاء اذا أكثر (قوله قل أرأيتم) رأى في الاصل علمية أو بصرية أطلق العلم أو الابصار وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر ثم أطلق الاستفهام عن العلم أو الابصار وأريد منه طلب الاخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبي) المناسب اسقاطه (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله أوقع هذا) أي قوله ممن هو في شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا في الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة والمعنى سنري كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق ويقال أفق بفتحتين كعلم وأعلام (قوله من النيرات) أي الشمس والقمر والنجوم وقوله والاشجار والنبات أي والرياح والامطار والجبال والبحار وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (قوله وفي أنفسهم) أي كخلقهم أولا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم بعد تمام مدتهم في البطون يخرجهم الى فضاء الدنيا ضعافا ثم يعطيهم القوة شيأ فشيأ وهكذا واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال أجيب بأن الكلام على حذف مضاف والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها فيه وعيد للمعتبر وعيد لغيره لان حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر

بهذه الآيات فقد سعد ومن تركه فقد شقي (قوله من لطيف الصنعة وبديع الحكمة) من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الانسان كالاكل والشرب يدخل من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر والبصر فانه ينظر به من السماء الى الارض مسيرة خمسمائة عام والسمع فانه يفرق به بين الاصوات المختلفة وغير ذلك وهذا ما قرر به المفسر الآية * وهناك احتمالات أخر منها ان المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده الذي لم يتيسر مثله لاحد من خلفاء الارض قبلهم والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده ومنها أن المراد بالآيات وقائع الامم السابقة والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والاسر ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أتحزن على انكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام انكاري والباء زائدة في الفاعل والمفعول محذوف تقديره يكفك وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل والمعنى أتحزن على كفرهم ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والمؤدى واحد حيث جعل الآية اخبارا عن حالهم وعليه فالمعنى ألم يعتبروا أولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أي بألسنتهم والمعنى ان الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم انكارهم بألسنتهم للبعث ولا يقال ان عندهم جزما في قلوبهم بعدم البعث لاننا نقول لا دليل لهم عليه حتى يحصل الجزم بالاوهام ووساوس شيطانه والحجة القطعية انما هي على البعث وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر (قوله الا انه بكل شئ محيط) تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على كفرهم فان الله محيط بكل شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومن لازمه أنه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجازيهم

من لطيف الصنعة وبديع الحكمة (حتى يتبين لهم أنه) أي القرآن (الحق) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به (أولم يكف بربك) فاعل يكف (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه أي أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شئ ما (الا انهم في مرية) شك (من لقاء ربهم) لانكارهم البعث (الا انه) تعالى (بكل شئ محيط) علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم

﴿ سورة الشورى ﴾

﴿ سورة الشورى مكية الا قل لا أسألكم الآيات الاربع ثلاث وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) الله أعلم بمراده به (كذلك) أي مثل ذلك الايحاء (يوحي اليك و) أوحى (الى الذين من قبلك الله) فاعل الايحاء (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (له ما في السموات وما في الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (وهو العلي) على خلقه (العظيم) الكبير (تكاد) بالتاء والياء (السموات يتفطرن) بالنون وفي قراءة بالتاء والتشديد (من فوقهن)

بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غير تعريف وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق (قوله الا قل لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدني ذلك الذي يبشر الله عباده وينتهي الى عليم بذات الصدور وقيل فيها من المدني أيضا قوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون الى قوله من سبيل (قوله حم عسق) أجمع القراء على أن حم مفصولة من عسق في الخط وعلى أن كهيعص متصلة بعضها ببعض والحكمة في ذلك أن حم عسق فصلت لما قيل انهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم (قوله أي مثل ذلك الايحاء) أشار بذلك الى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة والمعنى يوحي اليك والى الذين من قبلك ايحاء مثل ذلك الايحاء في المعنى لما ورد عن ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد أوحى اليه حم عسق ووجه المشابهة ان الموحى به في الكل يرجع لامور ثلاثة التوحيد والنبوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحي اليك) جمهور القراء على أنه بالياء مبنيا للفاعل والله فاعله وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل اما ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور وقوله الله العزيز الحكيم فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه فقيل يوحيه الله نظير يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال وقرئ شذوذا بالنون مبنيا للفاعل ولفظ الجلالة بدل من الضمير في نوحي الواقع فاعلا (قوله وأوحى الى الذين من قبلك) أشار بذلك الى أن يوحي مستعمل في حقيقته ومجازه فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل الايحاء) أي على قراءة الجمهور وأما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة النون فهو بدل من ضمير نوحي (قوله وهو العلي على خلقه) أي المنزه عن صفات خلقه (قوله العظيم) أي المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره أن القراآت أربع من ضرب

اثنين

اثنتين فى اثنتين وليس كذلك بل هى ثلاثة فقط سبعيات لان من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز فى ينفطرن الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لا يقرأ ينفطرن الا بالتاء مع التشديد (قوله أى تنشق كل واحدة) أى تسقط السابعة فوق السادسة والسادسة فوق الخامسة وهكذا الى أن يسقط الجميع فوق الارض فتنشق الارض وتخر الجبال هدا والتقييد بالفوقية أبلغ فى مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التى تليها) أشار بذلك الى أن الضمير فى فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الارضين لتقدم ذكر الارض (قوله من عظمته تعالى) أى فالسموات تكاد تنشق وتخر خوفا من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولدا يدل على ذلك ما تقدم فى سورة مريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بنى آدم (قوله من المؤمنين) أى والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ما تقدم فى غافر فحمل المطلق على المقيد وقيل المراد مطلق الملائكة ومن فى الارض العموم فيشمل جميع الحيوانات والمراد بالاستغفار طلب الارزاق ودفع البلاء وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا ان الله الخ) الا أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد ما بعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بألا الاستفتاحية وان والجملة الاسمية تفضلا منه واحسانا للاشارة الى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى الاصنام) تفسير للمفعول الاول فهو محذوف والثانى هو قوله أولياء والمعنى والذين اتخذوا الاصنام آلهة معبودة قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يدل عليه الآية الاخرى وأما الاولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله لانهم الوسيلة لنا الى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركا الا اذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلا واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم فى نفع أو ضر خلافا للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا أن كل من توسل الى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أى ضابط لهم ولاعمالهم فلا يغيب عنه شئ منها ولا يفاتون منه فهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يصح أن يكون مفعولا مطلقا لاوحينا وقرآنا مفعول به والتقدير وأوحينا اليك قرآنا عربيا ايحاء كذلك واسم الاشارة عائد على الايحاء المتقدم فى قوله كذلك يوحى اليك الخ ويصح أن يكون مفعولا به وقرآنا حال والتقدير وأوحينا اليك مثل ذلك الايحاء حال كونه قرآنا عربيا (قوله أم القرى) سميت بذلك لانها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ومن حولها) أى من كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الارض بل وأهل السماء وانما اقتصر على الانذار وان كان مبعوثا بالبشارة أيضا لانه فى ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لان الخلق فى ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثانى والاول محذوف قدره المفسر بقوله الناس عكس الفعل الاول فانه قد ذكر المفعول الاول وحذف الثانى تقديره العذاب ففى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله لا ريب فيه) حال من يوم الجمع (قوله فريق) اما مبتدأ فى كل خبره الجار والمجرور بعده والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها فى معرض التفصيل وهو الاولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدإ محذوف أى هم (قوله فى الجنة) المراد بها دار الثواب فتعم جميع الجنان وقوله وفريق فى السعير المراد به دار العذاب بجميع طباقها فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين انسا وجنا والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين انسا وجنا (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة والمعنى أن الامر كله لله ولا يسئل عما يفعل فحكمته سبقت بأن خلق جنة وخلق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أى أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أى بفضله واحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أى وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء فى رحمته وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى غضبه وعدل عنه الى ما ذكر اشارة الى دفع توهم أن لهم شفيعا أو نصيرا فى الآخرة وأما دخولهم فى

أى تنشق كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) أى ملابسين للحمد (ويستغفرون لمن فى الارض) من المؤمنين (ألا ان الله هو الغفور) لاوليائه (الرحيم) بهم (والذين اتخذوا من دونه) أى الاصنام (أولياء الله حفيظ) محص (عليهم) ليجازيهم (وما أنت عليهم بوكيل) تحصل المطلوب منهم ما عليك الا البلاغ (وكذلك) مثل ذلك الايحاء (أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر) تخوف (أم القرى ومن حولها) أى أهل مكة وسائر الناس (وتنذر) الناس (يوم الجمع) أى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق (لا ريب) شك (فيه فريق) منهم (فى الجنة وفريق فى السعير) النار (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أى على دين واحد وهو الاسلام (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون)

الكافرون (مالهم من ولى ولا نصير) يدفع عنهم العذاب (أم اتخذوا من دونه) أى الاصنام (أولياء) أم منقطعة بمعنى بل التى للانتقال والهمزة للانكار أى ليس المتخذون أولياء (فالله هو الولى) أى الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم) مع الكفار (فيه من شئ) من الدين وغيره (فحكمه) مردود (الى الله) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب) أرجع (فاطر السموات والارض) مبدعهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) حيث خلق حواء من ضلع آدم (ومن الانعام أزواجا) ذكورا واناثا (يذرؤكم) بالمعجمة يخلقكم (فيه) فى الجعل المذكور أى يكثركم بسببه بالتوالد والضمير للاناسى والانعام بالتغليب (ليس كمثله شئ) الكاف زائدة لانه تعالى لامثل له (وهو السميع) لما يقال (البصير) لما يفعل (له مقاليد السموات والارض) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (يبسط الرزق) يوسعه (لمن يشاء) امتحانا (ويقدر) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (انه بكل شئ عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا)

الغضب فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظلم الكفر وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما فى الحديث شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى (قوله التى للانتقال) أى من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الاصنام آلهة سبب فى دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه فى أم المنقطعة وهو انها تقدر ببل والهمزة ويصح تقديرها ببل وحدها أو الهمزة وحدها (قوله أى ليس المتخذون أولياء) أى فالنفى منصب على المفعول الثانى (قوله فالله هو الولى) أى المعبود بحق المتولى أمور الخلق والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق الا الله تعالى ان قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولى لا يتصف به المخلوق ومقتضى آية ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون انه يتصف به المخلوق فكيف الجمع بينهما أجيب بأن معنى الولى هنا المعبود بحق وذلك لا يتصف به غيره تعالى وأما الولى فى تلك الآية فمعناه المنهمك فى طاعة الله تعالى المتولى الله أموره وتقدم ذلك (قوله والفاء لمجرد العطف) أى عطف ما بعدها على ما قبلها ورد بذلك على الزمخشرى القائل ان الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولى قال أبو حيان لا حاجة الى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شئ) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شئ بيان لما وقوله فحكمه الى الله خبر المبتدا (قوله وغيره) أى كامور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أى فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (قوله ذلكم) اسم الاشارة مبتدأ أخبر عنه بأخبار أولها لفظ الجلالة وآخرها شرع لكم من الدين (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى (قوله مبدعهما) أى على غير مثال سابق (قوله جعل لكم من أنفسكم) أى من جنسكم وقوله أزواجا أى نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أى اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها ومد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لى فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا حتى تصلى على محمد ثلاث مرات وفى رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر فقال يا رب وماذا أعطيها فقال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة فلما فعل ما أمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال اشهدوا يا ملائكتى وحملة عرشى انى زوجت أمتى حواء من عبدى آدم والضلع بوزن عنب وجمل فالضاد مكسورة واللام اما مفتوحة أو ساكنة وفعل ضلع من باب تعب اعوج ومن باب نفع مال عن الحق (قوله ومن الانعام أزواجا) أى أصنافا (قوله أى يكثركم بسببه) أشار بذلك الى أن فى للسببية والضمير فيه عائد على الجعل المأخوذ من جعل (قوله والضمير للاناسى) أى وهو الكاف فى يذرؤكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره فى ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذرؤكم ويذرؤها (قوله الكاف زائدة) أى للتأكيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر وهو ان ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لانه يصير التقدير ليس مثل مثله شئ ففى المماثلة عن مثله فثبت أن له مثلا ولا مثل له وأيضا يلزم عليه التناقض لانه اذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع أن اثبات المثل له تعالى محال فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شئ وهذا الجواب أسهل الاجوبة فى هذا المقام وأجيب أيضا بأن مثل زائدة ورد بان زيادة الاسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لا يجوز الا فى الشعر وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شئ وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم مثلك لا يبخل وليس لاخى زيد أخ فنفى المماثلة عن المثل مبالغة فى نفيها عنه هو لان العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله مقاليد السموات والارض) جمع مقلاد أو مقليد أو اقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن وقوله وغيرهما أى كالجواهر المستخرجة من الارض (قوله انه بكل شئ عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى بين لكم وجعل لكم دينا قويا واضحا تطابقت على صحته الانبياء والرسل من قبل وهو تفصيل لما أجمل أولا فى قوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك (قوله ما وصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لانهم

أكابر

أكابر الانبياء وأولو العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد وأما من عداهم من الرسل انما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فمن بين نوح وابراهيم وهم هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى وانما لم يذكر من قبلهم لانه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة لان آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش واستمر ذلك الامر الى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك الامر يتأكد بالرسل ويتناصر بالانبياء واحدا بعد واحد وشريعة اثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا صلى الله عليه وسلم فتبين بهذا ان شرعنا معشر الامة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أي فهذا حكمة بدئه بنوح وأيضا التقدمه في الزمان (قوله والذى أوحينا اليك) أتى بالاسم الموصول الذى هو أصل الموصولات وعبر في جانبه صلى الله عليه وسلم بالايحاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا لست مرسلا (قوله أن أقيموا الدين) الاوضح أن أن تفسيرية بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية اما في محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو اقامة الدين أو في محل نصب بدل من مفعول شرع والمراد باقامة الدين تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذى اشترك فيه هؤلاء الرسل وأما قوله والذى أوحينا اليك فهو أعم من ذلك فان المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وانما اقتصر على التوحيد لانه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عليهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لانه عماد الدين والافما يدعوهم اليه عام يشمل جميع الاصول والفروع (قوله الله يجتبى اليه) من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينيب) ضمنه معنى يقبل أو يميل فعداه بالى (قوله وما تفرقوا) الضمير عائد على أهل الاديان المتقدمين من أول الزمان الى آخره كما قال المفسر والمراد باهل الاديان أمم الانبياء المتقدمين كامة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره ففي رواية عنه ان المراد بهم قريش والمراد بالعلم محمد دليله قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وفي رواية عنه ان المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وفي رواية غيره ان المراد أمم الانبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أى بان قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل اليهم (قوله بغيا مفعول لاجله) أى تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذى هو الحسد والعناد في الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أى الى يوم القيامة وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد ان قلت ان كفار الامم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك أجيب بأنه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والخزى (قوله أورثوا) فعل مبنى للمفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل والضمير في بعدهم عائد على أصولهم المتفرقين في الحق وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائدا على مشركي مكة وقيل المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير في من بعدهم على اليهود والنصارى (قوله لفي شك) المراد به هنا مطلق التردد والتحير (قوله موقع الريبة) أى الشبهات والضلالات (قوله فلذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير فادع الناس لذلك التوحيد الذى تقدم ذكره في قوله شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم المنهج القويم (قوله كما أمرت) أى من تقوى الله حق تقاته وعبادته حق العبادة ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شيبتني هود وأخواتها فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل والمعنى استقم استقامة مثل الذى أمرت به أى موافقة له (قوله ولا تتبع أهواءهم) أى حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد الهك سنة

هو أول أنبياء الشريعة (والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) هذا هو المشروع الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد (كبر) عظم (على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد (الله يجتبى اليه) الى التوحيد (من يشاء ويهدى اليه من ينيب) يقبل الى طاعته (وما تفرقوا) أى أهل الاديان في الدين بان وحد بعض وكفر بعض (الا من بعد ما جاءهم العلم) بالتوحيد (بغيا) من الكافرين (بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الجزاء (الى أجل مسمى) يوم القيامة (لقضى بينهم) بتعذيب الكافرين في الدنيا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم اليهود والنصارى (لفي شك منه) من محمد صلى الله عليه وسلم (مريب) موقع الريبة (فلذلك) التوحيد (فادع) يا محمد الناس (واستقم) عليه (كما أمرت ولا تتبع أهواءهم) في تركه (وقل آمنت بما أنزل الله

من كتاب وأمرت لاعدل) أي بان أعدل (بينكم) في الحكم (الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) فكل يجازى بعمله

(لا حجة) خصومة (بيننا وبينكم) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (الله يجمع بيننا) في المعاد لفصل القضاء (واليه المصير) المرجع (والذين يحاجون في) دين (الله) نبيه (من بعد ما استجيب له) بالايمان لظهور معجزته وهم اليهود (حجتهم داحضة) باطلة (عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب) القرآن (بالحق) متعلق بأنزل (والميزان) العدل (وما يدريك) يعلمك (لعل الساعة) أي اتيانها (قريب) ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) يقولون متى تأتي ظنا منهم أنها غير آتية (والذين آمنوا مشفقون) خائفون (منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون) يجادلون (في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يرزق من يشاء) من كل منهم ما يشاء (وهو القوي) على مراده (العزيز) الغالب على أمره (من كان يريد) بعمله (حرث الآخرة) أي كسبها وهو الثواب (نزد له في حرثه) بالتضعيف فيه

(قوله من كتاب) بيان لما والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أي بأن أعدل) أشار بذلك الى أن اللام بمعنى الباء وأن المصدرية مقدرة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أي من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك الى أن هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال (قوله واليه المصير) أي فيجازي كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون في الله) الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد ما استجيب له) أي من بعد دخول الناس في دينه وأجابوا دعوته فالسين والتاء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للموصول (قوله داحضة) من الادحاض وهو الازلاق يقال دحضت رجله أي زلقت والمراد هنا الابطال (قوله ولهم عذاب شديد) أي في الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أي والباء للملابسة (قوله والميزان العدل) أي وسمي العدل ميزانا لان الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية المسبب باسم السبب وانزاله الامر به وقيل المراد بالميزان نفسه الذي يوزن به والمراد بانزاله انزال الالهام بعمله والامر بالوزن به وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام انكاري والمعنى لا سبب يوصلك للعلم بقربها الا الوحي الذي ينزل عليك (قوله أي اتيانها قريب) قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعل معلق للفعل عن العمل) التعليق ابطال العمل لفظا لا محلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أو ما بعده سد مسد المفعولين) أي الثاني والثالث وأما الاول فهو الكاف ويتعين جعل أو بمعنى الواو (قوله الذين لا يؤمنون بها) أي ولا يشفقون منها وقوله والذين آمنوا مشفقون منها أي فلا يستعجلون بها ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله أنها الحق) أي كائنة وحاصلة لا محالة (في الساعة) أي في اتيانها (قوله لفي ضلال بعيد) أي عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أي حفي بهم وقيل بار بهم وقيل رفيق بهم وقيل معناه لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل يلطف بهم في الرزق من وجهين أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقيل اللطيف من اذا لجأ اليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه وفي الحديث ان الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل امحقت آثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب ومنه حديث يا من أظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يؤيس آمله وقيل هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعاني الاسماء الجمالية فينبغي للعاقل الاكثار من ذكره سيما اذا قصد بذكره رضا ربه فان له السعادة دنيا وأخرى ويكفي همومهما لما ورد اعمل لوجه واحد يكفك كل الاوجه (قوله من كل منهم) بيان لمن والمعنى ان الذي يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حرث الآخرة الخ) الحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويطلق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الاعمال بالغلال الحاصلة من البذر بجامع حصول الفوائد والتعب في كل فان من أتعب نفسه أيام البذر واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد فكذلك من أتعب نفسه في الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فانه يجد ثمرات أعماله في الآخرة ومنها هنا حديث الدنيا

مزرعة للآخرة وهذه الآية عامة لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله والذي يطلب بعمله أعراض الدنيا ذكرا أو أنثى لأن من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته في الدنيا صلاة أو صوما أو غيرهما كالسعي على العيال وحينئذ فالمدار على النية الحسنة إذ بها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذي هو التضعيف (قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أي بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها نعطيه ما قسم له منها وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه ويقصد بعمله وجه خالقه وسيحصل له غنى الدنيا والآخرة ومن معنى هذه الآية حديث إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه وحديث أوحى الله إلى الدنيا يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه (قوله ما قسم له) مفعول نؤته (قوله وما له في الآخرة من نصيب) أي حظ في النعيم * واعلم أن المقام فيه تفصيل فإن تجرد عمله للدنيا وقدم السعي فيها على الإيمان فهو مخلد في النار وليس له في الآخرة نعيم أصلا وأما إن كان التفريط فيما بعد الإيمان كان يرائي بعمله قصد الطلب الدنيا فهو مسلم عاص له نعيم في الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر ببل التي للانتقال من قصة إلى قصة وقدرها غيره ببل والهمزة التي للتوبيخ والتقريع وهو متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أي الذين شاركوهم في الكفر والعصيان (قوله شرعوا لهم) إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الإسناد للسبب لأنهم سبب إضلالهم (قوله لقضي بينهم) أي حكم بين الكفار والمؤمنين بأن يعذب الكفار ويثيب المؤمنين ولكن حكم الله وقضى في سابق أزله أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما المنجي فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله (قوله أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي من جزاء ما كسبوا (قوله لا محالة) أي أشفقوا أو لم يشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره في روضات الجنات (قوله أنزهها) بالنسبة إلى من دونهم أي فروضة الجنة أعلاها وأطيبها وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة غير أنهم ليسوا في الأعلى ولا في الأطيب (قوله عند ربهم) ظرف ليشاؤون والعندية مجازية (قوله الفضل الكبير) أي الذي لا يوصف لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذي يبشر خبره والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به فحذف الجار فاتصل الضمير وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول وأما على رأي يونس من أنها مصدرية فلا تحتاج إلى عائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أي وهي الخبر السار (قوله مخففا ومثقلا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل لا أسألكم عليه أجرا) أي قل يا محمد لأمتك لا أطلب منكم أجرا في نظير تبليغي الرسالة وتبشيري إياكم ولا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص في حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء (قوله إلا المودة في القربى) اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال الأول عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أي ما بيني وبينكم من القرابة والمعنى أن لم تتبعوني فاحفظوا حق القربى وصلوا رحمي ولا تؤذوني بعد علمكم نفعها لما في الحديث الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني فثمرته عائدة عليهم لا على النبي صلى الله عليه وسلم الثاني عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن في يده سعة فقالت الأنصار إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وأجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من

الحسنة إلى العشرة وأكثر (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بلا تضعيف ما قسم له (وما له في الآخرة من نصيب أم) بل (لهم) لكفار مكة (شركاء) هم شياطينهم (شرعوا) أي الشركاء (لهم) للكفار (من الدين) الفاسد (ما لم يأذن به الله) كالشرك وإنكار البعث (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة (لقضي بينهم) وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا (وإن الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) مؤلم (ترى الظالمين) يوم القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وهو) أي الجزاء عليها (واقع بهم) يوم القيامة لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر) من البشارة مخففا ومثقلا به (الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة (أجرا إلا المودة في القربى) استثناء منقطع أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضا

أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزلت الآية وحينئذ فالخطاب للانصار الثالث عن الحسن أن معناه الا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب الى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي فالقربى على الاول القرابة بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الاقارب وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب واعلم أن طلب الاجر على التبليغ لا يجوز لوجوه الاول تبرى الانبياء جميعا منه الثاني أن التبليغ واجب وطلب الاجرة على أداء الواجب لا يليق بافراد الامة فضلا عن الانبياء الثالث أن النبوة أمرها عظيم والدنيا وان عظمت حقيرة لا تزن جناح بعوضة ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف وغير ذلك ان قلت حيث كان الامر كذلك فما معنى الاستثناء في الآية أجيب بجوابين الاول أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى لا أطلب الا هذا وهو في الحقيقة ليس بأجر لان المودة بين المسلمين واجبة خصوصا في حق أشرافهم وحينئذ فيكون الاستثناء متصلا بالنظر للظاهر الثاني أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر وحينئذ فالكلام تم عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم قال الا المودة في القربى أي أذكركم قرابتي والمراد بقرابته قيل فاطمة وعلي وابناهما وقيل هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي قيل لزيد بن أرقم فمن أهل بيته فقال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وقيل هم الذين تحرم عليهم الزكاة وقيل غير ذلك فتحصل أن الخطاب على القول الاول لقريش وعلى الثاني للانصار والعبرة بعموم اللفظ لان رحم النبي رحم لكل مؤمن لقوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فمحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا وأخرى والمرء يحشر مع من أحب وقوله في القربى الظرفية مجازية والمعنى الا المودة العظيمة المحصورة في القربى وانما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام فيكون الكلام خاليا من البلاغة فالتعبير بفي للمبالغة اشارة الى أنهم جعلوا محلا للمودة وهم لها أهل (قوله فان له في كل بطن) أي قبيلة (قوله من قريش) أي وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم (قوله حسنة) فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بتضعيفها) أي من عشرة الى سبعين الى سبعمائة الى غير ذلك (قوله شكور للقليل) أي يقبله ويثيب عليه (قوله وقد فعل) أي ختم على قلبه صلى الله عليه وسلم بأن صبره على ما ذكر فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا متعلق بوقوعها (قوله ويمح الله الباطل) كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط لانه تعالى يمح الباطل مطلقا (قوله بكلماته) أي القرآن (قوله بما في القلوب) أشار بذلك الى أنه أطلق المحل وأراد الحال (قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة ولها شروط ثلاثة الاقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود اليها أبدا فان كانت المعصية متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رابع وهو استسماح صاحب الحق ويكفي عند مالك براءة المجهول فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق فاذا تاب بالشروط وقدر الله عليه الوقوع في الذنب مرة أخرى فانه يتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى ولا ترجع عليه ذنوبه التي تاب منها (قوله منهم) أشار بذلك الى أن عن بمعنى من والقبول بمعنى الاخذ (قوله المتاب منها) أي ويصح أن المراد ولو لم يتب منها فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب ويعفو عن سيئات من لم يتب اذ لا يسأل عما يفعل (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم الى ما يسألون) أشار بذلك الى أن السين والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك ما يقال ان البغي حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه فأجاب بأن اللازم المنتفي هو بغي جميعهم والملزوم بسط الرزق للجميع والافبغي البعض وبسط الرزق للبعض حاصل في كل زمن (قوله أي

فان له في كل بطن من قريش قرابة (ومن يقترف) يكتسب (حسنة) طاعة (نزد له فيها حسنا) بتضعيفها (ان الله غفور) للذنوب (شكور) للقليل فيضاعفه (أم) بل (يقولون افترى على الله كذبا) بنسبة القرآن الى الله تعالى (فان يشأ الله يختم) يربط (على قلبك) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (ويمح الله الباطل) الذي قالوه (ويحق الحق) يثبته (بكلماته) المنزلة على نبيه (انه عليم بذات الصدور) بما في القلوب (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) منهم (ويعفو عن السيآت) المتاب عنها (ويعلم ما تفعلون) بالياء والتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يجيبهم الى ما يسألون (ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده) جميعهم (لبغوا) جميعهم

طغوا في الارض) أي لان الله تعالى لو سوى في الرزق بين جميع عباده لامتنع كون البعض محتاجا للبعض وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وان لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه الرزق قاده ذلك الى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له ففي حديث أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى ان من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة واني عليم اني لو أعطيته اياه لدخله العجب فأفسده وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر وان من عبادي المؤمنين من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى واني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير ثم قال أنس اللهم اني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فيبسطها لبعض دون بعض) أي ويبسطها للبعض أحيانا ويضيقها عليه أحيانا فلا يسئل عما يفعل (قوله انه بعباده خبير بصير) تعليل لما قبله والمعنى عليم بالبواطن والظواهر (قوله وهو الذي ينزل) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ما قنطوا) العامة على فتح النون وقرئ شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرئ في المتواتر فتحصل أنه في المضارع قرئ بالوجهين قراءة سبعية وفي الماضي لم يقرأ في السبع الا بالفتح والكسر قراءة شاذة وان كان لغة فيه (قوله يبسط مطره) أشار بذلك الى أن المطر سمي باسمين الغيث لانه يغيث من الشدائد والرحمة لانه رحمة واحسان للخلق ويصح أن يراد بالرحمة البركات أي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله من عطف المسبب على السبب (قوله المحمود عندهم) أي وعند جميع المخلوقات وانما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أي دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والارض) أي فانهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات قال تعالى أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق ما بث) أشار بذلك الى أن قوله وما بث معطوف على السموات مسلط عليه خلق ويصح أن يكون في محل رفع عطف على خلق (قوله هي ما يدب على الارض) أشار بذلك الى أن المراد في أحدهما فهو من اطلاق المثنى على المفرد كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من أحدهما وهو الملح وهذا أسلم وأحسن مما قيل ان الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات في السموات يمشون فيها كمشي الاناسي على الارض لان ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله اذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم في أي وقت شاء وهو معنى قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فمتى أراد الله شيأ أبرزه بقدرته (قوله في الضمير) أي وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أي وأما مصائب الكفار في الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم (قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فبما كسبت أيديكم جواب الشرط ان جعلت ما شرطية أو خبر المبتدا ان جعلت موصولة وقرنت بالفاء لما في المبتدا من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء وأما على قراءة حذفها فالاولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله ويعفو عن كثير) من تتمة قوله فبما كسبت أيديكم والمعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر قال علي بن أبي طالب هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل واذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من

أي طغوا (في الارض ولكن ينزل) بالتخفيف والتشديد من الارزاق (بقدر ما يشاء) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي (انه بعباده خبير بصير وهو الذي ينزل الغيث) المطر (من بعد ما قنطوا) يئسوا من نزوله (وينشر رحمته) يبسط مطره (وهو الولي) المحسن للمؤمنين (الحميد) المحمود عندهم (ومن آياته خلق السموات والارض و) خلق (ما بث) فرق ونشر (فيهما من دابة) هي ما يدب على الارض من الناس وغيرهم (وهو على جمعهم) للحشر (اذا يشاء قدير) في الضمير تغليب العاقل على غيره (وما أصابكم) خطاب للمؤمنين (من مصيبة) بلية وشدة (فبما كسبت أيديكم) أي كسبتم من الذنوب وعبر بالايدي لان أكثر الافعال تزاول بها (ويعفو عن كثير) منها فلا يجازي عليه

أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع فقال عمران يا أخي لا تفعل فوالله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي أكثر وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها وروي أن رجلا قال لموسى يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما نزل إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة (قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعلق بقوله فبما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله من أن يثني الجزاء في الآخرة) أي من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة لأن الكريم لا يعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أي كالأنبياء والأطفال والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم وفي الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير لآبائهم (قوله يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا والصواب يا مشركون لأن المنادى يبنى على ما يرفع به وهو يرفع بالواو قوله بمعجزين الله) أي فارين من عذابه (قوله ومن آياته) أي أدلة توحيده وعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء خطا لأنها من ياآت الزوائد وإثباتها في اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قرا آت سبعيات (قوله السفن) استشكل بأن ظاهر الآية يوهم حذف الموصوف وإبقاء صفته مع أن الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك

وما من المنعوت والنعت عقل ❊ يجوز حذفه وفي النعت يقل

أجيب بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسمية كالأبطح والأبرق والأجرع والأجاز حذف الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أي السفن الجارية (قوله فيظللن) بفتح اللام في قراءة العامة من ظلل بكسرها كعلم وقرئ شذوذا فيظللن بكسر اللام من ظل بفتحها كضرب (قوله أي يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار وليس المراد معناها وهو اتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا (قوله رواكد) جمع راكد يقال ركد الماء ركودا من باب قعد سكن ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه (قوله لكل صبار) أي كثير الصبر على البلايا عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أي فالمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدون أو يعصفها فيغرقن ولا مفهوم له بل قد يغرقها الله بسبب آخر كقلع لوح أو غير ذلك (قوله بعصف الريح بأهلهن) أي اشتدادها وإغراقها به وإن كانت أسباب الغرق كثيرة نظرا للشأن والغالب (قوله أي أهلهن) تفسير للواو في كسبوا العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله ويعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطفا على جواب الشرط واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة مع أنه إخبار عن العفو من غير شرط المشيئة وأجيب بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية لا من حيث المعنى وقرئ شذوذا ويعفو بالرفع والنصب أما قراءة الرفع فهي محتملة لوجهين الأول الاستئناف الثاني الجزم وزيدت الواو للإشباع كزيادتها في من يتق ويصبر وأما قراءة النصب فهي على إضمار أن بعد الواو قال ابن مالك

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ❊ بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ما قيل في قوله تعالى فيغفر لمن يشاء (قوله منها) أي الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أي وهو يعلم وقوله وبالنصب أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لننتقم منهم) أي بالغرق وهو تعليل للإغراق (قوله فما أوتيتم) ما شرطية مفعول ثان لأوتيتم والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل ومن شيء

وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة (وما أنتم) يا مشركين (بمعجزين) الله هربا (في الأرض) فتفوتونه (وما لكم من دون الله) أي غيره (من ولي ولا نصير) يدفع عذابه عنكم (ومن آياته الجوار) السفن (في البحر كالأعلام) كالجبال في العظم (إن يشأ يسكن الريح فيظللن) يصرن (رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء (أو يوبقهن) عطف على يسكن أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن (بما كسبوا) أي أهلهن من الذنوب (ويعف عن كثير) منها فلا يغرق أهله (ويعلم) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم (الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) مهرب من العذاب وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم والنفي معلق عن العمل (فما أوتيتم) خطاب للمؤمنين وغيرهم

بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط (قوله من أثاث الدنيا) أى منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك واحده أثاثة وقيل لا واحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذه من قوله متاع لان المتاع هو ما يتمتع به تمتعا ينقضى (قوله للذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وماتوا عليه (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله الا اليه ولا ضار ولا نافع سواه والتوكل بهذا المعنى شرط فى صحة الايمان وأما ان أريد به تفويض الامور اليه والاعتماد عليه فى جميع ما ينزل بالشخص فليس شرطا فى صحته بل هو وصف كامل الايمان وليس مرادا هنا لان ما عند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله ويعطف عليه) أى على قوله الذين آمنوا (قوله يجتنبون كبائر الاثم) هى كل ما ورد فيه حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لان من الكبائر ما فيه الوعيد ولا حد فيه كالغيبة والنميمة والعجب والرياء (قوله واذا ما غضبوا الخ) اذا ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ ويغفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف جملة اسمية على فعلية ويصح أن تكون اذا شرطية وما صلة وغضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو يغفرون جواب الشرط وأما جعل هم يغفرون جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء ولا ينبغى حمل التنزيل عليه والمعنى ان من مكارم الاخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مخل بالمروءة ولا واجبا والا فالغضب مطلوب كما اذا انتهكت حرمات الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الامام الشافعى من استغضب ولم يغضب فهو حمار وقال الشاعر

اذا قيل حلم قل فللحلم موضع * وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وبالجملة فلكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا قبل الهجرة (قوله أجابوه الى ما دعاهم الخ) أى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر الى أن السين والتاء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أى أدوها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أى شاركته فى الرأى كالبشرى وكانت الانصار قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم اذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمر صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى وشاورهم فى الامر تأليفا لقلوب أصحابه وذلك فى الامور الاجتهادية كالحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة لان النبى لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف ثم اجتمعوا وتشاوروا فقال عمر رضى لدنيانا ما رضيه النبى لديننا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا الى أرشد أمورهم وفى الحديث اذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من باطنها وان كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها (قوله ومما رزقناهم ينفقون) أى فى وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى فى وصفهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله ومن ذكر صنف) أى المؤمنون المتقدمون فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين صنفا يعفون عن ظالمهم وقد ذكرهم الله تعالى فى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنفا ينتقمون ممن ظلمهم وقد ذكرهم الله فى قوله والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون (قوله هم ينتصرون) هذا فى الاعراب كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون سواء بسواء ويزيد هنا أنه يصح أن يكون هم توكيدا للضمير المنصوب فى أصابهم وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل (قوله وهذا) أى قوله مثلها وقوله من الجراحات أى وغيرها من سائر الحقوق التى يمكن استيفاؤها (قوله قال بعضهم) هو مجاهد والسدى (قوله فمن عفا) الفاء للتفريع أى اذا كان

من أثاث الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يزول (وما عند الله) من الثواب (خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ويعطف عليه (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (واذا ما غضبوا هم يغفرون) يتجاوزون (والذين استجابوا لربهم) أجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد والعبادة (وأقاموا الصلاة) أداموها (وأمرهم) الذى يبدو لهم (شورى بينهم) يتشاورون فيه ولا يعجلون (ومما رزقناهم) أعطيناهم (ينفقون) فى طاعة الله ومن ذكر صنف (والذين اذا أصابهم البغى) الظلم (هم ينتصرون) صنف أى ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سميت الثانية سيئة لمشابهتها للاولى فى الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم واذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله (فمن عفا) عن ظالمه

(وأصلح) الود بينه و بين المعفو عنه (فأجره على الله) أى ان الله يأجره لامحالة (انه لا يحب الظالمين) أى البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى ظلم الظالم اياه (فأولئك ما عليهم من سبيل) مؤاخذة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون) يعملون (فى الارض بغير الحق) بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (ولمن صبر) فلم ينتصر (وغفر) تجاوز (ان ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) اى معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) اى حد يلى هدايته بعد اضلال الله اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد) الى الدنيا (من سبيل) طريق (وتراهم يعرضون عليها) أى النار (خاشعين) خائفين متواضعين (من الذل ينظرون) اليها (من طرف خفى) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليدهم فى النار وعدم وصولهم الى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا والموصول خبر ان (الا ان الظالمين) الكافرين (فى عذاب مقيم) دائم هو من مقول الله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أى غيره يدفع عذابه عنهم (ومن يضلل الله فماله من سبيل) طريق الى الحق فى الدنيا والى الجنة فى الآخرة (استجيبوا لربكم) أجيبوه بالتوحيد والعبادة (من قبل أن يأتى يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله) أى انه اذا أتى به لا يرده (مالكم من ملجأ) في تلجؤن اليه (يومئذ ومالكم من نكير) انكار لذنوبكم (فان أعرضوا) عن الاجابة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم (ان) ما (عليك الا البلاغ) وهذا قبل الامر بالجهاد (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) نعمة كالغنى والصحة (فرح بها وان تصبهم) الضمير للانسان باعتبار الجنس (سيئة) بلاء (بما قدمت أيديهم) أى قدموه وعبر بالايدى لان أكثر الافعال تزاول بها (فان الانسان كفور) للنعمة

الواجب فى الجزاء رعاية المماثلة فالاولى العفو والاصلاح لتعذر المماثلة غالبا (قوله وأصلح الود بينه و بين المعفو عنه) أشار بذلك الى أن الاصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فان أمره عظيم وفيه تفويض الامر الى الله تعالى والله لا يخيب من فوض الامر اليه (قوله أى البادئين بالظلم) اى الذين فعلوا الظلم ابتداء (قوله ولمن انتصر بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أى ظلم الظالم اياه) أشار بذلك الى أن المصدر مضاف للمفعول وفى هذه الآية اشارة الى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه وان يأمن من ولاة الامور وأن يكون حقه ثابتا (قوله فأولئك ما عليهم من سبيل) أى لانهم فعلوا ما هو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به اشارة الى أن البغى قد يكون مصحوبا بالحق كما اذا أخذ حقه مع التجاوز فيه (قوله ولمن صبر الخ) عطف على قوله ولمن انتصر بعد ظلمه وجملة انما السبيل الخ اعتراض وكرر الصبر اهتماما به وترغيبا فيه واشارة الى أنه محمود العاقبة وهو أولى ان لم يترتب عليه مفسدة والا كان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الامور) أى من الامور التى أمر الله بها وأكد عليها (قوله ومن يضلل الله) أى يعمه عن الهدى (وترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهى بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالماضى اشارة لتحقق الوقوع (قوله يعرضون عليها) حال وكذا قوله خاشعين (قوله أى النار) أى المعلومة من دلالة العذاب عليها (قوله من الذل) متعلق بخاشعين أى من أجل الذل (قوله مسارقة) أى يسارقون النظر اليها خوفا منها وذلا فى أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول واقع فى الدنيا أو ظرف لقال فهو واقع يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بتخليدهم فى النار الخ) لف ونشر مرتب (قوله وما كان لهم) لهم خبر مقدم ومن أولياء اسمها مؤخر ومن زائدة وينصرونهم صفة لاولياء (قوله استجيبوا لربكم) السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله أجيبوه والمعنى أجيبوا داعى ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة (قوله من قبل أن يأتى يوم الخ) أى أطيعوا فى الدنيا التى هى ظرف للاعمال والايمان قبل ان يأتى يوم الحسرة والندامة فانه اذا جاء لا يرده الله فهو وعيد للكافرين (قوله لا يرده) أشار بذلك الى أن قوله من الله متعلق بمرد (قوله من ملجأ) أى مفر ومهرب (قوله انكار لذنوبكم) أى لانها مكتوبة فى صحائفكم تشهد بها الملائكة والجوارح والمراد انكار نافع والا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا فى العفو ثم لما يجدوا مخلصا يقرون وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره ان المراد بالنكير الناصر الذى ينصرهم لاغناء قوله من ملجأ عنه (قوله فما أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف والتقدير فلا تحزن أو لا عتاب عليك أو لا تكلف بشئ لانا ما أرسلناك الخ (قوله بأن توافق) أى أعمالهم الصادرة منهم وقوله المطلوب منهم أى الاعمال المطلوبة منهم كالايمان والطاعة والمعنى لم نرسلك لتخلق الهدى فى قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذى طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) اسم الاشارة عائد على الحصر والمعنى أن هذا الحصر منسوخ لانه بعد الامر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله وانا اذا أذقنا الانسان الخ) الحكمة فى تصدير النعمة باذا والبلاء بان الاشارة الى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء لان رحمة الله تغلب غضبه (قوله فرح بها) أى فرح بطر وتكبر (قوله الضمير) أى فى تصبهم (قوله باعتبار الجنس) أى الاستغراق فجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمت أيديهم)

فى ذلك اشارة الى ان المصيبة تكون بسبب كسب المعاصى والنعمة تكون بمحض فضل الله قال تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فالواجب على الانسان اذا أعطاه الله نعمة أن يشكره عليها و يصرفها فيما يرضيه واذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها و يحمده عليها فانها تكون كفارة لما اقترحه (قوله لله ملك السموات والارض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يخلق مايشاء) أى من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهبا بسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أى الآباء والامهات (قوله من الاولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن لانها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله اناثا) قدمهن اشارة الى أنه يفعل مايشاء لا مايشاؤه عباده فالاناث مما يشاؤه هو ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور ولذا عرف الذكور وقدمهم آخرا (قوله أى يجعلهم ذكرانا واناثا) أشار بذلك الى ان ذكرانا واناثا مفعول ثان ليزوج والمعنى يجعل الاولاد ذكرانا واناثا حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقعة على الرجل والمرأة فقوله فلا يلد أى اذا كان امرأة وقوله ولا يولد له أى اذا كان رجلا فالعقيم هو الذى لا يولد له ذكرا وأنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم وقال ابن عباس يهب لمن يشاء اناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لانهم لم يكن لهما الا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم عليه السلام لانه لم يكن له الا الذكور وأو يزوجهم ذكرانا واناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لان المراد بيان نفاذ قدرته تعالى فى الكائنات كيف يشاء (قوله ان يكلمه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان (قوله الا ان يوحى اليه وحيا) أشار بذلك الى ان وحيا منصوب على الاستثناء المفرغ خلافا لمن قال انه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فان الوحى ليس بتكليم والوحى الاشارة والرسالة والكتابة وكلما ألقيته الى غيرك ليعلمه ثم غلب استعماله فيما يلقى الى الانبياء (قوله فى المنام) أى فرؤيا الانبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده فى المنام ولرسول الله حين رأى انه يدخل مكة فصدق الله رؤياهما وقوله أو بالالهام أى الالقاء فى القلوب لا بواسطة ملك وقد يقع الالهام لغير الانبياء كالاولياء غير أن الهام الاولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به لانهم غير معصومين بخلاف الانبياء فالهامهم محفوظ منه (قوله أو الا من وراء حجاب) أشار بذلك الى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه تقديره الا ان يوحى اليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك الى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف العبد لا وصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أى فى جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع اللام وكذا يوحى ونصبهما قراءتان سبعيتان فالرفع خبر لمحذوف أى هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا باضمار أن قال ابن مالك

وان على اسم خالص فعل عطف * تنصبه أن ثابتا أو منحذف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف غيره كاسرافيل وملك الجبال فان الله تعالى أرسل كلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله انه على عن صفات المحدثين) أى منزه ومقدس عنها (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشئ فى محله (قوله أى مثل ايحائنا الى غيرك الخ) التشبيه فى مطلق الايحاء والارسال لانه صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية بخلاف باقى الانبياء فهو من تشبيه الاكمل بالكامل بسابقية الكامل فى الوجود فالحصر المتقدم بالنسبة للانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقال ان الآية تدل على ان الوحى منحصر فى هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير فى الروح وقيل هو الرحمة وقيل الوحى وقيل الكتاب وقيل جبريل (قوله به تحيا القلوب) أى فشبه القرآن بالروح من

(لله ملك السموات والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء) من الاولاد (اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم) أى يجعلهم (ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما) فلا يلد ولا يولد له (انه عليم) بما يخلق (قدير) على مايشاء (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا) أن يوحى اليه (وحيا) فى المنام أو بالالهام (أو) الا (من وراء حجاب) بان يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أو) الا أن (يرسل رسولا) ملكا كجبريل (فيوحى) الرسول الى المرسل اليه أى يكلمه (باذنه) أى الله (مايشاء) الله (انه على) عن صفات المحدثين (حكيم) فى صنعه (وكذلك) أى مثل ايحائنا الى غيرك من الرسل (أوحينا اليك) يا محمد (روحا) هو القرآن به تحيا القلوب

حيث ان كلا به الحياة فالقرآن به حياة الارواح والروح بها حياة الاشباح (قوله من أمرنا) من تبعيضية حال والمعنى حال كون هذا القرآن بعض ماتوحيه اليك لانه ورد أنه أعطى القرآن ومثله معه (قوله ماالكتاب) الكلام على حذف مضاف أى جواب ماالكتاب والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الايمان) ان قلت ان الانبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها فى الاشباح عن التوحيد الاصلى الكائن فى يوم الست بربكم بل بعض الاولياء كذلك فكيف يقال فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام ولا الايمان مع أنه كان يتعبد قبل البعثة وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده أجاب المفسر بان الكلام على حذف مضاف أى شرائع الايمان ومعالمه كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالايمان الاسلام (قوله والنفى معلق) صوابه الاستفهام لانه متأخر عن النفى وهو المعلق للفعل عن العمل لفظا (قوله أو مابعده) أو بمعنى الواو (قوله نهدى به) صفة لنورا وسمى نورا لان بالنور الاهتداء فى الظلمات الحسية فكذا القرآن يهتدى به فى الظلمات المعنوية والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء (قوله وانك لتهدى) اى تدل والمفعول محذوف أى كل مكلف فتحصل ان المعنى أنت يامحمد عليك البلاغ والدلالة واقامة الحجج ونحن نخلق الهداية والتوفيق فى قلب من نختاره من عبادنا (قوله دين الاسلام) أى وسمى طريقا لانه يحصل به الوصول الى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) بدل من صراط الاول بدل معرفة من نكرة (قوله ألا الى الله تصير الامور) ألا أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بمابعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة عقب التى قبلها اشارة الى أن كل شئ من الله والى الله فافاد بالجملة الاولى أن جميع مافى السموات ومافى الارض مملوك له وناشئ منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الاشياء مرجعها اليه فى كل ذرة ولمحة فلاغنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام والمعنى شأنه رجوع الامور اليه تعالى وليس المراد حقيقته لان الامور متعلقة به فى كل وقت فاذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى عن الله تعالى طرفة عين قال العارف الشاذلى ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك فاذا شاهد الانسان ذلك أورثه مقام المراقبة ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها الى مالكها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿ فائدة ﴾ قال سهل بن أبى الجعد احترق مصحف فلم يبق منه الا قوله ألا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحى كله الا قوله ألا الى الله تصير الامور انتهى

﴿ سورة الزخرف ﴾

سميت باسم كلمة منها وهى قوله تعالى وزخرفا (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الاسراء ببيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل الا قوله تعالى واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن المعنى واسأل من أمم رسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى (قوله والكتاب المبين) هذا هو المقسم به والمقسم عليه هو قوله انا جعلناه قرآنا عربيا وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد كان الله تعالى يقول ليس عندى أعظم من كلامى حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروأ أى مجموعا مسورا موصوفة بكونها عربية رحمة منا وتنزلا لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا فحدوثه من حيث قيامه بالمخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به وقد تنزه وصفه عن الحروف والاصوات والجمع والتفرق فتدبر ودفع بذلك ماقيل ان ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة الاول أنها تدل على ان القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق والثانى انه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بعضه لبعض مصنوع والثالث وصفه بكونه عربيا والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على انه مجعول وأجاب الرازى أيضا عن ذلك بان هذا الذى ذكرتموه حق لانكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وانه مثبت

(من أمرنا) الذى نوحيه اليك (ما كنت تدرى) تعرف قبل الوحى اليك (ما الكتاب) القرآن (ولا الايمان) أى شرائعه ومعالمه والنفى معلق للفعل عن العمل أو مابعده سد مسد المفعولين (ولكن جعلناه) أى الروح أو الكتاب (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى) تدعو بالوحى اليك (الى صراط) طريق (مستقيم) دين الاسلام (صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الارض) ملكا وخلقا وعبيدا (ألا الى الله تصير الأمور) ترجع

﴿ سورة الزخرف ﴾

مكية وقيل الا واسأل من أرسلنا الآية تسع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر طريق الهدى ومايحتاج اليه من الشريعة (انا جعلناه) أوجدنا الكتاب (قرآنا عربيا) بلغة العرب (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) تفهمون معانيه (وانه) مثبت (فى أم الكتاب) أصل الكتب أى اللوح المحفوظ (لدينا)

بدل عندنا (لعلي) على الكتب قبله (حكيم) ذو حكمة بالغة (أفنضرب) نمسك (عنكم الذكر) القرآن (صفحا)

امساكا فلا تؤمرون ولاتنهون لاجل (أن كنتم قوما مسرفين) مشركين لا (وكم أرسلنا من نبي في الاولين وما) كان (يأتيهم) أتاهم (من نبي الا كانوا به يستهزؤن) كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (فأهلكنا أشد منهم) من قومك (بطشا) قوة (ومضى) سبق في الآيات (مثل الاولين) صفتهم في الاهلاك فعاقبة قومك كذلك (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خلقهن العزيز العليم) آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم زاد تعالى (الذي جعل لكم الارض مهادا) فراشا كالمهد للصبي (وجعل لكم فيها سبلا) طرقا (لعلكم تهتدون) الى مقاصدكم في أسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر حاجتكم اليه ولم ينزله طوفانا (فأنشرنا) أحيينا (به بلدة ميتا كذلك) أي مثل هذا الاحياء (تخرجون) من قبوركم أحياء (والذي خلق الازواج) الاصناف (كلها وجعل لكم من الفلك) السفن (والانعام) كالابل (ما تركبون) حذف العائد اختصارا وهو مجرور في الاول أي فيه منصوب في الثاني

الخ) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور خبران وقوله لعلي خبر ثان واعترض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفي جوازه خلاف فالاحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلي ولا يقال ان لام الابتداء لها صدر الكلام لانه يقال محل ذلك في غير باب ان كما قال ابن هشام في مغنيه لانها فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى المزحلقة (قوله بدل) أي من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للدينا (قوله لعلي) أي رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب الخ والاستفهام انكار بدليل قول المفسر في آخر العبارة لا والمعنى لانهملكم برفع الوحي ومنع انزال القرآن ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل أنتم نورنا بتمام الانزال لعبدنا ومن نكث فانما ينكث على نفسه (قوله نمسك) أي عن انزاله لكم (قوله صفحا) أشار المفسر الى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب في المعنى (قوله فلا تؤمرون ولا تنهون) أي بل تصيرون كالبهائم (قوله ان كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على أنها شرطية وفتحها على أنها تعليلية قراءتان سبعيتان لكن يرد على القراءة الاولى أن ان تفيد الشك مع أن اسرافهم محقق ويجاب بأنه يؤتى بها في مقام التحقيق قصد التجهيل المخاطب بجعله كأنه متردد في ثبوت الشرط شاك فيه (قوله وكم أرسلنا) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لارسلنا ومن نبي تمييز لها وفي الاولين متعلق بأرسلنا أي في الامم الاولين (قوله أتاهم) أشار بذلك الى أن المضارع بمعنى الماضي وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبي) أي رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسلية له) أي قوله وكم أرسلنا والمعنى تسل يا محمد ولا تحزن فانه وقع للرسل قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لاهلكنا (قوله بطشا) تمييز أي أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الاخذ (قوله سبق في الآيات) أي في القرآن غير مرة (قوله صفتهم في الاهلاك) وانما سمي مثلا لغرابته فان المثل في الاصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أي الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم وفي هذه الآيات تعليم للامة أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الاكبر تأسيا بنبيهم (قوله لام قسم) أي وقوله ليقولن جوابه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر (قوله حذف منه نون الرفع) أي لتوالي النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كرر الفعل للتوكيد والا فيكفي أن يقال العزيز العليم وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه ولو روعي صدره لجيء بجملة ابتدائية بأن يقال هو العزيز العليم مثلا (قوله آخر جوابهم) أي آن ما ذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذي جعل الى قوله لمنقلبون فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كالمهد للصبي) أي الفرش له أي ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شيء ولا يمكن الانتفاع بها فمن رحمته أن جعل الارض قارة مسطحة ساكنة (قوله وجعل لكم فيها سبلا) أي بحيث تسلكون فيها الى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال (قوله أي بقدر حاجتكم) أي فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فأنشرنا) في الكلام التفات من الغيبة للتكلم (قوله تخرجون) أي فالقادر على احياء الارض بعد موتها بالماء قادر على احياء الخلق بعد موتهم (قوله الاصناف) أي الاشكال والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى (قوله وجعل لكم من الفلك) أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره وألهمكم صنعها وسيرها لكم في البحر لتنتفعوا بها (قوله كالابل) ان قلت انه لم يبق شيء من الانعام يركب سوى الابل فالكاف استقصائية الا أن يقال المراد بالانعام ما يركب من الحيوان وهو الابل والخيل والبغال والحمير لان المقام للامتنان بالركوب (قوله ما تركبون) مفعول لجعل ومن الفلك والانعام بيان له (قوله حذف العائد اختصارا الخ) أي والمعنى جعل لكم من الفلك ما تركبون

فيه ومن الانعام ماتركبونها فهو مجرور وفي الاول نبى منصوب في الثاني بالفعل (قوله لتستووا على ظهوره) اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) اي المضاف اليه وقوله وجمع الظهر اى الذى هو المضاف وقوله نظرا للفظ ما الخ لف ونشر مرتب والمناسب أن يقول أفرد الضمير وجمع الظهر الخ ولو روعى معناها فيهما لقيل على ظهورها ولو روعى لفظها لقيل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أى بقلوبكم (قوله اذا استويتم عليه) أى على ماتركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا في قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذى الخ) اى تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أى المركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الاولى وقال بعضهم ان هذا مخصوص بالدابة وأما السفينة فيقول فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وماقدروا الله حق قدره الآية وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله وانا الى ربنا لمنقلبون فاذا كان الانسان يريد السفر زاد اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال ومعنى الحور بعد الكور الفرقة بعد الاجتماع وورد أن الانسان اذا قرأ الآية عند ركوبه الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذى ينبغى للانسان أن لايدع ذكر الله خصوصا في هذه المواطن فانه معرض فيها للتلف فكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق وحينئذ فنقلبه الى الله غير منفلت من قضائه فيكون مستعدا لقضاء الله باصلاح نفسه (قوله وما كناله مقرنين) الجملة حالية وهو من الاقران أو المقارنة (قوله لمنصرفون) أى من الدنيا الى دار البقاء فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الاخروى ففيه اشارة للرد على منكرى البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله ولئن سألتهم الخ والمعنى أنهم ينسبون الخلق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أن له شريكا فالمقصود التأمل في عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أحوالهم (قوله لان الولد جزء الوالد) أى لانه خارج من مخه وعظامه وهذا مناف لقولهم خلقهن العزيز العليم لان من شأن الوالد أن يكون مركبا والاله ليس بمركب بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون مخالفا لما خلقه والولد لابد وأن يكون مماثلا لوالده لانه جزء منه فتبين أن الولد على الله محال وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا الى أن مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان المتعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الانكار) أى والتوبيخ والتقريع وتقدر ببل أو بها والهمزة فيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالمعنى انهم قالوا الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لانفسهم ومحبة نسبة البنين لهم فلزم منه أنهم قالوا والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم التى هى بمعنى همزة الانكار (قوله واذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق في الرد عليهم (قوله بما ضرب) ما موصولة واقعة على الانثى بدليل الآية الاخرى واذا بشر أحدهم بالانثى وضرب بمعنى جعل والمفعول الاول محذوف هو العائد أى ضربه ومثلا هو المفعول الثانى (قوله شبها) أشار بذلك الى أن المثل بمعنى الشبه أى المشابه وليس بمعنى الصفة الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أومن ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول أى يربى قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا ينشأ بضم الياء مخففا ويناشأ كيقاتل مبنيا للمفعول (قوله همزة الانكار الخ) أى انهما كلمتان لا كلمة واحدة هى أو التى للعطف فتحصل أن من معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترؤن ويسيؤن الادب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله الزينة أى ان الانثى تتزين في الزينة لنقصها اذ لو كانت

(لتستووا) لتستقروا (على ظهوره) ذكر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين) مطيقين (وانا الى ربنا لمنقلبون) لمنصرفون (وجعلوا له من عباده جزأ) حيث قالوا الملائكة بنات الله لان الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (ان الانسان) القائل ماتقدم (لكفور مبين) بين ظاهر الكفر (أم) بمعنى همزة الانكار والقول مقدر أى أتقولون (اتخذ مما يخلق بنات) لنفسه (وأصفاكم) أخلصكم (بالبنين) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) جعل له شبها بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد المعنى اذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له (ظل) صار (وجهه مسودا) متغيرا تغير مغتم (وهو كظيم) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات اليه تعالى عن ذلك (أو) همزة الانكار وواو العطف بجملة أى يجعلون لله (من ينشأ في الحلية) الزينة

فى نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو فى الخصام غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه واقامة الحجة لنقصان عقله وضعف رأيه فقل ما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها الا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك الى انه من أبان المتعدى وسابقا أفاد انه من ابان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجعل القول والحكم وهو بيان أنواع أخر من كفر يا تهم لان نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للانوثة التى هى وصف خسة كفر ورد أنهم لما قالوا ذلك سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انها اناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم ويسئلون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف أى عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم وهذا استدلال منهم بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى عنها لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهو فاسد لان الله تعالى قدير بما لا يرضاه فهو بيان لنوع آخر من كفريا تهم فتحصل انهم كفروا باعتقالات ثلاث هذه وقولهم الملائكة اناث وقولهم الملائكة بنات الله (قوله ان هم الا يخرصون) قاله هنا بلفظ يخرصون وفى الجاثية بلفظ يظنون لان ما هنا متصل بقوله وجعلوا الملائكة الآية أى قالوا الملائكة بنات الله وان الله قد شاء عبادتنا اياهم وهذا كذب فناسبه يخرصون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لان قولهم نموت ونحيا صدق وانكارهم البعث وقولهم ما يهلكنا الا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تفريع فى الانكار عليهم مرتبط بقوله أشهدوا خلقهم (قوله أى لم يقع ذلك) أشار به الى ان الهمزة للانكار (قوله بل قالوا انا وجدنا الخ) أى لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى الطريقة أيضا وبالفتح المرة من الام وهو القصد (قوله ماشون) أشار بتقدير هذا الى ان الجار والمجرور خبران وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتى بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أى والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله ما أرسلنا استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم أيضا مستند غيره وفيه تسلية لرسول الله (قوله الا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف أى قولا مثل قول قومك وقوله انا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى قل لقومك يا محمد الخ (قوله باهدى مما وجدتم الخ) أى بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ أى من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء والتعبير بالتفضيل لاجل التنزل معهم وارخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أى فلا تكترث بتكذيب قومك لك فان عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) قدره اشارة الى ان الظرف معمول لمحذوف وسيأتى أن قوله لعلهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لابيه) تقدم الخلاف فى كونه اباه حقيقة أو عمه وتوجيه كل من القولين مفصلا (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة مصدر وقع موقع الصفة وهى برىء فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله الا الذى فطرنى) يحتمل ان الاستثناء منقطع بناء على انهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك انهم كانوا يعبدون النمرود ويحتمل أن الا صفة بمعنى غير (قوله يرشدنى لدينه) أى يدلنى على احكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك ما يقال ان الهداية حاصلة له لكونه مجبولا على التوحيد من ألست بربكم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن اقترانه بالسين فاجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وأجيب أيضا بان السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار والمعنى يديمنى على الهدى وأجيب أيضا بان المعنى يثبتنى على الهداية (قوله أى كلمة التوحيد الخ) تفسير للضمير البارز والضمير المستتر يعود على ابراهيم والمعنى ان ابرا

٤٠

حضروا (خلقهم ستكتب شهادتهم) بانهم اناث (ويسألون) عنها فى الآخرة فيترتب عليها العقاب (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة فعبادتنا اياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى (ما لهم بذلك) المقول من الرضا بعبادتها (من علم ان) ما (هم الا يخرصون) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى القرآن بعبادة غير الله (فهم به مستمسكون) أى لم يقع ذلك (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) ملة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها) متنعموها مثل قول قومك (انا وجدنا آباءنا على أمة) ملة (وانا على آثارهم مقتدون) متبعون (قل) لهم (أ) تتبعون ذلك (ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به) أنت ومن قبلك (كافرون) قال تعالى تخويفا لهم (فانتقمنا منهم) أى من المكذبين للرسل قبلك (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين و) اذكر (اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انى براء) أى برىء (مما تعبدون الا الذى فطرنى) خلقنى (فانه سيهدين) يرشدنى لدينه (وجعلها) أى كلمة التوحيد المفهومة من قوله انى ذاهب الى ربى سيهدين (كلمة باقية فى عقبه) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لعلهم)

أي أهل مكة (يرجعون) عما هم عليه الى دين ابراهيم أبيهم (بل متعت هؤلاء) المشركين (وآباءهم) ولم أعاجلهم بالعقوبة

(حتى جاءهم الحق) القرآن (ورسول مبين) مظهر لهم الاحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (ولما جاءهم الحق) القرآن (قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) من أية منهما (عظيم) أي الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف (أهم يقسمون رحمت ربك) النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) فجعلنا بعضهم غنيا وبعضهم فقيرا (ورفعنا بعضهم) بالغنى (فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم) الغني (بعضا) الفقير (سخريا) مسخرا في العمل له بالاجرة والياء للنسب وقرئ بكسر السين (ورحمت ربك) أي الجنة (خير مما يجمعون) في الدنيا (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم) بدل من لمن (سقفا) بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعا (من فضة ومعارج) كالدرج من فضة (عليها يظهرون) يعلون الى السطح (ولبيوتهم أبوابا) من فضة (و) جعلنا لهم (سررا) من فضة جمع سرير (عليها يتكئون)

وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية (قوله أي أهل مكة) أشار بذلك الى ان قوله لعلهم الخ متعلق باذكر الذي قدره والمعنى اذكر يا محمد لقومك ماذكر ليحصل عندهم رجوع الى دين ابراهيم (قوله بل متعت هؤلاء) اضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع واسم الاشارة عائد على المشركين الكائنين في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعاجلهم بالعقوبة) أي بل أعطيتهم نعما عظيمة وحرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فلم يشكروا بل ازدادوا وطغيانا فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية لمحذوف والتقدير بل متعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الخ (قوله وقالوا لولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها انكار نبوته صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم قالوا ان الرسالة منصب شريف لا يليق الا برجل شريف وهذا صادق غير أنهم غلطوا في دعواهم ان الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لا بالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من أية منهما) أي من احدى القريتين (قوله أي الوليد بن المغيرة) أي وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وعروة بن مسعود) أي وقد هداه الله للاسلام فأسلم وحسن اسلامه وكان النبي عليه الصلاة والسلام يشبهه بعيسى بن مريم عليه السلام به رضي الله تعالى عنه (قوله أهم يقسمون) الاستفهام انكاري وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) ترسم بالتاء المجرورة هنا وفي قوله تعالى فيما يأتي ورحمت ربك اتباعا للرسم المصحف وهذان موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة ثالثها في البقرة أولئك يرجون رحمت الله رابعها في الاعراف ان رحمت الله قريب من المحسنين خامسها في هود رحمت الله وبركاته عليكم سادسها في مريم رحمت ربك سابعها في الروم فانظر الى أثر رحمت الله وما عداها يرسم بالهاء وللقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاآت الداخلة على الاسماء كفاطمة وقائمة ومنهم من يقف بالتاء تغليبا لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) أي فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا لدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعليل أي ان القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق لينتفع بعضهم ببعض ولو كانوا سواء في جميع الاحوال لم يخدم أحد أحدا فيفضي الى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أي نسبته للسخرة وهي العمل بلا أجرة اذا علمت ذلك فقول المفسر بالاجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء والمعنى ليستهزئ الغني بالفقير وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة (قوله وقرئ بكسر السين) أي قراءة شاذة هنا جريا على عادته في التعبير عن الشاذ بقرئ وعن السبعي بوفي قراءة وأما في المؤمنون وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين (قوله خير مما يجمعون) أي والمعظم من حازها وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لا من حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أي ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتي والاوضح أن يقول لولا رغبة الناس في الكفر اذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجعلنا الخ لانه تعالى لا يوصف بالخوف ففرق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسب ما قدره لهم في الازل ان قلت لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لان الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهو ايمان المنافقين فما قدره الله تعالى خير لان كل من دخل الايمان فانما يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أي بدل اشتمال (قوله وبضمهما جمعا) أي على وزن رهن جمع رهن فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومعارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم (قوله وجعلنا لهم سررا) أشار بذلك الى ان سررا معمول لمحذوف معطوف على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل (قوله

وزخرفا) ذهبا المعنى لولا خوف الكفر على المؤمن من اعطاء الكافر ماذكر لاعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم (وان) مخففة من الثقيلة (كل ذلك لما) بالتخفيف فما زائدة وبالتشديد بمعنى الا فان نافية (متاع الحياة الدنيا) يتمتع به فيها ثم يزول (والآخرة) الجنة (عند ربك للمتقين ومن يعش) يعرض (عن ذكر الرحمن) أي القرآن (نقيض) نسبب (له شيطانا فهو له قرين) لا يفارقه (وانهم) أي الشياطين (ليصدونهم) أي العاشين (عن السبيل) أي طريق الهدى (ويحسبون أنهم مهتدون) في الجمع رعاية معنى من (حتى اذا جاءنا) العاشي بقرينه يوم القيامة (قال) له (يا) للتنبيه (ليت بيني وبينك بعد المشرقين) أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فبئس القرين) أنت لي قال تعالى (ولن ينفعكم) أي العاشين تمنيكم وندمكم (اليوم اذ ظلمتم) أي تبين لكم ظلمكم بالاشراك في الدنيا (انكم) مع قرنائكم (في العذاب مشتركون) علة بتقدير اللام لعدم النفع واذ بدل من اليوم (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) بين أي فهم لا يؤمنون (فاما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (نذهبن بك)

وزخرفا) ذهبا وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أي مهملة لوجود اللام في خبرها (قوله والآخرة عند ربك للمتقين) أي ان الجنة تكون لكل موحد قال كعب وجدت في بعض كتب الله المنزلة لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع أي لا يتحرك وفي الحديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وورد لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث انه لا عداد له في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى (قوله ومن يعش) من العشا وهو الاعراض والتغافل ويطلق على ضعف البصر وفعله عشا يعشو كدعا يدعو (قوله يعرض) أي يتعام ويتغافل وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا (قوله عن ذكر الرحمن) أضاف الذكر الى هذا الاسم اشارة الى أن الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب الرحمة ولو أتبعه لعمته الرحمة (قوله نقيض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أي في الدنيا بأن يمنعه من الحلال ويحمله على فعل الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية أو في الآخرة اذا قام من قبره لما ورد اذا قام من قبره شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار وان المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه والاولى العموم (قوله وانهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا في قوله فهو مراعاة للفظه (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) الجملة حالية أي يعتقدون أنهم على هدى وهو بمعنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون (قوله في الجمع) أي في المواضع الثلاثة الاول أي ليصدونهم ويحسبون أنهم وقوله رعاية معنى من أي بعد أن روعي لفظها في ثلاثة أيضا الضمير المستتر في يعش والضميران المجرور ان باللام في نقيض له فهو له وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء وقال ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم (قوله حتى اذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان فعلى الاولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه) أي مع قرينه (قوله يا للتنبيه) ويصح أن تكون للنداء والمنادى محذوف تقديره قريني (قوله بعد المشرقين) اسم ليت مؤخر وفيه تغليب المشرق على المغرب (قوله أي مثل ما بين المشرق والمغرب) أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقرب أحدهما من الآخر لانهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالذم (قوله قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع لان هذا القول يحصل في الآخرة (قوله أي العاشين) تفسير للكاف وقوله تمنيكم وندمكم تفسير للضمير المستتر فهو اشارة الى أنه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله ياليت بيني وبينك الخ وبعضهم قال ان الفاعل هو انكم وما في حيزها والتقدير ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب وأتى بهذا دفعا لما عساه يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها كما في الدنيا لانها اذا عمت هانت بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها (قوله أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة ودفع بذلك ما يقال ان الظلم وقع في الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة واذ بدل من اليوم فكيف يبدل الماضي من الحال فأجاب بأن المراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله واذ بدل من اليوم) أي بدل كل من كل ان قلت لن ينفعكم عامل في اليوم واذ مع أنه مستقبل واليوم ظرف حالي واذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي أجيب بأن عمله في الحال من حيث انه قريب من الاستقبال وتقدم أن الماضي مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام انكاري بمعنى النفي أي أنت لا تسمعهم كما أشار له المفسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم وهم لا يزدادون الا تصميما على الكفر (قوله ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمي ويكفي في العطف تغاير

بأن نميتك قبل تعذيبهم (فانا منهم منتقمون) في الآخرة (أو نرينك) في حياتك (الذي وعدناهم) به من العذاب (فانا عليهم) على عذابهم (مقتدرون) قادرون (فاستمسك بالذي أوحي اليك) أي القرآن (انك على صراط) طريق (مستقيم وانه لذكر) لشرف (لك ولقومك) لنزوله بلغتهم (وسوف تسئلون) عن القيام بحقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) أي غيره (آلهة) يعبدون قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أمم من أي أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لان المراد من الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه) أي القبط (فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا) الدالة على رسالته (اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية) من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل الى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد (الا هي أكبر من أختها) قرينتها التي قبلها (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) عن الكفر (وقالوا) لموسى لما رأوا العذاب (يا أيه الساحر) أي العالم الكامل لان السحر عندهم علم عظيم (ادع لنا ربك بما عهد عندك)

العنوان والا فالاوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر (قوله بأن نميتك قبل تعذيبهم) أي تقتضك الينا قبل انتقامنا منهم (قوله فانا عليهم مقتدرون) أي فلا يعجزوننا وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا وعلى أيدي أتباعه بعد موته لى يوم القيامة وعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أي دم على الاستمساك (قوله انك الخ) تعليل للامر بالاستمساك (قوله ولقومك) أي قريش خصوصا ولغيرهم عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذه الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أي حكمنا بعبادة الاوثان وأنزلنا ذلك في كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أي من غير تقدير فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على أن الآية مكية (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال انه متأخر في البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه (قوله وقيل المراد أمم الخ) أي فالكلام على حذف مضاف والمعنى اسأل أمم من أرسلنا وقوله أي أهل الكتابين تفسير لامم وهذا على أن الآية مدنية لان أهل الكتابين انما كانوا في المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون فقال صلى الله عليه وسلم قد اكتفيت والقول الآخر لغير ابن عباس انهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم الخليل وعلى يمينه اسمعيل وعلى يساره اسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربي أوحى الي أن أسألكم هل أرسل أحد منكم بدعوة الى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد انا نشهد انا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا اله الا الله وأن ما يعبدون من دونه باطل وانك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك ايانا وأنه لا نبي بعدك الى يوم القيامة الا عيسى بن مريم فانه مأمور أن يتبع أثرك (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فان موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعيير بقلة المال والجاه (قوله بآياتنا) أي معجزاتنا التسع والبياء للملابسة (قوله فقال اني رسول رب العالمين) في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص والمعنى فقال اني رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل معي بني اسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم في الاعراف قال ان كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله اذا هم منها يضحكون) اذا فجائية والمعنى حين جاءهم بالآيات فاجؤا المجيء بها بالضحك والسخرية من غير تأمل ولا تفكر (قوله والجراد) أي والقمل والضفادع والدم كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم فيستجير وا بموسى فيدعو الله تعالى فيكشفه عنهم فيمكثون بين كل واحدة والاخرى شهرا ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة فاستجار وا ثم عادوا للطغيان ثم دعا الله فكشفت عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست أموالهم فعزموا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالغرق (قوله الا هي أكبر من أختها) الجملة صفة لآية والمعنى الا هي بالغة الغاية في الاعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلهم يرجعون) أي عما هم عليه من الكفر (قوله لان السحر عندهم علم عظيم) أي فقصدوا بذلك تعظيمه لا تنقيصه ان قلت ان الله تعالى قال في سورة الاعراف حكاية عنهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه وهذا صريح في أنهم نادوه بيا أيها الساحر فكيف الجمع بينهما أجيب بأن الخطاب تعدد وانما لم يلمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستصغار العقولهم (قوله

من كشف العذاب عنا ان آمنا (اننا لمهتدون) أى مؤمنون (فلما كشفنا) بدعاء موسى (عنهم العذاب اذا هم ينكثون) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (ونادى فرعون) افتخارا (فى قومه قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) أى من النيل (تجرى من تحتى) أى تحت قصورى (أفلا تبصرون) عظمتى (أم) تبصرون وحينئذ (أنا خير من هذا) أى موسى (الذى هو مهين) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) يظهر كلامه للثغة بالجمرة التى تناولها فى صغره (فلولا) هلا (ألقى عليه) ان كان صادقا (أساورة من ذهب) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسودونه ان يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أو جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يشهدون بصدقه (فاستخف) استفز فرعون (قومه فأطاعوه) فيما يريد من تكذيب موسى (انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا) أغضبونا (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا) جمع سالف كخادم وخدم أى سابقين عبرة (ومثلا للآخرين) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (ولما ضرب) جعل (ابن مريم مثلا) حين نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لانه عبد من دون الله (اذا قومك) أى المشركون (منه) من المثل (يصدون) يضحكون فرحا بما سمعوا (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) أى عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه (ما ضربوه) أى المثل (لك الا جدلا) خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بل هم قوم خصمون) شديدو الخصومة (ان) ما (هو) عيسى (الا عبد أنعمنا عليه) بالنبوة (وجعلناه) بوجوده من غير أب (مثلا لبنى اسرائيل) أى كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء (ولو نشاء لجعلنا منكم) بدلكم (ملائكة فى الارض يخلفون) بأن نهلككم

من كشف العذاب) بيان لما (قوله لمهتدون) أى ان كشف العذاب عنا (قوله اذا هم ينكثون) أى فى كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أى بنفسه أو بمناديه (قوله وهذه الانهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجرى حال من اسم الاشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمتى (قوله أم تبصرون) أشار بذلك الى أن أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمعادل محذوف واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد أم الا ان كان بعدها لا نحو أتقوم أم لا أى أم لا تقوم وأجيب بأن هذا غالب لا مطرد (قوله وحينئذ) أشار بذلك الى ان قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أى لانه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر (قوله ولا يكاد يبين) الجملة اما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله للثغة) بضم اللام وهى تصيير الراء غينا أو لاما والسين ثاء (قوله التى تناولها فى صغره) أى حين لطم فرعون على وجهه فاغتم لذلك وأراد قتله فنتف لحيته وقالت له انه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة فأتى له بتمر وجمر فاراد أخذ التمرة فحول جبريل يده وأخذ الجمرة فأثرت فى لسانه وقد حلها الله حين أرسله وانما وصفه فرعون بها الآن استصحابا لما كان يعرف منه (قوله فلولا ألقى عليه) أى من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك حقيقة (قوله استفز فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التى أثبت بها الوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أأسفونا بهمزتين أبدلت الثانية ألفا (قوله أغضبونا) أى حيث بالغوا فى العناد والعصيان (قوله انتقمنا منهم) أى عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بجنس ما تكبروا به ففيه اشارة الى أن من افتخر بشىء وتعزز به غير الله أهلكه به (قوله ومثلا) معطوف على سلفا والمراد بالآخرين المتأخرون فى الزمان وهى الامة المحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله الآية قال عبد الله بن الزبعرى وكان قبل أن يسلم أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال قد خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا وبنو مليح يعبدون الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت انتظارا للوحى فظنوا أنه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم اذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر فى القصة (قوله اذا قومك) اذا فجائية والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسرها من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحا بما سمعوا) أى ان محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال (قوله وقالوا أآلهتنا خير الخ) تفصيل لجدالهم والمعنى انهم قالوا آلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه وقوله أآلهتنا بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بغير ادخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذوذا بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر (قوله فنرضى ان تكون الخ) هذا تفريع على الشق الثانى (قوله الا جدلا) مفعول من أجله أى لاجل الجدال والمراء (قوله لعلمهم أن ما) أى الواقعة فى قوله تعالى انكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب ان ما تكون لغير العاقل ومن للعاقل (قوله ان هو الا عبد) رد عليهم والمعنى ما عيسى الا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا اله ولا ابن اله (قوله بوجوده من غير أب) أى فهو نظير آدم فى خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقريش والمعنى أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم فلو نشاء لاهلكنا كم وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدونى فى الارض (قوله بدلكم) أى فهو نظير قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقول الشاعر

(وانه) أى عيسى (لعلم للساعة) تعلم بنزوله (فلا تمترن بها) أى تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم و واو الضمير لالتقاء الساكنين (و) قل لهم (اتبعون) على التوحيد (هذا) الذى آمركم به (صراط) طريق (مستقيم ولا يصدنكم) يصرفنكم عن دين الله (الشيطان انه لكم عدو مبين) بين العداوة (ولما جاء عيسى بالبينات) بالمعجزات والشرائع (قال قد جئتكم بالحكمة) بالنبوة وشرائع الانجيل (ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط) طريق (مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم) فى عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (فويل) كلمة عذاب (للذين ظلموا) كفروا بما قالوه فى عيسى (من عذاب يوم أليم) مؤلم (هل ينظرون) أى كفار مكة أى ما ينتظرون (الا الساعة أن تأتيهم) بدل من الساعة (بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بوقت مجيئها قبله (الاخلاء) على المعصية فى الدنيا (يومئذ) يوم القيامة متعلق بقوله (بعضهم لبعض عدو الا المتقين) المتحابين فى الله على طاعته فانهم أصدقاء ويقال لهم (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا) نعت لعبادى (بآياتنا) القرآن (وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم) مبتدأ (وأزواجكم) زوجاتكم (تحبرون) تسرون وتكرمون خبر المبتدا (يطاف عليهم بصحاف) بقصاع (من ذهب وأكواب) جمع كوب وهو اناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وفيها ما تشتهيه الانفس)

جارية لم تأكل المرققا * ولم تذق من البقول الفستقا

ويصح أن تكون من تبعيضية والمعنى لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها بأن يحول بعضكم الى صورة الملائكة أو يلد بعضكم ملائكة (قوله وانه لعلم) أى نزوله علامة على قرب الساعة فالكلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله واتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله ولا يصدنكم الشيطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى والمعنى اتبعوا يا عبادى هدى أو رسولى ولا يصدنكم الشيطان الخ (قوله ولما جاء عيسى) أى أرسل لبنى اسرائيل (قوله ولابين لكم) معطوف على قوله بالحكمة أى وجئتكم لابين ولم يترك العاطف اشارة الى انه متعلق بما قبله اشعارا بالاهتمام بالعلة حتى جعل كأنه كلام برأسه (قوله بعض الذى تختلفون فيه) أى فبين لهم أمر الدين وهو بعض ما يختلفون فيه لان اختلافهم فى أمر الدين وتكسبات الدنيا والانبياء بعثوا لبيان الدين لا لصنائع الدنيا فانها تؤخذ عن أهلها وفى الحديث أنتم أعلم بأمر دنياكم (قوله فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أبلغه عنه (قوله فاختلف الاحزاب من بينهم) أى تفرقوا من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى (قوله أهو الله) مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية (قوله أو ابن الله) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى المرقوسية (قوله أو ثالث ثلاثة) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى الملكانية وقالت فرقة انه عبد الله ورسوله وانما كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت اليهود انه ليس بنبى فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أى كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذين ظلموا خبره (قوله أى كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب اثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا يشعرون) الجملة حالية (قوله على المعصية) أى وعليه فيكون الاستثناء منقطعا ويصح ان المراد بالاخلاء الاصحاب مطلقا فيكون الاستثناء متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أى والفصل بالمبتدا لا يضر (قوله فانهم أصدقاء) أى ويشفعون لبعضهم ويتوددون كما كانوا فى الدنيا (قوله ويقال لهم) أى تشريفا وتطييبا لقلوبهم وردانه ينادى مناد فى العرصات يا عبادى لا خوف عليكم اليوم فيرفع أهل العرصة رؤسهم فيقول المنادى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الاديان رؤسهم غير المسلمين (قوله يا عبادى) الاضافة للتشريف والتكريم والياء اما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قرا آت سبعيات وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور الاول نفى الخوف والثانى نفى الحزن والثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور فى قوله تحبرون (قوله لا خوف عليكم) بالرفع والتنوين فى قراءة العامة وهو مبتدأ وعليكم خبره وقرئ شذوذا بالضم أو الفتح دون تنوين (قوله وكانوا مسلمين) أى مخلصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله تسرون) أى يظهر أثره على وجوهكم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبرها الجفنة والصحفة ما يشبع الخمسة والمشكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة وورد انه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضها بعضا (قوله جمع كوب) أى كعود وأعواد (قوله لا عروة له) أى ليس له محل يمسك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لان العروة تمنع من بعض الجهات وروى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا (قوله وفيها) أى الجنة (قوله ما تشتهيه الانفس) أى من الاشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة روى أن رجلا

قال يارسول الله أفي الجنة خيل فاني أحب الخيل فقال ان يدخلك الله الجنة ولا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت فقال أعرابي يارسول الله أفي الجنة ابل فاني أحب الابل فقال يا أعرابي ان أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وتشتهي بهاء واحدة واثنتين بينهما الياء قراءتان سبعيتان (قوله تلذذا) أي فطعامها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أي وأعظمه النظر الى وجه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيها التفات من الغيبة الى الخطاب تشريفا لها وتعظيما لقدرها ولم يقل وتلكم والجنة ليكون مناسبا لقوله أورثتموها اشارة الى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعطيتموها بسبب عملكم وهذا زيادة في الاكرام لاهل الجنة حيث لم يقل أورثتموها بفضلي وان كانت في الحقيقة من فضله تعالى قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أي لانها على صفة الماء النابع لا يؤخذ منها شئ الا خلفه مكانه في الحال مثله (قوله ان المجرمين الخ) لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها شرع في ذكر وعيد الكافرين السيئ بالنار وما فيها على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم في مقابلة المؤمنين (قوله لا يفتر عنهم) الجملة حالية وكذا ما بعدها والفتور السكون يقال فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أي فالابلاس السكوت ويطلق على السكون يقال أبلس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أي من رحمة الله تعالى ان قلت ان مقتضى ما هنا أنهم ساكتون في النار ومقتضى ما يأتي في قوله ونادوا يا مالك الآية انهم يستغيثون ويتكلمون فحصل التنافي بين الموضعين أجيب بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى فأحوالهم مختلفة (قوله ولكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبر الكان وهم ضمير فصل وقرئ شذوذا الظالمون بالرفع على أنهم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضي لتحقق الحصول (قوله هو خازن النار) أي كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها (قوله ليقض علينا ربك) اللام للدعاء ويقض مجزوم بحذف الياء والمعنى سل ربك أن يقضي علينا من قضى عليه اذا أماته (قوله ليميتنا) أي لنستريح مما نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال وقيل بعد مائة سنة وقيل بعد أربعين سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون (قوله مقيمون في العذاب دائما) أي لا خلاص لكم منه بموت ولا غيره (قوله لقد جئناكم الخ) يحتمل أنه من كلام الله تعالى خطابا لاهل مكة تعميما لبيان سبب مكث الكفار في النار وهو ما مشى عليه المفسر وقوله ولكن أكثركم للحق كارهون أي وأما أقلكم فهو مؤمن يحب الحق ويحتمل أنه من كلام مالك لاهل النار جار مجرى العلة كأنه قال انكم ماكثون لانا جئناكم الخ ويكون معنى أكثركم كلكم (قوله كارهون) أي لما فيه من منع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لهواكم وشهواتكم (قوله أم أبرموا أمرا) الابرام في الاصل الفتل المحكم يقال أبرم الحبل اذا أتقن فتله ثانيا وأما فتله أولا فيسمى سحلا ثم أطلق على مطلق الاتقان والاحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو انتقال من توبيخ أهل النار الى توبيخ الكفار على بعض ما حصل منهم في الدنيا (قوله في كيد محمد) أي كما ذكره في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة تفسر ببل وهمزة الانكار (قوله ورسلنا الخ) الجملة حالية وقوله يكتبون ذلك أي سرهم ونجواهم (قوله قل ان كان للرحمن ولد) أي ان صح وثبت ذلك ببرهان صحيح فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده (قوله لكن ثبت أن لا ولد له) أشار بذلك الى أنه قياس استثنائي وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فأنتج نقيض التالي وهو قوله فانتفت عبادته وايضاحه انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فحصل نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها (قوله الكرسي) المناسب ابقاء الآية على ظاهرها لان من المعلوم أن العرش غير الكرسي (قوله العذاب) مفعول ثان ليوعدون

تلذذا (وتلذ الاعين) نظرا (وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها) أي بعضها (تأكلون) وكل ما يؤكل يخلف بدله (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر) يخفف (عنهم وهم فيه مبلسون) ساكتون سكوت يأس (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك) هو خازن النار (ليقض علينا ربك) ليميتنا (قال) بعد ألف سنة (انكم ماكثون) مقيمون في العذاب دائما قال تعالى (لقد جئناكم) أي أهل مكة (بالحق) على لسان الرسول (ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا) أي كفار مكة أحكموا (أمرا) في كيد محمد النبي (فانا مبرمون) محكمون كيدنا في اهلاكهم (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) ما يسرون الى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بلى) نسمع ذلك (ورسلنا) الحفظة (لديهم) عندهم (يكتبون) ذلك (قل ان كان للرحمن ولد) فرضا (فأنا أول العابدين) للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى فانتفت عبادته (سبحان رب السموات والارض رب العرش) الكرسي (عما يصفون) يقولون من الكذب بنسبة الولد اليه (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه العذاب

وهو يوم القيامة (وهو الذى) هو (فى السماء اله) بتحقيق الهمزتين واسقاط الاولى وتسهيلها كالياء أى معبود (وفى الارض اله) وكل من الظرفين متعلق بما بعده (وهو الحكيم) فى تدبير خلقه (العليم) بمصالحهم (وتبارك) تعظم (الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة) متى تقوم (واليه يرجعون) بالياء والتاء (ولا يملك الذين يدعون) يعبدون أى الكفار (من دونه) أى الله (الشفاعة) لاحد (الا من شهد بالحق) أى قال لا اله الا الله (وهم يعلمون) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم يشفعون للمؤمنين (ولئن) لام قسم (سألتهم من خلقهم ليقولن الله) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فأنى يؤفكون) يصرفون عن عبادة الله (وقيله) أى قول محمد النبى ونصبه على المصدر بفعله المقدر أى وقال (يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال تعالى (فاصفح) اعرض (عنهم وقل سلام) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فسوف يعلمون) بالياء والتاء تهديد لهم

﴿سورة الدخان مكية﴾

وقيل الا انا كاشفوا العذاب الآية وهى ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (والكتاب) القرآن (المبين) المظهر الحلال من الحرام (انا أنزلناه فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر

وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لان خوضهم ولعبهم انما ينتهى بيوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الخ) قدر الضمير اشارة الى أن العائد محذوف وهو مبتدا واله خبره وفى السماء متعلق باله وانما حذف المبتدا الدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما أنا بالذى قائل لك سوأ ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى الدار زيد (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى همزة سماء وهمزة اله وذكر المفسر هنا ثلاث قراآت وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى قراءة واحدة واسقاط الهمزة الاولى وتسهيلها مع القصر فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية وابدالها ياء مع القصر لا غير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو اله لانه بمعنى معبود والتقدير وهو معبود فى السماء ومعبود فى الارض ولا شك أن العابد فى السماء غير العابد فى الارض والمعبود واحد ودفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أن الاله متعدد لان النكرة اذا أعيدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد والتقريع (قوله ولا يملك الذين الخ) الاسم الموصول فاعل يملك وهو اما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله فيكون الاستثناء متصلا وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الاصنام فيكون منقطعا (قوله اى الكفار) تفسير للواو فى يدعون (قوله لاحد) قدره اشارة الى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله ولئن سألتهم) أى العابدين مع ادعاء الشريك (قوله ليقولن الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أى قول محمد النبى) تفسير لكل من المضاف والمضاف اليه وقوله ونصبه على المصدر أى فالقول والقيل والقال والمقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفى قراءة سبعية أيضا بالجر اما عطفا على الساعة أو أن الواو للقسم والجواب اما محذوف والتقدير لافعلن بهم ما أريد أو مذكور وهو قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف أى شأنى سلام أى ذو سلامة منكم ومنى فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس فى الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم) أى فالآية منسوخة ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها

﴿سورة الدخان مكية﴾

أى كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أى الى قوله عائدون وورد فى فضل هذه السورة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوى من الاحاديث الواردة فى فضل السور متكلم فيها الا أحاديث سورة الدخان وحديث يس الذى تقدم لنا وهو ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له الى آخره وحديث سورة الواقعة وهو من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا (قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله انا أنزلناه الخ وأما قوله انا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله انا كنا منذرين وقوله انا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال فى تفسير الكتاب وهو أقواها وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن فى ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أتشفع بك اليك وفى الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء والضمير فى أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ وقوله أنزلناه أى أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هى ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين ووجهه بأمور منها قوله تعالى انا أنزلناه

فى

في ليلة القدر فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر لان خير ما فسرته بالوارد ومنها قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن فقوله تعالى هنا انا أنزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان فثبت أنها ليلة القدر ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقال هنا يفرق فيها كل أمر حكيم وقال هنا رحمة من ربك وقال في ليلة القدر سلام هي حتى مطلع الفجر واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى وهذه أدلة ظاهرة واضحة على انها ليلة القدر وهو المعتمد وسميت ليلة القدر لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق ويسلم ذلك الى مدبرات الامور وهم اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت (قوله أو ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ووجه بامور منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك ومنها فضل العبادة فيها لما ورد من صلى فيها مائة ركعة أرسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث ان الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق والديه والمصر على الزنا ومنها أن الله تعالى أعطى رسوله في هذه الليلة تمام الشفاعة في أمته وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فاعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الامن شرد عن الله شرود البعير (قوله نزل فيها) أي جملة ومعنى انزاله من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ان جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة ينزل بها على النبي صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث (قوله انا كنا منذرين) المراد من كان الاستمرار والدوام أي شأننا وعادتنا الانذار والتخويف وهذه الجملة علة للانزال وكونه في ليلة مباركة والمعنى انما أنزلناه في ليلة مباركة لان شأننا الانذار وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة شأنه أن يخاف منه (قوله فيها يفرق) هذه الجملة اما مستأنفة أو صفة لليلة وما بينهما اعتراض (قوله يفصل) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف (قوله محكم) اي مبرم لا تغيير فيه ولا تبديل (قوله فرقا) اشار بذلك الى ان امرا منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى كقمت وقوفا وجلست قعودا ويصح أن يكون حالا من فاعل أنزلناه التقدير أنزلناه حال كوننا آمرين أو من مفعوله والتقدير أنزلناه حال كونه مأمورا به ويصح أن يكون مفعولا لاجله وعامله أنزلناه والتقدير أنزلناه لامر الخلق أي شأنهم بمعنى ان فيه مصالح دينهم ودنياهم قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ (قوله من عندنا) صفة لامرا (قوله انا كنا مرسلين) جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الانزال في ليلة مباركة وكونه أمرا (قوله رحمة) مفعول لاجله والعامل فيه اما أنزلناه واما أمرا واما منذرين واما يفرق واما مرسلين وهو الاقرب ويصح أن يكون منصوبا بفعل محذوف أي رحمناهم رحمة ويصح ان يكون حالا من ضمير مرسلين أي ذوي رحمة ويصح ان يكون بدلا من أمرا (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للغيبة لمزيد الارهاب والترغيب فالارهاب للكفار والترغيب للمؤمنين (قوله انه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وان حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كما قال المفسر ففيه اشارة لهذا الاعراب (قوله فايقنوا) قدره اشارة الى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الاخبار فان قوله لا اله الا هو خبر رابع (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع في قراءة

أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة الى السماء الدنيا (انا كنا منذرين) مخوفين به (فيها) أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان (يفرق) يفصل (كل أمر حكيم) محكم من الارزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة الى مثل تلك الليلة (أمرا) فرقا (من عندنا انا كنا مرسلين) الرسل محمدا ومن قبله (رحمة) رأفة بالمرسل اليهم (من ربك انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بأفعالهم (رب السموات والارض وما بينهما) برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك (ان كنتم) يا أهل مكة (موقنين) بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمدا رسوله (لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين

العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السموات والارض فيمن رفعه وقرئ شذوذا بالجر والنصب فالاول على انه نعت لرب السموات في قراءة من جره والثاني على المدح (قوله بل هم في شك) اضراب عن محذوف والمعنى فليسوا موقنين بل هم في شك وقوله يلعبون حال أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الاقوال والافعال والمراد بلعبهم انهماكهم في الفاني واعراضهم عن الباقي قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب (قوله فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء أي فلما استهزؤا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعني عليهم أي على هداهم وفي الحقيقة هو دعاء لهم لان من شأن النفوس أنها اذا شبعت وكثر عليها الخير تكبرت وطغت وبغت فاذا جاعت واشتد بها الالم ذلت وصغرت ورجعت للحق لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من أنا قالت له انت أنت وانا أنا فالقاها في بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لا اله غيرك ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أي اجابة لدعوته واختلف هل حصل ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة أو بعد هجرته الى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأتي السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمان الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخين والتلاوة بوزن غراب (قوله فاجدبت الارض) أشار بذلك الى حصول مطلوبه دعائه بالفعل (قوله كهيئة الدخان) أشار بذلك الى أنه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا شيأ يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود فلما اشتد الامر عليهم جاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرته فجاءه أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن انه دخان حقيقة يظهر في العالم في آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ ما بين المشرق والمغرب وما بين السماء والارض يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كالزكام وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره وتكون الارض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يغشى الناس) صفة ثانية للدخان والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله انا مؤمنون) هذا وعد منهم بالايمان وقد أخلفوه وليس المراد انهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله أي لا ينفعهم الايمان الخ) الاوضح أن يقول أي لا يوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب عنهم فهو استبعاد لايمانهم (قوله وقالوا معلم) أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة انه يعلمه غلام أعجمي وقالوا تارة انه مجنون وتقدم في سورة النحل في قوله انما يعلمه بشر ان رجلا اسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمي ورجلا اسمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه فقال الكفار انما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم بقوله لسان الذي يلحدون اليه أعجمي الآية (قوله انا كاشفوا العذاب) جواب عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب (قوله قليلا) قيل الى يوم بدر وقيل الى ما بقي من أعمارهم (قوله فعادوا اليه) أي استمروا عليه لانه لم يوجد منهم ايمان بالفعل (قوله اذكر يوم نبطش) أشار بذلك الى ان يوم منصوب بمحذوف ويصح ان يكون بدلا من يوم تأتي (قوله بلونا) اي امتحنا والمعنى عاملناهم معاملة الممتحن باقبال النعم عليهم ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان (قوله قبلهم) أي قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك دفعا لما يتوهم من ظاهر الآية ان الابتلاء خاص بقوم فرعون فاجاب بان المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة الممتحن به (قوله كريم على الله) أي عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا رد لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين كأنه قال حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أي بأن) أشار بذلك الى أن مصدرية ويصح ان تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مشى المفسر على ان مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه

بل هم في شك) من البعث (يلعبون) استهزاء بك يا محمد فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف قال تعالى (فارتقب لهم (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فاجدبت الارض واشتد بهم الجوع الى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والارض (يغشى الناس) فقالوا (هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مصدقون نبيك قال تعالى (أنى لهم الذكرى) أي لا ينفعهم الايمان عند نزول العذاب (وقد جاءهم رسول مبين) بين الرسالة (ثم تولوا عنه وقالوا معلم) أي يعلمه القرآن بشر (مجنون انا كاشفوا العذاب) أي الجوع عنكم زمنا (قليلا) فكشف عنهم (انكم عائدون) الى كفركم فعادوا اليه اذكر (يوم نبطش البطشة الكبرى) هو يوم بدر (انا منتقمون) منهم والبطش الاخذ بقوة (ولقد فتنا) بلونا (قبلهم قوم فرعون) معه (وجاءهم رسول) هو موسى عليه السلام (كريم) على الله تعالى (أن) أي بأن (أدوا الي) ما أدعوكم اليه من الايمان أي اظهروا ايمانكم بالطاعة لي يا (عباد) الله

وقيل ان عباد الله مفعول لادوا والمراد بهم بنو اسرائيل ومعنى تأديتهم اياهم اطلاقهم من الاسر يشير الى هذا قوله تعالى فى سورة الشعراء أن أرسل معنا بنى اسرائيل وعلى كلا القولين فالخطاب فى أدوا لفرعون وقومه (قوله انى لكم رسول أمين) تعليل للامر وقوله على ما أرسلت به متعلق بأمين والمعنى مأمون على ما أرسلنى الله به فلا أزيد ولا أنقص وذكر الامانة بعد الرسالة وان كانت تستلزمها اشارة الى أنها وصف شريف ينبغى الاعتناء به (قوله وأن لا تعلوا على الله) عطف على قوله أن أدوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العلو بالتجبر وفسره غيره بالتكبر والبغى والافتراء والتعاظم والاستكبار وكلها معان متقاربة (قوله انى آتيكم) تعليل للنهى (قوله فتوعدوه بالرجم) ظاهره أنه حين قال انى آتيكم بسلطان مبين توعدوه بالرجم ولم يمهلوا مع أنه تقدم أن فرعون قال له فأت بها ان كنت من الصادقين ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعدوه دعا عليهم وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف فالجواب أن القصة ذكرت هنا مجملة وما تقدم ذكرت مبسوطة وذكر الشئ مفصلا ثم مجملا أثبت فى النفس (قوله أن ترجمون) الياء فيه وفى قوله فاعتزلون من ياآت الزوائد لا تثبت فى لرسم وأما فى اللفظ فيجوز اثباتها وحذفها حالة الوصل فقط وأما فى الوقف فيتعين حذفها (قوله وان لم تؤمنوا لى) اللام بمعنى الباء ويصح أن تكون لام العلة والمعنى ان لم تصدقونى ولم تؤمنوا بالله لاجل برهانى الخ (قوله فاتركوا أذاى) أى لا تتعرضوا الى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدر قدره بقوله فلم يتركوه وقوله ان هؤلاء الخ تعريض بالدعاء كأنه قال فافعل ما يليق بهم وأن بفتح الهمزة فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها على اضمار القول (قوله بقطع الهمزة و وصلها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان الاولى من أسرى والثانية من سرى قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده وقال تعالى والليل اذا يسر والاسراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله اذا قطعته أنت وأصحابك) هذا تعليم لموسى بما يفعله فى سيره قبل أن يسير والمعنى اذا سرت بهم وتبعك العدو و وصلت الى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتم منه فاتركه بحاله ولا تضرب به بعصاك ليلتئم بل ابقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو فى الاصل مصدر رها يرهو رهوا اما بمعنى سكن واما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمأن بذلك) أى بقوله انهم جند مغرقون والضمير فى اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول لتركوا والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجالس حسن) أى محافل مزينة ومنازل حسنة كما هو مشاهد فى منازل الملوك الآن (قوله متعة) أى أمور يتمتعون بها وينتفعون بها كالملابس والمراكب (قوله فاكهين) العامة بالالف وقرئ شذوذا بغير ألف ومعنى الاولى ناعمين كما قال المفسر أى متنعمين ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله (قوله خبر مبتدا) أى والوقف على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أى الامر) أى وهو اهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا والمعنى تركوا أمورا كثيرة وأورثنا تلك الامور بنى اسرائيل (قوله أى بنى اسرائيل) فقد رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون ان قلت كيف قال الله تعالى وأورثناها قوما آخرين مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة قلت لعل الجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت اكراما لبنى اسرائيل حين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والارض) اختلف فى البكى فقيل حقيقة وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والارض ويؤيده ما ورد ما من مؤمن الا وله فى السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فبكيان عليه وتلا فما بكت عليهم السماء والارض ويؤيده أيضا قول مجاهد ان السماء والارض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله فقال أتعجب وما للارض لا تبكى على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل وقيل الكلام على حذف مضاف أى أهل السموات والارض وقيل ان بكاءهما حمرة أطرافهما ويؤيده قول السدى لما قتل الحسين بن على رضى الله عنهما بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وقول محمد بن سيرين أخبرونا أن الحمرة

(انى لكم رسول أمين) على ما أرسلت به (وأن لا تعلوا) تتجبروا (على الله) بترك طاعته (انى آتيكم بسلطان) برهان (مبين) بين على رسالتى فتوعدوه بالرجم فقال (وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون) بالحجارة (وان لم تؤمنوا لى) تصدقونى (فاعتزلون) فاتركوا أذاى فلم يتركوه (فدعا ربه أن) أى بأن (هؤلاء قوم مجرمون) مشركون فقال تعالى (فأسر) بقطع الهمزة و وصلها (بعبادى) بنى اسرائيل (ليلا انكم متبعون) يتبعكم فرعون وقومه (واترك البحر) اذا قطعته أنت وأصحابك (رهوا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (انهم جند مغرقون) فاطمأن بذلك فأغرقوا (كم تركوا من جنات) بساتين (وعيون) تجرى (وزروع ومقام كريم) مجالس حسن (ونعمة) متعة (كانوا فيها فاكهين) ناعمين (كذلك) خبر مبتدا أى الامر (وأورثناها) أى أموالهم (قوما آخرين) أى بنى اسرائيل (فما بكت عليهم السماء والارض) بخلاف المؤمنين يبكى عليهم بموتهم مصلاهم من الارض ومصعد عملهم من السماء (وما كانوا منظرين) مؤخرين للتوبة

التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله عنه وقال سليمان القاضي مطرنا دما يوم قتل الحسين وقيل ان البكى كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بني اسرائيل) هذا من جملة تعداد النعم على بني اسرائيل والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين فانهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أي متعلق بمحذوف والمعنى واقعا من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على على بابها للاستعلاء فاختلف معناهما وحينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا (قوله بحالهم) أي بكونهم أهلا للاصطفاء لكون أكثر الانبياء منهم (قوله أي عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يقال ان ظاهر الآية يدل على كون بني اسرائيل أفضل من كل العالمين من أي أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم ولا ينافي أن أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المناسب أن يقول الثقلين فان من جملة العقلاء الملائكة وبنو اسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على المبين (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فان البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالمحن وبالنعم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أي كفار مكة) انما أشار اليهم باشارة القريب تحقيرا لهم وازدراء بهم (قوله ليقولون) أي جوابا لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة دل عليه قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون كانهم قالوا مسلم أن لنا موتة تعقبها حياة لكن المراد بها الاولى وهي حال النطفة لا الثانية التي ينقضي بها العمر فانها لا تعقبها حياة (قوله وما نحن بمنشرين) هذه الآية نظير قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (قوله فأتوا بآبائنا) أي احيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم (قوله أهم خير) أي في أمور الدنيا (قوله أم قوم تبع) هو تبع الحميري أبو كرب واسمه أسعد واليه تنسب الانصار بني الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة مدينة بقرب الكوفة وبني سمرقند وأراد غزو البيت وتخريب المدينة فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد فكف عنهما وكسى البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فدفعوه اليه ويقال ان الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم أما بعد فاني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام فان أدركتك فيها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا يزيد ولا ينقص (قوله هو نبي أو رجل صالح) أو لحكاية خلاف فالقول الاول لابن عباس والثاني لعائشة رضي الله عنهما وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والارض الخ) هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه وذلك أن الله تعالى خلق النوع الانساني وخلق له ما في الارض جميعا وكلفه بالايمان والطاعة فآمن البعض وكفر البعض وحتم الله في سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون في الدنيا لعدم الاعتداد بها فحينئذ لا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أي بين الجنسين (قوله حال) أي وهي لا يستغنى عنها (قوله أي محقين في ذلك) أي لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدل به الخ (قوله لا يعلمون) أي ليس عندهم علم بالكلية (قوله ان يوم الفصل) الاضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أي

(ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين) قتل الابناء واستخدام النساء (من فرعون) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب وقيل حال من العذاب (انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) منا بحالهم (على العالمين) أي عالمي زمانهم أي العقلاء (وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها (ان هؤلاء) أي كفار مكة (ليقولون ان هي) ما الموتة التي بعدها الحياة (الا موتتنا الاولى) أي وهم نطف (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين أحياء بعد الثانية (فأتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم صادقين) أنا نبعث بعد موتنا أي نحيا قال تعالى (أهم خير أم قوم تبع) هو نبي أو رجل صالح (والذين من قبلهم) من الامم (أهلكناهم) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين) بخلق ذلك حال (ما خلقناهما) وما بينهما (الا بالحق) أي محقين في ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (ولكن أكثرهم) أي كفار مكة (لا يعلمون ان يوم الفصل) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (ميقاتهم أجمعين)

للعذاب الدائم (يوم لا يغني مولى عن مولى) بقرابة أو صداقة أي لا يدفع عنه (شيأ) من العذاب (ولا هم ينصرون) يمنعون منه

ويوم بدل من يوم الفصل (الا من رحم الله) وهم المؤمنون فانه يشفع بعضهم لبعض باذن الله (انه هو العزيز) الغالب في انتقامه من الكفار (الرحيم) بالمؤمنين (ان شجرت الزقوم) هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم (طعام الاثيم) أبي جهل وأصحابه ذوي الاثم الكبير (كالمهل) أي كدردي الزيت الاسود خبر ثان (تغلي في البطون) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل (كغلي الحميم) الماء الشديد الحرارة (خذوه) يقال للزبانية خذوا الاثيم (فاعتلوه) بكسر التاء وضمها جروه بغلظة وشدة (الى سواء الجحيم) وسط النار (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما في آية يصب من فوق رؤسهم الحميم ويقال له (ذق) أي العذاب (انك أنت العزيز الكريم) بزعمك وقولك ما بين جبليها أعز وأكرم مني ويقال لهم (ان هذا) الذي ترون من العذاب (ما كنتم به تمترون) فيه تشكون

(ان المتقين في مقام) مجلس (أمين) يؤمن فيه الخوف (في جنات) بساتين (وعيون يلبسون من سندس واستبرق) أي مارق من الديباج وما غلظ منه (متقابلين) حال أي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك)

موعدهم والمراد جميع الخلق (قوله للعذاب الدائم) أي للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لا يغني مولى) المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن العم والناصر والجار والحليف (قوله بقرابة) أي بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة توكيد لما قبلها والمعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما (قوله الا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون لبعضهم وهو ما مشى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أي ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من ينفعهم من المخلوقين (قوله انه هو العزيز الخ) تعليل لما قبله (قوله ان شجرت الزقوم) رسم شجرت بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن ويوقف عليه بالهاء والتاء وأما غير هذا الموضع فترسم بالهاء ويوقف عليه بالهاء لا غير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل طعام أهل النار ويطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم المنافع عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل وعرق النساء والريح السافلة في الورك يشرب بزنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقعدين ويقال أصله الاهليلج الكابلي (قوله أي كدردي الزيت الاسود) هذا أحد معاني المهل ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب (قوله وبالتحتانية) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الاظهر أنه حال من طعام لان المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان لا وصف المهل لانه لا يتصف بذلك (قوله كغلي الحميم) صفة لمصدر محذوف أي تغلي غليا مثل غلي الحميم (قوله بكسر التاء وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان من باب ضرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أي أو اضربوه بالعتلة وهي بفتحتين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أي ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من الحميم الذي الخ) أي فاذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته (قوله ويقال له ذق) الامر للاهانة والتحقير (قوله انك) بفتح الهمزة على معنى التعليل وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين للتهكم والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله ما بين جبليها أي مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم (قوله ان المتقين في مقام أمين) مقابل قوله ان شجرت الزقوم طعام الاثيم لانه جرت عادة الله تعالى في كتابه أنه اذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال الجنة وقوله المتقين أي الشرك بأن ماتوا على التوحيد وهذا أعم من أن يكونوا في أعلى مراتب التقوى وهي تقوى الاغيار بأن لا يخطر الغير ببالهم أو أوسطها وهي تقوى المعاصي بفعل الطاعات أو أدناها وهي تقوى مجرد الشرك بالايمان (قوله في مقام) بفتح الميم وضمها قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام ومكانه والضم موضع الاقامة والمكث (قوله يؤمن فيه الخوف) أي من الخلق والخالق والمعنى تطمئن فيه النفس ولا تنزعج من شيء أصلا فاهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع ما يؤذي في البدن والاهل والمال وآمنون من خطور الاكدار ببالهم (قوله في جنات الخ) بدل من مقام وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية لان الامن من المخاوف تخلية وكونهم في جنات وعيون الخ تحلية (قوله وعيون) أي أنهار تجري تحت القصور (قوله يلبسون) خبر آخر لان أو مستأنف (قوله أي مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب والديباج هو الحرير ان قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيما في الجنة مع أنه في الدنيا عيب كان غير نعيم أجيب بان غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على أن من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كالقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أي يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم ببعض وهذا في غير وقت النظر الى وجه الله الكريم وأما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة اخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة ومن هنا قيل ان حكمة المقابلة في حلق العلم والذكر في الدنيا التشبه بمجالس الجنة والانس بمقابلة الاخوان وحكمة الاصطفاف بالصلاة وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم في الجنة لان في الصلاة اقبالا بالكلية على الله تعالى وقطعا للشواغل (قوله أي لا ينظر بعضهم الى قفا بعض)

يقدر قبله الامر (وزوجناهم) من الزويج أو قرناهم (بحور عين) بنساء بيض واسعات الاعين حسانها (يدعون) يطلبون الخدم

(فيها) أي الجنة أن يأتوا (بكل فاكهة) منها (آمنين) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم الا بمعنى بعد (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا) مصدر بمعنى تفضلا منصوب بتفضل مقدرا (من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه) سهلنا القرآن (بلسانك) بلغتك لتفهمه العرب منك (لعلهم يتذكرون) يتعظون فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) انتظر هلاكهم (انهم مرتقبون) هلاكك وهذا قبل نزول الامر بجهادهم

﴿سورة الجاثية مكية الا قل للذين آمنوا الآية وهي ست أو سبع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (ان في السموات والارض) أي خلقهما (لآيات) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (للمؤمنين وفي خلقكم) أي في خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة الى أن صار انسانا (و) خلق ما يبث يفرق في الارض (من دابة) هي ما يدب على الارض من الناس وغيرهم (آيات لقوم يوقنون) بالبعث

أي لان النظر للقفا مما يحزن ولا حزن في الجنة (قوله يقدر قبله الامر) أي فهو مبتدأ وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ماقبلها (قوله وزوجناهم) عطف على قوله يلبسون (قوله من التزويج) أي وهو جعل الشئ زوجا والمعنى جعلناهم اثنين اثنين فقوله أو قرناهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالعقد فانه لا قائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله بنساء بيض) تفسير للحور وقوله واسعات الاعين تفسير العين وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقا وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها واختلف هل الافضل في الجنة نساء الدنيا أو الحور العين والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روي ان الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدعون) حال من الهاء في زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير في آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبري وبهذا اندفع ماقيل كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلا وهذا القول وان كان يدفع الاشكال الا أن مجئ الا بمعنى بعد لم يرد وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعا والمعنى لكن الموتة الاولى قد ذاقوها (قوله منصوب بتفضل) أي على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أي لانه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب (قوله فانما يسرناه بلسانك) هذا اجمال لما فصل في السورة كأنه قال ذكرهم بهذا الكتاب المبين فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم (قوله لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله فارتقب (قوله فارتقب انهم مرتقبون) أشار المفسر الى أن مفعول كل محذوف قدر الاول بقوله هلاكهم والثاني بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أي فهو منسوخ لان معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم

﴿سورة الجاثية﴾

سميت باسم كلمة منها وهي قوله وترى كل أمة جاثية وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة (قوله مكية الا قوله قل للذين آمنوا الخ) أي الى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقتادة قالا انها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه عابه عبد الله بن أبي فاراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت في عمر أيضا شتمه رجل في مكة من الكفار فاراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أي متعلق بمحذوف تقديره كائن (قوله العزيز في ملكه) أي الغالب على أمره (قوله الحكيم في صنعه) أي الذي يضع الشئ في محله فاقتضت حكمته تعالى انزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ان في السموات والارض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة في ثلاث فواصل وختم الاولى بالمؤمنين والثانية بيوقنون والثالثة بيعقلون ووجه التغاير ان الانسان اذا تأمل في السموات والارض وانه لا بد لهما من صانع آمن واذا نظر في خلق نفسه ونحوها ازداد يقينا واذ نظر في سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه (قوله أي في خلقهما) اشار بذلك الى ان الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض وما في سورة آل عمران ان في خلق السموات والارض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لانه اسم ان وأما ما يأتي في قوله آيات لقوم يوقنون وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على أن قوله في خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة ان في السموات والنصب على ان آيات معطوف على آيات الاول الذي هو اسم ان وقوله وفي خلقكم معطوف على قوله في السموات والارض الواقع خبرا لان ففيه العطف على معمولي عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله وخلق ما يبث) أشار بذلك الى أنه معطوف على خلقكم المجرور بفي على حذف مضاف (قوله هي ما يدب) أي يتحرك

(قوله

(و) في (اختلاف الليل والنهار) ذهابهما ومجيئهما (وما أنزل الله من السماء من رزق) مطر لانه سبب الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها
وتصريف الرياح) تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيات لقوم يعقلون) الدليل فيؤمنون

(تلك) الآيات المذكورة (آيات الله) حججه الدالة على وحدانيته (نتلوها) نقصها (عليك بالحق) متعلق بنتلو (فبأى حديث بعد الله) أي حديثه وهو القرآن (وآياته) حججه (يؤمنون) أي كفار مكة أي لا يؤمنون وفي قراءة بالتاء (ويل) كلمة عذاب (لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير الاثم (يسمع آيات الله) القرآن (تتلى عليه ثم يصر) على كفره (مستكبرا) متكبرا عن الايمان (كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم) مؤلم (واذا علم من آياتنا) أي القرآن (شيأ اتخذها هزؤا) أي مهزوا بها (أولئك) أي الافاكون (لهم عذاب مهين) ذو اهانة (من ورائهم) أي أمامهم لانهم في الدنيا (جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا) من المال والفعال (شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله) أي الاصنام (أولياء ولهم عذاب عظيم هذا) أي القرآن (هدى) من الضلالة (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب) حظ (من رجز) أي عذاب (أليم) موجع

(الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك) السفن (فيه بأمره) باذنه (ولتبتغوا) تطلبوا بالتجارة (من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموات) من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (وما في الارض) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها أي خلق ذلك لمنافعكم (جميعا) تأكيد (منه) حال أي سخرها كائنة منه تعالى (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فيؤمنون (قل للذين آمنوا يغفروا للذين

(قوله وفي اختلاف الليل والنهار) أشار المفسر الى أن حرف الجر مقدر ويؤيده القراءة الشاذة باثباته (قوله بعد موتها) أي يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة نتلوها حال (قوله الآيات المذكورة) أي وهي السموات والارض وما بعدهما (قوله متعلق بنتلو) أي على انه عامل فيه مع كونه حالا والباء للملابسة (قوله أي لا يؤمنون) أشار بذلك الى ان الاستفهام انكاري (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كلمة عذاب) أي فيطلق على العذاب ويطلق على واد في جهنم (قوله كذاب) أي كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الاثم) أي المعاصي (قوله يسمع آيات الله) اما مستأنف أو حال من الضمير في أثيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصر على كفره) ثم للترتيب الرتبي والمعنى ان اصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الادلة المذكورة وسماعه اياها (قوله كأن لم يسمعها) كأن مخففة حذف منها ضمير الشأن والجملة اما مستأنفة أو حال (قوله فبشره بعذاب أليم) سماه بشارة تهكما بهم لان البشارة هي الخبر السار (قوله واذا علم من آياتنا شيأ) أي اذا بلغه شيء وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله في الزقوم انه الزبد والتمر وقوله في خزنة جهنم ان كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدي (قوله اتخذها هزوا) أنث الضمير مع أنه عائد على شيأ وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية ويصح عوده على آياتنا (قوله أي الافاكون) جمع باعتبار معنى الافاك وراعى أولا لفظه فافرد (قوله أي أمامهم) أشار بذلك الى ان الوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الامام كالجون يستعمل في الابيض والاسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما اما مصدرية أي كسبهم أو موصولة أي الذي كسبوه وهذان الوجهان يجريان في قوله ولا ما اتخذوا ومقتضى عبارة المفسر انهما فيهما موصولة حيث قال في الاول من المال والفعال وقال في الثاني أي الاصنام (هذا هدى) أي لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون ووبال وخسران على الكفار قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا (قوله الله الذي سخر لكم البحر) أي حلوا أو ملحا والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بان جعله أملس الظاهر مستويا شفافا يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه (قوله باذنه) أي ارادته ومشيئته ولو شاء لم تجر (قوله بالتجارة) أي والحج والغزو وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية (قوله ولعلكم تشكرون) أي تصرفون النعم في مصارفها (قوله وغيره) أي كالملائكة فانهم مسخرون لاهل الارض يدبرون معاشهم وهذا سر قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية (قوله تأكيد) أي حال مؤكدة (قوله حال) أي من ما ويصح أن يكون صفة لجميعا والمعنى على الاول سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه أي مخلوقة له وعلى الثاني جميعا كائنا منه تعالى (يتفكرون) أي يتأملون في تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل ما فعلوا واختلف في هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس انهم كانوا في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال له المريسيع فارسل عبد الله ابن أبي غلامه يستقي الماء فابطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فنزلت هذه الآية وقيل مكية وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر بمكة فهم عمر أن يبطش به فنزلت أو كما قال السدي ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى كثير من المشركين

لايرجون) يخافون (أيام الله) وقائعه أي اغفر والكفار ما وقع منهم من الاذى لكم وهذا قبل الامر بجهادهم (ليجزي) أي الله وفي قراءة بالنون (قوما بما كانوا يكسبون) من الغفر للكفار اذاهم (من عمل صالحا فلنفسه) عمل (ومن أساء فعليها) أساء (ثم الى ربكم ترجعون) تصيرون فيجازي المصلح والمسيء (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) التوراة (والحكم) به بين الناس (والنبوة) لموسى وهرون منهم (ورزقناهم من الطيبات) الحلالات كالمن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) عالمي زمانهم العقلاء (وآتيناهم بينات من الامر) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فما اختلفوا) في بعثته (الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) أي لبغي حدث بينهم حسدا له (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك) يا محمد (على شريعة) طريقة (من الامر) أمر الدين (فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) في عبادة غير الله (انهم لن يغنوا) يدفعوا (عنك من الله) من عذابه (شيأ وان الظالمين) الكافرين (بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) المؤمنين (هذا) القرآن (بصائر للناس) معالم يتبصرون بها في الاحكام والحدود (وهدى ورحمة لقوم يوقنون) بالبعث (أم) بمعنى همزة الانكار (حسب الذين اجترحوا) اكتسبوا (السيآت)

قبل أن يؤمروا بالجهاد فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وماذكره المفسر فيه اشارة الى هذا الاخير (قوله لايرجون أيام الله) أي لايتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب أي وقائعهم وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان الرجاء باق على معناه الاصلي والمراد بالايام مطلق الاوقات والمعنى لايؤملون الاوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم (قوله أي اغفر والكفار) أشار بذلك الى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله يغفروا وهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا يغفروا (قوله وهذا قبل الامر بجهادهم) أي فهو منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية وأما على أنها مدنية فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون ان محمدا يقتل أصحابه حتى جاء الاذن بتمييزهم وقيل انها ليست منسوخة بل هي محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما يصدر عنهم من الكلام المؤذي (قوله ليجزي قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهو ما مشى عليه المفسر وقيل الكافرون وقيل كل منهما فالتنكير للتعظيم أو التحقير أو التنويع (قوله وفي قراءة بالنون) أي وهي سبعية أيضا (قوله اذاهم) مفعول للغفر الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء قوله ولقد آتينا بني اسرائيل الخ) المقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لاتحزن على كفر قومك فاننا آتينا بني اسرائيل الكتاب والنعم العظيمة فلم يشكروا بل أصروا على الكفر (قوله التوراة) انما اقتصر عليها لكونها تغني عن غيرها من كتبهم ولا يغني غيرها عنها فان فيها أحكام شرعهم والا ففي الحقيقة كتب بني اسرائيل ثلاثة التوراة والانجيل والزبور (قوله والحكم) أي الفصل بين الخصوم وهذه نعم دينية وقوله ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها (قوله كالمن والسلوى) أي في أيام التيه (قوله العقلاء) تقدم ما فيه وان الاولى التعبير بالثقلين (قوله وآتيناهم) أي بني اسرائيل في التوراة والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وانهم يؤمنون به ان ظهر بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا في بعثته الخ) أي وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم والشرع في كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضي بينهم) أي بالمؤاخذة والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول لجعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثاني والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة والمراد هنا ما شرعه الله لعباده من الدين سمي شريعة لانه يقصد ويلجأ اليه كما يلجأ الى الماء من العطش (قوله من الامر) يطلق على مقابل النهي وعلى الشأن ويصح ارادة كل منهما والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام التي كان عليها ابراهيم ولا شك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما التغاير في الفروع (قوله أهواء الذين لا يعلمون) أي وهم رؤساء قريش حيث قالوا ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك وأسن (قوله انهم لن يغنوا عنك) تعليل لما قبله وقوله وان الظالمين عطف على ما قبله من تتمة التعليل (قوله أولياء بعض) أي في الدنيا ولا ولي لهم في الآخرة يزيل عنهم العقاب (قوله والله ولي المتقين) أي في الدنيا والآخرة لانهم اتقوا الشرك (قوله هذا بصائر) مبتدأ وخبر وجمع الخبر باعتبار ان المبتدأ مشار به الى ما تقدم من الآيات ولا شك أنه جمع (قوله معالم) جمع معلم وهو في الاصل الاثر الذي يستدل به على الطريق والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس في الاحكام وتدلهم عليها (قوله وهدى) أي من الضلالة (قوله ورحمة) أي احسان (قوله لقوم يوقنون) أي يطلبون اليقين وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أم بمعنى همزة الانكار) أي فهي منقطعة تقدر تارة بالهمزة وحدها أو ببل وحدها أو بهما معا والمراد انكار الحسبان أي الظن والمعنى لا ينبغي أن يكون والا فالظن قد وقع بالفعل (قوله الذين اجترحوا السيآت) فاعل حسب وجملة ان نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبي الذين اجترحوا السيآت عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والذين آمنوا وعملوا الصالحات علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي

الله ر

الكفر والمعاصي (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء) خبر (محياهم ومماتهم) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضمير ان للكفار المعنى احسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين أي في رغد من العيش مساو لعيشهم في الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ما تعطون قال تعالى على وفق انكاره بالهمزة (ساء ما يحكمون) أي ليس الامر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية أي بئس حكما حكمهم هذا (وخلق الله السموات و) خلق (الارض بالحق) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (ولتجزى كل نفس بما كسبت) من المعاصي والطاعات فلا يساوي الكافر المؤمن (وهم لا يظلمون أفرأيت) أخبرني (من اتخذ الهه هواه) ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وأضله الله على علم) منه تعالى أي عالما بانه من أهل الضلالة قبل خلقه (وختم على سمعه وقلبه) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وجعل على بصره غشاوة) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثاني لرأيت أيهتدي (فمن يهديه من بعد الله) أي بعد اضلاله اياه أي لا يهتدي (أفلا تذكرون) تتعظون فيه ادغام احدى التاءين في الذال (وقالوا) أي منكر والبعث (ما هي) أي الحياة (الا حياتنا) التي في (الدنيا نموت ونحيا) أي يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (وما يهلكنا الا الدهر) أي مرور الزمان قال تعالى (وما لهم بذلك)

الله عنهم حين برزوا اليهم يوم بدر وقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا انهم يعطون في الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما اخبر الله عنهم في قوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى (قوله سواء خبر) أي على قراءة الرفع وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أي من المبتدا والخبر (قوله بدل من الكاف) أي الداخلة على الموصول (قوله أي ليس الامر كذلك) أشار بذلك الى ان همزة الانكار للنفي وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله ساء ما يحكمون فانه مرتبط بما قبله والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي رحمة الله ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب المخلد في الممات ولا يعتبر توسعة العيش في الدنيا فانها بحسب القسمة الازلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أي بئس حكما الخ) مقتضى هذا الحل ان ما تمييز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافي كونها مصدرية لانها في تلك الحالة تكون فاعلا فالمناسب لجعلها مصدرية ان يقول ساء الحكم حكمهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من تتمة قوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الخ وهو كالدليل له كانه قال لا يستوي المؤمن والكافر بدليل ان الله خلق السموات والارض بالحق أي للعبر والاستدلال ولم يترك العباد سدى ويجازي كل نفس بما كسبت فلا يستوي جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أي على أنه حال من الفاعل أو المفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره اشارة الى أن قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أي النفوس المدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لا يظلمون) أي لا ينقص من ثواب المؤمن ولا يزاد في العذاب على ما يستحقه الكافر (قوله أخبرني) تقدم أن فيه مجازين حيث أطلق الرؤية وأراد الاخبار ثم أطلق الاستفهام على الاخبار وأراد الامر به وقوله من اتخذ الهه الخ مفعول أول لرأيت والمعنى ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده (قوله من حجر) أي وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أو غير عاقل فالكفر هو العبادة بان يتقرب الى غيره كما يتقرب اليه وأما زيارة الصالحين والانبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هي من باب التسبب في نفع الغير لان الرضى عن الاولياء والصلاة والسلام على الانبياء دعاء للغير بذلك ولا شك ان ذلك الغير ينتفع به والمتسبب له مثله لما ورد ان الملك يقول له ولك مثل ذلك فآل الامر الى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لان احب عباد الله الى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذو والجهل المركب والعقيدة الزائغة (قوله أي عالما بانه من أهل الضلالة) اشار بذلك الى ان قوله على علم حال من الفاعل ويصح ان يكون حالا من المفعول والمعنى أضله في حال كونه عالما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الالف قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الغين وضمها واثبات الالف أو بكسر الغين وحذف الالف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثاني) أي وانما حذف لدلالة فمن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير اذ يصح أن تكون هي المفعول الثاني وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف الاول قوله اتخذ الخ الثاني قوله وأضله الخ الثالث قوله وختم الخ الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتض للضلالة فلا يمكن ايصال الهدى اليه بوجه من الوجوه (قوله احدى التاءين) أي الثانية (قوله أي الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أي يموت بعض الخ) دفع بذلك ما يقال ان قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع انهم ينكرونها ويجاب أيضا بان الآية فيها تقديم وتأخير أي نحيا ونموت (قوله أي مرور الزمان) أي فكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا ولذلك رد

المقول (من علم ان) ما (هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث (بينات) واضحات

حال (ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا) أحياء (ان كنتم صادقين) انانبعث (قل الله يحييكم حين كنتم نطفا (ثم يميتكم ثم يجمعكم) أحياء (الى يوم القيامة لاريب) شك (فيه ولكن أكثر الناس) وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة) يبدل منه (يومئذ يخسر المبطلون) الكافرون أى يظهر خسرانهم بأن يصيروا الى النار (وترى كل أمة) أى أهل دين (جاثية) على الركب أو مجتمعة (كل أمة تدعى الى كتابها) كتاب أعمالها ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى جزاءه (هذا كتابنا) ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ) نثبت ونحفظ (ما كنتم تعملون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) جنته (ذلك هو الفوز المبين) البين الظاهر (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتى) أى القرآن (تتلى عليكم فاستكبرتم) تكبرتم (وكنتم قوما مجرمين) كافرين (واذا قيل) لكم أيها الكفار (ان وعد الله) بالبعث (حق والساعة) بالرفع والنصب (لا ريب) شك (فيها قلتم ما ندرى

عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذى يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر فقال تعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار * والحاصل ان فرقة من الكفار يسمون الدهرية ينسبون الفعل ضرا ونفعا للزمان فرد عليهم بما تقدم (قوله المقول) أى وهو قولهم ما هى الا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أى ظاهرات (قوله حال) أى من آياتنا (قوله ما كان حجتهم) بالنصب خبر كان وقوله الا أن قالوا اسمها أى الا قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله ائتوا بآبائنا) أى الذين ماتوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم ما يهلكنا الا الدهر (قوله وهم) أى الاكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله ولله ملك السموات والارض) تعميم بعد تخصيص (قوله ويوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين فى يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو بدل توكيدى (قوله أى يظهر خسرانهم) جواب عما يقال ان خسرانهم متحتم فى الازل (قوله وترى كل أمة جاثية) رأى بصرية وكل مفعولها وجاثية حال واختلف هل الجثى خاص بالكفار وبه قال يحيى بن سلام وقيل عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ما ورد ان فى القيامة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم عليه السلام ينادى لا أسألك اليوم الا نفسى وذلك لان الحضرة فى ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة الى ان يحصل التمييز والجثو وضع الركبتين بالارض مع رفع الاليه ونصب القدمين ويطلق على الجلوس على اطراف القدمين مع وضع الركب بالارض وكل من المعنيين يدل على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أو لحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع فى قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى الى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم (قوله ويقال لهم) قدره اشارة الى أن الجملة مقولة لقول محذوف واليوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثانى ونائب الفاعل مفعول أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أى يدل عليه لانهم يقرؤنه فيذكرهم بما فعلوا لقوله تعالى ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (قوله انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه ان لله ملائكة مطهرين ينسخون من أم الكتاب فى رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بنى آدم فى العام كله ويعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدون ما كتبه الحفظة على بنى آدم موافقا لما فى أيديهم وقيل ان الملائكة الحفظة اذا رفعت أعمال العباد الى الله عز وجل أمر بان يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله نثبت ونحفظ) أى فالمراد بالنسخ الاثبات والنقل اما من اللوح المحفوظ أو من صحف الكتبة كما علمت (قوله فاما الذين آمنوا الخ) تفصيل لما أجمل فى قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى مع السابقين فلا ينافى أن المؤمن وان لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لا مع السابقين بل اما بعد الحساب أو بعد الشفاعة فلا يقال ان التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الايمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) انما فسر العام بالخاص لان الجنة اثر الرحمة التى تستقر الخلائق فيها وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة (قوله الفوز) أى بلوغ الآمال والظفر بالمقصود (قوله المبين) أى الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره اشارة الى ان جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتى الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أتركتم الايمان بالرسل فلم تكن الخ (قوله واذا قيل ان وعد الله حق) هذا من جملة ما يقول لهم وحينئذ فيصير المعنى وكنتم اذا قيل لكم ان وعد الله حق الخ (قوله ان وعد الله حق) بكسر ان فى قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذا بفتحها اجراء للقول مجرى الظن فى لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لا ريب فيها خبره والنصب عطف على اسم ان (قوله ما ندرى

ما

ما الساعة ان) ما (نظن الا ظنا) قال المبرد أصله ان نحن الا نظن ظنا (وما نحن بمستيقنين) أنها آتية (وبدا) ظهر (لهم) في

ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله ان نظن الا ظنا) ان قلت ما الجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله ان هي الا حياتنا الدنيا فان ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد أنهم شاكون فيه ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنفي البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال ان ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغا مع أن المقرر في النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات الا المفعول المطلق فلا يقال ما ضربت الا ضربا بالاتحاد مورد النفي والاثبات لانه يصير في قوة ما ضربت الا ضربت ولا فائدة في ذلك فأجاب المفسر بأن الآية مؤولة بأن مورد النفي محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظنا فكلمة الا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم في الظن ونفي ما عداه (قوله وما نحن بمستيقنين) مبالغة في نفي ما عدا الظن عنهم (قوله أي جزاؤها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله نترككم في النار) أشار بذلك الى أن المراد من النسيان الترك مجازا لان الترك مسبب عن النسيان فان من نسي شيأ تركه فسمي السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أي تركتم العمل للقائه) أشار بذلك الى أنه من اضافة المصدر الى ظرفه على حد مكر الليل وفي الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقاء الله في يومكم هذا ولا يصح أن يكون من اضافة المصدر لمفعوله لان التوبيخ على نسيان ما في اليوم من الجزاء لا على نفس اليوم (قوله ذلكم) أي العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أي بسبب اتخاذكم (قوله فاليوم لا يخرجون الخ) فيه التفات من الخطاب للغيبة ونكتته الاشارة الى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لانها لا تنفع يومئذ) أي وأما في الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان فالذي ينبغي للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات (قوله على وفاء وعده في المكذبين) أي وللمؤمنين وانما اقتصر على المكذبين دفعا لما يتوهم أنه تعالى انما يحمد على الفضل فأفاد أنه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل لان أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أي في المواضع الثلاثة ويصح أن يكون نعتا للفظ الجلالة (قوله وله الكبرياء) أي آثارها لان وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى وانما تظهر آثارها في السموات والارض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى في السموات والارض وما فيهما من آثار كبريائه سبحانه وتعالى لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته (قوله حال) ويصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لانه مصدر (قوله وهو العزيز الحكيم) أي الغالب الذي يضع الشيء في محله

﴿ سورة الاحقاف ﴾

سيأتي أن الاحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد وقيل انه جمع حقف وهو التل من الرمل ولا منافاة بين القولين اذ لا مانع من كون التلال في منازل عاد (قوله الا قوله تعالى قل أرأيتم الخ) أي بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام اذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن الا بالمدينة وأما على أن المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أي وآخرها قوله أساطير الاولين وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهي أربع أو خمس الخ) هذا الخلاف مبني على أن حم تعد آية مستقلة أو لا (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة ان هذا القول هو الاسلم وهو طريقة السلف في تفويض علم المتشابه لله تعالى (قوله من الله) أي لم يخترعه من نفسه ولم ينقله من بشر ولا من جني كما قال الكفار (قوله الحكيم في صنعه) أي الذي أتقن كل شيء (قوله الا بالحق) هذا هو مصب النفي وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا) أي وباقي الصفات الكمالية وتنزهه عن النقائص لان بالخلق يعرف الحق لان كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف أي والا بتقدير

الآخرة (سيآت ما عملوا) في الدنيا أي جزاؤها (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أي العذاب (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في النار (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) أي تركتم العمل للقائه (ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) مانعين منها (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله) القرآن (هزؤا وغرتكم الحياة الدنيا) حتى قلتم لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يخرجون) بالبناء للفاعل وللمفعول (منها) من النار (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لانها لا تنفع يومئذ (فلله الحمد) الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين (رب السموات ورب الارض رب العالمين) خالق ما ذكر والعالم ما سوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ورب بدل (وله الكبرياء) العظمة (في السموات والارض) حال أي كائنة فيهما (وهو العزيز الحكيم) تقدم

﴿ سورة الاحقاف ﴾

مكية الا قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية والا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل الآية والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهي أربع أو خمس وثلاثون آية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (حم) الله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا) خلقا (بالحق) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وأجل مسمى) الى فنائهما يوم القيامة

والذين كفروا عما أنذروا) خوفوا به من العذاب (معرضون قل أرأيتم) أخبروني (ما تدعون) تعبدون (من دون الله) أي الاصنام مفعول اول (أروني) أخبروني تأكيد (ماذا خلقوا) مفعول ثان (من الارض) بيان ما (أم لهم شرك) مشاركة (في) خلق (السموات) مع الله وأم بمعنى همزة الانكار (ائتوني بكتاب) منزل (من قبل هذا) القرآن (أو أثارة) بقية (من علم) يؤثر عن الاولين بصحة دعواكم في عبادة الاصنام أنها تقربكم الى الله (ان كنتم صادقين) في دعواكم (ومن) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (أضل ممن يدعو) يعبد (من دون الله) أي غيره (من لا يستجيب له الى يوم القيامة) وهي الاصنام لا يجيبون عابديهم الى شيء يسألونه أبدا (وهم عن دعائهم) عبادتهم (غافلون) لانهم جماد لا يعقلون (واذا حشر الناس كانوا) أي الاصنام (لهم) لعابديهم (أعداء وكانوا بعبادتهم) بعبادة عابديهم (كافرين) جاحدين (واذا تتلى عليهم) أي أهل مكة (آياتنا) القرآن (بينات) ظاهرات حال (قال الذين كفروا) منهم (للحق) أي القرآن (لما جاءهم هذا سحر مبين) بين ظاهر (أم) بمعنى بل وهمزة الانكار (يقولون افتراه) أي القرآن (قل ان افتريته) فرضا (فلا تملكون لي من الله) أي من عذابه (شيأ) أي لا تقدرون على دفعه عني اذا عذبني الله (هو أعلم بما تفيضون فيه) تقولون في القرآن (كفى به) تعالى (شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور) لمن تاب (الرحيم) به فلم يعاجلكم بالعقوبة (قل ما كنت بدعا) بديعا (من الرسل) أي أول مرسل قد سبق قبلي كثير منهم فكيف تكذبوني (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) في الدنيا أأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالانبياء قبلي أو ترموني بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم (ان) ما (أتبع الا ما يوحى الي) أي القرآن ولا أبتدع من عندي شيأ

أجل مسمى لان الاجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون خبره وقوله عما أنذروا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله والاولى أن يقدر منصوبا لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول خوفوه (قوله تأكيد) أي لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أي ان الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثاني (قوله بيان ما) أشار بذلك الى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول ويصح ان ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الانكار) أي وبل الاضرابية فهي منقطعة (قوله ائتوني بكتاب) الامر للتبكيت وفيه اشارة الى نفي الدليل النقلي بعد الاشارة الى نفي الدليل العقلي (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصا بقوله منزل والمناسب أن يقدره عاما من مادة الكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لأثارة وهي مشتقة من الاثر الذي هو الرواية أو العلامة أو من أثرت الشيء أثيره أثارة استخرجت بقيته والمعنى ائتوني برواية أو علامة أو بقية من علم يؤثر عن الانبياء أو العلماء (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فائتوني (قوله ومن أضل الخ) مبتدأ وخبر (قوله من لا يستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صلتها وهي معمولة ليدعو والمعنى لا أحد أضل من شخص يعبد شيأ لا يجيبه أو الشيء الذي لا يجيبه ولا ينفعه في الدنيا والآخرة (قوله الى يوم القيامة) الغاية داخلة في المغيا وهو كناية عن عدم الاستجابة في الدنيا والآخرة (قوله وهم الاصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء مجاراة لما يزعمه الكفار (قوله لانهم جماد) أشار بذلك الى أن المراد بالغفلة عدم الفهم (قوله واذا حشر الناس) أي جمعوا بعد اخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أي منكرين وهذا نظير قوله تعالى وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون (قوله حال) أي من آياتنا (قوله قال الذين كفروا) أظهر في مقام الاضمار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق والا فمقتضى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أي حين جاءهم (قوله ظاهر) أي باهر لا يعارض الا بمثله (قوله أم يقولون الخ) ترق في الانكار وانتقال الى ما هو أشنع (قوله فرضا) أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون لي من الله شيأ) أي فهو المتولي أموري ولا أحد يقدر على دفع ما أصابني منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون وتتكلمون في القرآن بقولكم هو شعر هو سحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيدا بيني وبينكم) أي فيشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالتكذيب والانكار (قوله الرحيم به) المناسب أن يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أي بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه وفيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين والرحمة بجميع العباد اشارة الى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعا) أشار بذلك الى أن بدعا صفة كحق وحقيق وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدرا على حذف مضاف أي ذا بدع وقرئ شذوذا بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة أي ما كنت صاحب بدع وبفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهي معلقة لادري عن العمل فهي سادة مسد مفعوليها ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فنسخت هذه الآية وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى ليغفر لك الله

ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآيات فقالت الصحابة هنيأ لك يا رسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار الآية ونزلت وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فهذه الآية نزلت في أوائل الاسلام قبل بيان مآل النبي والمؤمنين والكافرين والا فما خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله في القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة اجمالا وتفصيلا (قوله وما أنا الا نذير مبين) الحصر اضافي أي منذر من الله لا مخترع من تلقاء نفسي فلا ينافي أنه بشير أيضا (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك الى أن مفعولي أرأيتم محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أي وكذا ما بعدها من الجمل الثلاث ويصح جعل الجمل الاربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتي بما عطف عليه يعني من الجمل الاربع فيه تلفيق ويمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوي (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته ما في التوراة من نعته صلى الله عليه وسلم (قوله أي عليه) أشار بذلك الى أن مثل صلة (قوله ألستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لان الجملة التي فعلها جامد اذا وقعت جوابا للشرط لزمت الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعما منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلموا أن رحمة الله يخص بها من يشاء ولا سيما من لم تكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه وردأن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (قوله أي في حقهم) أشار بذلك الى أن اللام بمعنى في ويصح أن تبقى على بابها (قوله لو كان الايمان الخ) أشار بذلك الى أن الضمير في كان عائد على الايمان ويصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلها معان متلازمة (قوله ما سبقونا اليه) التفات من الخطاب الى الغيبة وكان مقتضى الظاهر ما سبقتمونا اليه والضمير في اليه عائد على ما عاد عليه ضمير كان (قوله واذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغيانا وليس قوله فسيقولون عاملا فيه لامرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلا لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها وبين الماضي والاستقبال تضاد فان الفعل مستقبل واذ للماضي (قوله افك قديم) أي من قول الاقدمين أتى به هو ونسبه الى الله تعالى فهو كقولهم أساطير الاولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهو رد لقولهم هذا افك قديم والمعنى لا يصح كونه افكا قديما مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم الى حكمه فان القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين (قوله حالان) أي من كتاب موسى (قوله مصدق للكتب قبله) أي كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية (قوله حال من الضمير في مصدق) ويصح أن يكون حالا من كتاب وعربيا صفة للسان (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله وبشرى للمحسنين) أشار المفسر بتقدير الضمير الى أنه خبر لمبتدا محذوف والجملة حالية ويصح أن يكون معطوفا على مصدق فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطف على محل قوله لينذر كأنه قال للانذار والبشارة (قوله ان الذين قالوا ربنا الله) أي وحدوا ربهم وقوله ثم استقاموا الاستقامة هي العلم والعمل وأتى بثم اشارة الى أن اعتبار العلم والعمل انما يكون بعد التوحيد وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للمخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أي من موقف حضور الموت الى ما لا نهاية له فيأمنون من الفتانات وسؤال الملكين وعذاب القبر وهول الموقف والنار (قوله ولا هم يحزنون) أي على ما فاتهم في الدنيا (قوله أولئك أصحاب الجنة) أي هي لهم بالاصالة (قوله حال) أي من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الانسان بوالديه) لما كان حق الوالدين عظيما بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما اثر ما يتعلق بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لان الانسان يختلف حاله مع أبويه فقد يبرهما فيكون ملحقا بأهل الجنة وقد يعقهما فيكون ملحقا بأهل النار

(وما أنا الا نذير مبين) بين الانذار (قل أرأيتم) اخبروني ماذا حالكم (ان كان) أي القرآن (من عند الله وكفرتم به) جملة حالية (وشهد شاهد من بني اسرائيل) هو عبد الله بن سلام (على مثله) أي عليه أنه من عند الله (فآمن) الشاهد (واستكبرتم) تكبرتم عن الايمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين دل عليه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين آمنوا) أي في حقهم (لو كان) الايمان (خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا) أي القائلون (به) أي بالقرآن (فسيقولون هذا) أي القرآن (افك) كذب (قديم ومن قبله) أي القرآن (كتاب موسى) أي التوراة (اماما ورحمة) للمؤمنين به حالان (وهذا) أي القرآن (كتاب مصدق) للكتب قبله (لسانا عربيا) حال من الضمير في مصدق (لينذر الذين ظلموا) مشركي مكة (و) هو (بشرى للمحسنين) المؤمنين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على الطاعة (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها) حال (جزاء) منصوب على المصدر بفعله المقدر أي يجزون (بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا)

وفي قراءة احسانا اي امرناه ان يحسن ... كرها) اي على مشقة (وحمله وفصاله) من الرضاع (ثلاثون شهرا) ستة أشهر أقل مدة الحمل والباقي أكثر مدة الرضاع وقيل ان حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي (حتى) غاية لجملة مقدرة أي وعاش حتى (اذا بلغ أشده) هو كمال قوته وعقله ورأيه أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وبلغ أربعين سنة) أي تمامها وهو أكثر الاشد (قال رب) الخ نزل في أبي بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أوزعني) ألهمني (أن اشكر نعمتك التي أنعمت) بها (علي وعلى والدي) وهي التوحيد (وأن أعمل صالحا ترضاه) فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله (وأصلح لي في ذريتي) فكلهم مؤمنون (اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك) أي قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل عنهم أحسن) بمعنى حسن (ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) حال أي كائنين في جملتهم (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) في قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (والذي قال لوالديه) وفي قراءة بالادغام أريد به الجنس (أف) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر

(قوله وفي قراءة) أي سبعية أيضا (قوله أي أمرناه الخ) تفسير لكل من القراءتين (قوله فنصب احسانا الخ) بيان لاعراب القراءتين على اللف والنشر المشوش والحسن والاحسان بمعنى واحد وهو جمال القول والفعل بأن يعظمهما ويوقرهما قولا وفعلا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله ووصينا واقتصر على ذكر الام لان حقها أعظم ولذلك قيل ان لها ثلثي الاجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أي على مشقة) أي في أثناء الحمل اذ لا مشقة في أوله (قوله وحمله) أي مدة حمله وقوله ثلاثون شهرا خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله ان حملت به ستة) أي من الشهور وقوله أرضعته الباقي أي من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أو احد وعشرون وقيل ان الآية عامة في كل انسان وقيل انها خاصة بمن نزلت في حقه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما روي أن أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته احدا وعشرين شهرا (قوله غاية لجملة مقدرة) أي معطوفة على قوله ووضعته أو مستأنفة (قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أي لان هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدن الانسان (قوله الخ) أي وآخرها قوله واني من المسلمين (قوله نزل) أي المذكور من قوله تعالى ووصينا الانسان الخ وحاصل ذلك أن أبا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى أبو بكر الى راهب هناك فسأله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى أحد الا هذا وهو نبي آخر الزمان فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوته واختصه برسالته آمن به أبو بكر الصديق رضي الله عنه وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل فقال رب أوزعني الآية (قوله ثم آمن أبواه) أي أبوه عثمان بن عامر بن عمرو وكنيته أبو قحافة وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أي واسمه محمد وكلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع هذا لاحد من الصحابة غير أبي بكر وامرأة أبي بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى وامرأة أبيها اسمها قيلة (قوله ألهمني) أي رغبني ووفقني (قوله فأعتق تسعة) أي اشتراهم من أيدي الكفار وخلصهم من أذاهم فهو عتق صوري ولم يرد شيئا من الخير الا أعانه الله عليه (قوله وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل الصلاح ساريا فيهم وعبر بفي اشارة الى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم (قوله فكلهم مؤمنون) أي فالصلاح مقول بالتشكيك يتحقق بأصل الايمان ويتزايدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أي قائل هذا القول) أشار بذلك الى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو ويتجاوز بالياء مبنيا للمفعول أو بالنون مبنيا للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالياء مبنيا للفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله حال) أي من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أي وعدهم الله وعد الصدق (قوله الذي كانوا يوعدون) أي في الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذي قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك الشخص الذي قال لوالديه الخ ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لا شخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهي واردة في كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هو الصحيح خلافا لمن شذ وقال ان هذه الآية نزلت في حق عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل اسلامه فانه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك ويرده أيضا قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفي قراءة بالادغام) أي وهي سبعية أيضا (قوله بكسر الفاء) أي مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أي من غير تنوين فالقراآت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى تنتنا وقبحا أو هو اسم صوت يدل على تضجر واسم فعل أتضجر والمفسر أشار لاثنين

أى نتنا وقبحا (لكما) أتضجر منكما (أتعدانى) وفى قراءة بالادغام (أن أخرج) ٦١ من القبر (وقد خلت القرون) الامم (من قبلي)
ولم تخرج من القبور
(وهما يستغيثان الله)
يسألانه الغوث برجوعه
ويقولان ان لم ترجع
(ويلك) أى هلاكك بمعنى
هلكت (آمن) بالبعث
(ان وعد الله حق فيقول
ما هذا) أى القول بالبعث
(الا أساطير الاولين)
أكاذيبهم (أولئك الذين
حق) وجب (عليهم القول)
بالعذاب (فى أمم قد خلت
من قبلهم من الجن
والانس انهم كانوا
خاسرين ولكل) من
جنس المؤمن والكافر
(درجات) فدرجات
المؤمنين فى الجنة عالية
ودرجات الكافرين فى
النار سافلة (مما عملوا) أى
المؤمنون من الطاعات
والكافرون من المعاصى
(وليوفيهم) أى الله وفى
قراءة بالنون (أعمالهم)
أى جزاءها (وهم لا
يظلمون) شيأ ينقص
للمؤمنين ويزاد للكفار
(ويوم يعرض الذين
كفروا على النار) بأن
تكشف لهم يقال لهم
(أذهبتم) بهمزة وبهمزتين
وبهمزة ومدة وبهما
وتسهيل الثانية (طيباتكم)
باشتغالكم بلذاتكم (فى
حياتكم الدنيا واستمتعتم)
تمتعتم (بها فاليوم تجزون
عذاب الهون) أى الهوان
(بما كنتم تستكبرون)
تتكبرون (فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تفسقون) به و يعذبون بها (واذكر أخا عاد) هو هود عليه السلام (اذ) الخ بدل اشتمال (أنذر قومه) خوفهم (بالاحقاف)

منها بقوله بمعنى مصدر و بقوله أتضجر منكما (قوله أى نتنا) النتن القذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ان أخرج) هذا هو الموعود به والباء محذوفة أى بأن أخرج وحذف الجار مع أن مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلي) الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعما منه أن الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستغيثان الله) اعلم ان مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة و بالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن الا متعدية بنفسها قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وان يستغيثوا يغاثوا فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسألانه الغوث) أى اغاثة ذلك الولد بتوفيقه للاسلام (قوله ويلك) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقولان الخ وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قائلين ويلك فهو فعل أمر (قوله آمن) أى صدق واعترف (قوله ان وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى التى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أمم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أمم الخ (قوله انهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تغليب لان مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لا بالجيم أو تسمح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية (قوله مما عملوا) أى من أجل ما عملوا من خير وشر (قوله وليوفيهم) عطف علة على معلول والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم (قوله أى جزاءها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أى من درجاتهم بل قد يزاد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أى فى دركاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبى طالب وأبى لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بأن تكشف لهم) أشار بذلك الى أن الكلام فيه قلب والاصل و يوم تعرض النار على الذين كفروا أى يكشف لهم عنها وأتى به كذلك لان عرض الشخص على النار أشد فى اهانته من عرض النار عليه لان عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المحمول للاحراق وانما كان فيه قلب لان المعروض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخرا بقوله و يعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدر عامل فى جملة أذهبتم وناصب ليوم على الظرفية (قوله أذهبتم طيباتكم) أى ما قدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه فى الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه فى الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر لخمس قراآت تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجمل فى ذلك فقوله بهمزة هى احدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أى محققتين بغير مد بينهما ثانيتهما قوله وبهمزة ومدة المناسب و بهمزتين محققتين ومدة وهى ثالثهما وقوله وبهما وتسهيل الثانية أى بمدة ودونها فقد تمت الخمس (قوله أى الهوان) أشار بذلك الى أنه من اضافة الموصوف لصفته (قوله بغير الحق) وصف كاشف لان الاستكبار لا يكون الا بغير الحق فان الكبر يا هو وصف الله وحده (قوله به) متعلق بتستكبرون وتفسقون وقدره اشارة الى أن العائد محذوف و يصح أن تكون مصدرية أى بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية و بالفسق الفواحش الظاهرية (قوله و يعذبون بها) عطف على يعرض عطف تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تقديمه وعلى بمعنى الباء (قوله واذكر أخا عاد) أى فى النسب لا فى الدين لان هودا هو وقومه ينتسبون لعاد (قوله هو هود) أى ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلا فى سورة هود (قوله بدل اشتمال) أى فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالاحقاف) حال من قومه أى أنذرهم والحال أنهم مقيمون بالاحقاف (قوله واد باليمن) أى فهو علم على الوادى لا جمع وقوله ومنازلهم

واد باليمن به منازلهم (وقد خلت النذر) مضت الرسل (من بين يديه ومن خلفه) أي من قبل هود ومن بعده الى أقوامهم (ان) أي بأن قال
(لا تعبدوا الا الله) وجملة وقد خلت معترضة (انى أخاف عليكم) ان عبدتم غير الله (عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا)

لتصرفنا عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب على عبادتها (ان كنت من الصادقين) في أنه يأتينا (قال) هود (انما العلم عند الله) هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب (وأبلغكم ما أرسلت به) اليكم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) باستعجالكم العذاب (فلما رأوه) أي ما هو العذاب (عارضا) سحابا عرض في أفق السماء (مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) أي ممطر ايانا قال تعالى (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح) بدل من ما (فيها عذاب أليم) مؤلم (تدمر) تهلك (كل شئ) مرت عليه (بأمر ربها) بارادته أي كل شئ أراد اهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والارض ومزقته وبقى هود ومن آمن معه (فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك) كما جزيناهم (نجزى القوم المجرمين) غيرهم (ولقد مكناهم فيما) في الذي (ان) نافية أو زائدة (مكناكم) يا أهل مكة (فيه) من القوة والمال (وجعلنا لهم سمعا) بمعنى أسماعا (وأبصارا وأفئدة) قلوبا (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ) أي شيأ من الاغناء ومن زائدة (اذ)

تفسير آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان في أول السورة وقيل ان الاحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والخلو بالنسبة لزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بهذه الجملة لبيان أن انذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصا بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أي مضى لك ذكرهم في القرآن مرارا فلا حاجة للاعادة فهو ذكر لباقي القصص اجمالا نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الاولين فتدبر (قوله أي من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والذين قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح وابراهيم واسمعيل واسحق وسائر بنى اسرائيل (قوله الى أقوامهم) متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين (قوله أي بأن) أشار بذلك الى ان أن اما مصدرية أو مخففة من الثقيلة والباء المقدرة للتصوير (قوله معترضة) أي بين الانذار ومعموله (قوله انى أخاف) علة لقوله أن لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هوله (قوله قالوا أجئتنا) أي جوابا لانذاره (قوله ان كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله انما العلم عند الله) أي علم وقت اتيان العذاب عند الله فلا علم لى بوقته ولا مدخل لى في استعجاله (قوله وأبلغكم ما أرسلت به اليكم) أي ان وظيفتى تبليغكم لا الاتيان بالعذاب اذ ليس في طاقتى وأبلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكنى) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أي ما هو العذاب) أشار بذلك الى أن الضمير في رأوه عائد على ما في قوله ما تعدنا (قوله سحابا عرض) أي فالعارض هو السحاب الذي يعرض في الافق (قوله مستقبل أوديتهم) أي متوجها اليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هي في قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف في الموضعين صفة للنكرة وهي عارضا وعارض (قوله أي ممطر ايانا) أي يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن قوله بل هو الخ من كلامه تعالى ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الاولى (قوله بدل من ما) أي أو خبر لمحذوف أي هي ريح (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لريح وكذا قوله تدمر (قوله أي كل شئ أراد اهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلكت رجالهم) قدر هذا ليعطف عليه قوله أصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريح أخذ المؤمنين ووضعهم في حظيرة وقيل خط حولهم خطا فكانت الريح لا تعدو الخط وجاءت الريح فأمالت الاحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقذفتهم في البحر (قوله وبقى هود ومن آمن معه) أي وهم أربعة آلاف وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهي معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أي صاروا (قوله لا ترى الا مساكنهم) بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة مبنيا للمفعول ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان والمعنى فصاروا لا يرى الا أثر مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيناهم) أي عادا (قوله ولقد مكناهم) أي عادا (قوله في الذي) أشار به الى أن ما موصولة (قوله نافية) أي بمعنى ما ولم يؤت بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكناعادا في الذي لم نمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أو زائدة) أي والمعنى ولقد مكنا عادا في مثل الذي مكناكم فيه ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم في الذي ان مكناكم فيه طغيتم وبغيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) أفرد السمع لان ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف ما بعده من الابصار والافئدة فانه يدرك بهما أشياء كثيرة (قوله أي شيأ) أشار بذلك الى ان من شئ مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد (قوله

معمولة

معمولة لاغنى) أى لنفيه فان التعليل للنفى والمعنى انتفى نفع هذه الحواس عنهم لانهم كانوا يجحدون الخ (قوله ولقد أهلكنا ما حولكم) الخطاب لاهل مكة (قوله من القرى) أى أهلها (قوله هلا) أشار بذلك الى ان لولا تحضيضية (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أى والمعنى فهلا دفع عنهم العذاب الاصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد أعاريب ويصح أن يكون آلهة الثانى وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) اضراب انتقالى من نفى الدفع عنهم الى غيبتها عنهم بالكلية والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله افكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأفك افكا وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا وبفتحات فعلا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافتراؤهم وهو الاحسن لتناسب المعطوفين (قوله أى فيه) أى فحذف الجار فاتصل الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا اليك نفرا من الجن ليعتبروا فان رسالتك عامة للانس والجن والملائكة وجميع الخلق لكن ارساله للانس والجن ارسال تكليف اجماعا وارساله للملائكة قيل ارسال تكليف بما يليق بهم وقيل ارسال تشريف وارساله لما عداهم من الحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف ورحمة (قوله نفرا) النفر بفتحتين والنفر والنفير من ثلاثة رجال الى عشرة (قوله نصيبين) أى وهى قرية باليمن (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة أو مفتوحة فواو فألف مقصورة هى قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل) الصواب أن يقول وكان ببطن نخلة لانه هو الذى فى طريق الطائف وأما بطن نخل فهو المكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو على مرحلتين من المدينة (قوله يصلى بأصحابه الفجر) فيه شئ اذ لم يثبت انه كان معه من الصحابة الا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات فالصواب أن يقول كان يصلى فى جوف الليل وعبارة المواهب ثم خرج عليه السلام الى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا الى مكة نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام فى جوف الليل يصلى الخ واعلم ان العلماء ذكروا فى سبب هذه الواقعة قولين أحدهما ان الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبى قالوا ما هذا الا لشئ حدث فى الارض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق ان النبى صلى الله عليه وسلم فى الحادية عشر من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج الى الطائف يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا الى مكة فقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمر به نفر من جن نصيبين كان ابليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب وعليه فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للارسال ثانيهما ان الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم وذلك لان الجن مكلفون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة ويأكلون فيها ويشربون كالانس فانهض النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال انى أمرت ان أقرأ على الجن الليلة القرآن فايكم يتبعنى فأطرقوا فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل النبى شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا وأمرنى أن أجلس فيه وقال لى لا تخرج حتى أعود اليك فانطلق حتى وصل اليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبى الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبى منهم مع الفجر

معمولة لاغنى وأشربت معنى التعليل (كانوا يجحدون بآيات الله) حججه البينة (وحاق) نزل (بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى العذاب (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) أى من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط (وصرفنا الآيات) كررنا الحجج البينات (لعلهم يرجعون فلولا) هلا (نصرهم) بدفع العذاب عنهم (الذين اتخذوا من دون الله) أى غيره (قربانا) متقربا بهم الى الله (آلهة) معه وهم الاصنام ومفعول اتخذ الاول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثانى وآلهة بدل منه (بل ضلوا) غابوا (عنهم) عند نزول العذاب (وذلك) أى اتخاذهم الاصنام آلهة قربانا (افكهم) كذبهم (وما كانوا يفترون) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى فيه (و) اذكر (اذ صرفنا) أملنا (اليك نفرا من الجن) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل يصلى بأصحابه الفجر رواه الشيخان

(يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا) ٦٤ أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اصغوا لاستماعه (فلما قضى) فرغ من قراءته (ولوا)

ورجعوا (الى قومهم منذرين) مخوفين قومهم العذاب ان لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا) هو القرآن (أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه) أى تقدمه كالتوراة (يهدى الى الحق) الاسلام (والى طريق مستقيم) أى طريقه (يا قومنا أجيبوا داعى الله) محمدا صلى الله عليه وسلم الى الايمان (وآمنوا به يغفر) الله (لكم من ذنوبكم) أى بعضها لان منها المظالم ولا تغفر الا برضا أصحابها (ويجركم من عذاب أليم) مؤلم (ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض) أى لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وليس له) لمن لا يجب (من دونه) أى الله (أولياء) أنصار يدفعون عنه العذاب (أولئك) الذين لم يجيبوا (فى ضلال مبين) بين ظاهر (أولم يروا) يعلموا أى منكرو البعث (أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن) لم يعجز عنه (بقادر) خبر أن وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة أليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى بلى) هو قادر على احياء الموتى (انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار) بأن يعذبوا بها

فانطلق الى فقال لى قد نعست فقلت لا والله ولكنى هممت أن آتى اليك لخوفى عليك فقال صلى الله عليه وسلم له لو خرجت لم آمن عليك أن يختطفك بعضهم فأولئك جن نصيبين فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن اختصموا فى قتيل قتل بينهم فتحاكموا الى فقضيت بينهم بالحق وكانت عدة هؤلاء الجن اثنى عشر ألفا وروى عن أنس قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة اذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها النغمة جنى فقال الشيخ أجل يارسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أى الجن أنت قال انى هام بن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال له النبى لم أرى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأجمله بين الانام فقال النبى بئس العمل فقال يارسول الله دعنى من العتب فانى ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين وأتيت هودا فعاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال والله انى لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنت به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به فى المنجنيق وكنت معه فى النار اذ ألقى فيها وكنت مع يوسف اذ ألقى فى الجب فسبقته الى قعره ولقيت موسى بن عمران وكنت مع عيسى بن مريم عليهما السلام فقال لى ان لقيت محمدا فاقرأ عليه السلام قال أنس فقال النبى وعليه السلام وعليك السلام ياهام ما حاجتك فقال ان موسى علمنى التوراة وان عيسى علمنى الانجيل فعلمنى القرآن قال أنس فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل ياأيها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين ولا منافاة بين هذه القصص فلعل الواقعة تعددت فاحداها كان فيها زيد بن حارثة والاخرى كان فيها عبد الله ابن مسعود والاخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه مراعاة لمعنى النفر ولو راعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أى القرآن أو الرسول (قوله اصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعى (قوله فلما قضى) بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالاولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا الى قومهم منذرين) أى بأمر الرسول عليه السلام لانه جعلهم رسلا الى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أى وقد أسلموا فى هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا اليهم وأنذروهم سبعون وقال العلماء ان الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفى مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع وروى أنهم أصناف ثلاثة صنف لهم أجنحة يطيرون بها وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون واختلف فى مؤمنى الجن فقيل لاثواب لهم الا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث وبعضهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الائمة الثلاثة هم يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون ويتنعمون وقيل انهم يكونون حول الجنة فى ربض ورحاب وليسوا فيها (قوله كالتوراة) أى والانجيل والزبور وغيرهما (قوله اى طريقه) أى الاسلام وهو الانقياد وطريقه الاعمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الامر (قوله ويجركم) أى يخلصكم وينجكم (قوله ومن لايجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس فى القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أولم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام الى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكر ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أى لم يضعف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال ان الباء لاتزاد الا فى خبر ليس وما كما قال ابن مالك * وبعد ما وليس جر البا الخبر * وان للاثبات (قوله لان الكلام الخ) حاصل الجواب أنها واقعة فى خبر ليس تأويلا (قوله بلى) هى جواب النفى ويصير بها اثباتا بخلاف نعم فانها تقرر ما قبلها نفيا أو اثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا اشارة لبعض ما يحصل

في

في يوم البعث من الاهوال اثر بيان اثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره اشارة الى أن يوم ظرف لمحذوف والى أن قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسم وانما أكدوا كلامهم بالقسم طمعا في الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقي المكاره والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولي العزم (قوله فكلهم ذوو عزم) أي حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد وقوله وقيل هي للتبعيض في كلامه اشارة لقولين في تفسير أولي العزم من جملة أقوال شتى وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الانعام ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا لبني اسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله الى الانبياء اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرائيل فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم أنزل بكم العذاب وأنجيت بني اسرائيل وان شئتم نجيتم وأنزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي الله بني اسرائيل فأنجى الله بني اسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق بالنار وقيل أولوا العزم أربعة ابراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثق بربه حين قال له قومه انا لمدركون فقال كلا ان معي ربي سيهدين وداود صبر على البكاء من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقعد تحت ظله وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكأن الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واثقا بي مهتما بما سلف منك زاهدا في الدنيا وقيل أولوا العزم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهو المعتمد لانهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) أي تاما لان ارادته الاكل من الشجرة غلبت ارادته عدم الاكل منها والا فكل نبي صاحب عزم غير أنهم يتفاوتون فيه على حسب مراتبهم قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) أي لاجلهم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) المناسب حذفه كما في عبارة غيره (قوله فانه نازل بهم) أي ولو في الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه (قوله الا ساعة من نهار) أي لان ما مضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانقضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك الى أن قوله بلاغ خبر لمحذوف (قوله تبليغ من الله اليكم) أي بلغكم الله اياه فآمنوا به أو المعنى موصل من عمل به وآمن الى الدرجات العلى لما ورد يقال له اقرأ وارق ويؤنسه في قبره وموصل من لم يعمل به الى الدركات السفلى (قوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون) أي لا يكون الهلاك والدمار الا للكافرين وأما من مات على الايمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هالك وهذه الآية أرجى آية في القرآن اذ فيها اطماع في سعة فضل الله ورحمته ﴿فائدة﴾ نقل القرطبي عن ابن عباس ان المرأة اذا تعسر وضعها تكتب هاتان الآيتان والكلمتان في صحفة ثم تغسل وتسقى منها فانها تلد سريعا وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون اهـ

﴿سورة القتال﴾

وتسمى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لذكر هذا الاسم فيها وسورة الذين كفروا لابتدائها بهذا اللفظ (قوله مدنية الخ) هذا القول منقول عن ابن عباس وقوله الا وكأين الخ أي فانها نزلت بمكة

يقال لهم (أليس هذا) التعذيب (بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر) على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (من الرسل) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ولا يونس لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت (ولا تستعجل لهم) لقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب في الآخرة لطوله (لم يلبثوا) في الدنيا في ظنهم (الا ساعة من نهار) هذا القرآن (بلاغ) تبليغ من الله اليكم (فهل) أي لا (يهلك) عند رؤية العذاب (الا القوم الفاسقون) أي الكافرون

﴿سورة القتال﴾

مدنية الا وكأين من قرية الآية

أو مكية وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الذين كفروا) من أهل مكة

(وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) أي الايمان (أضل) أحبط (أعمالهم) كاطعام الطعام وصلة الارحام فلا يرون لها في الآخرة ثوابا ويجزون بها في الدنيا من فضله تعالى (والذين آمنوا) أي الانصار وغيرهم (وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) أي القرآن (وهو الحق من ربهم كفر عنهم) غفر لهم (سيآتهم وأصلح بالهم) أي حالهم فلا يعصونه (ذلك) أي اضلال الاعمال وتكفير السيآت (بأن) بسبب أن (الذين كفروا اتبعوا الباطل) الشيطان (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق) القرآن (من ربهم كذلك) أي مثل ذلك البيان (يضرب الله للناس أمثالهم) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لان الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حتى اذا أثخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل (فشدوا) أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الوثاق) ما يوثق به الاسرى (فاما منا بعد) مصدر بدل من اللفظ بفعله أي تمنون عليهم باطلاقهم من غير شيء (واما فداء) أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حتى تضع الحرب) والفتح

الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا على فراقه وهذا مبني على أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف والصحيح ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها ولو بأرض مكة ورد أيضا بأنه في حجة الوداع خرج منها مختارا ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار اسلام وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذي في الآية وقيل انها نزلت لما خرج من مكة الى الغار مهاجرا وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح وسيأتي ايضاحه في تفسيرها (قوله أو مكية) هذا القول بالنظر لغالبها وهو ضعيف (قوله وثمان أو تسع الخ) وقيل أربعون آية والخلاف في قوله حتى تضع الحرب أوزارها وقوله لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أو من تتمة ما قبلها (قوله الذين كفروا) مبتدأ وقوله أضل أعمالهم خبره ومناسبة هذه الآية لآخر الاحقاف ظاهرة وذلك كان قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كاطعام طعام ونحوه والله لا يضيع أجر المحسنين فأجاب بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وأبطلها (قوله فلا يرون لها في الآخرة ثوابا) أي لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله ويجزون بها في الدنيا) أي بأن يوسع لهم في المال ويزاد لهم في الولد والعافية وغير ذلك حيث لم يقصدوا بها فخرا ولا رياء (قوله والذين آمنوا) أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله وعملوا الصالحات العطف يقتضي المغايرة فاستفيد منه ان العمل الصالح ليس داخلا في حقيقة الايمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الاشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص على عام والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه اشارة الى أن الايمان لا يتم بدونه ولذا أكده بقوله وهو الحق أي الثابت الذي ينسخ غيره وهو لا ينسخ (قوله وهو الحق من ربهم) جملة معترضة سيقت لبيان المنزل (قوله غفر لهم سيآتهم) أي محاها من صحف الملائكة (قوله وأصلح بالهم) البال يطلق على الحال والشأن والامر وكلها بمعنى واحد والمعنى أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم للاعمال الصالحة والاخروية بنجاتهم من النار وادخالهم الجنة (قوله فلا يعصونه) أي لا يصرون على معصيته أعم من أن لا تقع منهم أصلا أو تقع ولكن لا يصرون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بأن الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل الباطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الايمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) المثل في الاصل القول السائر المشبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن والكلاب على البقر وليس مرادا هنا بل المراد الامور العجيبة تشبيها لها بالمثل في الغرابة المؤدية الى التعجب واسم الاشارة عائد على ما بين في أحوال المؤمنين والكافرين (قوله فاذا لقيتم الخ) الفاء للفصيحة لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره اذا علمتم أحوال المؤمنين وانهم أحباب الله وأحوال الكافرين وانهم أعداء الله فالواجب على أحباب الله أن يقاتلوا أعداء الله (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي فهو نائب عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح وقيل في المعنى دون العمل والاصل فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وأتى بالمصدر محله وأضيف الى مفعول الفعل وهو الرقاب وهو عامل في الظرف أيضا (قوله أي اقتلوهم) أي فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أي حالة كانت لا خصوص ضرب الرقاب (قوله حتى اذا أثخنتموهم) حتى ابتدائية والمعنى فاذا أعجزتموهم بأي وجه من الوجوه اما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو بأخذ اسلحتهم أو غير ذلك فأسروهم (قوله أي فأمسكوا) أشار بذلك الى أن في الكلام تقدير جملتين الامساك عن القتل والاسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي جيء به لتفصيل جملة فوجب اضمار عامله والتقدير فاما أن تمنوا منا واما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أي بعد أسرهم وشد وثاقهم والمعنى ان المسلمين بعد القدرة على الكفار يخيرون فيهم بين أمور أربعة القتل والمن والفداء والاسترقاق وهذا في الرجال المقاتلين وأما النساء والصبيان فليس فيهم الا المن والفداء والاسترقاق وهذا التفصيل للامام الشافعي وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية وعند أبي حنيفة ليس الا القتل أو الاسترقاق وأما المن والفداء فنسوخان بسورة براءة (قوله أو أسارى) بالضم

والاسر (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أى الامر فيهم ماذكر (ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال (ولكن) أمركم به (ليبلو بعضكم ببعض) منهم فى القتال فيصير من قتل منكم الى الجنة ومنهم الى النار (والذين قتلوا) وفى قراءة قاتلوا الآية نزلت يوم أحد وقد فشا فى المسلمين القتل والجراحات (فى سبيل الله فلن يضل) يحبط (أعمالهم سيهديهم) فى الدنيا والآخرة الى ما ينفعهم (ويصلح بالهم) حالهم فيهما وما فى الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا فى قتلوا تغليبا (ويدخلهم الجنة عرفها) بينها (لهم) فيهتدون الى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على عدوكم (ويثبت أقدامكم) يثبتكم فى المعترك (والذين كفروا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فتعسا لهم) أى هلاكا وخيبة من الله (وأضل أعمالهم) عطف على تعسوا (ذلك) أى التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما أنزل الله) من القرآن المشتمل على التكاليف (فأحبط أعمالهم

والفتح أو بفتح فسكون فراء مفتوحة (قوله أى أهلها) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أى فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال لانقضاض شوكة الكفر ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آلته واشتق من الوضع تضع بمعنى تترك (قوله وهذه غاية للقتل) أى المذكور فى قوله فضرب الرقاب وقوله والاسر أى المذكور فى قوله فشدوا الوثاق (قوله ماذكر) أى من القتل والاسر وما بعدهما (قوله بغير قتال) أى كالخسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أى فيظهر لعباده حال الصادق فى الايمان من غيره قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله فلن يضل اعمالهم خبره (قوله وفى قراءة قاتلوا) أى وهى سبعية أيضا مفسرة للقراءة الاولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) جملة حالية وقوله القتل وردأنهم سبعون وقوله والجراحات أى لكثير والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل فى سبيل الله لنصر دينه الى يوم القيامة قتل أو جرح أو سلم (قوله فلن يضل أعمالهم) أى سواء نشأت منهم أو تسببوا فيها (قوله الى ما ينفعهم) أى فالذى ينفعهم فى الدنيا العمل الصالح والاخلاص فيه والذى ينفعهم فى الآخرة الجنة وما فيها وحينئذ فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله لحفظ الله اياهم من المخالفات ومنه حديث اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وليس فيه توهم اباحة المعاصى لاهل بدر بل المعنى كما أفنيتم نفوسكم فى محبتى وخرجتم عن شهواتكم فى رضاى جاز يتكم بالحفظ مما يوجب سخطى فاشتريت نفوسكم فصارت لى راضية مرضية قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله

و بعد الفنا فى الله كن كيفما تشا * فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

(قوله وما فى الدنيا) أى من الهداية واصلاح الحال وقوله ان لم يقتل جواب عما يقال كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم يعنى فى الدنيا مع أن الفرض أنهم قتلوا بالفعل وأجيب بأن ذلك يحصل فى الدنيا لمن لم يقتل وعبر بالذين قتلوا تغليبا لهم أو لانهم قتلوا حكما بالنية وأجيب أيضا بأن المراد بالذين قتلوا الذين وقع منهم القتال أعم من أن يقتلوا بالفعل أو لا بدليل القراءة الاخرى (قوله فيهتدون الى مساكنهم الخ) أى اذا دخلوها يتفرقون الى منازلهم فهم أعرف بها من أهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة والذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله فى الجنة من منزله الذى كان فى الدنيا وما ورد أن العبد المؤمن لا يخرج من الدنيا حتى يشاهد مسكنه فى الجنة وما أعد الله له من النعيم ويفتح له طاقة فى قبره يشاهد ذلك ما دام فى البرزخ وأن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر فى الجنة وأرواح الانبياء فى قناديل من ذهب معلقة فى العرش تسرح وتأوى اليها وقيل معنى عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك الى أن المراد بالاقدام الذوات بتمامها وعبر عنها بالاقدام لان الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تعسوا الخ) أشار بذلك الى أن الفاء فى قوله فتعسا داخلة على محذوف هو الخبر وتعسا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أى هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال فى معنى التعس وقيل خزيا لهم وقيل شقاء لهم وقيل شتما لهم من الله وقيل قبحا لهم وقيل رغما لهم وقيل شرا لهم وقيل شقوة لهم وقيل التعس الانحطاط والعثار وكلها معان متقاربة وهو فى الاصل أن يخر لوجهه والنكس أن لا يستقل بعد سقطته حتى يسقط هو ثانية وهى أشد من الاولى وضده الانتعاش وهو قيام من سقط (قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الاشارة خبر مبتدأ محذوف أى الامر ذلك (قوله المشتمل على التكاليف) أى

أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وللكافرين أمثالها) أي أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أي نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله مولى) ولي وناصر (الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون) في الدنيا (ويأكلون كما تأكل الأنعام) أي ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (والنار مثوى لهم) أي منزل ومقام ومصير (وكأين) وكم (من قرية) أريد بها أهلها (هي أشد قوة من قريتك) مكة أي أهلها (التي أخرجتك) روعي لفظ قرية (أهلكناهم) روعي معنى قرية الأولى (فلا ناصر لهم) من إهلاكنا (أفمن كان على بينة) حجة وبرهان (من ربه) وهم المؤمنون (كمن زين له سوء عمله) فرآه حسنا وهم كفار مكة (واتبعوا أهواءهم) في عبادة الأوثان أي لا مماثلة بينهما (مثل) أي صفة (الجنة التي وعد المتقون) المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره (فيها أنهار من ماء

فهذا وجه كراهتهم له وذلك لأن في التكاليف ترك الملاذ والشهوات والنفوس الخبيثة تكره ذلك وتحب ارخاء العنان لها في الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الانسان أن يجاهد نفسه حتى تصير منقادة لما يرضاه الله تعالى ففي الحديث لا يكمل ايمان أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به فالأصل في النفوس الخسة لا تجر صاحبها لخير ولا تسعى الا فيما يغضب الله فاذا شمر الانسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هوى نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فاذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الاخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا (قوله دمر الله عليهم) المفعول محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرين) أي السائرين على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد أي ان لكل واحد من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء وشرعه جامع لجميع الشرائع فالكفر به وبشرعه كفر بجميع الشرائع فبسبب ذلك عظم عذاب الكافر به (قوله وأن الكافرين لا مولى لهم) أي لا ناصر لهم ولا معين ولا مغيث وأما قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فالمراد بالمولى المالك فلم يحصل تناف (قوله ان الله يدخل الذين آمنوا الخ) بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين في الآخرة (قوله كما تأكل الانعام) الكاف في محل نصب اما نعت لمصدر محذوف أي أكلا مثل أكل الانعام أو حال أي أكلا حال كونه مثل أكل الانعام (قوله والنار مثوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كأين مركبة من الكاف وأين بمعنى كم الخبرية وهي في محل رفع مبتدأ ومن قرية تمييزها وقوله هي أشد صفة لقرية وقوله التي أخرجتك صفة لقريتك وقوله أهلكناهم خبر المبتدا وسبب نزول هذه الآية أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت أحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الي ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فنزلت هذه الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن على خروجك من بلدك فان الله يعزك ويذلهم فليس خروجك من مكة الا كخروج آدم من الجنة من حيث انه حصل له العز العظيم وحصل لابليس الذي تسبب في اخراجه الخزي العظيم (قوله أريد أهلها) أي فهو مجاز في الطرف حيث أطلق المحل وأريد الحال فيه لا مجاز بالحذف (قوله التي أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التي تكون وطنه فيما يستقبل وهي المدينة (قوله أهلكناهم) أي فكذلك نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم) تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفمن كان على بينة الخ) شروع في بيان أحوال المؤمنين والكافرين والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بعلى اشارة الى تمكنهم من الحجج والبراهين تمكن المستعلي من المستعلى عليه (قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعي لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله تجري من تحتها الانهار (قوله أي صفة الجنة) أشار بذلك الى أن المراد بالمثل الصفة فكأنه قال وصف الجنة كذا وكذا فليس في الكلام مشبه ومشبه به (قوله التي وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل عصاة المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخليها) أي فهو بيان لمطلق نعيم الجنة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتي في سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه أن الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدا وأجيب بأن الخبر عين المبتدا في المعنى وحينئذ فلا احتياج لرابط وهذا أسهل الأعاريب وقيل ان مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وفي الكلام حذف مضاف وهمزة الانكار والتقدير أمثل أهل الجنة كمن هو خالد في النار وقوله فيها أنهار اما حال من الجنة أو خبر لمبتدأ محذوف

غيرآسن) بالمد والقصر كضارب وحذر أى غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وأنهار من خمر لذة) لذيذة (للشاربين) بخلاف خمر الدنيا فانها كريهة عند الشرب (وأنهار من عسل مصفى) بخلاف عسل الدنيا فانه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (ولهم فيها) أصناف (من كل الثمرات ومغفرة من ربهم) فهو راض عنهم مع احسانه اليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد فى الدنيا فانه قد يكون مع احسانه اليهم ساخطا عليهم (كمن هو خالد فى النار) خبر مبتدا مقدر أى أمن هو فى هذا النعيم (وسقوا ماء حميما) اى شديد الحرارة (فقطع أمعاءهم) أى مصارينهم فخرجت من أدبارهم وهو جمع معى بالقصر والفه عن ياء لقولهم معيان (ومنهم) أى الكفار (من يستمع اليك) فى خطبة الجمعة وهم المنافقون (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) العلماء الصحابة ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (ماذا قال آنفا) بالمد والقصر أى الساعة أى لا نرجع اليه (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) بالكفر (واتبعوا أهواءهم) فى النفاق (والذين اهتدوا) وهم المؤمنون (زادهم) الله (هدى وآتاهم تقواهم) الهمهم ما يتقون به النار (فهل ينظرون) ما ينتظرون أى كفار مكة (الا الساعة أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة أى ليس الامر الا أن تأتيهم (بغتة) فجأة (فقد جاء أشراطها) علاماتها منها بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان

أى هى فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله غير آسن) بالمد والقصر أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أى ففعله أسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أى ففعله أسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أى فلا يعود حامضا ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أى ليس فيها حموضة ولا مرارة ولم تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدى بالعصر وليس فى شربها ذهاب عقل بل هى لمجرد الالتذاذ فان قلت لم يقل فى جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين وفى العسل مصفى للناظرين أجيب بأن اللذة تختلف باختلاف الاشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر فلذا قال لذة للشاربين بأسرهم ولان الخمر كريهة الطعم فى الدنيا فقال لذة أى ليس فى خمر الآخرة كراهة طعم وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة (قوله لذيذة) أشار بذلك لدفع ما قيل ان لذة مصدر بمعنى الالتذاذ فلا يصح وصف الخمر به لكونها اسم عين فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز فى العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) اى كفضلات النحل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدأ محذوف قدره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدا المحذوف والمعنى لهم فى الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والرمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال ان المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضى أنها فيها فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون فى الجنة وايضاحه انه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فان مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدا مقدر) أى ان قوله كمن هو خالد فى النار خبر لمحذوف والاستفهام للانكار أى لا يستوى من هو فى هذا النعيم المقيم بمن هو خالد فى النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطف صلة فعلية على صلة اسمية (قوله فى خطبة الجمعة) أى فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السورة مكية (قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقالوا فالاستفهام انكارى والمعنى لم يقل شيأ يعتد به فلا عبرة بقوله (قوله آنفا) حال والمعنى ماذا قال مؤتنفا أى مبتدأ أو مخترعا (قوله بالمد والقصر) أى فهما سبعيتان (قوله أى الساعة) أى فآنفا ظرف حالى بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه والثانى أنه اسم فاعل بمعنى مؤتنفا كما تقدم (قوله أى لا نرجع اليه) أى لما قوله الذى قاله آنفا أى لا نعمل به (قوله أولئك) مبتدأ وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لا ينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله ألهمهم ما يتقون به النار) أى خلق فيهم التقوى الخاصة وهى ترك متابعة الهوى والتنزه عما سوى الله تعالى وصرف القلب الى ما يرضى الله (قوله فهل ينظرون) أى ينتظرون جزاء أعمالهم والمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت فانه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بغتة) أى فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لان ظهور أشراط الشئ موجب لانتظاره وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن انتهى (قوله منها بعثة النبى الخ) أى ان من علاماتها الصغرى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وقد حصل بالفعل وأما العلامات الكبرى فستأتى وانما عبر عن الجميع بالماضى لتحقق

الوقوع على حد أنى أمر الله (قوله فأنى لهم) خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر واذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه ما قبله والمعنى كيف لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا اله الا الله) مرتب على ما قبله كأنه قال اذا علمت أنه لا ينفع التذكر اذا حضرت الساعة فدم على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم اشارة الى أن غيره لا يكفي في التوحيد كالظن والشك والوهم واعلم أن العلم مراتب الاولى العلم بالدليل ولو جمليا ويسمى علم يقين وهذا هو المطلوب في التوحيد الذي يخرج به المكلف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين الثالثة العلم مع المشاهدة ويسمى حق يقين وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون (قوله أي دم يا محمد الخ) أي فالخطاب له صلى الله عليه وسلم ولكل مؤمن وقوله على علمك بذلك أي بأنه لا اله الا الله أي لا معبود بحق الا الله (قوله النافع في القيامة) أي لما ورد من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة (قوله لتستن به أمته) أي تقتدي به وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها وقيل معناه اسأل الله العصمة من الذنوب ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب فهي استغفار مقصود به طلب العصمة وهي عصمته من الذنوب وتعليم للامة أن يقتدوا به وقيل المراد بذنبه خلاف الاولى مثل ما وقع منه في أسارى بدر وفي اذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففي هذه الآية بشرى للامة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله وقد فعله) أي الاستغفار لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات وورد في الحديث انه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي رواية توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل في اليوم مائة مرة وفي رواية اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم سبعين مرة وفي رواية أكثر من ذلك وقوله في الحديث انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر ويسمى به الغيم الرقيق الذي يغشى السماء والمراد به أنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات فكلما ارتقى الى مقام رأى أن الذي كان فيه بالنسبة للذي ارتقى اليه ذنبا فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار المفسر الى أن معنى متقلبكم متصرفكم لاشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم مأواكم الى مضاجعكم بالليل وهو أحد تفاسير في هذه الآية وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم مصيركم في الآخرة الى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أي ولكن خطاب المؤمنين ارشاد لهم الى مقام المراقبة لله تعالى وهي أن يشاهد الانسان أن الله مطلع عليه في كل لحظة وطرفة وحركة وسكون وهذا سر والله معكم أينما كنتم وهو مطلب العارفين وكنز الراسخين قال العارف ابن الفارض

أتلامع الاحباب رؤيتك التي * اليها قلوب الاولياء تسارع

وقال العارف الدسوقي

قد كان في القلب أهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

وفيه فليتنافس المتنافسون وخطاب غيرهم تخويف وتحذير (قوله ويقول الذين آمنوا الخ) أي حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين تمنوا الامر بالجهاد ووافقهم في الظاهر على هذا التمني المنافقون فهذه الآيات من هنا الى آخر السورة مدنيات قطعا ولو على القول بأن السورة مكية لان القتال لم يشرع الا بها وكذا النفاق لم يظهر الا بها (قوله أي طلبه) أي ذكر فيها الامر به والحث عليه (قوله أي شك) وقيل ضعف في الدين (قوله نظر المغشي عليه) أي نظرا مثل نظر المغشي عليه والمعنى تشخص أبصارهم كالشخص الذي حضره الموت (قوله خوفا منه) أي الموت (قوله أولى لهم) أي أحق وأوجب لهم أي عليهم طاعة الخ هذا ما مشى عليه المفسر وهو أوضح ما قيل في هذا المقام

(فأنى لهم اذا جاءتهم) الساعة (ذكراهم) تذكرهم أي لا ينفعهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أي دم يا محمد على علمك بذلك النافع في القيامة (واستغفر لذنبك) لاجله قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة (وللمؤمنين والمؤمنات) فيه اكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم (والله يعلم متقلبكم) متصرفكم لاشغالكم بالنهار (ومثواكم) مأواكم الى مضاجعكم بالليل أي هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (ويقول الذين آمنوا) طلبا للجهاد (لولا) هلا (نزلت سورة) فيها ذكر الجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة) أي لم ينسخ منها شيء (وذكر فيها القتال) أي طلبه (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي شك وهم المنافقون (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) خوفا منه وكراهية له أي فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فأولى لهم) مبتدأ خبره (طاعة وقول معروف)

أي حسن لك (فاذا عزم الامر) أي فرض القتال (فلو صدقوا الله) في الايمان والطاعة (لكان خيرا لهم) وجملة لو جواب اذا (فهل عسيتم) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب أي لعلكم (ان توليتم) أعرضتم عن الايمان (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) أي تعودوا الى أمر الجاهلية من البغي والقتال (أولئك) أي المفسدون (الذين لعنهم الله فأصمهم) عن استماع الحق (وأعمى أبصارهم) عن طريق الهدى (أفلا يتدبرون القرآن) فيعرفون الحق (أم) بل (على قلوب) لهم (أقفالها) فلا يفهمونه (ان الذين ارتدوا) بالنفاق (على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل) أي زين (لهم وأملى لهم) بضم أوله وبفتحه واللام والمملي الشيطان بارادته تعالى فهو المضل لهم (ذلك) أي اضلالهم (بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) أي للمشركين (سنطيعكم في بعض الامر) أي المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (والله يعلم اسرارهم) بفتح الهمزة جمع سر وبكسرها مصدر (فكيف) حالهم (اذا توفتهم الملائكة يضربون) حال من الملائكة (وجوههم وأدبارهم) ظهورهم بمقامع من حديد (ذلك) أي التوفي على الحالة المذكورة (بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه) أي العمل بما يرضيه (فأحبط أعمالهم أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) يظهر أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (ولو نشاء لأريناكهم) عرفناكهم وكررت اللام في (فلعرفتهم بسيماهم) علامتهم (ولتعرفنهم) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه (في لحن القول) أي معناه اذا تكلموا عندك بأن يعرضوا

(قوله أي حسن) تفسير لمعروف وقوله لك متعلق بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أي مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفيه التفات) أي لتأكيد التوبيخ (قوله أي لعلكم الخ) تفسير لعسى ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير والمعنى قرروا بأنه يتوقع منكم ان توليتم الخ والتوقع في الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم في الدين لا لله لانه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الايمان) تفسير للتولي وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الامة (قوله أن تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله الذين لعنهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أي فلا يهتدون الى سبل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أي يتفكروا في معانيه فيهتدوا وهذه الآية لتقرير ما قبلها كأنه قال أولئك الذين لعنهم الله أي أبعدهم عنه فلعلهم لا يسمعون النصيحة ولا يبصرون طريقة الاسلام فتسبب عن ذلك كونهم لا يتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر الى توبيخهم بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين داموا على الكفر به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في كتابهم (قوله من بعد ما تبين لهم الهدى) أي الطريق القويم الادلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أي وكسر ثالثه وفتح الياء والجار والمجرور نائب الفاعل وقوله وبفتحه واللام أي مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود على الشيطان وهما قراءتان سبعيتان (قوله والمملي الشيطان الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره الاملاء معناه الامهال وهو لا يكون الا من الله لانه الفاعل المختار فكيف ينسب للشيطان فأجاب بأن المملي حقيقة هو الله وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه لانه يوسوس لهم بسعة الاجل (قوله أي للمشركين) أي والقائل هم اليهود أو المنافقون كما حكى الله عنهم ذلك في سورة الحشر بقوله ألم تر الى الذين نافقوا الآيات (قوله سنطيعكم في بعض الامر) أي في بعض ما تأمروننا به كالقعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لا في كله لانهم لا يوافقونهم في اظهار الكفر (قوله وبكسرها) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر لمحذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أي فالملائكة تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من الحديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أي وهي التوفي مع ضرب الوجوه والادبار (قوله بأنهم اتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه وقوله وكرهوا رضوانه راجع لضرب الادبار (قوله ما أسخط الله) أي من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أي من الايمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أي وهم المنافقون المتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكهم) أي فالاراءة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أي في قوله فلعرفتهم للتأكيد والمعنى لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم وورد عن ابن مسعود قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلاثين (قوله في لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الاعراب الى الخطا والثاني الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن فيكون ظاهره تعظيما وباطنه تحقيرا وهو المراد هنا ومعنى الآية وانك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذي ظاهره ايمان واسلام وباطنه كفر

وسب (قوله عبر فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقبيح والتعييب فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي فيجازيكم بحسب قصدكم فيه وعد ووعيد (قوله بالجهاد وغيره) أي من سائر المشاق كما قال تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الآية (قوله علم ظهور) أي علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو في علمنا الازلي أي فتظهر سرائرهم بين عبادنا (قوله في الاثنين) وفي نسخة في الافعال الثلاثة وهي لنبلونكم ونعلم ونبلو وهما قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحق) أي وهو دين الاسلام (قوله خالفوه) أي خرجوا عن طاعته (قوله لن يضروا الله شيأ) هذه الجملة خبر ان والكلام اما على ظاهره والمعنى أن كفرهم لا يضر الا أنفسهم وتعالى الله عن أن يحصل له من خلقه ضر أو نفع لما في الحديث القدسي ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني الى آخره أو على حذف مضاف أي لن يضروا رسول الله لعصمته منهم (قوله في المطعمين من أصحاب بدر) أي في المطعمين الطعام للكفار يوم بدر وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأبي جهل وأضرابه وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها الآية وسبب ذلك أن قريشا خرجت الغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزائر ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهيل عشرا بقديد ومالوا منه الى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر لهم شيبة تسعا ثم أصبحوا بالابواء فنحر مقيس الجمحي تسعا ونحر العباس عشرا ونحر الحرث تسعا ونحر أبو البختري على ماء بدر عشرا ونحر مقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أو في قريظة والنضير) أي فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فآل أمرهم الى أن أخرج بني النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم ولم ينفعهم قريش بشيء (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وبالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصي مثلا) أي كالردة فانها تبطل جميع الاعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فانهما يبطلان ثواب الاعمال والمن والأذى فانهما يبطلان ثواب الصدقات والمن مذموم الا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم وأما باقي المعاصي فلا تبطل ثواب الاعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الاعمال كالردة ورد كلامهم بقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأخذ بعض الائمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الاعمال الصالحة ولو نفلا كالصلاة والصوم والحاصل أن الاصل في النوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الائمة واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله

صلاة وصوم ثم حج وعمرة * طواف عكوف والتمام تحتما

وفي غيرها كالوقف والطهر خيرن * فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

ولابن كمال باشا من الحنفية

من النوافل سبع تلزم الشارع * أخذا لذلك مما قاله الشارع

صوم صلاة عكوف حجه الرابع * طوافه عمرة احرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغفر الله لهم) خبران (قوله في أصحاب القليب) هو بئر في بدر ألقيت فيه القتلى من الكفار لكن حكمها عام في كل كافر مات على كفره (قوله فلا تهنوا) الفاء فصيحة وقعت في جواب شرط مقدر أي اذا تبين لكم بالادلة القطعية عز الاسلام وذل الكفر في الدنيا والآخرة فلا تهنوا (قوله بفتح السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان وهذه الآية قيل

ما فيه تهجين أمر المسلمين والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم) نختبرنكم بالجهاد وغيره (حتى نعلم) علم ظهور (المجاهدين منكم والصابرين) في الجهاد وغيره (ونبلو) نظهر (أخباركم) من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره بالياء والنون في الافعال الثلاثة (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) طريق الحق (وشاقوا الرسول) خالفوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) هو معنى سبيل الله (لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها في الآخرة ثوابا نزلت في المطعمين من أصحاب بدر أو في قريظة والنضير (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بالمعاصي مثلا (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) طريقه وهو الهدى (ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) نزلت في أصحاب القليب (فلا تهنوا) تضعفوا (وتدعوا الى السلم) بفتح السين وكسرها أي الصلح مع الكفار اذا لقيتموهم

ناسخة لآية وإن جنحوا للسلم فاجنح لها لأن الله منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إليه وقيل إنهما آيتان في وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد وهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة (قوله وأنتم الأعلون) الجملة حالية وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أي وأصله الأعلوون بواوين الأولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الأولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت الألف (قوله بالعون والنصر) أي فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أي أو يفردكم عنها لأن الترة تطلق بالمعنيين يقال وتره حقه يتره وترا نقصه وأوتر أرضه بمعنى أفرده (قوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) اللعب ما يشغل الإنسان وليس فيه منفعة في الحال ولا في المآل واللهو ما يشغل الإنسان عن مهمات نفسه (قوله ولا يسألكم أموالكم) أي لا يأمركم بإخراج جميع أموالكم في الزكاة بل يأمركم بإخراج بعضها (قوله فيحفكم) عطف على الشرط وتبخلوا جوابه (قوله يبالغ في طلبها) أي حتى يستأصلها (قوله ويخرج أضغانكم لدين الإسلام) أي أحقادكم وبغضكم لدين الإسلام وذلك لأن الإنسان جبل على محبة الأموال ومن نوزع في حبيبه ظهرت سرائره فمن رحمته على عباده عدم التشديد عليهم في التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ أو هؤلاء منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر وتدعون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدأ والخبر (قوله فمنكم من يبخل) أي ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أي فيتعدى بعلى إذا ضمن معنى شح وبعن إذا ضمن معنى أمسك (قوله وأنتم الفقراء إليه) أي في جميع الأحوال (قوله وإن تتولوا) إما خطاب للصحابة والمقصود منه التخويف لأنه لم يحصل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لا تقتضي الوقوع أو خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل واختلف في القوم المستبدلين فروي عن أبي هريرة قال تلا رسول الله هذه الآية وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان فقال هذا وأصحابه والذي نفس محمد بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل هم العجم وقيل هم فارس والروم وقيل الأنصار وقيل الملائكة وقيل التابعون وقيل من شاء من سائر الناس وورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي أحب إلي من الدنيا

﴿ سورة الفتح ﴾

سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار فأحرموا بالعمرة من ذي الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة فلما وصلوا الحديبية وهي قرية بينها وبين مكة مرحلة أرسل عثمان مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم فأشاع إبليس في الصحابة أن عثمان قتل فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أنهم يدخلون مكة حربا فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتي في العام القابل ويدخلها ويقيم فيها ثلاثة أيام فتحلل هو وأصحابه هنالك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدي ثم رجعوا وقد علاهم الحزن والكآبة فأراد الله تسليتهم وإذهاب الحزن عنهم فأنزل الله عليه وهو سائر ليلا في رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر السورة فقال صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا فقال المسلمون هنيئا مريئا لك يا رسول الله قد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار حتى بلغ فوزا عظيما (قوله مدنية) أي لكونها نزلت بعد الهجرة (قوله إنا فتحنا لك الخ) الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فشبه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلق بجامع

(وأنتم الأعلون) حذف منه واو لام الفعل الأغلبون القاهرون (والله معكم) بالعون والنصر (ولن يتركم) ينقصكم (أعمالكم) أي ثوابها (إنما الحياة الدنيا) أي الاشتغال فيها (لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (إن يسألكموها فيحفكم) يبالغ في طلبها (تبخلوا ويخرج) البخل (أضغانكم) لدين الإسلام (ها أنتم) يا (هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) ما فرض عليكم (فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) يقال بخل عليه وعنه (والله الغني) عن نفقتكم (وأنتم الفقراء) إليه (وإن تتولوا) عن طاعته (يستبدل قوما غيركم) أي يجعلهم بدلكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن طاعته بل مطيعين له عز وجل

﴿سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(إنا فتحنا لك)

التمكن في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا أي مكناك من البلاد وحذف المعمول ليؤذن بالعموم وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح وإشارة إلى أن هذا الأمر لا يتيسر إلا بإرادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أي كخيبر وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال إن الآية نزلت في رجوعه من الحديبية عام ست ومكة لم تفتح إلا في السنة الثامنة فكيف عبر بالماضي فأجاب بأن التعبير بالماضي بالنسبة للقضاء الأزلي والمعنى حكمنا لك في الأزل بالفتح المبين وحينئذ فالتعبير بالماضي حقيقة وأجيب أيضا بأن التعبير بالماضي مجاز لتحقق الوقوع نظير ونفخ في الصور وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب في غيره قال الزهري لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعلموا وسمعوا من الله فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف وقال الشعبي في قوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة غيرها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اهـ (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة نظرا لكون النبي وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتل من بعض الصحابة كخالد بن الوليد وأصحابه في جهة أسفلها ومذهب الشافعي أنها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبي وتأمينه أبا سفيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهادك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال إن الفتح ناشئ من الله والمغفرة تكون للشخص فكيف ترتب عليه وإنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص فأجاب بأن الفتح وإن كان من الله لكنه ترتب على فعل النبي وهو الجهاد فصح أنه يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أي إن إسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول إما بأن المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو بأن المراد بالغفران الإحالة بينه وبين الذنوب فلا تصدر منه لأن الغفر هو الستر والستر إما بين العبد والذنب أو بين الذنب وعذابه فاللائق بالأنبياء الأول وبالأمم الثاني إن قلت إن عصمة النبي عليه السلام من الذنوب حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها فكيف تكون مرتبة على جهاده أجيب بأن المرتب إظهارها للخلق لا هي نفسها (قوله من الذنوب) أي صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها (قوله للعلة الغائية) أي وهي المرتبة على آخر الفعل وليست علة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى في الأفعال والأحكام (قوله لا سبب) أي لأن السبب ما يضاف إليه الحكم كالزوال لوجوب الظهر والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أي وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبتك عليه) أي يديمك ويقويك عليه أو المراد يزيدك في الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال إن العزيز وصف للمنصور لا للنصر وتوضيح جوابه أن فعيل صيغة نسبة أي نصرا منسوبا بالعز (قوله لا ذل معه) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حتى لبعض الكفار في الدنيا (قوله في قلوب المؤمنين) أي وهم أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ما شأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب لما روي أنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه وتطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا إذا قال أيها

الرجل

قضينا بفتح مكة وغيرها المستقبل عنوة بجهادك (فتحا مبينا) بينا ظاهرا (ليغفر لك الله) بجهادك (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه لترغب أمتك في الجهاد وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب واللام للعلة الغائية فمدخولها مسبب لا سبب (ويتم) بالفتح المذكور (نعمته) إنعامه (عليك ويهديك) به (صراطا) طريقا (مستقيما) يثبتك عليه وهو دين الإسلام (وينصرك الله) به (نصرا عزيزا) ذا عز لا ذل معه (هو الذي أنزل السكينة) الطمأنينة (في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)

بشرائع الدين كلما انزل واحدة منها آمنوا بها ومنها الجهاد (ولله جنود السموات والارض) فلو أراد نصرة دينه بغيركم لفعل

الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولا تخالفه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك أنا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه فتطوف به قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ما خفي عليه وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما هو معروف من شدته وصلابته في الدين وأما جواب أبي بكر المطابق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضي الله عنهما وعنا بهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بايمانا وقوله مع ايمانهم متعلق بمحذوف أي بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والارض) اختلف في المراد بجنود السموات والارض فقيل هم ملائكة السموات والارض وقيل ان جنود السموات الملائكة وجنود الارض الحيوانات وقيل ان جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعل) أي لكنه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك الاعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والمزد نيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أي لا بفتحنا أي لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي متحدي اللفظ والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد (قوله ويكفر عنهم سيئاتهم) أي يغطيها وهو معطوف على قوله ليدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب فدخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات وقدم الادخال في الذكر على التكفير مسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى (قوله وكان ذلك) أي المذكور من الادخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لانه صفة له في الاصل فلما قدم عليه صار حالا أي كائنا عند الله أي في علمه وقضائه (قوله ويعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لانهم أشد ضررا من الكفار المتجاهرين وذلك لان المؤمن كان يتوقى المجاهر ويخالط المنافق لظنه ايمانه (قوله ظن السوء) اما من اضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين أو أن السوء صفة لموصوف محذوف أي ظن الامر السوء فحذف المضاف اليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أي فالفتح الذم والضم العذاب والهزيمة والشر (قوله في المواضع الثلاثة) أي هذين والثالث قوله فيما يأتي وظننتم ظن السوء وهو سبق قلم والصواب أن يقول في الموضع الثاني وأما الاول والثالث فليس فيهما الا الفتح باتفاق السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) اما اخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم كأن الله يقول سلوني بقولكم عليهم دائرة السوء والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت في الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه والجامع الاحاطة في كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله ولله جنود السموات والارض الخ) ذكر هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله عليما حكيما وذكرها ثانيا في معرض الانتقام فذيلها بقوله عزيزا حكيما فلا تكرار (قوله أي لم يزل الخ) أشار بذلك الى أن كان في أوصاف الله معناها الاستمرار (قوله انا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى كافة الخلق شاهدا على أعمال أمته (قوله شاهدا على أمتك) أي بالطاعة والعصيان (قوله لتؤمنوا بالله) متعلق بأرسلناك (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله وضميرهما الله الخ) أي فهما احتمالان أي فاذا أردت الجري على وتيرة واحدة جعلتها كلها عائدة على الله تعالى وأما قوله وتسبحوه فهو عائد على الله قولا واحدا ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده أو على تعظيم الرسول وحده فليس بمؤمن بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ولكن التعظيم في كل بحسبه فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكمالات وتعظيم رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقا وصدقا لكافة الخلق بشيرا ونذيرا الى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية (قوله ان الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيرا ونذيرا بين أن متابعته متابعة له وطاعته طاعة له وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه والبيعة في الاصل العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست كبيرة بينها وبين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر

(وكان الله عليما) بخلقه (حكيما) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك (ليدخل) متعلق بمحذوف أي أمر بالجهاد (المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) بالذل والعذاب (وغضب الله عليهم ولعنهم) أبعدهم (وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) أي مرجعا (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا) في ملكه (حكيما) في صنعه أي لم يزل متصفا بذلك (انا أرسلناك شاهدا) على أمتك في القيامة (ومبشرا) لهم في الدنيا بالجنة (ونذيرا) منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار (لتؤمنوا بالله ورسوله) بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده (ويعزروه) ينصروه وقرئ بزاءين مع الفوقانية (ويوقروه) يعظموه وضميرهما الله أو رسوله (ويسبحوه) أي الله (بكرة وأصيلا) بالغداة والعشي (ان الذين يبايعونك) بيعة الرضوان بالحديبية

(إنما يبايعون الله) هو كقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله (يد الله فوق أيديهم) التي بايعوا بها النبي أي هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فمن نكث) نقض البيعة (فإنما ينكث) يرجع وبال نقضه (على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه) بالياء والنون (أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الأعراب) حول المدينة أي الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شغلتنا أموالنا وأهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) الله من ترك الخروج معك. قال تعالى مكذبا لهم (يقولون بألسنتهم) أي من طلب الاستغفار وما قبله (ما ليس في قلوبهم) فهم كاذبون في اعتذارهم (قل فمن) استفهام بمعنى النفي أي لا أحد (يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا) بفتح الضاد وضمها (أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا) أي لم يزل متصفا بذلك (بل) في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزين ذلك في قلوبكم) أي أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون (وظننتم ظن السوء) هذا وغيره (وكنتم قوما بورا) جمع بائر أي هالكين عند الله بهذا الظن (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا) نارا شديدة (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أي لم يزل متصفا بما ذكر (سيقول المخلفون) المذكورون (إذا انطلقتم إلى مغانم) هي مغانم خيبر لتأخذوها

الحديبية

هنالك واختلف فيها فقيل من السدر وقيل بعضها من الطلح ويجوز فيها التخفيف والتشديد (قوله إنما يبايعون الله) اعلم أن في هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية وترشيحا كلها فالتبعية في الفعل وهو يبايعون وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبه المعاهدة على دفع الأنفس في سبيل الله طلبا لمرضاة الله بدفع السلع في نظير الأموال واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم في سبيل الله والمكنية في لفظ الجلالة وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هنالك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم بملك وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد فإثباتها تخييل والترشيح كله لذكر الأيدي بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أي من حيث إنه في المعنى يرجع له وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح (قوله يرجع وبال نقضه) أشار إلى أن في الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجرا عظيما) أي وهو الجنة وهذه الآية وإن كان سببها مبايعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أي وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدون عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في قعر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الأعراب أو صفة لهم (قوله إذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أي النساء والصبيان فإنا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط في العيال (قوله فهم كاذبون في اعتذارهم) أي وطلب الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أي فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله إن أراد بكم ضرا) أي كقتل وهزيمة ونحوهما (قوله بفتح الضاد وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا) ترق في الرد عليهم (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أي فأضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم إلى إيعادهم بجزاء أعمالهم من التخلف والاعتذار الباطل ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان ما حملهم على التخلف وهذا على سبيل الترقي في الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أي لا يرجع إلى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ما هم في قريش إلا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أي كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المتخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وأنه يفضي بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الإيمان والتوبة على سبيل العموم ومن إما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أي فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والأرض) أي يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لطمعهم في استغفاره صلى الله عليه وسلم كان الله يقول لهم لا يستحق أحد عندي شيئا وإنما أغفر لمن أريد وأعاقب من أريد وقد سبقت حكمتي أن المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تطمعوا في المغفرة ما دمتم كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الإخبار بما يحصل منهم (قوله إذا انطلقتم) ظرف لما قبله والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ (قوله هي مغانم خيبر) أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغانم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل مغانمها لمن شهد

الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيأ وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصاري من بني سلمة وزيد بن ثابت من بني النجار كانا حاسبين قاسمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر (قوله ذرونا) أي دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء عنه بمادة ترك وأصل مادته وذر يذر وذرا فهو واذر والامر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) اما مستأنف أو حال من المخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خيبر لهم عوضا عن فتح مكة في ذلك العام (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي للمبالغة (قوله كذلكم) أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أي حكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (قوله فسيقولون) أي عند سماعهم النهي (قوله بل تحسدوننا) أي فليس هذا النهي حكما من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم (قوله من الدين) أشار بذلك الى أن الاضراب الاول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أعظم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم اشعارا بشناعته ومبالغة في ذمهم (قوله قيل هم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيلمة الكذاب والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب اليمامة) اسم لبلاد في اليمن ولامرأة كانت بها ويقال لها زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم عمر بن الخطاب وقيل ان ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين والداعي لهم رسول الله ان قلت ان الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين الى الجهاد في قوله فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وحينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين والداعي لهم رسول الله وأجيب بأنه لا بعد اذ قوله لن تخرجوا معي أبدا الخ انما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك فتحصل ان الاقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله او هم يسلمون) أشار بذلك الى أن الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى الى أو الا والا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فان الروم نصارى وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية وأما بالنسبة لبني حنيفة فمعناه يسلمون بالفعل لانهم كانوا مرتدين والمرتد لا يقر بالجزية بل اما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتم من قبل) أي في الحديبية (قوله ليس على الاعمى حرج) نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة كيف بنا يا رسول الله حين سمعوا قوله تعالى وان تتولوا الخ (قوله في ترك الجهاد) أي في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة وذلك لان الاعمى لا يمكنه الكر ولا الفر وكذلك الاعرج والمريض ومثل هذه الاعذار الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يقضي مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد وكل هذا ما لم يفجأ العدو والا وجب على كل بما يمكنه (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لقد رضي الله عن المؤمنين) أي فعل بهم فعل الراضي من الثواب والفتح المبين وفي ذلك تلميح لي أن الكافرين غير راض عنهم فلهم الخذلان في الدنيا والآخرة وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الاحابيش فخلوا سبيله فأتى لرسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني أخاف على نفسي قريشا وليس في مكة من بني عدي بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ذرونا) اتركونا (نتبعكم) لنأخذ منها (يريدون) بذلك (أن يبدلوا كلام الله) وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أي قبل عودنا (فسيقولون بل تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بل كانوا لا يفقهون) من الدين (الا قليلا) منهم (قل للمخلفين من الاعراب) المذكورين اختبارا (ستدعون الى قوم أولي) أصحاب (بأس شديد) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل فارس والروم (تقاتلونهم) حال مقدرة هي المدعو اليها في المعنى (أو) هم (يسلمون) فلا تقاتلون (فان تطيعوا) الى قتالهم (يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) مؤلما (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) في ترك الجهاد (ومن يطع الله ورسوله يدخله) بالياء والنون (جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه) بالياء والنون (عذابا أليما) (لقد رضي الله عن المؤمنين

عثمان فبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكتب له كتابا يبعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وان الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه الى مكة فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان ابن سعيد بن العاصي حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا فصمموا على أنه لا يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خلص الى البيت وطاف به دوننا فقال صلى الله عليه وسلم ان ظني به أن لا يطوف حتى يطوف معنا وبشر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بأن النبي قد علم بنور النبوة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة باذنه صلى الله عليه وسلم (قوله اذ يبايعونك) ظرف لرضي وعبر بصيغة المضارع استحضارا للصورة المبايعة (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هي سمرة) بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز كما عليه جمهور المفسرين في قوله تعالى وطلح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الافتتان بها وروي أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل وأربعمائة وهو الصحيح وقيل وخمسمائة (قوله على أن يناجزوا قريشا) أي يقاتلوهم (قوله فعلم ما في قلوبهم) معطوف على يبايعونك (قوله بعد انصرافهم من الحديبية) أي في ذي الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع (قوله ومغانم) معطوف على فتحا ويأخذونها صفة لمغانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات الى الخطاب اتشريفهم في مقام الامتنان وهو لاهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أي غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة وهوازن وبلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدم من أن السورة نزلت كلها في رجوعه من الحديبية أن يقول قوله فعجل لكم هذه من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه ومن الاخبار بالغيب (قوله في عيالكم) أي عن عيالكم والجار والمجرور بدل من قوله عنكم والمراد بالناس أهل خيبر وحلفاؤهم من بني أسد وغطفان (قوله لما خرجتم) أي للحديبية وقوله وهمت بهم اليهود أي يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبي والصحابة من المدينة في غيبة النبي للحديبية وكان هو السبب في أخذ خيبر (قوله عطف على مقدر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله كف (قوله آية للمؤمنين) أي أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده اياهم عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم (قوله أي طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لان الحاصل من الكف ليس الا ذلك ولان أصل الهدى حاصل قبله ﴿ تنبيه ﴾ ملخص غزوة خيبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع وكان اذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس أي الجيش فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم

اذ يبايعونك) بالحديبية (تحت الشجرة) هي سمرة وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشا وأن لا يفروا من الموت (فعلم) الله (ما في قلوبهم) من الصدق والوفاء (فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (ومغانم كثيرة يأخذونها) من خيبر (وكان الله عزيزا حكيما) أي لم يزل متصفا بذلك (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) من الفتوحات (فعجل لكم هذه) غنيمة خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب (ولتكون) أي المعجلة عطف على مقدر أي لتشكروه (آية للمؤمنين) في نصرهم (ويهديكم صراطا مستقيما) أي طريق التوكل عليه وتفويض الامر اليه تعالى (وأخرى) صفة مغانم مقدرا

تالله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا * فثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

قال وبرز له عمي عامر فقال قد علمت خيبر أني عامر * شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه رضي الله عنه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عمي عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي رضي الله عنه أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفي رواية أخرى أنه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية من السبي قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فلما دخل بها رأى في عينها أثر خضرة فسألها عن سببها فقالت اني رأيت في المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع أن قمرا وقع في حجري فقصصت رؤياي على زوجي فقال ما هذا الا أنك تمنيت ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهي لطمة اخضرت منها عيني فلما ظهر رسول الله على خيبر أراد اخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوهم العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر في امارته الى تيماء وأريحاء قال محمد بن اسحق لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم ويخلوا له الاموال ففعل بهم ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع

مبتدأ (لم تقدروا عليها) هي فارس والروم (قد أحاط الله بها) علم أنها ستكون لكم (وكان الله على كل شيء قديرا) أي لم يزل متصفا بذلك (ولو قاتلكم الذين كفروا) بالحديبية (لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا) يحرسهم (ولا نصيرا سنة الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين أي سن الله ذلك سنة (التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) منه (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة بالحديبية (من بعد أن أظفركم عليهم) فان ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتي بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وكان الله بما يعملون بصيرا) بالياء والتاء أي لم يزل متصفا بذلك (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أي عن الوصول اليه (والهدى) معطوف على كم (معكوفا) محبوسا حال (أن يبلغ محله) أي مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) موجودون بمكة مع الكفار (لم تعلموهم) بصفة الايمان (أن تطؤهم) أي تقتلوهم مع الكفار (لو أذن لكم في الفتح بدل اشتمال من هم (فتصيبكم منهم معرة) أي اثم (بغير علم) منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور وجواب لولا محذوف أي لأذن لكم في الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (ليدخل الله في رحمته من يشاء) كالمؤمنين المذكورين (لو تزيلوا) تميزوا عن الكفار (لعذبنا الذين كفروا منهم) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها (عذابا أليما) مؤلما (اذ جعل) متعلق بعذبنا (الذين / فاعل (في قلوبهم الحمية) الانفة من الشيء (حمية الجاهلية) بدل من الحمية وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام

فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله تناول الذراع فأخذها فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها يعني ابتلعها وأما رسول الله فلفظها ثم قال ان هذا العظم يخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت مع ابنك تعاودني فهذا أوان قطع أبهري فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة (قوله مبتدأ) أي وخبره قوله قد أحاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة لمغانم المقدر وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف وهذا أسهل الاعاريب ولذا اختاره المفسر (قوله هي فارس والروم) أي وباقي الاقطار (قوله قد أحاط الله بها) أي أعدها لكم في قضائه وقدره فهي محصورة لا تفوتكم (قوله أي لم يزل متصفا) أشار بذلك الى أن المراد من كان الاستمرار (قوله ولو قاتلكم الذين كفروا) أي وهم أهل مكة ومن وافقهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد الى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ فما شعر بهم خالد حتى أتاهم بقترة الجيش أي بغبار أثرهم فانطلق يركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الادبار) أي مضوا منهزمين (قوله من هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التي قد خلت) أي مضت وقوله من قبل أي فيمن مضى من الامم (قوله تبديلا منه) أي من الله تعالى والمعنى ان الله لا يبدل ولا يغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية) بيان لبطن مكة والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هي منه أو بعضها فعلى الاول التعبير بالبطن ظاهر وعلى الثاني فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أي أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله فكان ذلك) أي العفو عنهم وتخلية سبيلهم (قوله سبب الصلح) أي لعلمهم أن هذا الامر لا يقع الا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) أي الضمير المنصوب في صدوكم وهو أحسن الاعاريب (قوله محبوسا) أي فالعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف المشهور وهو حبس النفس على ما ذكر مع ملازمة المسجد (قوله أي مكانه) أي المعهود وهو منى للمحرم بالحج والمروة للمحرم بالعمرة وهو الافضل والا فالحرم كله محل النحر (قوله بدل اشتمال) أي من الهدى والمعنى صدوا بلوغ الهدى محله ويصح أن يكون على اسقاط الخافض أي عن أن يبلغ الهدى محله والجار والمجرور اما متعلق بصدوكم أو بمعكوفا (قوله موجودون) هو خبر المبتدا (قوله بدل اشتمال من هم) أي والمعنى لم تعلموا وطأهم ويصح أن يكون بدلا من رجال ونساء والمعنى ولولا وطء رجال ونساء (قوله اثم) أي مكروه كالتأسف عليهم أو المراد بالاثم حقيقته بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أي بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أي والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف أيديكم عنهم (قوله حينئذ). أي عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) علة لما قدره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين) أي وكالمشركين لانه آل أمر أهل مكة الى الاسلام الا القليل (قوله تميزوا) أي تفرقوا وانفردوا ولكن لم يتميزوا بل اختلط المستضعفون بالمشركين والاصول المشركون بالفروع المسلمين كالذراري الذين علم الله اسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الانفة) بفتحتين أي التكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهي فعيلة مصدر يقال حميت من كذا حمية وحمية الجاهلية عدم

الاذعان للحق ونصرة الباطل (قوله فأنزل الله سكينته) معطوف على شئ مقدر أى فضاقت صدور المسلمين واشتد الكرب عليهم فأنزل الخ روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (قوله على أن يعودوا من قابل) أى وعلى وضع الحرب عشر سنين قال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء على أن من أتاهم من المشركين مسلما ردوه اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا فلما فرغ من قضية الكتاب قال لاصحابه قوموا وانحروا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد لما حصل لهم من الغم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس فقالت له يا نبى الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ففعل فلما رأوا ذلك منه قاموا فنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم ان من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وروى أنه بعد عقد الصلح جاء جندل بن سهيل بن عمرو بقيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله ان لا أصالحك على شئ أبدا قال النبى صلى الله عليه وسلم فأجره لى قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش فقال أبو جندل أى معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما الا ترون ما لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وعقدوا وانا لا نغدر فقام عمر وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه الى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسيد من قريش مسلما فارسلوا فى طلبه رجلين فسلمه لهما النبى صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هنالك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فلحقوا به حتى تكاملوا نحوا من سبعين رجلا فما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا تعرضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسل قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بأنه لا يرسل اليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم الى أبى بصير وأبى جندل ومن معهما فاحضرهم المدينة (قوله وألزمهم كلمة التقوى) أى اختارها لهم فهو الزام اكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (قوله لا اله الا الله) هذه رواية أبى بن كعب وقيل انها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وقيل انها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أى فى علم الله لانه اختارهم لدينه (قوله تفسيرى) أى لاحق بها أو الضمير فى بها الكلمة التوحيد وفى أهلها التقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أى جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لانه معصوم منه هو وجميع الانبياء وتأخيرها لا ينافى كونها حقا وصدقا نظير رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فتأخرت لزمن الطويل وبعد ذلك تحققت (قوله وارتاب بعض المنافقين) أى ارتاب حيث قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله

(فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم (وألزمهم) أى المؤمنين (كلمة التقوى) لا اله الا الله محمد رسول الله وأضيفت الى التقوى لانها سببها (وكانوا أحق بها) بالكلمة من الكفار (وأهلها) عطف تفسيرى (وكان الله بكل شئ عليما) أى لم يزل متصفا بذلك ومن معلومه تعالى أنهم أهلها (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت وقوله بالحق متعلق بصدق

أوحال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) للتبرك (آمنين محلقين رؤسكم) أي جميع شعورها (ومقصرين) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لاتخافون) أبدا (فعلم) في الصلح (مالم تعلموا) من الصلاح (فجعل من دون ذلك) أي الدخول (فتحا قريبا) هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) أي دين الحق (على الدين كله) على جميع باقي الاديان (وكفى بالله شهيدا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى (محمد) مبتدأ (رسول الله) خبره (والذين معه) أي أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أشداء) غلاظ (على الكفار) لايرحمونهم (رحماء بينهم) خبر ثان أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تراهم) تبصرهم (ركعا سجدا) حالان (يبتغون) مستأنف يطلبون (فضلا من الله ورضوانا سيماهم) علامتهم مبتدأ (في وجوههم) خبره وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا (من أثر السجود) متعلق بما تعلق به الخبر أي كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل الى الخبر (ذلك) أي الوصف المذكور (مثلهم) صفتهم (في التوراة) مبتدأ وخبر (ومثلهم في الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع أخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها افراخه (فآزره) بالمد والقصر قواه وأعانه (فاستغلظ) غلظ (فاستوى) قوي واستقام

ماحلقنا ولاقصرنا ولارأينا المسجد الحرام (قوله أوحال من الرؤيا) أي فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق ويصح أن يكون بالحق قسما وجوابه قوله لتدخلن الخ وعليه فالوقف على قوله الرؤيا وعلى ماقبله فالوقف على قوله الحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أي مع تعليم العباد الادب وتفويض الامر اليه وهو جواب عما يقال ان الله تعالى خالق للاشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق انما يكون من المخبر المتردد أو الشاك في وقوع المعلق والله منزه عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لاالتعليق ويجاب أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش فان الذين حضر واعمرة القضاء كانوا سبعمائة وأما باعتبار المجموع فالقضاء مبرم لاتعليق فيه ويجاب أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله أو حكاية عن كلام الرسول عليه السلام (قوله آمنين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دفع بذلك ماقد يقال ان حال الدخول هو حال الاحرام وهو لايتأتى معه حلق ولاتقصير (قوله لاتخافون أبدا) أشار بذلك الى أنه غير مكرر مع قوله آمنين والمعنى آمنين في حال الدخول وحال المكث وحال الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الاحرام (قوله من الصلاح) أي وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أي قبله (قوله هو فتح خيبر) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذي أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا لايريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أي القرآن أو المعجزات (قوله ليظهره على الدين كله) أي ليعليه على جميع الاديان فينسخ ما كان حقا ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أي بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك الى أن قوله محمد رسول الله مؤكد لقوله هو الذي أرسل رسوله (قوله لايرحمونهم) أي لايرأفون بهم وذلك لان الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحماء بينهم) أي فكان الواحد منهم اذا رأى أخاه في الدين صافحه وعانقه (قوله تراهم ركعا) اما خبر آخر أو مستأنف والمعنى أنهم في النهار على الاعداء أسود وفي الليل ركع سجود (قوله حالان) أي من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم فقيل يبتغون الخ (قوله سيماهم في وجوههم من أثر السجود) اختلف في تلك السيما فقيل ان مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر وقيل هو صفرة الوجوه من سهر الليل وقيل الخشوع الذي يظهر على الاعضاء حتى يترا آى أنهم مرضى وليسوا بمرضى وليس المراد به مايصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة في الجبهة فانه من فعل الخوارج وفي الحديث اني لابغض الرجل وأكره اذا رأيت بين عينيه أثر السجود (قوله من ضميره) أي من ضمير ماتعلق به الخبر وهو كائنة (قوله المنتقل الى الخبر) أي وهو الجار والمجرور (قوله اي الوصف المذكور) أي وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا الخ سيماهم في وجوههم الخ (قوله مثلهم في التوراة) أي وصفهم العجيب الجاري في الغرابة مجرى الامثال (قوله مبتدأ وخبر) أي ان قوله مثلهم مبتدأ خبره قوله في التوراة والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثلهم في الانجيل الخ) يصح أن يكون مبتدأ خبره قوله كزرع وحينئذ فيوقف على قوله في التوراة ويكونان مثلين وعليه مشى المفسر ويصح أنه معطوف على مثلهم الاول وحينئذ فيوقف على قوله الانجيل ويكونان مثلا واحدا في الكتابين وقوله كزرع خبر لمحذوف أي مثلهم كزرع الخ كلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزرع أو ورقه (قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى (قوله بالمد) أي وأصله أأزره بوزن أكرمه قلبت الهمزة الثانية ألفا للقاعدة المعلومة وقوله والقصر أي فهو من باب ضرب وهما قراءتان سبعيتان (قوله غلظ) أي فهو من باب استحجر الطين (قوله

على

على سوقه) متعلق باستوى (قوله يعجب الزراع) الجملة حالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطأه وقوله فآزره مأخوذ من قوله فاستغلظ وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال انما قواهم وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان) أي لا للتبعيض كما زعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أي كالتابعين وأتباعهم الى يوم القيامة (قوله في آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم والمعنى وهما ثابتان لمن بعد الصحابة في آيات كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم الى قوله أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ﴿ خاتمة ﴾ قد جمعت هذه الآية وهي قوله محمد رسول الله الى آخر السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضي الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه * وهذا آخر القسم الاول من القرآن وهو المطول وقد ختم كأنرى بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال على من قصده بالضر باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا

﴿ سورة الحجرات مدنية ﴾

أي بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل واختلف في تسميته بذلك فقيل لكثرة الفصل فيه بين السور وقيل لكون جميعه محكما لا نسخ فيه (قوله يا أيها الذين آمنوا) ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات اعتناء بشأن المؤمنين في الاوامر والنواهي نظير خطابات لقمان لابنه في قوله يا بني والثلا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا وذكر يا أيها الناس مرة خطابا لما يعم المؤمن والكافر لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى انا خلقناكم من ذكر وأنثى وهذه السورة جمعت آدابا ظاهرية وباطنية وأوامر ونواهي ظاهرية وباطنية عامة وخاصة فهي متضمنة لطريقة الصوفية التي من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان أحدهما أنه متعد حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطي ويمنع وكلوا واشربوا والاصل لا تقدموا ما لا يصلح والثاني أنه لازم نحو وجه وتوجه ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح في الثلاثة والاصل لا تتقدموا فحذفت احدى التاءين وفي الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجري الصحابة على الحكم في أمر من أمور الدين بغير اذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدي متبوعه اذا سار في طريقه من غير اذن فانه في العادة مستهجن ثم استعمل في جانب المشبه ما كان مستعملا في جانب المشبه به من الالفاظ والغرض التنفير من التجري بغير اذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى في حق الملائكة لا يسبقونه بالقول أصله لا يسبق قولهم قوله فحذوم بنفي السبق تنبيها على استهجان السبق أو المراد بين يدي رسول الله وذكر لفظ الله تعظيما للرسول واشعارا بانه من الله بمكان يوجب اجلاله وعلى هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر في سبب النزول ومثال الفعل ما قيل في سبب النزول أيضا من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وما ورد عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وقال الضحاك هو عام في القتال وشرائع الدين أي لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله وهو الاولى (قوله واتقوا الله) أي في التقدم الذي نهاكم عنه (قوله على النبي) الاولى أن يقول عند النبي ففي الحديث انه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يؤمر عليهم واحدا منهم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت الا خلافي وقال عمر ما أردت خلافك فتماريا أي تخاصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت تلك الآيات الخمس الى قوله غفور رحيم ومعنى قول عمر ما أردت خلافك

(على سوقه) أصوله جمع ساق (يعجب الزراع) أي زراعه لحسنه مثل الصحابة رضي الله عنهم بذلك لانهم بدؤا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (ليغيظ بهم الكفار) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله أي شبهوا بذلك (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) أي الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لانهم كلهم بالصفة المذكورة (مغفرة وأجرا عظيما) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا في آيات

﴿ سورة الحجرات مدنية ثماني عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا) من قدم بمعنى تقدم أي تتقدموا بقول ولا فعل (بين يدي الله ورسوله) المبلغ عنه أي بغير اذنهما (واتقوا الله ان الله سميع) لقولكم (عليم) بفعلكم نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الاقرع ابن حابس أو القعقاع بن معبد

أى ما أردت محبة القتل تمنيا وانما أردت أن تولية الاقرع أصلح بهم ولم يظهر لك ذلك (قوله ونزل فيمن رفع صوته الخ) أى كأبى بكر وعمر فى القصة المذكورة كما أن قوله ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى أى كأبى بكر وعمر حين بلغهما النهى عن رفع الصوت فصار يخفضان صوتهما عند النبى كما أن قوله ونزل فى قوم الخ هم بنو تميم الذين تكلم فى شأنهم أبو بكر وعمر فتلخص انه لما اختلف أبو بكر وعمر فى تأمير الامير على الوفد المذكور ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذى يشير بذلك نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية ولما رفعا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل ان الذين يغضون أصواتهم الآية ولما نادى الركب المذكور النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات نزل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآيتين (قوله اذا نطقتم) أى تكلمتم وقوله اذا نطق أى تكلم (قوله ولا تجهروا له بالقول) لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع أن العطف يأباه أشار المفسر الى أن المراد بالاول اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حدا يبلغه صوته بل يكون كلامكم دون كلامه والمراد بالثانى انكم اذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم (قوله اذا ناجيتموه) أى كلمتموه وهو صامت (قوله بل دون ذلك) راجع لكل من النهيين أى بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله اجلالا له تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله أن تحبط أعمالكم) أى يبطل ثوابها وقوله وأنتم لا تشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به الى أن تحبط على حذف مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لا ترفعوا ولا تجهروا فيكون مفعولا لاجله والعامل فيه الثانى أو الاول (قوله بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الاشارة لانه واقع على الحبوط فكأنه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر لان فى الرفع والجهر استخفافا بجنابه فيؤدى الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم له قصد الاهانة وعدم المبالاة روى انه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت على النبى صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشى فسدى على الضبة بمسمار فضربته بمسمار فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره قال اذهب فادعه لى فجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده فى بيت الفرش فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله ان الذين يغضون أصواتهم الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم قال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى وائت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان على دينا حتى يقضى عنى وفلان من رقيقى عتيق فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها الا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أى مخافة من

ونزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) اذا نطقتم (فوق صوت النبى) اذا نطق (ولا تجهروا له بالقول) اذا ناجيتموه (كجهر بعضكم لبعض) بل دون ذلك اجلالا له (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم

مخافة

مخالفة النهي السابق واجلالا وتعظيما (قوله كابي بكر وعمر الخ) أي فكان الجميع يخفضون أصواتهم عنه رسول الله اجلالا له وتعظيما (قوله أولئك الذين الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبران وجملة لهم مغفرة وأجر عظيم مستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الاديم محنا أوسعته ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها (قوله أي لتظهر منهم) أي فانها لا تظهر الا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فالاختبار سبب الظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها فهو من اطلاق السبب على المسبب أي فالاختبار يظهر ما كان كامنا في النفس من التقوى كما أن سماع الالحان يظهر ما كان كامنا في النفس من الطرب فتدبر (قوله ونزل في قوم) أي وهم وفد بني تميم (قوله من وراء الحجرات) أي من خارجها خلفها أو قدامها لان وراء من الاضداد تكون بمعنى خلف و بمعنى قدام قال مجاهد وغيره نزلت في أعراب بني تميم قدم وفد منهم على النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا الفداء ذراري لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نائما للقائلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم وقيل كانوا جاؤا شفعاء في أسارى بني عنبر فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبر والاعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهي ما يحجر عليه) أي يحوط عليه للمنع من الدخول (قوله كان كل واحد منهم الخ) أتى بصيغة لا جزم فيها لان المقام مقام احتمال وذلك لان مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الاعراب) معمول لينادونك (قوله أكثرهم لا يعقلون) المراد بالاكثر الكل لان العرب قد تعبر بالاكثر وتريد الكل (قوله محلك الرفيع) معمول ليعقلون وفي نسخة بعدلك فيكون معمولا لفعلوه فالمحل على الاول المكانة والرتبة وعلى الثاني الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الاول العلي القدر وعلى الثاني المحفوظ من اساءة الادب لحلولك فيه فان الادب يعظم بالمظروف قال الشاعر

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم في محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج الى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقيل الخبر محذوف وجوبا بالوقوعه بعد لو (قوله أي ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بأن فيه ابقاء لها على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أي لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب قال العارفون الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه الى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل في الوليد بن عقبة) بن أبي معيط أخو عثمان بن عفان لامه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد الوقعة معهم واليجبي الزكاة وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من حق الله فبدا له في الرجوع فخشينا أنه انما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله وبعث خالد بن الوليد في عسكر خفية وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال انظر فان رأيت منهم ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فافعل فيهم ما تفعل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين في امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت الآية واستشكل بأن الوليد صحابي جليل ولا يليق اطلاق لفظ

كابي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن) اختبر (الله قلوبهم للتقوى) أي لتظهر منهم (لهم مغفرة وأجر عظيم) الجنة ونزل في قوم جاؤا وقت الظهيرة والنبي صلى الله عليه وسلم في منزله فنادوه (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة وهي ما يحجر عليه من الارض بحائط ونحوه كان كل واحد منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في أي حجرة مناداة الاعراب بغلظة وجفاء (أكثرهم لا يعقلون) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم (ولو أنهم صبروا) أنهم في محل رفع بالابتداء وقيل فاعل لفعل مقدر أي ثبت (حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم) لمن تاب منهم * ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق

مصدقا فخافهم لترة كانت بينه وبينهم في الجاهلية فرجع وقال انهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبي صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاؤا
منكرين ما قاله عنهم (يا أيها الذين آمنوا ٨٦ ان جاءكم فاسق بنبأ) خبر (فتبينوا) صدقه من كذبه وفي قراءة فتثبتوا من الثبات (أن
تصيبوا قوما) مفعول له
أي خشية ذلك (بجهالة)
حال من الفاعل أي
جاهلين (فتصبحوا)
تصيروا (على ما فعلتم) من
الخطأ بالقوم (نادمين)
وأرسل صلى الله عليه وسلم
اليهم بعد عودهم الى
بلادهم خالدا فلم ير فيهم الا
الطاعة والخير فأخبر النبي
بذلك (واعلموا أن فيكم
رسول الله) فلا تقولوا
الباطل فان الله يخبره
بالحال (لو يطيعكم في كثير
من الأمر) الذي تخبرون
به على خلاف الواقع فيرتب
على ذلك مقتضاه (لعنتم)
لأثمتم دونه اثم التسبب الى
المرتب (ولكن الله حبب
اليكم الايمان وزينه) حسنه
(في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان)
استدراك من حيث المعنى
دون اللفظ لان من حبب
اليه الايمان الخ غايرت
صفته صفة من تقدم ذكره
(أولئك هم) فيه التفات
عن الخطاب (الراشدون)
الثابتون على دينهم (فضلا
من الله) مصدر منصوب
بفعله المقدر أي أفضل
(ونعمة) منه (والله عليم)
بهم (حكيم) في انعامه عليهم
(وان طائفتان من
المؤمنين) الآية نزلت في
قضية هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على ابن أبي فبال الحمار فسد ابن أبي أنفه فقال ابن رواحة والله لبول ترجع
حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف (اقتتلوا) جمع نظرا الى المعنى لان كل طائفة جماعة وقرئ
اقتتلتا (فأصلحوا بينهما) ثني نظرا الى اللفظ (فان بغت) تعدت (احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء) ترجع (الى أمر

الفاسق عليه فان المراد به الكافر قال تعالى ففسق عن أمر ربه وأما الذين فسقوا فمأواهم النار الى غير ذلك وأجيب بأن الذي وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ وانما سماه الله فاسقا تنفيرا عن هذا الفعل وزجرا عليه ويؤخذ من الآية حرمة النميمة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقا) بتخفيف الصاد أي يأخذ الصدقات (قوله لترة) بكسر التاء وفتح الراء أي عداوة (قوله ان جاءكم فاسق) المقصود من الآية أي نمام فان النمام فاسق وليس المقصود عين الوليد فانه ليس بفاسق بل هو صحابي جليل وان كان سبب النزول واقعته (قوله أن تصيبوا قوما) أي بالقتل والسبي (قوله نادمين) أي مغتمين لما وقع منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أي فلا تكذبوا عليه فان الله يعلمه بمواطنكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) حال من الضمير المجرور في فيكم والمعنى أنه فيكم كائنا على حالة منكم يجب تغييرها وهي أنكم تودون أن يتبعكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهل والهلاك لكن عصمه الله رحمة بكم (قوله لأثمتم دونه) أي فلا يأثم لعذره وقوله اثم التسبب أي لا اثم الفعل لانكم لم تفعلوا وقوله الى المرتب أي الذي يرتبه النبي صلى الله عليه وسلم على اخباركم ويفعله كقتال بني المصطلق (قوله حبب اليكم الايمان) أي الكامل وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان واذا حبب اليهم الايمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لاضدادها فلذلك قال وكره اليكم الكفر الذي هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذي هو مقابلة الاقرار باللسان والعصيان الذي هو مقابلة العمل بالأركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ما قيل ان لكن يشترط أن يكون ما بعدها مخالفا لما قبلها نفيا واثباتا وتوضيح الجواب ان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فان ما قبل لكن يوهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مسامحة اذ هو اسم مصدر والمصدر افضال ويصح أن يكون مفعولا لاجله عامله حبب وما بينهما اعتراض وفي هذه الآية تنبيه على أن السعادة العظمى محبة الله ورسوله وكراهة أهل الكفر والفسوق (قوله هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا الخ) ذكر القصة مختصرة ورواها الشيخان بطولها وحاصلها أنه روي عن أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه اكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال فسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي واذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أيها المرء انه لا أحسن مما تقول أي لا شيء أحسن منه ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به في مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا اه (قوله ومر على ابن أبي) أي وكان من الخزرج وقوله فقال ابن رواحة أي وكان من الأوس (قوله وسد ابن أبي أنفه) أي وقال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك (قوله فكان بين قوميهما) أي وهما الأوس والخزرج (قوله والسعف) أي وهو جريد النخل اذا كان عليه الخوص فان جرد منه قيل له عسيب (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله فان بغت احداهما) أي أبت النصيحة والاجابة الى حكم الله (قوله حتى تفيء) حتى هنا للغاية والنصب بأن مضمرة بعدها أي الى أن

ترجع الخ (قوله فأصلحوا بينهما بالعدل) أي بالنصح والدعاء الى حكم الله (قوله بالانصاف) أى فلا تجوروا على احدى الطائفتين بل احكموا بينهما بالانصاف (قوله اعدلوا) أشار به الى أن أقسط معناه عدل فهمزته للسلب بخلاف قسط فمعناه جار قال تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا (قوله انما المؤمنون اخوة) كالتعليل لما قبله (قوله اخوة في الدين) أى من حيث انهم ينتسبون الى أصل واحد وهو الايمان (قوله فأصلحوا بين أخويكم) خص الاثنين بالذكر لانهما أقل من يقع بينهما النزاع فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر أولى (قوله وقرئ) أى شذوذا وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة (قوله لعلكم ترحمون) أى على تقوا كم وفي هذا الترجي اطماع من الكريم الرحيم (قوله لا يسخر قوم الخ) يقال سخر منه سخرا من باب تعب والاسم السخرية بضم السين وكسرها والسخرة بوزن غرفة ما سخرته من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن (قوله حين سخروا من فقراء المسلمين) أى لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهذا كان في أول اسلامهم قبل تمكنهم منه والا فقد صار وا بعد ذلك اخوانا متحابين في الله (قوله كعمار الخ) أى وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية (قوله أى رجال منكم) أشار بذلك الى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال خاصة واحده في المعنى رجل وقيل جمع لا واحد له من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال مقابلته بقوله ولا نساء من نساء وهذا هو الموافق لاصل اللغة قال الشاعر وما أدري ولست اخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء وأما قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح ونحوه فالمراد ما يشمل النساء لكن بطريق التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء وسمى الرجال قوما لانهم قوامون على النساء (قوله منكم) قيد به قوم المرفوع وتركه في المجرور ويصح تقييده بكل ويقال نظيره في قوله ولا نساء الخ (قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهي ولا خبر لعسى لانه يغني عنه فاعلها والمعنى لا يحتقر أحد أحدا فلعل من يحتقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره وبالجملة فينبغي للانسان أن لا يسخر بأخيه في الدين بل ولا بأحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن سخر به ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الامر حتى قال بعضهم لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع وقال عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس نزلت في صفية بنت حيي بلغها أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة انى بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك نبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة وذكر النساء لمزيد الايضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهي خاص بالرجال (قوله ولا تلمزوا أنفسكم) اللمز في الاصل الاشارة بالعين ونحوها (قوله لا تعيبوا فتعابوا) أشار بذلك الى توجيه قوله أنفسكم وذلك لان الانسان اذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أى لا يعب بعضكم بعضا) هذا توجيه آخر فكان الاولى للمفسر أن يأتي بأو والمعنى ان المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ومن هذا المعنى قول العارف

اذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى * وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ * فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك ان أبدت اليك معايبا * فدعها وقل يا عين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتي هي أحسن

(قوله ولا تنابزوا بالالقاب) النبز بفتح الباء اللقب مطلقا حسنا أو قبيحا ثم صار مخصوصا بما يكرهه الشخص وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الانصاري قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل الا له اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ومن ذلك الشتم كقولك لاخيك

الله) الحق (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) بالانصاف (وأقسطوا) اعدلوا (ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة) في الدين (فأصلحوا بين أخويكم) اذا تنازعا وقرئ اخوتكم بالفوقانية (واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر) الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب والسخرية الازدراء والاحتقار (قوم) أى رجال منكم (من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله (ولا نساء) منكم (من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم) لا تعيبوا فتعابوا أى لا يعب بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالالقاب) لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه ومنه يا فاسق يا كافر

يا كلب يا حمار ونحو ذلك والمراد بهذه الالقاب ما يكرهه المخاطب وأما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها اذا لم يكرهه المدعو بها وأما الالقاب التي تشعر بالمدح فلا تكره كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (قوله بئس الاسم) بئس فعل ماض والاسم فاعل وقوله الفسوق بدل من الاسم كما قال المفسر وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو والاوضح اعرابه مخصوصا بالذم والمراد بالاسم الذكر المرتفع (قوله الفسوق بعد الايمان) أي الاتصاف بالفسق بعد الاتصاف بالايمان والمراد بالفسوق الخروج عن الطاعة (قوله لافادة أنه) أي ما ذكر من السخرية الخ (قوله لتكرره عادة) أي انه وان كان المذكور صغيرة لا يفسق بها لكنه في العادة يتكرر فيصير كبيرة يفسق بها (قوله فأولئك هم الظالمون) أي الضارون لانفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم وفي هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم وان كان في غالب الآيات اطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر (قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيأ فلما قدما قالا له ما صنعت شيأ قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله طعاما فقال رسول الله انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل طعام وادام فليعطك وكان أسامة خازن طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيأ فلما رجع قالوا لو بعثناك الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله فلما جا آ الى رسول الله قال لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا كان يسمع من أخيه المسلم كلاما لا يريد به سوأ أو يدخل مدخلا لا يريد به سوأ فيراه أخوه المسلم فيظن به سوأ لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا ويكون الرائي مخطئا فأما أهل السوء والفسق المتجاهرين بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير اشارة الى انه ينبغي الاحتياط والتأمل في كل ظن خوف أن يقع في منهي عنه قال سفيان الثوري الظن ظنان أحدهما اثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو أن يظن ولا يتكلم به (قوله وهو) أي بعض الظن كثير وقوله وهم أي أهل الخير (قوله بخلافه بالفساق منهم) أي المؤمنين وقوله في نحو ما يظهر منهم أي في نحو المعاصي التي تظهر منهم بأن يتجاهروا بها (قوله ولا تجسسوا) العامة على قراءته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء واختلف فقيل معناهما واحد وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها والمعنى خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته (قوله ولا يغتب بعضكم بعضا) اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان وأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه وأما الافك فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه وأما البهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه وقيل ان كلا يطلق على كل وهو المشهور ﴿ واعلم ﴾ ان هذه الامور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أولا فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه وبين الله لان المظلمة ما تكون في النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه وقال جماعة يجب عليه أن يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقال جماعة عليه الاستحلال منها ولو اجمالا ويستثنى من الغيبة المحرمة ستة أمور نظمها

بئس الاسم) أي المذكور من السخرية واللمز والتنابز (الفسوق بعد الايمان) بدل من الاسم لافادة أنه فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) أي مؤثم وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا اثم فيه في نحو ما يظهر منهم (ولا تجسسوا) حذف منه احدى التاءين لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها (ولا يغتب بعضكم بعضا) لا يذكره بشيء يكرهه وان كان فيه

بعضهم بقوله
تظلم واستفت واستغث حذر * وعرف بدعة فسق المجاهر

(قوله أيحب أحدكم الخ) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أفحش وجه واغا مثله بهذا لان أكل لحم الميت حرام في الدين وقبيح في النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا يحسن به) تفسير لميتا وقوله لا أشار به الى ان الاستفهام انكاري (قوله فكرهتموه) الضمير عائد على الاكل المفهوم من يأكل (قوله أي فاغتيابه في حياته الخ) في هذا التمثيل اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الانسان لم يحسن منه قرض عرضه بالاولى (قوله قابل توبة التائبين) يشير به الى أن المبالغة في تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده لانه ما من ذنب الا ويعفو الله عنه بالتوبة اذا استوفت شروطها * واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقال هنا ان الله تواب رحيم لكن لما كان الابتداء في الآية الاولى بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالامر في قوله اجتنبوا كثيرا من الظن ذكر الاثبات الذي هو قريب من الامر تأمل (قوله يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهل بن عمرو ان يرد الله شيأ يغيره وقال ابو سفيان أنا لا أقول شيأ أخاف أن يخبره به رب السموات فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء وان المدار على التقوى لان الجميع من آدم وحواء وانما الفضل بالتقوى وقيل نزلت في أبي هند حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا لرسول الله نزوج بناتنا موالينا وقيل نزلت في قيس ابن ثابت حين قال لرجل افسح لي فقال ان ابن فلانة يقول افسح لي كناية عن استخفافه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت قال ثابت رأيت أبيض واسود وأحمر فقال انك لا تفضلهم الا بالتقوى ونزل فيه أيضا قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب (قوله هو أعلى طبقات النسب) أي فالشعوب رؤس القبائل وسمي شعبا لتشعب القبائل منه (قوله ثم الفصائل آخرها) أي فالمراتب ست وزاد بعضهم سابعة وهي العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت الافخاذ والعشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أي وفتحها فهما لغتان لكن الافصح الفتح (قوله ليعرف بعضكم بعضا) أي فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم (قوله وانما الفخر بالتقوى) أي الافتخار المحمود انما يكون على أهل الكفر بترك والتمسك بالاسلام وشعائره (قوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم) أي أعزكم عند الله أكثركم تقوى فهي سبب رفعة القدر في الدنيا والآخرة وانظر الى قوله أتقاكم ولم يقل أكثركم مالا ولا جاها ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الامور التي تفنى (قوله ان الله عليم) أي يعلم ظواهركم خبير يعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شيء (قوله نفر من بني أسد) أشار بذلك الى سبب نزول هذه الآية وذلك أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالاطفال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال ان الاسلام والايمان متلازمان

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به لا (فكرهتموه) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الاول (واتقوا الله) أي عقابه في الاغتياب بان تتوبوا منه (ان الله تواب) قابل توبة التائبين (رحيم) بهم (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) آدم وحواء (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وقبائل) هي دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الافخاذ ثم الفصائل آخرها مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصي بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لتعارفوا) حذف منه احدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلو النسب وانما الفخر بالتقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم) بكم (خبير) ببواطنكم (قالت الاعراب) نفر من بني أسد (آمنا) صدقنا بقلوبنا

(قل) لهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) أي انقدنا ظاهرا (ولما) أي لم (يدخل الايمان فى قلوبكم) الى الآن لكنه يتوقع

منكم (وان تطيعوا الله ورسوله) بالايمان وغيره (لا يألتكم) بالهمز وتركه وبابداله الفا لا ينقصكم (من أعمالكم) أى من ثوابها (شيأ ان الله غفور) للمؤمنين (رحيم) بهم (انما المؤمنون) أي الصادقون فى ايمانهم كما صرح به بعد (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا فى الايمان (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فجهادهم يظهر صدق ايمانهم (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الاسلام (قل) لهم (أتعلمون الله بدينكم) مضعف علم بمعنى شعر أى أتشعرونه بما أنتم عليه فى قولكم آمنا (والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم يمنون عليك أن أسلموا) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم (قل لا تمنوا على اسلامكم) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن فى الموضعين (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) فى قولكم آمنا (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى ما غاب فيهما (والله بصير بما يعملون) بالياء والتاء لا يخفى عليه شئ منه

﴿سورة ق﴾ مكية الا ولقد خلقنا السموات والارض الآية فمدنية خمس وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ق) الله أعلم بمراده به (والقرآن المجيد) والملائكة

فاجاب بان المنفى هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما متغايران بهذا الاعتبار وأما الاسلام والايمان الشرعيان المعتبران فهما متحدان ماصدقا وان كان مفهومهما اختلفا اذ الايمان هو التصديق القلبى بشرط النطق بالشهادتين والاسلام الانقياد الظاهرى الناشئ عن التصديق القلبى (قوله قل لم تؤمنوا) أى فلا تقولوا آمنا وقوله ولكن قولوا أسلمنا أى فحصل منكم الاسلام ظاهرا ففى الآية احتباك حذف من كل نظير ما أثبت فى الآخر (قوله الى الآن) أخذه من لما لان نفيها مختص بالحال وقوله لكنه يتوقع منكم اشار الى ان منفى لما متوقع الحصول ففيه بشارة لهم بانهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ما قد يتوهم من ان هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا * وايضاح الجواب ان هذه الجملة أفادت معنى زائدا وهو نفى الايمان مع توقع حصوله بخلاف الاولى فانها أفادت نفيه فقط (قوله بالهمز) أى من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أى من لات يليت كباع يبيع فحذفت منه عين الكلمة وهى الياء وقيل هو من ولت يلت كوعد يعد فحذفت منه فاء الكلمة وهى الواو (قوله وبابداله ألفا) أى فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله انما المؤمنون) مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أتى بثم اشارة الى ان نفى الريب لم يكن وقت حصول الايمان بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته (قوله فجهادهم يظهر صدق ايمانهم) أى ان الجهاد فى سبيل الله دل على انهم صادقون فى الايمان وليسوا منافقين وهو جواب عن سؤال وهو ان العمل ليس من الايمان فكيف ذكر انه منه فى هذه الآية وايضاح الجواب عنه ان المراد من الآية الايمان الكامل (قوله أولئك هم الصادقون) فيه تعريض بكذب الاعراب فى ادعائهم الايمان فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله يحلفون انهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك فانزل الله قل أتعلمون الله الخ (قوله مضعف علم بمعنى شعر) أى وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط وبواسطة التضعيف يتعدى لاثنين أولهما بنفسه والثانى بحرف الجر (قوله والله يعلم ما فى السموات الخ) الجملة حالية (قوله يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون اسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أى لك ولاصحابك (قوله ويقدر) أى الخافض الذى هو الباء والحاصل أنه مقدر فى ثلاثة مواضع الاول منها قوله أن أسلموا الثانى قوله قل لا تمنوا على اسلامكم الثالث قوله أن هداكم فموضعان فيهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هداكم للايمان) أى على حسب زعمكم كأنه قال ان ايمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله ان كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله ان الله يعلم غيب السموات والارض) أى فلا يخفى عليه شئ فيهما (قوله بالياء) أى نظرا لقوله يمنون وما بعده وقوله والتاء أى نظرا لقوله لا تمنوا وهما قراءتان سبعيتان

﴿سورة ق مكية﴾

أى كلها على أحد القولين وقوله الا ولقد خلقنا على القول الآخر فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الا ولقد خلقنا ليكون مشيرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أصح وأسلم وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقبية وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل ق فرأى تحته جبالا صغارا فقال له ما أنت قال أنا ق قال فما هذه الجبال حولك قال هى عروقى وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقى فاذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرنى فحركت عرقى ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا ق أخبرنى بشئ من عظمة الله قال ان شأن ربنا لعظيم وان ورائى أرضا مسيرة خمسمائة عام فى خمسمائة من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا ولولاهى لاحترقت من حر جهنم ثم قال زدنى قال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدى الله منكسون رؤسهم فاذا أذن الله لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث (فقال الكافرون هذا) الانذار (شيء عجيب أئذا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (متنا وكنا ترابا) نرجع (ذلك رجع بعيد) في غاية البعد (قد علمنا ما تنقص الارض) تأكل (منهم وعندنا كتاب حفيظ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الاشياء المقدرة (بل كذبوا بالحق) بالقرآن (لما جاءهم فهم) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (في أمر مريج) مضطرب قالوا مرة ساحر وسحر ومرة شاعر وشعر ومرة كاهن وكهانة (أفلم ينظروا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث (الى السماء) كائنة (فوقهم كيف بنيناها) بلا عمد (وزيناها) بالكواكب (ومالها من فروج) شقوق تعيبها (والارض) معطوف على موضع الى السماء كيف (مددناها) دحوناها على وجه الماء (وألقينا فيها رواسي) جبالا تثبتها (وأنبتنا فيها من كل زوج) صنف (بهيج) يبهج به لحسنه (تبصرة) مفعول له أي فعلنا ذلك تبصيرا منا (وذكرى) تذكيرا (لكل عبد منيب) رجاع الى طاعتنا (ونزلنا من السماء ماء مباركا) كثير البركة (فأنبتنا به جنات) بساتين (وحب) الزرع (الحصيد) المحصود (والنخل باسقات) طوالا حال مقدرة (لها طلع نضيد) متراكب بعضه فوق بعض (رزقا للعباد) مفعول له (وأحيينا به بلدة ميتا) يستوي فيه المذكر والمؤنث

والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى ق قضي الامر كما قيل في حم حم الامر وقيل هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله ق كقادر وقهار وقوي ولعظم فضل تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الاضحى والفطر بها وباقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة اذا خطب الناس (قوله الكريم) أي فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قدره اشارة الى أن جواب القسم محذوف وهو أسهل الاعاريب (قوله بل عجبوا) اضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفي سببه وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله فقال الكافرون) حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة (قوله هذا شيء عجيب) أي يتعجب منه لانه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وادخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراآت أربع سبعيات لا اثنتان كما توهمه عبارته (قوله بعيد) أي عن العادة (قوله قد علمنا ما تنقص الارض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أي وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب (قوله فيه جميع الاشياء) يحتمل ان الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل انه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شناعتهم الى ما هو أشنع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مريج مضطرب) أي مختلط يقال مرج الامر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير اغفلوا وعموا فلم ينظروا الى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به الى أن فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله ومالها من فروج) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع الى السماء) أي المنصوب بينظروا (قوله يبهج به) أي يسر وفيه اشارة الى أن فعيل بمعنى فاعل أي يحصل السرور به (قوله مفعول له) أي لاجله ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية والتقدير بصرناهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أي تعليما وتفهيما والتبصرة والتذكرة اما عائدان على كل من السماء والارض والمعنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والارض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف ونشر مرتب فالسماء تبصرة والارض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع الى طاعتنا) أي ذا رجوع واقبال عليه فالصيغة للنسبة لا للمبالغة (قوله وحب الحصيد) قدر المفسر الزرع اشارة الى أنه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أي الذي شأنه أن يحصد كالبر والشعير وفيه مجاز الاول أي الزرع الذي يؤول الى كونه محصودا (قوله والنخل باسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت فهي باسقة والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل مهر في علمه (قوله حال مقدرة) أي لانها وقت الانبات لم تكن طوالا وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع نضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير في باسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالانابة وقيده به في قوله تبصرة وذكرى لان التذكرة لا تكون الا للمنيب والرزق يعم كل أحد (قوله وأحيينا به) أي بذلك الماء وقوله بلدة ميتا أي أرضا جدبة يابسة فاهتزت وربت بذلك الماء وأنبتت من كل زوج بهيج (قوله يستوي فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الارض مؤنثة فكيف وصفها بالمذكر وفي هذا الجواب نظر لان استواء المذكر والمؤنث في فعيل وليس هنا والصواب

(كذلك) أى مثل هذا الاحياء (الخروج) من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير والمعنى أنهم نظروا وعلموا ماذكر (كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وأصحاب الرس) هى بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة ابن صفوان وقيل غيره (وثمود) قوم صالح (وعاد) قوم هود (وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة) أى الغيضة قوم شعيب (وقوم تبع) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه (كل) من المذكورين (كذب الرسل) كقريش (فحق وعيد) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أفعيينا بالخلق الاول) أى لم نعى به فلا نعيا بالاعادة (بل هم فى لبس) شك (من خلق جديد) وهو البعث (ولقد خلقنا الانسان ونعلم) حال بتقدير نحن (ما) مصدرية (توسوس) تحدث (به) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان (نفسه ونحن أقرب اليه) بالعلم (من حبل الوريد) الاضافة للبيان والوريدان عرقان بصفحتى العنق (اذ) ناصبه اذكر مقدرا (يتلقى)

أن التذكير باعتبار كونه مكانا (قوله كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر والمعنى خروجهم من قبورهم مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها (قوله والاستفهام للتقرير الخ) الاولى أن يقول للانكار والتوبيخ وقوله والمعنى الخ غير صحيح اذ لو نظروا وعلموا لآمنوا (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش والتسلية لرسول الله (قوله لمعنى قوم) أى لانه بمعنى أمة (قوله هى بئر) أى نخسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبي آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود (قوله وثمود) ذكرهم بعد أصحاب الرس لان الرجفة التى أخذتهم مبدأ الخسف لاصحاب الرس واتبع ثمود بعادلان الريح التى أهلكتهم أثر صيحة ثمود (قوله واخوان لوط) تقدم انه ابن أخى ابراهيم وأنه هاجر معه من العراق الى الشام فنزل ابراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم وأرسله الله الى أهلها وهو أجنبى منهم فكيف يقال اخوانه أجيب بأنه تزوج منهم فصار صهرا لهم فالاخوة من حيث ذلك (قوله وأصحاب الايكة) تقدم الكلام عليهم فى الشعراء (قوله أى الغيضة) أى وهى الشجر الملتف وهى هنا بأل المعرفة وفى ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبى وهو تبع الحميرى واسمه أسعد وكنيته أبو قرن (قوله كل) التنوين عوض عن المضاف أى كل أمة والمراد بالكل الكل المجموعى (قوله كذب الرسل) أى ولو بالواسطة كتبع (قوله فحق وعيد) مضاف لياء المتكلم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أى لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم (قوله أفعيينا بالخلق الاول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والاصل أقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يحكموا بعجزنا عن الاعادة وفيه الزام لمنكرى البعث والعى العجز (قوله بالخلق الاول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى لبس) عطف على مقدر يقتضيه السياق كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أى لان الجملة المضارعية المثبتة اذا وقعت حالا لا تقترن بالواو بل تحوى الضمير فقط فان اقترنت بالواو أعربت خبر المحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا قال ابن مالك

وذات بدء بمضارع ثبت ❊ حوت ضميرا ومن الوا وخلت

وذات واو بعدها انو مبتدا ❊ له المضارع اجعلن مسندا

(قوله ما مصدرية) أى والتقدير ونعلم وسوسة نفسه اياه ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعلم الامر الذى تحدث نفسه به (قوله الباء زائدة) أى فهو نظير صوت بكذا وقوله أو للتعدية أى فالنفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) أى تجعل الانسان مع نفسه شخصين تجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يحدثها وتارة تحدثه وهذه الوسوسة لا يؤاخذ بها الانسان خيرا أو شرا ومثلها الخاطر والهاجس وأما الهم فيكتب فى الخير لا فى الشر وأما العزم فيكتب خيرا أو شرا وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب اليه) أى لان الله لا يحجبه شئ بل هو القائم على كل نفس لا تخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه بحيث لا يغيب عنه طرفة عين قال تعالى والله معكم أينما كنتم (قوله من حبل الوريد) هذا مثل فى شدة القرب والحبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتى العنق) أى مكتنفان صفحتى العنق فى مقدمها يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب وبالابهر وهو عرق فى الظهر وبالاكحل وهو عرق فى الذراع وبالنسا وهو عرق فى الفخذ وبالاسلم وهو عرق فى الخنصر متى قطع من أى جهة مات صاحبه قال القشيرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب لقوم أى بحسب تجلى الله تعالى وشهوده فا...

الانسان

يأخذ ويثبت (المتلقيان) الملكان الموكلان بالانسان ما يعمله (عن اليمين وعن الشمال) منه (قعيد) أي قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب) حافظ (عتيد) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى (وجاءت سكرة الموت) غمرته وشدته (بالحق) من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذلك) أي الموت (ما كنت منه تحيد) تهرب وتفزع (ونفخ في الصور) للبعث (ذلك) أي يوم النفخ (يوم الوعيد) للكفار بالعذاب (وجاءت فيه (كل نفس) الى المحشر (معها سائق) ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليها بعملها وهو الأيدي والأرجل وغيرها ويقال للكافر (لقد كنت) في الدنيا (في غفلة من هذا) النازل بك اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فبصرك اليوم حديد) حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا (وقال قرينه) الملك الموكل به (هذا ما) أي الذي (لدي عتيد) حاضر فيقال لمالك (ألقيا في جهنم) أي ألق ألق أو ألقين وبه قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا (كل كفار عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كالزكاة (معتد) ظالم (مريب) شاك في دينه (الذي جعل مع الله الها آخر) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) تفسيره مثل ما تقدم (قال قرينه) الشيطان (ربنا ما أطغيته) أضللته ولكن كان في ضلال بعيد) فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطغاني بدعائه لي (قال) تعالى (لا تختصموا لدي)

الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله واذا شهد جمال الله ورحمته واحسانه أنس وفرح (قوله يأخذ ويثبت) أي يكتبان في صحيفتي الحسنات والسيئات وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه ومحلهما من الانسان نواجذه (قوله ما يعمله) مفعول يتلقى (قوله أي قاعدان) أشار به الى أن قعيد مفرد أقيم مقام المثنى لان فعيلا يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ما قبله) أي والجملة في محل نصب على الحال من المتلقيان (قوله ما يلفظ من قول الخ) ما نافية ومن زائدة في المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة حالية (قوله وكل منهما بمعنى المثنى) أي فالمعنى الا لديه ملكان موصوفان أنهما رقيبان وعتيدان فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد وقوله حاضر أي فلا يفارقه الا في مواضع ثلاثة في الخلاء وعند الجماع وفي حالة الجنابة فاذا فعل العبد في تلك الحالات حسنة أو سيئة عرفاها برائحتها وكتباها (قوله وجاءت سكرة الموت) أي حضرت اما بالموت فرادى وهو ظاهر واقع أو دفعة عند النفخة الاولى وانما عبر عنها بالماضي لتحقق وقوعها واشارة الى أنها في غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدية أي أتت بالامر الحق أي أظهرته والمراد به ما يعقب الموت من أهوال الآخرة ومعنى كونه حقا انه واقع لا محالة (قوله وهو نفس الشدة) المناسب حذف هذه العبارة للاستغناء عنها بما قبلها الا أن يقال ان الضمير في هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدة الامر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله تهرب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ في الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل لا يعلم قدره الا الله تعالى وقد التقمه اسرافيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظر للاذن بالنفخ (قوله أي يوم النفخ) أي فالاشارة الى الزمان المفهوم من قوله نفخ لان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان (قوله معها سائق وشهيد) اختلف في معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ما قاله المفسر قيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه وأعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) هذا أحد قولين وقيل ان القول يقع للمسلم أيضا لكن على سبيل التهنئة ومعنى كنت في غفلة كنت في حجاب لم تشاهد ما بالبصر اذ ليس راء كمن سمع فكشفنا عنك غطاءك فهنا أبصر ما رأيت وتمتع بما أعطيته من النعيم المقيم (قوله فكشفنا عنك غطاءك) أي حجابك وهو الغفلة والانهماك في الشهوات (قوله حاد) أي نافذ زوال المانع للابصار (قوله الملك الموكل به) أي في الدنيا لكتابة أعماله وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره والمعنى ان الملك يقول هذا عمله المكتوب عندي حاضر لدي وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الاشارة عائد على ذات الشخص الكافر والمعنى يقول الشيطان هذا الشخص الذي عندي حاضر معد ومهيأ للنار (قوله هذا ما لدي عتيد) يصح أن تكون ما نكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدي متعلق بعتيد أي هذا شيء حاضر عندي ويصح أن تكون ما موصولة بمعنى الذي ولدي صلتها وعتيد خبر الموصول والموصول وصلته خبر اسم الاشارة (قوله أي ألق الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية في قوله ألقيا فأجاب بجوابين الاول انه تثنية بحسب الصورة والاصل ان الفعل كرر للتوكيد فحذف الثاني وعبر عنهما بضمير التثنية على ما يعرب بحذف النون والالف فاعل الثاني ان الالف ليست للتثنية بل هي منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة وأجري الوصل مجرى الوقف (قوله وبه قرأ الحسن) أي وهي قراءة شاذة (قوله معاند) أي معرض عن الحق مخالف له (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ أشبه الشرط (قوله تفسيره) أي تخريجه مثل ما تقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أي جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغاني فالكافر أولا يقول الشيطان أطغاني فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطغيته وكان الاولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطغاني بأن يقول وقال قرينه جوابا لقوله هو أطغاني ربنا الخ (قوله لا تختصموا)

خطاب الكافرين وقرنائهم (قوله أى ماينفع الخصام هنا) أى فى موقف الحساب (قوله وقد قدمت اليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لاتختصموا وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد فى الدنيا والاختصام فى الآخرة وأجيب بأن الكلام على حذف والاصل وقد ثبت الآن أنى قد قدمت اليكم الخ (قوله ولابد) أى لاتطمعوا أنى أبدل وعيدى فان وعيدى للكافرين محتم كوعدى للمؤمنين (قوله مايبدل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر فى النار (قوله فى ذلك) أى فى ذلك اليوم فاسم الاشارة عائد على يوم الحساب (قوله لاظلم اليوم) أى واذا انتفى الظلم عنه فى هذا اليوم فنفى الظلم عنه فى غيره أحرى سبحان من تنزه عن الظلم عقلا ونقلا (قوله ناصبه ظلام) أى والمعنى ما أنا بظلام يوم قولى لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بملئها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء واجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لما ورد تحاجت الجنة والنار واشتكت النار الى ربها فلا حاجة الى تكلف المجاز مع التمكن من الحقيقة فى هذا ونظائره مما ورد فى السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت (قوله وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال أى اجابته جوابا صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أى امتلأت وانما اجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريرى واستفهام جوابها انكارى هذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدنى ويدل عليه ما جاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وفى رواية واما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا انتهى ولفظ القدم والرجل فى الحديث من المتشابه يأتى فيه مذهب السلف والخلف فالسلف ينزهونه عن الجارحة ويفوضون علمه لله تعالى والخلف لهم فيه تآويل منها أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار فى علم الله لان القدم والرجل يطلقان فى اللغة على العدد الكثير من الناس فكأنه قال حتى يضع رب العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها ويؤيده ما ورد عن ابن مسعود ان ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ما أمر به وما ينتظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ فتنزوى جهنم على من فيها وتنطبق اذ لم يبق أحد ينتظر اه ومنها ان وضع القدم والرجل كناية عن تجلى الجلال عليها فتتصاغر وتضيق وتنزوى فتقول قط قط وهذا هو الاقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكانا) قدره المفسر اشارة الى أن قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهو منصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة اما لانه صفة لمذكر محذوف أو لان فعيلا يستوى فيه المذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للتأكيد كقولهم هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل ان قلت ان الجنة مكان والشان انتقال الشخص للمكان لا انتقال المكان للشخص أجيب بأنه أضاف القرب لها اكراما للمؤمنين كان الاكرام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم اليها (قوله ويبدل من المتقين) أى باعادة الجار وجملة هذا ما توعدون معترضة بين البدل والمبدل منه (قوله حافظ لحدوده) أى حفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ (قوله من خشى الرحمن) اما بدل من كل أو مستأنف خبر لمحذوف (قوله خافه ولم يره) أشار بذلك الى أن قوله بالغيب حال من المفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه أى محتجب بصفة جلاله وكبريائه ويصح أن يكون حالا من الفاعل والمعنى خشى الرحمن والحال أن الشخص غائب عن الله أى محجوب عنه (قوله أى سالمين من كل مخوف) أشار بذلك الى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهى حال مقارنة (قوله أو مع سلام) أى ان دخولهم مصحوب

أى ماينفع الخصام هنا (وقد قدمت اليكم) فى الدنيا (بالوعيد) بالعذاب فى الآخرة لو لم تؤمنوا ولابد منه (مايبدل) يغير (القول لدى) فى ذلك (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذبهم بغير جرم وظلام بمعنى ذى ظلم لقوله لاظلم اليوم (يوم) ناصبه ظلام (تقول) بالنون والياء (لجهنم هل امتلأت) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وتقول) بصورة الاستفهام كالسؤال (هل من مزيد) أى فى لا أسع غير ما امتلأت أى به قد امتلأت (وأزلفت الجنة) قربت (للمتقين) مكانا (غير بعيد) منهم فيرونها ويقال لهم (هذا) المرئى (ماتوعدون) بالتاء والياء فى الدنيا ويبدل من المتقين قوله (لكل أواب) رجاع الى طاعة الله (حفيظ) حافظ لحدوده (من خشى الرحمن بالغيب) خافه ولم يره (وجاء بقلب منيب) مقبل على طاعته ويقال للمتقين أيضا (ادخلوها بسلام) أى سالمين من كل مخوف أو مع سلام أى سلموا وادخلوا

بالسلام

ذلك اليوم الذى يحصل فيه الدخول (يوم الخلود) الدوام فى الجنة (لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد)

زيادة على ما عملوا وطلبوا

بالسلام من بعضهم أو من الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلما عليكم (قوله ذلك اليوم الذى يحصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى للمؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم ما يشاؤن) أى ما يشتهون ويريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها اما متعلق بيشاؤن أو حال من ما (قوله زيادة على ما عملوا وطلبوا) أى وهو النظر الى وجه الله الكريم لما قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار امته فهذا هو المزيد وقيل ان السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور وهيقلن نحن المزيد الذى قال الله فيه ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية معمولة لاهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ أو خبر والجملة صفة اما لكم أو لقرن وبطشا تمييز والمعنى أننا أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا وبطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول العذاب بهم فلم يجدوا مخلصا (قوله فنقبوا فى البلاد) أى ساروا فيها طالبين الهرب (قوله لهم أو لغيرهم) هذا يقتضى ان جملة هل من محيص استئنافية من كلامه تعالى وحينئذ فالوقف على قوله فى البلاد ويكون فى الكلام حذف والتقدير ففتشوا فى البلاد هاربين فلم يجدوا مخلصا فهل من فرار لهم أو لغيرهم وقيل انها من كلامهم والتقدير قائلين هل من محيص لنا (قوله ان فى ذلك المذكور) أى من أول السورة الى هنا (قوله أو ألقى السمع) أومانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب فان الموعظة لا تفيد ولا ينتفع بها صاحبها الا اذا كان ذا عقل وأصغى بسمعه وأحضر قلبه فان لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (قوله استمع الوعظ) أى بكليته حتى كانه يلقى شيأ من علو الى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال انه حاضر القلب غير مشتغل بشئ غير ما هو فيه وحضور القلب على مراتب مرتبة العامة أن يشهد الاوامر والنواهى من القارئ ومرتبة الخاصة أن يشاهد الشخص منهم أنه فى حضرة الله تعالى يأمره وينهاه ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدون أن القارئ هو الله تعالى وانما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعليما للعباد التمهل والتأنى فى الامور والا فلو شاء لخلق الكل فى أقل من لمح البصر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب والعامة على ضم اللام وقرئ شذوذا بفتحها والجملة اما حالية أو مستأنفة (قوله نزل ردا على اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله وما مسنا من لغوب (قوله ولعدم المماسة بينه وبين غيره) أى من الموجودات التى يوجدها والتعب والاعياء انما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله كالنجار والحداد وغير ذلك وهذا انما يكون فى افعال المخلوقين (قوله انما أمره) أى شأنه (قوله اذا أراد شيأ) أى ايجاد شئ أو اعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة عمل وهذا على حسب التقريب للعقول والا فى الحقيقة لا قول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره اذ نسبوا له الاعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم (قوله وسبح بحمد ربك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشتغل بعبادة ربك ولا تتركها حزنا على عدم ايمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الخلق وعبادة ربه فحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة لانه ليس مأمورا بجهادهم حينئذ (قوله صل حامدا) أشار بذلك الى ان سبح معناه صل اما مجاز من اطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لان من جملة معانى الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة كنت أصلى سبحة الضحى الخ (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من ادبرت الصلاة اذا انقضت (قوله وبكسرها مصدر أدبر) أى والمعنى وقت ادبار الصلاة أى انقضائها وتمامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح) أى لما ورد من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام

(وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أى أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هم أشد منهم بطشا) قوة (فنقبوا) فتشوا (فى البلاد هل من محيص) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا (ان فى ذلك) المذكور (لذكرى) لعظة (لمن كان له قلب) عقل (أو ألقى السمع) استمع الوعظ (وهو شهيد) حاضر بالقلب (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام) أولها الاحد وآخرها الجمعة (وما مسنا من لغوب) تعب نزل ردا على اليهود فى قولهم ان الله استراح يوم السبت وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (فاصبر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم على ما يقولون أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وسبح بحمد ربك) صل حامدا (قبل طلوع الشمس) أى صلاة الصبح (وقبل الغروب) أى صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) أى صلاة العشاءين (وادبار السجود) بفتح الهمزة جمع دبر وبكسرها مصدر أدبر أى صل النوافل المسنونة عقب الفرائض وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الاوقات ملابسا للحمد (واستمع) يا مخاطب

مقولى (يوم يناد المناد) هو اسرافيل (من مكان قريب) من السماء وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الارض الى السماء يقول أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم) بدل من يوم قبله (يسمعون) أى الخلق كلهم (الصيحة بالحق) بالبعث وهى النفخة الثانية من اسرافيل ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده (ذلك) أى يوم النداء والسماع (يوم الخروج) من القبور وناصب يوم ينادى مقدر أى يعلمون عاقبة تكذيبهم (انا نحن نحيي ونميت والينا المصير يوم) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تشقق) بتخفيف الشين وتشديدها بادغام التاء الثانية فى الاصل فيها (الارض عنهم سراعا) جمع سريع حال من مقدر أى فيخرجون مسرعين (ذلك حشر علينا يسير) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك اشارة الى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الاحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب (نحن أعلم بما يقولون) أى كفار قريش (وما أنت عليهم بجبار) تجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالجهاد (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وهم المؤمنون

﴿سورة الذاريات مكية ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات) الرياح تذرو التراب وغيره (ذروا) مصدر ويقال تذريه ذريا تهب به (فالحاملات) السحب تحمل الماء (وقرا) ثقلا مفعول الحاملات (فالجاريات) السفن تجرى على وجه الماء (يسرا) بسهولة مصدر فى موضع الحال أى ميسرة (فالمقسمات أمرا) الملائكة تقسم الارزاق والامطار وغيرها بين العباد والبلاد (انما توعدون) ما مصدرية أى ان وعدهم بالبعث وغيره (لصادق) لوعد صادق (وان الدين) الجزاء بعد الحساب (لواقع) لا محالة والسماء

الباقة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (قوله مقولى) أشار بذلك الى ان مفعول استمع محذوف أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للقول المحذوف (قوله يوم ينادى) الوقف عليها اما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والمنادى اما بالياء وصلا ووقفا أو باثباتها وصلا لا وقفا أو بحذفها وصلا ووقفا ثلاث قراآت (قوله هو اسرافيل) هذا احد قولين وقيل المنادى جبريل والنافخ اسرافيل (قوله أقرب موضع من الارض الى السماء) أى باثنى عشر ميلا (قوله والاوصال) أى العروق (قوله بالحق) حال من الواو أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة المفسر تقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل ان تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى انها غير النداء المذكور مع ان النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم الا على القول بان المنادى جبريل والنافخ اسرافيل (قوله أى يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلصقه لكان أولى (قوله انا نحن نحيي) أى فى الدنيا وقوله والينا المصير أى فى الآخرة (قوله وما بينهما) أى وهو قوله انا نحن نحيي ونميت والينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح أن يكون حالا من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الحصر والمعنى لا يتيسر ذلك الا على الله وحده (قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثى ويقال أيضا اجبر رباعيا فهما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أى فهو منسوخ (قوله من يخاف وعيد) رسم بدون ياء وفى اللفظ يقرأ باثباتها وصلا لا وقفا وبحذفها وصلا ووقفا قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) خصهم لانهم المنتفعون به ويؤخذ من الآية انه ينبغى للشخص أن لا يعظ الا من يسمع وعظه ويقبله

﴿سورة الذاريات﴾

وفى بعض النسخ والداريات بالواو (قوله والداريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات عطف عليه والجاريات عطف على الحاملات والمقسمات عطف على الجاريات والمقسم عليه هو قوله انما توعدون لصادق وانما أقسم بهذه الاشياء تعظيما لها ولكونها دلائل على باهر قدرة الله ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف أى ورب هذه الاشياء فالقسم بالله لا بتلك الاشياء (قوله تذرو التراب) أى ففعله واوى من باب عدا وأشار به الى أن مفعول الذاريات محذوف (قوله مصدر) أى مؤكد وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال تذريه) أى ففعله يائى من باب رمى (قوله تهب به) راجع لكل من الواوى واليائى (قوله وقرا) الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى (قوله مفعول الحاملات) أى مفعول به للحاملات (قوله أمرا) اما مفعول به أو حال أى مأمورة وعليه فيحتاج الى حذف مفعول المقسمات (قوله الملائكة تقسم الارزاق الخ) أى ورؤساء ذلك أربعة جبريل وهو صاحب الوحى الى الانبياء وميكائيل صاحب الرزق واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب قبض الارواح وما مشى عليه المفسر فى تفسير هذه الاشياء هو المشهور وقيل هذه الاوصاف الاربعة للرياح لانها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله ثم تجرى به جريا سهلا ثم تقسم الامطار بتصريف السحاب (قوله أى ان وعدهم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أى حاصل (قوله

(والسماء ذات الحبك) جمع حبكة كطر يقة وطرق أي صاحبة الطرق في الخلقة كالطرق في الرمل (انكم) يا أهل مكة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (لفي قول مختلف) قيل شاعر ساحر كاهن شعر سحر كهانة (يؤفك) يصرف (عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن أي عن الايمان به (من أفك) صرف عن الهداية في علم الله تعالى ٩٧ (قتل الخراصون) لعن الكذابون أصحاب القول المختلف

(الذين هم في غمرة) جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عن أمر الآخرة (يسئلون) النبي استفهام استهزاء (أيان يوم الدين) أي متى مجيئه وجوابهم يجيء (يوم هم على النار يفتنون) أي يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذوقوا فتنتكم) تعذيبكم (هذا) التعذيب (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا استهزاء (ان المتقين في جنات) بساتين (وعيون) تجري فيها (آخذين) حال من الضمير في خبران (ما آتاهم) أعطاهم (ربهم) من الثواب (انهم كانوا قبل ذلك) أي دخولهم الجنة (محسنين) في الدنيا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أي ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره (وبالاسحار هم يستغفرون) يقولون اللهم اغفر لنا (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) الذي لا يسأل لتعففه (وفي الارض) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيات) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (للموقنين وفي أنفسكم) آيات أيضا من مبدا خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وفي السماء رزقكم) أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق (وما توعدون) من المآب والثواب والعقاب أي مكتوب ذلك في السماء

والسماء ذات الحبك) بضمتين في قراءة العامة وقرئ بوزن ابل وسلك وجبل ونعم وبرق (قوله في الخلقة) أشار به الى أن المراد بها الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب ويصح أن المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى (قوله انكم لفي قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب أن يقول قائم (قوله عن النبي والقرآن) أي فالضمير عائد على أحدهما وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي فما من عبد كفر بك الا سابق كفره أزلا ويصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب في الاصل مستعمل في القتل حقيقة ثم استعمل في اللعن على سبيل الاستعارة حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذي فاتته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أي متى مجيئه) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان الزمان لا يخبر به عن الزمان وانما يخبر به عن الحدث فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أي جواب سؤالهم وانما أجيبوا بما لا تعيين فيه لانهم مستهزؤن لا متعلمون (قوله على النار يفتنون) عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله الذي كنتم الخ خبره (قوله ان المتقين الخ) لما بين حال الكفار وما أعد لهم في الآخرة أخذ يبين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجري فيها) جواب عما يقال ان المتقين لم يكونوا في العيون فكيف قال في جنات وعيون فأجاب بأن المراد أن العيون تجري في الجنة وتكون في جهاتهم وأماكنهم (قوله حال من الضمير في خبران) أي كائنون في جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أي راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالاسحار) متعلق بيستغفرون المعطوف على يهجعون والباء بمعنى في والاسحار جمع سحر وهو سدس الليل الاخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أي تقصيرنا في حقك فانه لا يقدرك أحد حق قدرك (قوله وفي أموالهم حق) أي بمقتضى كرمهم جعلوه كالواجب عليهم كصلة الارحام ومواساة الفقراء والمساكين والمعنى أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم في طاعة ربهم (قوله لتعففه) أي فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والمعتر (قوله وفي الارض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفي أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ما قبله عليه وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته وقد اشتمل على دليلين الارض والانفس (قوله من الجبال الخ) بيان للارض فالمراد بها ما قابل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أي وجميع صفاته الكمالية (قوله من مبدا خلقكم الى منتهاه) أي كالاطوار المذكورة في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ (قوله وما في تركيب خلقكم الخ) أي كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفي السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد (قوله أي المطر المسبب عنه النبات) أي فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفي السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أي مكتوب ذلك) أي ما توعدون فهو تفسير لظرفية ما توعدون في السماء وأما ظرفية الرزق فيها فظاهرة اذ المطر فيها حقيقة والمعنى أن جميع ما توعدون به من خير وشر مكتوب في السماء تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به (قوله

(فورب السماء والارض انه) أي ماتوعدون (لحق مثل ما أنكم تنطقون) برفع مثل صفة وما مزيدة وبفتح اللام مركبة مع ما المعنى مثل نطقكم في حقيقته أي معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم (هل أتاك) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

(حديث ضيف ابراهيم المكرمين) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (اذ) ظرف لحديث ضيف (دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي هذا اللفظ (قال سلام) أي هذا اللفظ (قوم منكرون) لا نعرفهم قال ذلك في نفسه وهو خبر مبتدا مقدر أي هؤلاء (فراغ) مال (الى أهله) سرا (فجاء بعجل سمين) وفي سورة هود بعجل حنيذ أي مشوي (فقربه اليهم قال ألا تأكلون) عرض عليهم الاكل فلم يجيبوا (فأوجس) أضمر (في نفسه) منهم (خيفة قالوا لاتخف) انا رسل ربك (وبشروه بغلام عليم) ذي علم كثير هو اسحق كما ذكر في هود (فأقبلت امرأته) سارة (في صرة) صيحة حال أي جاءت صائحة (فصكت وجهها) لطمته (وقالت عجوز عقيم) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر ابراهيم مائة سنة أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة (قالوا كذلك) أي مثل قولنا في البشارة (قال ربك انه هو الحكيم) في صنعه (العليم) بخلقه (قال فما خطبكم) شأنكم (أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) كافرين أي قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) مطبوخ بالنار

فورب السماء والارض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ماذكره من الرزق وغيره وأنه مثل النطق في كونه حقا لا يفارق الشخص في حال من أحواله (قوله أي ماتوعدون) أي ورزقكم أيضا (قوله برفع مثل صفة) أي لحق (قوله وبفتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله مركبة مع ما) أي حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج كخمسة عشر ونحوه ولما فيقال في اعرابها مثل ما صفة لحق مبني على السكون في محل رفع ومثل ما مضاف وجملة انكم تنطقون مضاف اليه في محل جر (قوله المعنى) أي معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم في حقيقته) أي فكما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في حقيقته ﴿حكي﴾ أن رجلا جاع في مكان وليس فيه شيء فقال اللهم رزقك الذي وعدتني فائتني به فشبع وروي من غير طعام ولا شراب (قوله هل أتاك الخ) استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة وقيل ان هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر (قوله ضيف ابراهيم) الضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أي المعظمين (قوله منهم جبريل) أي على جميع الاقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه في عامل الظرف الثاني أنه منصوب بما في ضيف من معنى الفعل لكونه في الاصل مصدرا الثالث أنه منصوب بالمكرمين الرابع أنه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أي نسلم عليكم سلاما وقوله قال سلام أي عليكم سلام وعدل الى الرفع قصدا للاثبات فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أي لا نعرف من أي بلدة قدموا وفي هود فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم فقضاه ان انكارهم انما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الاكل ومقتضى ما هنا انه قبل ذلك وحاصل الجمع بين الموضعين ان الانكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم من أي جهة وما تقدم محمول على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر (قوله فراغ الى أهله) أي خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أي في خفية من ضيفه فان من دأب رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى في خفية حذرا من أن يمنعه الضيف (قوله فقربه اليهم) عطف على محذوف والتقدير فشواه (قوله عرض عليهم الاكل) أشار بذلك الى أن ألا للعرض وهو الطلب بلين ورفق كما قال الشاعر

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما * قد حدثوك فما راء كمن سمعا

(قوله فأوجس) عطف على ما قدره المفسر (قوله خيفة) أي من عدم أكلهم فان الضيف اذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه (قوله قالوا لاتخف) أي لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله انا رسل ربك) أي الى قوم لوط وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشي حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (قوله فأقبلت امرأته) أي لما سمعت البشارة المذكورة وكانت في زاوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ماذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صيحة) تفسير لصرة وتقدم في هود أنها ضحكت أي حاضت فلم يكن بين البشارة والولادة الا سنة (قوله فصكت وجهها) أي ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف أصابعها مثل المتعجب وهي عادة النساء اذا أنكرن شيأ (قوله وقالت عجوز) أي أنا عجوز (قوله قالوا كذلك) منصوب على المصدر بقال الثانية أي مثل ذلك القول الذي أخبرناك به قال ربك أي قضى وحكم في الازل فلا تعجبي منه (قوله قال فما خطبكم) أي لما رأى من حالهم وان اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فقط (قوله لنرسل عليهم حجارة) استدل به على ان اللائط يرجم بالاحجار وكان في تلك المدائن ستمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفعها

حتى

(مسومة) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عند ربك) ظرف لها (للمسرفين) باتيانهم الذكور مع كفرهم (فأخرجنا من كان فيها) أي قرى قوم لوط (من المؤمنين) لاهلاك الكافرين (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أي هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات (وتركنا فيها) بعد اهلاك الكافرين (آية) علامة على اهلاكهم (للذين يخافون العذاب الاليم) لا يفعلون مثل فعلهم (وفي موسى) معطوف على فيها المعنى وجعلنا في قصة موسى آية (إذ أرسلناه الى فرعون) ملتبسا (بسلطان مبين) بحجة واضحة (فتولى) أعرض عن الايمان (بركنه) مع جنوده لانهم له كالركن (وقال) لموسى هو (ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم) طرحناهم (في اليم) البحر فغرقوا (وهو) أي فرعون (مليم) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية (وفي) اهلاك (عاد) آية (اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هي التي لا خير فيها لانها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر وهي الدبور (ماتذر من شيء) نفس أو مال (أتت عليه الا جعلته كالرميم) كالبالي المتفتت (وفي) اهلاك (ثمود) آية (اذ قيل لهم) بعد عقر الناقة (تمتعوا حتى حين) أي الى انقضاء آجالكم كما في آية تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا) تكبروا (عن أمر ربهم) أي عن امتثاله (فأخذتهم الصاعقة) بعد مضي الثلاثة أيام أي الصيحة المهلكة (وهم ينظرون) أي بالنهار (فما استطاعوا من قيام) أي ماقدروا على النهوض حين نزول العذاب (وما كانوا منتصرين) على من أهلكهم (وقوم نوح) بالجر عطف على ثمود أي وفي اهلاكهم بما في السماء والارض آية وبالنصب أي وأهلكنا قوم نوح (من قبل) أي قبل اهلاك هؤلاء المذكورين (انهم كانوا قوما فاسقين)

حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مسومة) اما حال من حجارة أو صفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع ابراهيم (قوله أي قرى قوم لوط) أي وهي وان لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أي غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أي وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه (قوله وصفوا بالايمان والاسلام) أي لان المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أي أبقينا في القرى (قوله علامة) أي وهي تلك الاحجار والصخر المتراكم والماء الاسود المنتن يشاهدها من يمر بأرضهم (قوله معطوف على فيها) أي على الضمير المجرور بفي (قوله المعنى وجعلنا الخ) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله اذ أرسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف والمعنى تركنا في قصة موسى علامة في وقت ارسالنا اياه (قوله ملتبسا بسلطان الخ) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والباء للملابسة (قوله بحجة واضحة) أي وهي الآيات التسع (قوله كالركن) أي كركن البيت الذي يعتمد عليه فسمى الجنود ركنا لانه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أي في شأن موسى (قوله ساحر أو مجنون) يحتمل ان أو على بابها من الابهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك تمويها على قومه ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الاحسن لانه قالهما قال تعالى ان هذا الساحر عليم وقال في موضع آخر ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو مليم) الجملة حالية من مفعول أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك الى ان اسناد الايلام له مجاز عقلي على حد عيشة راضية (قوله من تكذيب الرسول الخ) أشار بذلك الى أن الفعل الذي يحصل اللوم عليه يختلف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون (قوله وفي اهلاك عاد الخ) أي فما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتي هنا (قوله هي التي لا خير فيها) أي فالعقم في الاصل وصف للمرأة التي لا تلد وصفت به الريح من حيث انها لا تأتي بخير (قوله وهي الدبور) وقيل هي الجنوب وقيل هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين والاظهر ما قاله المفسر لما في الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (قوله الا جعلته كالرميم) هذه الجملة في محل المفعول الثاني لتذر كأنه قال ما تترك شيأ الا مجعولا كالرميم (قوله البالي المتفتت) وقيل الرميم الرماد وقيل التراب المدقوق والمعاني متقاربة (قوله فعتوا عن أمر ربهم) هذا الترتيب في الذكر فقط والا فقول الله لهم تمتعوا متأخر عن العتو (قوله عن أمر ربهم) أي المذكور في سورة هود بقوله وياقوم هذه ناقة الله لكم آية الخ (قوله أي الصيحة المهلكة) أي فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعا والصاعقة تطلق على نار تنزل من السماء وعلى الصيحة وهو المراد هنا (قوله أي بالنهار) أشار بذلك الى أن قوله وهم ينظرون من النظر وقيل هو من الانتظار والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب (قوله على من أهلكهم) المناسب أن يقول وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب اذ لا يتوهم انتصارهم على الله وانما يتوهم الفرار منه (قوله بالجر عطف على ثمود) هذا أحد أوجه وهو أقربها (قوله وبالنصب) أي على أنه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأهلكنا وفيه أوجه أخر وهذا أحسنها وقيل منصوب باذكر مقدرا والقراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر

محذوف أي أهلكناهم (قوله والسماء بنيناها) قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال وكذا قوله والارض فرشناها وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما والافصح في النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية (قوله بأيد) حال من فاعل بنيناها والمعنى بنيناها حال كوننا ملتبسين بقوة وبطش لا بواسطة شيء بل بقول كن (قوله قادرون) فسر الايساع بالقادرية اشارة الى أن قوله وانا لموسعون حال مؤكدة وهو من أوسع اللازم كأورق الشجر اذا صار ذا ورق ويستعمل متعديا والمفعول محذوف أي لموسعون السماء أي جاعلوها واسعة وعليه فتكون حالا مؤسسة اذا علمت ذلك تعلم أن النسخ التي فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة لانه لا تناسب الا استعماله متعديا والمفسر استعمله لازما حيث قال وأوسع الرجل الخ (قوله يقال آد الرجل) أي اشتد وقوي كما في المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أي فالفرش كناية عن البسط والتسوية (قوله نحن) أي فالمخصوص بالمدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال من زوجين لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صنفين) أي أمرين متقابلين (قوله كالذكر والانثى) أشار بتعداد الامثلة الى ما نشاهده فلا يرد العرش والكرسي واللوح والقلم فانه لم يخلق من كل الا واحد (قوله بحذف احدى التاءين) أي وهذه احدى القراءتين السبعيتين والاخرى ادغام التاء الثانية في الذال (قوله ففروا الى الله) مفرع على ما علم من توحيد الله والمعنى حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له وانه الضار النافع المعطي المانع فالجئوا اليه واهرعوا الى طاعته والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر والمعاصي الى الايمان والطاعة وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمال والولد الى شهود الله والانهماك في طاعته فلا يصرف جزأ من أجزائه لغير الله فكما أن الله في خلق العبد واحد فليكن العبد في اقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل في قلبه غير حب ربه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أي الى ثوابه من عقابه الخ) حمله على الفرار العام لان أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التي من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة (قوله اني لكم منه نذير مبين) تعليل لما قبله والضمير في منه عائد على الله والمعنى فروا اليه لاني مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر الخ) أشار بذلك الى أن الطاعة لا تنفع مع الاشراك ولذا كرر قوله اني لكم منه نذير مبين فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد والمعنى لا تنسبوا وصف الالوهية لغير الله فانه لا يستحقه غيره (قوله يقدر قبل ففروا قل لهم) أي فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين اذ يصح أن تكون الفاء فصيحة والتقدير اذا علمتم ما تقدم من صفات الله الكمالية ففروا الى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبره قدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر والمعنى تكذيب الامم السابقة لانبيائهم كائن كذلك أي كتكذيب أمتك لك كما أفاده المفسر (قوله الا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم أن أو بمعنى الواو وحكمة جمعهم بين الوصفين ان خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاته بالجم الغفير اقتضى تسميته مجنونا واتيانه بالمعجزات التي بهرت عقولهم اقتضت تسميته ساحرا (قوله أتواصوا به) أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفي) أي فهو انكاري تعجبي والمعنى ما وقع منهم تواص بذلك لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) اضراب عن الاستفهام المتقدم وبيان لحقيقة الباعث لهم على تلك المقالة (قوله فتول عنهم) أي أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بملوم) أي لا لوم عليك في الاعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية في النصح وبذل الجهد ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله واشتد الامر على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم وجرت عادة الله في الامم السابقة في أمر رسولهم بالاعراض عنهم حلول العذاب فأنزل الله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل انها ناسخة لما قبلها ولكن الحق أن ما قبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الذكرى تنفع المؤمنين) تعليل لقوله ذكر والمعنى لا تترك التذكير بما ينتفع به من علم الله ايمانه ويؤخذ من الآية أن البلاء لا ينزل بقوم

والسماء بنيناها بأيد) بقوة (وانا لموسعون) قادرون يقال آد الرجل يئيد قوي وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة (والارض فرشناها) مهدناها (فنعم الماهدون) نحن (ومن كل شيء) متعلق بقوله (خلقنا زوجين) صنفين كالذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لعلكم تذكرون) بحذف احدى التاءين من الاصل فتعلمون أن خالق الازواج فرد فتعبدونه (ففروا الى الله) أي الى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه (اني لكم منه نذير مبين) بين الانذار (ولا تجعلوا مع الله الها آخر اني لكم منه نذير مبين) يقدر قبل ففروا قل لهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) هو (ساحر أو مجنون) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر أو مجنون تكذيب الامم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك (أتواصوا) كلهم (به) استفهام بمعنى النفي (بل هم قوم طاغون) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فتول) أعرض (عنهم فما أنت بملوم) لانك بلغتهم الرسالة (وذكر) عظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وما خلقت الجن والانس

وبهم المتذكرون لها وردان الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقيه (قوله الا ليعبدون) أى لا لطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافى ذلك) أى الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الله تعالى حصر الجن والانس فى العبادة فقتضاه أنه لا يخرج أحد عنها مع أنه شوهد كثير من الخلق كفر وترك العبادة فأجاب المفسر بأن اللام للغاية والعاقبة لا للعلة الباعثة لان الله لا يبعثه شئ على شئ وقوله فانك قد لا تكتب به اعترض بأن هذا مسلم فى أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الامور وأما فى حق الله تعالى فلا يصح التخلف فى فعله بل مقتضاه انه عالم بانهم سيعبدونه ولابد ولا يمكن تخلفه فى البعض فالجواب الصحيح أن يقال ان الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم عقلا وحواس وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل وقيل معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتى لا ليهتموا بالرزق وينهمكوا فى خدمة الدنيا وهذا على حد وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقيل معناه الا ليوحدون فالمؤمن يوحده طوعا والكافر يوحده كرها وقيل انه عام أريد به الخصوص والمعنى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والانس من المؤمنين (قوله ما أريد منهم من رزق لى ولا لانفسهم) دفع المفسر بقوله لى ما يتوهم من عادة سادات العبيد فى احتياجهم لمكاسب عبيدهم فالمعنى أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم (قوله وما أريد أن يطعمون) ان قلت ان هذا يغنى عنه ما قبله أجيب بانه أتى به لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الاغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم فى صنع الطعام مثلا وتهيئته ونحو ذلك فكانه قال شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم فليس محتاجا لعبيده فى تحصيل رزق ولا فى صنعه لاله ولا لغيره وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول والا فيستحيل على الله عقلا تلك الاوصاف ولا ينفى فى نفس الامر الا ما جوزه العقل (قوله ان الله هو الرزاق) أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بان والضمير المنفصل لتقطع أوهام الخلق فى أمر الرزق وليقوى اعتمادهم عليه (قوله المتين) العامة على رفعه وهو اما نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر وقرئ شذوذا بالجر (قوله الشديد) أى الذى لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز (قوله فان للذين ظلموا الخ) أى فلا تحزن على كفر قومك وتسل عنهم فلا بد لهم من العذاب (قوله ذنوبا) هو فى الاصل الدلو العظيم شبه به النصيب من العذاب اشارة الى انه يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم (قوله أصحابهم) أى نظائرهم من الامم السابقة (قوله فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميره تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بعلة الحكم (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم (قوله الذى يوعدون) هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم انما توعدون لصادق الخ

﴿ فائدة ﴾ قد تلقينا عن الصالحين فوائد فى استعمال هذه السورة العظيمة كلها مجربة منها استعمالها احدى وأربعين مرة على وضوء فى مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والانتصار على الخصم والامن من كل هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عدد آياتها أبلغ فى تلك المطالب

﴿ سورة الطور مكية ﴾

وفى نسخة والطور (قوله والطور الخ) أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيما للمقسم عليه وهو قوله ان عذاب ربك لواقع وتعظيما للمقسم به أيضا فان تلك الاشياء الخمسة عظيمة والواو فى كل اما للقسم أو للعطف فيما عدا الاول (قوله أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى) أى والمراد به طور سيناء وهو أحد جبال الجنة وأقسم الله به تشريفا له وتكريما (قوله

الا ليعبدون) ولا ينافى ذلك عدم عبادة الكافرين لان الغاية لا يلزم وجودها كما فى قولك بريت هذا القلم لأكتب به فانك قد لا تكتب به (ما أريد منهم من رزق) لى ولانفسهم وغيرهم (وما أريد أن يطعمون) ولا أنفسهم ولا غيرهم (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد (فان للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذنوبا) نصيبا من العذاب (مثل ذنوب) نصيب (أصحابهم) الهالكين قبلهم (فلا يستعجلون) بالعذاب ان أخرتهم الى القيامة (فويل) شدة عذاب (للذين كفروا من) فى (يومهم الذى يوعدون) أى يوم القيامة

﴿ سورة الطور مكية تسع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والطور) أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى

(وكتاب مسطور في رق منشور) أي التوراة أو القرآن (والبيت المعمور) هو في السماء الثالثة أو السادسة
أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدا (والسقف المرفوع) أي السماء (والبحر المسجور) أي المملوء (ان عذاب ربك لواقع) لنازل بمستحقه (ماله من دافع) عنه (يوم) معمول لواقع (تمور السماء مورا) تتحرك وتدور (وتسير الجبال سيرا) تصير هباء منثورا وذلك في يوم القيامة (فويل) شدة عذاب (يومئذ للمكذبين) للرسل (الذين هم في خوض) باطل (يلعبون) أي يتشاغلون بكفرهم (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ويقال لهم تبكيتا (هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا) العذاب الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي هذا سحر (أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا) عليها (أولا تصبروا) صبركم وجزعكم (سواء عليكم) لان صبركم لا ينفعكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاءه (ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين) متلذذين (بما) مصدرية (آتاهم)
أعطاهم (ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطفا على آتاهم

وكتاب مسطور) أي متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة (قوله في رق منشور) الرق الجلد الرقيق الذي يكتب فيه وقيل كل ما يكتب فيه جلدا كان أو غيره وهو بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها ومعنى المنشور المبسوط أي انه غير مطوي وغير محجور عليه (قوله أي التوراة أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة في تفسير الكتاب المسطور وقيل هو صحائف الاعمال قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل سائر الكتب المنزلة على الانبياء وقيل غير ذلك (قوله هو في السماء الثالثة) وقيل هو في الاولى وقيل هو في الرابعة وقيل هو تحت العرش فوق السابعة وقيل هو الكعبة نفسها وعمارتها بالحاج والزائرين لها والمراد أن الله يعمره كل سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة (قوله بحيال الكعبة) أي مقابلا لها بازائها على كل قول (قوله يزوره الخ) بيان لتسميته معمورا (قوله أي السماء) أي لانها كالسقف للارض وقيل هو العرش وهو سقف الجنة (قوله والبحر المسجور) أي وهو البحر المحيط ومعنى المسجور المملوء ماء وقيل البحر المسجور هو المملوء نارا والمراد أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أي والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أي كدوران الرحى وتجيء وتذهب ويدخل بعضها في بعض وتختلف أجزاؤها وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة (قوله تصير هباء منثورا) ليس تفسيرا للسير كما توهمه عبارته بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير في الهواء ثم تقع على الارض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الاعلام بانه لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله لخراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للمؤمنين مزيد سرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكرب (قوله فويل يومئذ) أي يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله في خوض) هو في الاصل الدخول في كل شيء ثم غلب على الدخول في الباطل فلذا فسره به (قوله يدعون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه دفعه في صدره بعنف وشدة وقرئ شذوذا بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة من الدعاء أي يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف) أي وذلك بان تغل أيديهم الى أعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعون الى النار (قوله كما كنتم تقولون في الوحي) أي القرآن الدال على العذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة والمعنى هل في أمرنا سحر أم هل في بصركم خلل والاستفهام انكاري وتهكم أي ليس واحد منهما ثابتا ويصح أن تكون أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والمعنى أبل أنتم عمي عن العذاب المخبر به كما كنتم عميا عن الخبر (قوله اصلوها) أي ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك الى أن سواء خبر لمحذوف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والاول أولى لان جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ (قوله لان صبركم لا ينفعكم) أي لانقطاعكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فان الصبر فيها على المكاره من أعظم موجبات الرحمة (قوله انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ان المتقين في جنات الخ) مقابل قوله ويل يومئذ للمكذبين وانما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين ليحصل الترغيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أي تنعم بتلك الجنات اذ لا يلزم من كونه في جنات انه يتنعم بها فأفاد أنهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتمكنون بها (قوله فاكهين) العامة على قراءته بالالف أي ذوي فاكهة كثيرة كما يقال لابن وتامر أي ذو لبن وتمر وقرئ

شذوذا

أي بآتيانهم و وقايتهم و يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) حال أي مهنئين (بما) الباء سببية (كنتم تعملون متكئين)
حال من الضمير المستكن
في قوله تعالى في جنات
(على سرر مصفوفة)
بعضها الى جنب بعض
(و زوجناهم) عطف على
في جنات أي قرناهم
(بحور عين) عظام الاعين
حسانها (والذين آمنوا)
مبتدأ (واتبعناهم)
معطوف على آمنوا
(ذرياتهم) الصغار
والكبار (بايمان) من
الكبار ومن الآباء في
الصغار والخبر (ألحقنا
بهم ذرياتهم) المذكورين
في الجنة فيكونون في
درجتهم وان لم يعملوا
بعملهم تكرمة للآباء
باجتماع الاولاد اليهم (وما
ألتناهم) بفتح اللام
وكسرها نقصناهم (من
عملهم من) زائدة (شئ)
يزاد في عمل الاولاد (كل
امرئ بما كسب) عمل من
خير أو شر (رهين) مرهون
يؤاخذ بالشر ويجازى
بالخير (وأمددناهم)
زدناهم في وقت بعد وقت
(بفاكهة ولحم مما يشتهون)
وان لم يصرحوا بطلبه
(يتنازعون) يتعاطون
بينهم (فيها) أي الجنة
(كاسا) خمرا (لا لغو
فيها) أي بسبب شربها يقع
بينهم (ولا تأثيم) به يلحقهم
بخلاف خمر الدنيا
(و يطوف عليهم) للخدمة
(غلمان) أرقاء (لهم
كأنهم) حسنا ولطافة (لؤلؤ مكنون) مصون في الصدف لانه فيها أحسن منه في غيرها (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا

شذوذا فكهين بغير ألف أي متنعمين متلذذين اذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر تفسيره بذوي فاكهة لا بمتلذذين (قوله أي باتيانهم و وقايتهم) انما جعلها مصدرية في المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة في المعطوف عن العائد لو جعلت موصولة والاحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله وقاهم معطوفا على قوله في جنات (قوله بما كنتم تعملون) ما مصدرية والباء سببية والمعنى أن الملائكة تقول لاهل الجنة كلوا واشربوا متهنئين بسبب عملكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام في منازلهم والافذلك من فضل الله واحسانه (قوله على سرر) جمع سرير قال ابن عباس هي سرر من ذهب مكالة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة وورد أن ارتفاع السرير خمسمائة عام فاذا أراد العبد أن يجلس عليها تقربت منه فاذا جلس عليها عادت الى حالها وفي الكلام حذف تقديره على نمارق على سرر (قوله أي قرناهم) أي جعلناهم مقارنين لهن وفي ذلك اشارة الى جواب سؤال مقدر تقديره أن الحور العين في الجنات مملوكات بملك اليمين لا بعقد النكاح فأجاب بأن التزويج ليس بمعنى عقد النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله عظام الاعين) تفسير العين جمع عيناء وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره قوله ألحقنا بهم ذرياتهم والذرية تطلق على الاصول والفروع قال تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون والمعنى أن المؤمن اذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشياخهم وأشياخ الاشياخ يلحقون بالاشياخ ان كانوا دونهم في العمل والاصل في ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته و ولده فيقال انهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يارب اني عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به (قوله بفتح اللام وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان فالاولى من باب علم والثانية من باب ضرب (قوله من زائدة) أي في المفعول الثاني (قوله يزاد في عمل الاولاد) أي لم نأخذ من عمل الآباء شيأ نجعله للاولاد فيستحقون به هذا الاكرام بل عمل الآباء باق لهم بتمامه والحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم (قوله رهين) أي مرهون عند الله تعالى كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذي هو مطالب به فان عمل صالحا فكها من الرهن والا أهلكها كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه فان وفى ما عليه خلص رقبته من الرهن والا استمر مرهونا (قوله في وقت بعد وقت) أخذه من لفظ الامداد (قوله وان لم يصرحوا بطلبه) أي بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم اليهم لما ورد أن الرجل يشتهي الطير في الجنة فيخر مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير (قوله يتعاطون بينهم) أي يتجاذب بعضهم الكاس من بعض ويناول بعضهم بعضا تلذذا وتأنسا وهو والمؤمن و زوجاته وخدمه في الجنة (قوله كاسا) الكاس هو اناء الخمر وكل كاس مملوء بشراب أو غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا (قوله غلمان أرقاء لهم) أي كالارقاء في الحيازة والاستيلاء وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله في الجنة كالحور وقيل هم الاولاد من أطفالهم الذين سبقوهم فأقر الله تعالى أعينهم بهم وقيل هم أولاد المشركين وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة بل هو من مزيد التنعم قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه و روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب و روى أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وطواف الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب يطاف عليهم بكاس من معين (قوله مصون في الصدف) جمع صدفة وهي غشاء الدر

عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة (قالوا) إيماء إلى علة الوصول (إنا كنا قبل في أهلنا) في الدنيا (مشفقين) خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) بالمغفرة (ووقانا عذاب السموم) أي النار لدخولها في المسام وقالوا إيماء أيضا (إنا كنا من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نعبده موحدين (إنه) بالكسر استئنافا وإن كان تعليلا معنى وبالفتح تعليلا لفظا (هو البر) المحسن الصادق في وعده (الرحيم) العظيم الرحمة (فذكر) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون (فما أنت بنعمت ربك) أي بإنعامه عليك (بكاهن) خبر ما (ولا مجنون) معطوف عليه (أم) بل (يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء (قل تربصوا) هلاكي (فإني معكم من المتربصين) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر والتربص الانتظار (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون أي لا تأمرهم بذلك (أم) بل (هم قوم طاغون) بعنادهم (أم يقولون تقوّله) اختلق القرآن لم يختلقه (بل لا يؤمنون) استكبارا فإن قالوا اختلقه (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله إن كانوا صادقين) في قولهم (أم خلقوا من غير شيء) أي خالق (أم هم الخالقون) أنفسهم ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (أم خلقوا السموات والأرض) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه (بل لا يوقنون) به وإلا لآمنوا بنبيه (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا (أم هم المسيطرون) المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر وبيقر (أم لهم سلم) مرقى إلى السماء (يستمعون فيه) أي عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي

(قوله عما كانوا عليه) أي في الدنيا (قوله وما وصلوا إليه) أي من نعيم الجنة (قوله قالوا) أي قال المسؤول للسائل (قوله إيماء) أي إشارة (قوله إلى علة الوصول) أي ومحطها قوله فمن الله علينا (قوله إنا كنا قبل في أهلنا الخ) أي وشأن من كان في أهله وعزه أن يكون آمنا فخوفهم من الله في تلك الحالة دليل على خوفهم في غيرها بالأولى فهم دائما خائفون ويحتمل أن قوله مشفقين من الشفقة وهي الرفق أي نرفق بأهلنا وغيرهم (قوله لدخولها في المسام) هذا بيان لوجه تسميتها سموما فالسموم من أسماء جهنم وهي في الأصل الريح الحارة التي تتخلل المسام (قوله وقالوا إيماء أيضا) أي إلى علة وصولهم إلى النعيم ومحط العلة قوله إنه هو البر الرحيم (قوله أي نعبده) أي أو نسأله الوقاية من النار ودخول دار القرار (قوله وبالفتح تعليلا لفظا) أي والقراءتان سبعيتان (قوله بنعمت ربك) الباء سببية مرتبطة بالنفي المستفاد من ما والمعنى انتفى كونك كاهنا أو مجنونا بسبب إنعام الله عليك بكمال العقل وعلو الهمة والعصمة (قوله كاهن) أي مخبر بالأمور المغيبة من غير وحي (قوله خبر ما) أي فهي حجازية والباء زائدة في خبرها (قوله أم يقولون شاعر) اعلم أن أم ذكرت في هذه الآيات خمس عشرة مرة وكلها تقدر ببل والهمزة فهي للاستفهام الإنكاري التوبيخي إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقدرها في الجميع ببل والهمزة (قوله حوادث الدهر) في الكلام استعارة تصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذي هو الشك بجامع التغير وعدم البقاء على حالة واحدة في كل وقيل المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل تربصوا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله أم تأمرهم أحلامهم) جمع حلم يطلق على الأناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أي قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون) أي وهذا تناقض فإن شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأي وشأن الشاعر والساحر كذلك ونسبتهم الجنون له بعد ذلك مناقضة (قوله أي لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام المستفاد من أم إنكاري وفيه توبيخ أيضا (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للمفسر أن يقدر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتي والاستفهام في مواضعها الخ والمعنى لا ينبغي منهم هذا الطغيان (قوله لم يختلقه) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله فإن قالوا اختلقه والأمر للتعجيز (قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق) راجع لقوله خلقوا من غير شيء وقوله ولا معدوم يخلق راجع لقوله أم هم الخالقون والمعنى أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا في حالة العدم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم فيكون المعدوم خالقا وهذا لا يعقل (قوله وإلا لآمنوا بنبيه) أي فحيث لم يترتب على إيقانهم بالله الإقبال على توحيده وتصديق نبيه جعل إيقانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام إنكاري مع أنه كذلك والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شبهت بها لأن خزانة الملوك بيت معد لجمع أنواع مختلفة من الذخائر التي يحتاج إليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم أنه لم يأت على وزن مفيعل إلا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومسيطر ومبيطر وواحد اسم جبل وهو مخيمر (قوله المتسلطون) أي الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاؤوا (قوله ومثله بيطر) أي عالج الدواب ومنه البيطار وقوله وبيقر أي أفسد وأهلك فالحاصل أن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر المتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أي عليه كلام الملائكة) أشار بذلك إلى أن مفعول يستمعون محذوف وفي بمعنى على

(قوله

بزعمهم ان ادعوا ذلك (فليأت مستمعهم) أي مدعي الاستماع عليه (بسلطان مبين) بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات) أي بزعمكم (ولكم البنون) تعالى الله عما زعموه (أم تسألهم أجرا) على ما جئتهم به من الدين (فهم من مغرم) غرم ذلك (مثقلون) فلا يسلمون (أم عندهم الغيب) أي علمه (فهم يكتبون) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي صلى الله عليه وسلم في البعث وأمور الآخرة بزعمهم (أم يريدون كيدا) بك ليهلكوك في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون) به من الآلهة والاستفهام بأم في مواضعها للتقبيح والتوبيخ (وان يروا كسفا) بعضا (من السماء ساقطا) عليهم كما قالوا فأسقط علينا كسفا من السماء أي تعذيبا لهم (يقولوا) هذا (سحاب مركوم) متراكب نروى به ولا يؤمنوا (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) يموتون (يوم لا يغني) بدل من يومهم (عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) يمنعون من العذاب في الآخرة (وان للذين ظلموا) بكفرهم (عذابا دون ذلك) أي في الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر

(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب ينزل بهم (واصبر لحكم ربك) بامهالهم ولا يضق صدرك (فانك بأعيننا) بمرأى منا نراك ونحفظك (وسبح) متلبسا (بحمد ربك) أي قل سبحان الله وبحمده (حين تقوم) من منامك أو من مجلسك (ومن الليل فسبحه) حقيقة أيضا (وادبار النجوم) مصدر أي عقب غروبها سبحه أيضا أو صل في الاول العشاءين وفي الثاني الفجر وقيل الصبح

(قوله بزعمهم) متعلق بقوله يستمعون فيه (قوله ان ادعوا ذلك) أي الاستماع من الملائكة والمعنى ان فرض أنهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ (قوله ولشبه هذا الزعم الخ) أشار بذلك الى وجه المناسبة بين الآيتين ووجه الشبه بين الزعمين ان كلا منهما فاسد وان كان الزعم الاول فرضيا والثاني تحقيقا لوقوعه منهم (قوله أي بزعمكم) أي دعواكم واعتقادكم (قوله ولكم البنون) أي لتكونوا أقوى منه فاذا كذبتم رسله تكونوا آمنين لقوتكم بالبنين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله مثقلون) أي متعبون ومغتمون لان العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للآخذ ومغتما منه (قوله أم عندهم الغيب) جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعندهم علم الغيب بان الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك (قوله أم يريدون كيدا) أي مكرا وتحيلا في هلاكك (قوله في دار الندوة) ان قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فالاوضح حذف قوله في دار الندوة لان ارادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمر تشنيعا وتقبيحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم ببدر) أي أهلك رؤساءهم وهم سبعون (قوله سبحان الله عما يشركون) أي تنزه الله عما ينسبونه له من الشركة في الالوهية (قوله والاستفهام بأم) أي المقدرة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله في مواضعها أي وهي خمسة عشر (قوله للتقبيح والتوبيخ) أي والانكار (قوله وان يروا كسفا) أي على فرض حصوله فانه لم يحصل لقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا ويقولون في هذا النازل عنادا واستهزاء واغاظة لمحمد انه سحاب مركوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية انما وردت في قوم شعيب كما ذكر في سورة الشعراء فكان الاولى للمفسر ان يستدل بما نزل في قريش في سورة الاسراء وهو قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدر والمعنى اذا بلغوا في العناد الى هذا الحد وتبين أنهم لا يرجعون عن الكفر فدعهم ولا تلتفت لهم (قوله يصعقون) هكذا بنائه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أي بانقضاء آجالهم في بدر أو غيرها فهذا هو الاحسن (قوله من العذاب في الآخرة) المراد به العذاب الذي يأتي بعد الموت (قوله دون ذلك) أي قبل العذاب الذي يأتيهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي التزيين الشيطان لهم ما هم عليه والمراد بالاكثر من سبق في علم الله شقاوه (قوله بمرأى منا) أي فاطلقت الاعين وأريد لازمها وهو ابصار الشيء والاحاطة به علما وقد يقال يلزم منه مزيد الحفظ للمرئي الذي هو المراد وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون العظمة بخلاف ما ذكر في سورة طه في قوله ولتصنع على عيني (قوله من منامك) أي فقد ورد عن عائشة قالت كان اذا قام أي استيقظ من منامه كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران (قوله أو من مجلسك) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك كان كفارة لما بينهما وفي رواية كان كفارة له (قوله أي عقب غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوئها بغلبة ضوء الصبح عليه وان كانت باقية في السماء وذلك بطلوع الفجر (قوله أو صل في الاول) أي الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفي الثاني الفجر) أي الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقوله وقيل الصبح أي فريضة صلاة الصبح

﴿سورة النجم مكية﴾

أى كلها وقيل الاقوله تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الآية وقيل كلها مدنى وردبما روى أنها
أول سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعما
منهم انه مدح آلهتهم واعلم أن بين أول هذه السورة وآخر ماقبلها مناسبة فانه تعالى قال فى آخر تلك وادبار
النجوم وقال فى أول هذه والنجم اذا هوى (قوله والنجم اذا هوى) اختلف فى تفسير النجم فمشى المفسر
على انه الثريا وهى عدة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفى وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما ومعنى
هويه غيبوبته عند طلوع الفجر وقيل المراد به أى نجم وقيل المراد به جميع النجوم وقيل هو الزهرة وقيل
الشعرى وقيل القرآن ومعنى هوى نزل لانه نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة وقيل هو محمد ومعنى هوى
نزل من المعراج وقيل جبريل ومعنى هوى نزل بالوحى واختلف فى عامل الظرف فقيل معمول لمحذوف
تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم انشاء والانشاء حال واذا لما يستقبل من الزمان
فكيف يعمل الانشاء فى المستقبل وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها أو قصد منها مجرد
الظرفية الصادق بالماضى والحال والاستقبال لانها قد تأتى للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم
محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا فى زمان هويه ويأتى فيه الاشكال والجواب المتقدمان
ويجاب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو جواب القسم وعبر بلفظ الصحبة
تبكيتا لهم واشعارا بانهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلا يليق منهم نسبته للنقص (قوله عن طريق الهدى)
أشار بذلك الى ان الضلال مخالف للغى فالضلال فعل المعاصى والغى هو الجهل المركب وقيل الضلال فى العلم
والغى فى الافعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشئ وحاصل (قوله عن الهوى)
متعلق بينطق والمعنى مايصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ماقبله
لانه اذا علم تنزهه عن الضلال والغواية تفرع عليه انه لاينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله ان هو)
الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق والمعنى مايتكلم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل
وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لاينطق ولايفعل الا بوحى من الله تعالى لا عن هوى نفسه (قوله
يوحى) الجملة صفة لوحى أتى بها لرفع توهم المجاز كانه قال هو وحى حقيقة لامجرد تسمية (قوله علمه اياه)
الضمير المذكور هو المفعول الاول عائد على النبى والثانى الذى قدره المفسر عائد على الوحى (قوله شديد
القوى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله ملك وهو جبريل عليه السلام ومن شدة قوته
اقتلاعه مدائن قوم لوط ورفعها الى السماء وقلبها وصيحته على قوم ثمود ونتقه الجبل عن بنى اسرائيل
وهذه الشدة حاصلة فيه ولو تشكل بصورة الآدميين لانها لاتحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور
وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة
(قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وسرعة حركة فغاير ماقبله فجبريل أعطاه الله قوة ظاهرية وقوة
باطنية وقيل المرة هو العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله
وهو بالافق الاعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ)
تعليل لقوله فاستوى وذلك أن جبريل كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما يأتى الى
الانبياء فسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التى جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالارض
ومرة بالسماء ولم يره أحد من الانبياء على صورته التى خلق عليها الا نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله
فنزل جبريل) عطف على قوله فخر مغشيا عليه (قوله زاد فى القرب) أى فالكلام باق على ظاهره
وقيل فى الكلام قلب والاصل فتدلى ثم دنا ومعنى تدلى رجع لصورته الاصلية (قوله فكان قاب
قوسين) فى الكلام حذف والاصل فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب

﴿سورة والنجم مكية ثنتان وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم) الثريا (اذا هوى) غاب (ماضل صاحبكم) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهدى (وماغوى) مالابس الغى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وما ينطق) بما يأتيكم به (عن الهوى) هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحى يوحى) اليه (علمه) اياه ملك (شديد القوى ذو مرة) قوة وشدة أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فاستوى) استقر (وهو بالافق الاعلى) أفق الشمس أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان بحراء قد سد الافق الى المغرب فخر مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له فى صورة الآدميين (ثم دنا) قرب منه (فتدلى) زاد فى القرب (فكان) منه (قاب) قدر (قوسين)

القدر وقيل هو ما بين المقبض والطرف ولكل قوس قابان فأصل الكلام فكان قابى قوس بين فصل فى الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى أو يزيدون أو على بابها والشك بالنسبة للرائى والمعنى اذا نظرت اليه وهو فى تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية لمحذوف أى ضمه اليه حتى أفاق روى أنه لما أفاق قال يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد انما نشرت جناحين من أجنحتى وان لى ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا لعظيم فقال جبريل وما أنا فى جنب خلق الله الا يسير ولقد خلق الله اسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتى وانه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع أى العصفور الصغير وهذا على كلام الجمهور وأما على أن المراد به الرب سبحانه وتعالى فمعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلى تجليه بصفة الجمال والمحبة لعبده على حد ما قيل فى ينزل ربنا كل ليلة (قوله فأوحى الى عبده ما أوحى) هذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومشى المفسر على أن الضمير فى أوحى الاول عائد على الله تعالى والمراد بالعبد جبريل والضمير فى أوحى الثانى عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الاجهورى وحاصلها أن يقال الضمير فى أوحى الاول اما عائد على الله أو جبريل والثانى كذلك فهذه أربع وفى كل منها اما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير فى أوحى الاول عائدا على جبريل ويراد بالعبد جبريل سواء جعل الضمير فى أوحى الثانى عائدا على الله أو جبريل وباقيها صحيح والانسب بمقام المدح أن يعود الضمير فى أوحى الاول والثانى على الله والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله الى عبده محمد ما أوحاه الله اليه من العلوم والاسرار والمعارف التى لا يحصيها الا معطيها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه) أى واشارة لى عمومه واختلف فى هذا الموحى به فقيل مبهم لا نطلع عليه وانما يجب علينا الايمان به اجمالا وقيل هو معلوم وفى تفسيره خلاف فقيل أوحى الله اليه ألم أجدك يتيما فآويتك ألم أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فأغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل أوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمعنى على التشديد ان ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على اسقاط الخافض والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه (قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل هو الله عز وجل وعليه فقد رأى ربه مرتين مرة فى مبادى البعثة ومرة ليلة الاسراء واختلف فى تلك الرؤية فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعى

وان قابلت لفظة لن ترانى * بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشيا عليه * وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضى الله عنها والصحيح الاول لان المثبت مقدم على النافى أو لان عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالالف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه قراءتان سبعيتان (قوله على ما يرى) أى على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضارا للحالة البعيدة فى ذهن المخاطبين (قوله ولقد رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك الى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند سدرة المنتهى) سميت بذلك اما لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها أو لانه ينتهى علم الانبياء اليها ويعزب علمهم عما وراءها أو لان الاعمال تنتهى اليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة اليها ووقوفهم عندها أو لانه ينتهى

أو أدنى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه (فأوحى) تعالى (الى عبده) جبريل (ما أوحى) جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى تفخيما لشأنه (ما كذب) بالتخفيف والتشديد أنكر (الفؤاد) فؤاد النبى (ما رأى) ببصره من صورة جبريل (أفتمارونه) تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل (ولقد رآه) على صورته (نزلة) مرة (أخرى عند سدرة المنتهى)

اليها أرواح الشهداء أولانه ينتهى اليها أرواح المؤمنين أولانه ينتهى اليها من كان على سنة رسول الله أقوال واضافة سدرة للمنتهى اما من اضافة الشئ الى مكانه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم أو من اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى وأن الى ربك المنتهى (قوله لما أسرى به) أى وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الاولى كانت فى بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهى شجرة نبق) أى وفيها الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها فى الارض لاضاءت لاهلها قيل هى شجرة طوبى والصحيح أنها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر لما قيل ان السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره وقيل ان سدرة المنتهى قالت للنبى صلى الله عليه وسلم استوص باخوانى فى الارض خيرا فقال صلى الله عليه وسلم من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار واستشكل هذا الحديث بأنه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف المنصوص وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له صوب الله رأسه فى النار وبعد ذلك فهذا لايخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى اليها الملائكة الخ) وقيل هى الجنة التى أوى اليها آدم عليه السلام الى أن أخرج منها وقيل لان جبريل وميكائيل يأويان اليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أولان أهل السعادة يأوون اليها (قوله مايغشى) أبهم الموصول وصلته اشارة الى أن ماغشيها لايحيط به الا الله تعالى (قوله من طير وغيره) وردعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال ذهب بى جبريل الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كقلال هجر فلما غشيها من أمر الله تعالى ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها فأوحى الى ماأوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة وقيل يغشاها أنوار التجلى وقت مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم ربه كما تجلى على الجبل عند مكالمة موسى لكن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعقا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مازاغ البصر) أى لم يلتفت الى ماغشى السدرة من العجائب المتقدمة لان الزيغ هو الالتفات لغير الجهة التى تعنيه (قوله وماطغى) الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصفه صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والادب مع غرابة ماهو فيه اذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام فى جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعيض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام اشارة الى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله رفرفا) قيل هو فى الاصل ماتدلى على الاسرة من غالى الثياب ومن أعالى الفسطاط روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى العرش حتى وقف به بين يدى ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أداه الى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكى ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الامور فى محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة بذلك فى الارض (قوله أفرأيتم) استفهام انكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الاوثان بعد بيان تلك البراهين

لما أسرى به فى السموات وهى شجرة نبق عن يمين العرش لايتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عندها جنة المأوى) تأوى اليها الملائكة وأرواح الشهداء أوالمتقين (اذ) حين (يغشى السدرة مايغشى) من طير وغيره واذ معمولة لرآه (مازاغ البصر) من النبى صلى الله عليه وسلم (وماطغى) أى مامال بصره عن مرئيه المقصود له ولاجاوزه تلك الليلة (لقد رأى) فيها (من آيات ربه الكبرى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سد أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أفرأيتم

اللات والعزى ومناة الثالثة) اللتين قبلها (الاخرى) صفة ذم للثالثة وهى اصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون انها تشفع لهم عند الله ومفعول ارأيت الاول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف والمعنى اخبرونى ألهذه الاصنام قدرة على شئ ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره ولما زعموا أيضا أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه وجار عليه (ان هى) أى ما المذكورات (الا أسماء سميتموها) أى سميتم بها (انتم وآباؤكم) أصناما تعبدونها (ما أنزل الله بها) أى بعبادتها (من سلطان) حجة وبرهان (ان) ما (يتبعون) فى عبادتها (الا الظن وما تهوى الانفس) مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أم للانسان) أى لكل انسان منهم (ما تمنى) من أن الاصنام تشفع لهم ليس الامر كذلك (فلله الآخرة والاولى) أى الدنيا فلا يقع فيهما الا ما يريده تعالى (وكم من ملك) أى وكثير من الملائكة (فى السموات) وما أكرمهم عند الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله) لهم فيها

القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالالوهية والعظمة وان ما سواه تعالى وان جلت مرتبته وعظم مقامه حقير فى جانب جلال الله عز وجل (قوله اللات) اسم صنم كان فى جوف الكعبة وقيل كان لثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلت السويق ويطعمه الحاج وكان يجلس عند حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل فى اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك * وقد تزاد لازما كاللات * وتاؤه قيل أصلية وعليه فاصله ليت وقيل زائدة وعليه فأصله لوى يلوى كانهم كانوا يلوون أعناقهم اليها أو يلتوون أى يعتكفون عليها ويترتب على القولين الوقف عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها وبعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الاعز كالفضلى والافضل وهى اسم صنم وقيل شجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومناة) اما بالهمزة بعد الالف او بالف وحدها قراءتان سبعيتان اما مشتقة من النوء وهو المطر لانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء أو من منى يمنى أى صب لان دماء النسك كانت تصب عندها (قوله اللتين قبلها) أى اما صفة بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى ان رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أى لانها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار (قوله وهى أصنام من حجارة) أى ان الثلاثة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة وقيل اللات لثقيف بالطائف والعزى شجرة لغطفان ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وقيل ان اللات أخذه المشركون من لفظ الله والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشئ قدره (قوله والثانى محذوف) أى وهو جملة استفهامية استفهاما انكاريا ذكرها بقوله ألهذه الاصنام الخ والمعنى أفرأيتموها قادرة على شئ (قوله ولما زعموا أيضا) أى كما زعموا أن الاصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله تلك اذا) أى اذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ضيزى) بكسر الضاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الضاد وسكون الياء (قوله وجار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى لكل من القراآت الثلاث (قوله ما المذكورات) أى الاصنام المذكورات من حيث وصفها بالالوهية والمعنى ليس لها من وصف الالوهية التى أثبتموها لها الا لفظها وأما معناها فهى خلية عنه لانها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أى سميتم بها) دفع بذلك ما يقال ان الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قال سميتموها فاجاب بان الكلام من باب الحذف والايصال والمفعول الاول محذوف قدره بقوله أصنام (قوله أنتم) ضمير فصل أتى به توصلا لعطف وآباؤكم على الضمير المتصل فى سميتموها على حد قول ابن مالك

وان على ضمير رفع متصل * عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله ان يتبعون الا الظن) التفت من خطابهم الى الغيبة اشعارا بان كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) بيان لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس فى حالة تنافى ذلك وهو مجئ الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للملابسة والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام انكارى والمعنى ليس للانسان ما يتمنى بل يعامل بضده حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالانسان الكافر وهذه الآية يجر بذيلها على من يلتجئ لغير الله طالبا الفانى ويتبع نفسه فيما تطلبه وليس له ما يتمنى قال العارف

لا تتبع النفس فى هواها * ان اتباع الهوى هوان

وأما أهل الصدق مع ربهم فلهم ما يتمنون وفوق ذلك لوعد الله الذى لا يخلف (قوله فلله الآخرة والاولى) كالدليل لما قبله والمعنى أنه تعالى لا يعطى ما فيهما الا لمن اتبع هداه وترك هواه لانه مالك للدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقنيط للكفار من تعلق آمالهم بشفاعة معبوداتهم لهم (قوله أى وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك الى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية

(لمن يشا) من عباده (ويرضى) عنه لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى ومعلوم أنها لا توجد منهم الا بعد الاذن فيها من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) حيث قالوا هم بنات الله (وما لهم به) بهذا القول (من علم ان) ما (يتبعون) فيه (الا الظن) الذي تخيلوه (وان الظن لا يغني من الحق شيأ) أي عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أي القرآن (ولم يرد الا الحياة الدنيا) وهذا قبل الامر بالجهاد (ذلك) أي طلب الدنيا (مبلغهم من العلم) أي نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أي عالم بهما فيجازيهما (ولله ما في السموات وما في الارض) أي هو مالك لذلك ومنه الضال والمهتدي يضل من يشاء ويهدي من يشاء (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) من الشرك وغيره (ويجزي الذين أحسنوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بالحسنى) أي الجنة وبين المحسنين بقوله (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع والمعنى لكن اللمم تغفر باجتناب الكبائر (ان ربك واسع المغفرة) بذلك وبقبول التوبة ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هو أعلم) أي عالم (بكم اذ أنشأكم من الارض) أي خلق أباكم آدم من التراب (واذ أنتم أجنة) جمع جنين

جيء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تغني شفاعتهم عنهم شيأ (قوله لمن يشاء) أي فيمن يشاء (قوله ومعلوم انها لا توجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين في توقف الشفاعة على الاذن (قوله ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم مشركو العرب ان قلت كيف يقال انهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله أجيب بانهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله تعالى حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وانما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال وأجيب أيضا بانهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينته الرسل (قوله تسمية الانثى) أي تسمية الاناث وذلك أنهم رأوا في الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا الملائكة اناث وجعلوهم بنات الله لكونهم لا أب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أي هم بنات الله (قوله ان يتبعون الا الظن) أي لانهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو أذعنوا للقرآن والنبي لافادهم صحة التوحيد ونفعه (قوله أي عن العلم) أشار بذلك الى ان من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله فيما المطلوب فيه العلم) أي في الامر الذي يطلب فيه العلم وهو الاعتقاديات بخلاف العمليات فالظن فيها كاف لاختلاف الائمة في الفروع الفقهية فتحصل ان الامور الاعتقادية كمعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لابد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل ولا يكفي فيها الظن وأما الامور العملية كفروع الدين فيكفي فيها غلبة الظن (قوله فاعرض عمن تولى) أي اترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لا تفيد دعوته الا عنادا واصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية القتال وقد تبع المفسر في ذلك أكثر المفسرين وقال الرازي انها ليست منسوخة بآية القتال بل هي موافقة لها وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم في الاول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقيل له وجادلهم بالتي هي أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لا ينتفعون به وقاتلهم فثمرة الاعراض القتال وقد يقال ان الخلاف لفظي فمن أراد بالاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما تهكم بهم (قوله ان ربك هو أعلم الخ) تعليل للامر بالاعراض والمعنى أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدي فيجازيه على هداه ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم (قوله ومنه الضال والمهتدي) دفع بذلك ما يقال كيف يعلل الجزاء على الملك ما في السموات والارض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات فاجاب بانه علة لمحذوف دل عليه قوله ملك السموات والارض (قوله ليجزي الذين أساؤا الخ) أشار بذلك الى أن اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى أن عاقبة أمر الخلق ان يكون فيهم المحسن والمسيء فيجازي المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة (قوله وبين المحسنين الخ) أي فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا أو مفعول لمحذوف تقديره أعني أو خبر لمحذوف تقديره هم الذين الخ (قوله كبائر الاثم) جمع كبيرة وهي ما ورد فيها وعيد أو حد (قوله والفواحش) اما عطف مرادف ان أريد بها الكبائر أو خاص ان أريد بها ما ترتب عليه عظم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله الا اللمم) هو في الاصل أن يلم بالشيء ولم يرتكبه والمراد به فعل الصغائر (قوله كالنظرة) أي وكالكذب الذي لا حد فيه ولم يترتب عليه فساد بين الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والتبختر في المشي ونحو ذلك (قوله ان ربك واسع المغفرة) تعليل لقوله الا اللمم والمعنى ان عدم المؤاخذة على الصغائر لا لكونها ليست ذنبا بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أي باجتناب الكبائر (قوله أي عالم) أشار بذلك الى أنه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله اذ أنشأكم من الارض) أي فهو عالم بتفاصيل أموركم حين ابتدأ خلق أبيكم آدم من التراب وحين صوركم في الارحام (قوله جمع جنين)

سمي بذلك لاستتاره في بطن أمه (قوله لا تمدحوها) أي لا تثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان النفس خسيسة اذا مدحت اغترت وتكبرت فالذي ينبغي للشخص هضم النفس وذلها واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أي ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أي بمن أخلص في طاعته وتقواه فينتفع بهما ويثاب عليهما وأما المرائي فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لان الرياء يحبط العمل (قوله أي ارتد) أي بعد ان أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر في أعطى عائد على الذي تولى والبارز عائد على الذي ضمن له عذاب الله فتحصل أن الضامن جعل على المتولي شيئين الرجوع الى الشرك وان يدفع له عددا معينا من ماله وجعل على نفسه هو شيأ واحدا وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو في الاصل من أكدى الحافر اذا أصاب كدية منعته من الحفر ومثله أجبل أي صادف جبلا منعه من الحفر ثم استعمل في كل من طلب منه شيء فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام انكاري بمعنى النفي أي ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهي داخلة في حيز الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أي وهو قول مقاتل وعليه الاكثر (قوله أو غيره) أي فقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو أبو جهل وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى وأما الذي عيره وضمن أن يحمل عنه العذاب فلم يذكر واتعيينه (قوله أم لم ينبأ بما في صحف موسى) أم منقطعة والمعنى أبل لم يخبر بالذي في صحف موسى الخ حتى يغتر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسولين لانهم كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل اذا قتل وظفر أهل المقتول بأبي القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى جاءهم ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى (قوله تمم ما أمر به) أي من تبليغ الرسالة وقيامه بالضيفان وخدمته اياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيفان من مسافة فرسخ فان وجد الضيفان أكرمهم وأكل معهم والا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده وقيل المراد وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون العابدون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون وقيل المراد وفى بكلمات كان يقولهن اذا أصبح واذا أمسى فسبحان الله حين تمسون الى تظهرون والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشيء الا وفى به (قوله وبيان ما) أي فقوله أن لا تزر في محل جر بدل من ما في قوله بما في صحف موسى ويصح رفعه على أنه خبر لمحذوف أي هو أن لا تزر ونصبه على أنه مفعول لمحذوف (قوله وازرة) صفة لموصوف محذوف أي نفس وازرة أي مكلفة بالوزر وليس المراد وازرة بالفعل (قوله وزر أخرى) أي وزر نفس أخرى (قوله الى آخره) المراد به قوله فبأي آلاء ربك تتمارى وهذا على فتح همزة ان في قوله وان الى ربك المنتهى وما بعده وهي ثمانية تضم لثلاث قبلها فتكون الجملة احدى عشر شيأ وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية فيكون المراد بقوله الى آخره ثم يجزاه الجزاء الاوفى فيكون البيان بالثلاثة الاول فقط (قوله وان مخففة من الثقيلة) أي واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى) استشكل هذا الحصر بأمور منها أن الدال على الخير كفاعله ومنها وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ومنها اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث الى قوله أو ولد صالح يدعو له ومنها غير ذلك قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها أن الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير ثانيها أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة في دخولها ثالثها لاهل الكبائر في الخروج من النار رابعها ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض خامسها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم سادسها ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم سابعها قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا ثامنها أن الميت

(في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) لا تمدحوها أي على سبيل الاعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هو أعلم) أي عالم (بمن اتقى أفرأيت الذي تولى) عن الايمان أي ارتد لما عير به وقال اني خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله ان رجع الى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع (وأعطى قليلا) من المال المسمى (وأكدى) منع الباقي مأخوذ من الكدية وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر (أعنده علم الغيب فهو يرى) يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة لا وهو الوليد ابن المغيرة أو غيره وجملة أعنده المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني (أم) بل (لم ينبأ بما في صحف موسى) أسفار التوراة أي صحف قبلها (و) صحف (ابراهيم الذي وفى) تمم ما أمر به نحو واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وبيان ما (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) الخ وأن مخففة من الثقيلة أي أنه لا تحمل نفس ذنب غيرها (وأن) أي انه (ليس للانسان الا ما سعى) من خير فليس له من سعي غيره الخير شيء (وأن سعيه سوف يرى)

ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة عاشرها أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عاشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير الى آخر ما قال وأجيب بأجوبة منها أن الآية منسوخة ورد بأنها خبر والاخبار لا تنسخ ومنها ان المراد بالانسان الكافر ومنها أن هذا حكاية عما في صحف موسى وابراهيم فليس في شرعنا (قوله أي يبصر في الآخرة) أي لان العمل يصور بصورة جميلة ان كان صالحا أو قبيحة ان كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يجزاه) الضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعي (قوله الجزاء الاوفى) مصدر مبين للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك الى أن الجزاء يتعدى للمفعول الثاني بنفسه وبحرف الجر (قوله بالفتح عطفا) أي على قوله أن لا تزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة ما في صحف موسى وابراهيم (قوله وقرئ بالكسر استئنافا) أي وعليه فيكون زائدا على ما في صحف موسى وابراهيم لان القرآن فيه ما في الصحف وزيادة (قوله وكذا ما بعدها) أي من قوله وانه هو أضحك وأبكى الى قوله وانه أهلك عادا الاولى والكسر شاذ (قوله الى ربك المنتهى) أي منتهى أمر الخلق ومرجعهم اليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزاه الجزاء الاوفى كأنه قال الله يجزي الانسان على أعماله الجزاء الاوفى لانه اليه المنتهى في الامور كلها واذا كان كذلك فينبغي للانسان أن يرجع الى ربه في أموره كلها ولا يعول على شيء من الاشياء لانه الآخذ بالنواصي واختلف في المخاطب بقوله وأن الى ربك المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل موسى وابراهيم على سبيل التوزيع لانه محكي عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك الى أن الضحك مستعمل في حقيقته وكذا البكا وان مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وانه خلق الزوجين الخ) الحكمة في اسقاط ضمير الفصل في هذا واثباته في قوله وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيي الاشارة لدفع توهم أن للمخلوق مدخلا في الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء فأكده بالفصل ولما لم يحصل في خلق الذكر والانثى وما بعده توهم أن للغير مدخلا لم يؤكده بضمير الفصل (قوله وأن عليه النشأة الاخرى) أي بحكم الوعد الكائن في قوله انا نحن نحيي ونميت اذ لا يجب عليه تعالى فعل شيء ولا تركه (قوله بالمد والقصر) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعطى المال المتخذ قنية) أي الذي يدوم عند صاحبه (قوله رب الشعرى) اعلم أن الشعرى في لسان العرب كوكبان أحدهما الشعرى العبور وتسمى الشعرى اليمانية تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر كانت تعبدها خزاعة من العرب وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له أبو كبشة وهي المرادة في الآية والثاني الشعرى الغميصاء بضم الغين وفتح الميم من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين (قوله بادغام التنوين) أي بعد قلبه لاما وقوله في اللام أي لام التعريف وقوله وضمها أي بنقل حركة همزة أولى اليها وقوله بلا همز أي للواو التي بعد اللام المدغم فيها التنوين وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضا وهي هذه القراءة بعينها الا أن الواو المذكورة تقلب همزة ساكنة (قوله هي قوم هود) أي وسميت أولى لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي قوم صالح وهم ثمود فأهلكت الاولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وتسمى كل من القبيلتين عادا لان جدهم واحد وهو عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) أي ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك ثمودا وليس منصوبا بأبقى لان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكناهم) صوابه أهلكهم وأشار بذلك الى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل محذوف ويصح عطفه على ما قبله (قوله انهم كانوا هم أظلم وأطغى) الضمير عائد على قوم نوح خاصة وعليه مشى المفسر ويصح عوده على الفرق الثلاثة والمعنى أظلم وأطغى من غيرهم (قوله يؤذونه ويضربونه) أي حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (قوله والمؤتفكة) منصوب بأهوى قدم رعاية للفاصلة ومعنى المؤتفكة المنقلبة لان الائتفاك

أي يبصر في الآخرة (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) الأكمل يقال جزيته سعيه وبسعيه (وأن) بالفتح عطفا وقرئ بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل في الصحف على الثاني (الى ربك المنتهى) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم (وأنه هو أضحك) من شاء أفرحه (وأبكى) من شاء أحزنه (وأنه هو أمات) في الدنيا (وأحيي) للبعث (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى) من نطفة منى (اذا تمنى) تصب في الرحم (وأن عليه النشأة) بالمد والقصر (الاخرى) الخلقة الاخرى للبعث بعد الخلقة الاولى (وأنه هو أغنى) الناس بالكفاية بالاموال (وأقنى) أعطى المال المتخذ قنية (وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد في الجاهلية (وأنه أهلك عادا الاولى) وفي قراءة بادغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة هي قوم هود والاخرى قوم صالح (وثمودا) بالصرف اسم للاب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عادا (فما أبقى) منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أي قبل عاد وثمود أهلكناهم (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وهم مع عدم ايمانهم به يؤذونه ويضربونه (والمؤتفكة) وهي قرى قوم لوط (أهوى) أسقطها بعد رفعها الى السماء

الانقلاب

مقلوبة الى الارض بأمره جبريل بذلك (فغشاها) من الحجارة بعد ذلك (ما غشى) أبهم تهويلا وفى هود فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فبأي آلاء ربك) أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته (تتمارى) تتشكك أيها الانسان أو تكذب (هذا) محمد (نذير من النذر الاولى) من جنسهم أى رسول كالرسل قبله أرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم (أزفت الآزفة) قربت القيامة (ليس لها من دون الله) نفس (كاشفة) أى لا يكشفها ويظهرها الا هو كقوله لا يجليها لوقتها الا هو (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) تكذيبا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) لسماع وعده ووعيده (وأنتم سامدون) لاهون غافلون عما يطلب منكم (فاسجدوا لله) الذى خلقكم (واعبدوا) ولا تسجدوا للاصنام ولا تعبدوها

﴿ سورة القمر مكية الا سيهزم الجمع الآية وهى خمس وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) انفلق فلقتين على أبى قبيس وقعيقعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا رواه الشيخان (وان يروا) أى كفار قريش (آية) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يعرضوا ويقولوا) هذا (سحر مستمر) قوى من المرة القوة أو دائم (وكذبوا) النبى صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) فى الباطل (وكل أمر) من الخير والشر (مستقر) بأهله فى الجنة أو النار (ولقد جاءهم من الانباء) أخبار اهلاك الامم المكذبة رسلهم (ما فيه مزدجر) لهم اسم مصدر

الانقلاب (قوله مقلوبة) حال من ضمير أسقطها (قوله فغشاها) أى ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائد على الله تعالى وقوله ما غشى مفعول به (قوله تهويلا) أى تفخيما وتعظيما والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لا يسع العقول وصفه (قوله وفى هود فجعلنا الخ) الصواب أن يقول وفى هود فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها الخ أو يقول وفى الحجر فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأى) الباء ظرفية متعلقة بتتمارى والمعنى فى أى آلاء ربك تتشكك (قوله أيها الانسان) أى مطلقا وقيل المراد به الوليد بن المغيرة وقيل الخطاب للنبى والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الاولى) النذير بمعنى المنذر والتنوين للتفخيم (قوله أزفت الآزفة) أزف من باب تعب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أى الموصوفة بالقرب فهى فى نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لان كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه من أمارات الساعة كما هو معلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك الى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أى لا يكشفها ويظهرها الا هو) أى فهو من كشف الشئ عرف حقيقته ويصح أن يكون من كشف الضر أزاله والمعنى ليس لها مزيل غيره تعالى لكنه لم يفعل ذلك لانه سبق فى علمه وقوعها (قوله أفمن هذا الحديث) متعلق بتعجبون (قوله تكذيبا) قيد به لان التعجب قد يكون استحسانا وكذا يقال فى قوله استهزاء (قوله وأنتم سامدون) اما مستأنف أو حال (قوله لاهون غافلون) أى فالسمود اللهو والغفلة وقيل الاعراض والاستكبار (قوله فاسجدوا لله) يحتمل أن المراد به سجود الصلاة وهو ما عليه مالك ويحتمل أن المراد سجود التلاوة وبه أخذ الشافعى وأبو حنيفة ويؤيده ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس الا أبى ابن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكفى هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص وقوله ولا تسجدوا للاصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق

﴿ سورة القمر ﴾

جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الا الآية) أى وآخرها ويولون الدبر (قوله قربت القيامة) أشار بذلك الى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد وانما أتى بالمزيد مبالغة لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى والمراد بالقيامة خروج الناس عن القبور ولها أسماء كثيرة الحاقة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء وغير ذلك (قوله وانشق القمر) اعلم أنه يسمى قمرا بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا الى أربعة عشر وليلتها يسمى بدرا (قوله فلقتين) تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت وأما قول البوصيرى

شق عن صدره وشق له البدر * ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان عن نقل صحيح فهو مقبول لانه حجة والا فتسميته بدرا مجاز وما ذكره المفسر من أنه انفلق بالفعل هو المشهور وقيل المعنى سينشق القمر اذا قامت القيامة لان السماء تنشق حينئذ بما فيها وقيل ان المعنى ظهر الامر واتضح (قوله وقعيقعان) هو جبل مقابل أبى قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والمسؤل اما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) اى بأنى رسول الله ولست بساحر كما تزعمون (قوله يعرضوا) اى عن الايمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك الى أن سحر خبر لمحذوف (قوله قوى أو دائم) هذان قولان من أربعة أقوال والثالث أن معناه ذاهب لا يبقى مأخوذ من المرور والرابع أن معناه مر بشع لا نقدر أن نسيغه كما لا نسيغ المر (قوله وكذبوا واتبعوا) عبر بالماضى اشارة الى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لاطماعهم الكاذبة والمعنى كل أمر من الامور منته الى غاية يستقر عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله مستقر بأهله) الباء بمعنى اللام والمعنى ثابت لاهله ما ينشأ عنه من ثواب وعقاب

أو بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) تامة (فما تغن) تنفع فيهم (النذر) جمع نذير بمعنى منذر أي الامور المنذرة لهم وما للنفي أو للاستفهام الانكاري وهي على الثاني مفعول مقدم (فتول عنهم) هو فائدة ماقبله وتم به الكلام (يوم يدع الداع [illegible] وناصب [illegible] [illegible] الكاف [illegible] تنكره الـ[illegible] وهو الحساب [illegible] ذليلا وفي قراءة [illegible] الخاء وفتح الشين (أبصارهم) حال [illegible] فاعل (يخرجون) الناس (من الاجداث) القبور (كأنهم جراد منتشر) لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مهطعين) أي مسرعين مادين أعناقهم (الى الداع يقول الكافرون) منهم (هذا يوم عسر) أي صعب على الكافرين كما في المدثر يوم عسير على الكافرين (كذبت قبلهم) قبل قريش (قوم نوح) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فكذبوا عبدنا) نوحا (وقالوا مجنون وازدجر) أي انتهروه بالسب وغيره (فدعا ربه أنى) بالفتح أي بأني (مغلوب فانتصر) [illegible] (فتحنا) بالتخفيف والتشديد (أبواب السماء

(قوله أواسم مكان) أي على أن فيه تجريدا والمعنى أنه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لأن الزاي حرف مجهور والتاء حرف مهموس فأبدلوها الى حرف مجهور [illegible] قريب من التاء وهو الدال وكما تقلب تاء الافتعال دالا بعد الزاي كذلك تقلب دالا بعد الدال والذال قال ابن مالك * في ادان وازدد وادكر دالا بقي * [illegible] حال منها (قوله أو بدل من ما) أي بدل [illegible] (قوله فما تغن النذر) حذفت الياء لفظا [illegible] (قوله أي الامور المنذرة لهم) أي كما وقع [illegible] مفعول به والمعنى أي شيء من الاشياء النافعة تغني النذر [illegible] (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف وقيل غير [illegible] (قوله هو فائدة ماقبله) أي نتيجته وثمرته (قوله يوم [illegible]) حذفت الواو [illegible] وخطا تبعا للرسم المصحف واللفظ وحذفت الياء [illegible] السبع اثباتها وحذفها وكذا يقال في الداع [illegible] (قوله [illegible]) [illegible] بل يقول فيه انه أيتها العظام البالية والاوصال [illegible] أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله وناصب يوم [illegible]) [illegible] (قوله بضم الكاف الخ) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله [illegible]) [illegible] يكونون آمنين (قوله وفي قراءة) أي [illegible] (قوله حال) أي قوله خشعا وأبصارهم فاعل به وأسند الخشوع للابصار لانه يظهر فيها [illegible] (قوله أي الناس) أي مؤمنهم وكافرهم (قوله من الاجداث) جمع جدث بفتحتين [illegible] (قوله كأنهم جراد منتشر) أي في الكثرة والانتشار في الامكنة (قوله لا يدرون أين يذهبون) [illegible] من القبور شبهوا في هذه الآية بالجراد المنتشر وفي الآية [illegible] بالفراش المبثوث [illegible] شبهوا بالفراش المبثوث ومن حيث [illegible] شبهوا بالجراد المنتشر اذا علمت ذلك فما قاله المفسر لا يناسب [illegible] (قوله مادين أعناقهم الخ) أي فمعنى مهطعين مادين الاعناق [illegible] (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وشدائدها [illegible] (قوله كما في المدثر) أي في المدثر ما يفيد أن الصعوبة والشدة لخصوص الكفار (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولا في قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر (قوله معنى قوم) أي وهو الامة (قوله فكذبوا عبدنا) تفصيل لقوله كذبت قبلهم قوم نوح فالمكذب والمكذب [illegible] واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا والمعنى قالوا مجنون وانتهروه (قوله وغيره) أي كالضرب [illegible] فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يغشى عليه فيتركونه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون (قوله فدعا ربه) أي بعد صبره عليهم الزمن الطويل فمكث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما [illegible] (قوله أني مغلوب) بفتح الهمزة في قراءة العامة على حكاية المعنى ولو حكى اللفظ لقال [illegible] وذلك بكسر الهمزة على اضمار القول والمعنى فدعا ربه قائلا اني مغلوب (قوله فانتصر) أي [illegible] وذلك [illegible] من ايمانهم حيث أوحى الله اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ودعا عليهم [illegible] رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وبقوله فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين (قوله ففتحنا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أي [illegible] قراءتان سبعيتان (قوله أبواب السماء) أي جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب

حقيقة

[illegible] (فدعا ربه أني) بالفتح أي بأني
[illegible] (أبواب السماء

بماء منهمر) منصب انصبابا شديدا (وفجرنا الارض عيونا) تنبع (فالتقى الماء) ماء السماء والارض (على أمر) حال
(قد قدر) قضى به في الازل وهو هلاكهم غرقا (وحملناه) أي نوحا (على) سفينة (ذات ألواح ودسر) وهو ما تشد به الالواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب (تجري بأعيننا) بمرأى منا أي محفوظة (جزاء) منصوب بفعل مقدر أي أغرقوا انتصارا (لمن كان كفر) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر بناء للفاعل أي أغرقوا عقابا لهم (ولقد تركناها) أبقيناها هذه الفعلة (آية) لمن يعتبر بها أي شاع خبرها واستمر (فهل من مدكر) معتبر متعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة وكذا المعجمة وأدغمت فيها (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري استفهام تقرير وكيف خبر كان وهي للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فهل من مدكر) متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الامر أي احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره (كذبت عاد) نبيهم هودا فعذبوا (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وقد بينه بقوله (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الاربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم من حفر الارض

حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث جعل الماء كالآلة التي يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوة (قوله وفجرنا الارض عيونا) تمييز محول عن المفعول لان أصله وفجرنا عيون الارض (قوله تنبع) أي تخرج من العين ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الارض أربعين يوما قيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الارض حارا مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الارض أو مستويين أقوال (قوله فالتقى الماء) أي جنسه الصادق بماء السماء وماء الارض (قوله وغيرها) أي كالصفائح والخشب الذي تسمر فيه الالواح والخيوط ونحوها (قوله جمع دسار) وقيل جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف (قوله تجري) صفة ثانية للموصوف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجري (قوله منصوب بفعل مقدر) أي مفعول لاجله (قوله وهو نوح) أي لانه نعمة كفروها اذ كل نبي نعمة على أمته (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله هذه الفعلة) أي وهي الغرق على هذا الوجه وقيل هي السفينة بناء على أنها بقيت على الجودي زمانا مديدا حتى رآها أوائل هذه الامة (قوله معتبر متعظ بها) أي يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة (قوله وكذا المعجمة) أي الذال التي قبل التاء أبدلت دالا مهملة وقوله وأدغمت أي الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة وقوله فيها أي في الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) باثبات الياء لفظا وحذفها قراءتان سبعيتان وأما في الرسم فلا تثبت لانها من ياآت الزوائد وكذا يقال في المواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أي فهي ناقصة وعذابي اسمها (قوله وهي للسؤال عن الحال) أي فاذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له كيف أنت أصحيح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) أي انه في غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أي أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب الا القرآن ولم يكن هذا لبني اسرائيل ولم يكونوا يقرؤن التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ومن هذا المعنى قوله تعالى في الحديث القدسي وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم (قوله أو هيأناه للذكر) أي بان أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيأ أو سهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو حفظ المعنى أو الاتعاظ به فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الامر) أي فهو للتحضيض (قوله أي احفظوه واتعظوا به) أي ليكمل لكم الاصطفاء فان من آتاه الله القرآن حفظا أو اتعاظا فقد جعله الله من أهله ومن جمع بين الامرين فهو على أكمل الاحوال (قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لانهم من ذرية نوح لان عادا هو ابن ارم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابي ونذر) مرتب على محذوف قدره بقوله فعذبوا (قوله أي وقع موقعه) أي فتعذيبه لهم عدل منه تعالى لانه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا وذلك لانه جرت عادة الله تعالى انه لا يؤاخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى والا فلو آخذ عباده بغير جرم لا يسمى ظالما لانه تصرف في ملكه والظلم التصرف في ملك الغير بغير اذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك الى ان قوله انا أرسلنا الخ تفصيل لما أجمل أولا (قوله شؤم) أي غير مبارك (قوله دائم الشؤم) أي الى الابد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين ويوم مبارك على المؤمنين (قوله أو قويه) أي فهو مأخوذ من المرة وهي القوة وفي الحقيقة هو دائم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أي شهر شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب الشمس من يوم الاربعاء آخره والمعنى أنه أتاهم العذاب يوم الاربعاء والباقي من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره قال تعالى في سورة الحاقة سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما اذا علمت ذلك فليس المراد بقول المفسر آخر الشهر ان يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أطهر

أو قرئ بالكسر

المداسين فيها وتصرعهم على رؤسهم فتندق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كأنهم) وحالهم ما ذكر (أعجاز) أصول (نخل منقعر) منقلع ساقط على الارض وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث في الحاقة نخل خاوية مراعاة للفواصل في الموضعين (فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر أي بالامور التي أنذرهم بها نبيهم صالح ان لم يؤمنوا به ويتبعوه (فقالوا أبشرا) منصوب على الاشتغال (منا واحدا) صفتان لبشرا (نتبعه) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفي المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك أي لا نتبعه (انا اذا) أي ان اتبعناه (لفي ضلال) ذهاب عن الصواب (وسعر) جنون (أألقي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذكر) الوحي (عليه من بيننا) أي لم يوح اليه (بل هو كذاب) في قوله انه أوحي اليه ما ذكر (أشر) متكبر بطر قال تعالى (سيعلمون غدا) في الآخرة (من الكذاب الأشر) وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا (انا مرسلو الناقة) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فتنة) محنة (لهم) لنختبرهم (فارتقبهم) يا صالح أي انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم (واصطبر) الطاء بدل من تاء الافتعال أي اصبر على أذاهم (ونبئهم أن الماء قسمة) مقسوم (بينهم) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كل شرب) نصيب من الماء (محتضر) يحضره القوم يومهم والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة (فنادوا صاحبهم) قدارا ليقتلها (فتعاطى) تناول السيف (فعقر) به الناقة أي قتلها موافقة لهم (فكيف كان عذابي ونذر) أي انذاري لهم بالعذاب قبل نزوله أي وقع موقعه وبينه بقوله

في مقام الاضمار ليكون صريحا في عموم الذكور والاناث والافمقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المداسين فيها) أي المقدرين أي أنهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (قوله وحالهم ما ذكر) الجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه اشارة الى أن قوله كأنهم حال من الناس مقدرة وذلك لانهم حين اخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل بل كانوا كذلك بعدما حصل لهم ما ذكر (قوله أصول نخل) المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ما عدا الفروع والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رؤسه (قوله منقلع) تفسير لمنقعر وفيه اشارة الى قوتهم وثبات أجسامهم في الارض فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يتعمدون من مقاومة الريح فلم يستطيعوا ولا مهالشدتها تقلعهم كما تقلع النخل من الارض (قوله وذكر هنا) أي حيث قال منقعر ولم يقل منقعرة وقوله وأنث في الحاقة أي حيث قال خاوية ولم يقل خاو (قوله في الموضعين) أي فهنا الفاصلة على الراء وهنالك على الهاء (قوله فكيف كان عذابي ونذر) كرره للتهويل والتعجيب من أمرهم (قوله أي الامور التي أنذرهم بها) هذا أحد وجهين في تفسير النذر والثاني أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لان من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أي وهو الفصيح الراجح لتقدم أداة هي بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله جنون) أي فسعر مفرد ويصح أن يكون جمع سعير وهو النار (قوله وادخال ألف بينهما الخ) أي فالقراآت أربع سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء في عليه والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أي لم يوح اليه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري (قوله قال تعالى) أي وعيدا لهم ووعدا له (قوله أي في الآخرة) هذا أحد قولين في تفسير الغد وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذي حل بهم في الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعولين والمعنى سيعلمون غدا أي فريق هو الكذاب الاشر أهو هم أو صالح عليه السلام (قوله انا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود به من العذاب وذلك لانه جرت عادة الله تعالى انه اذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها أو ردأنهم قالوا لصالح عليه السلام نريد أن نعرف المحق منا بان ندعوا آلهتنا وتدعو الهك فمن أجابه الهه علمنا أنه المحق فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء فاجابهم الى ذلك بشرط الايمان فوعدوه بذلك وأكدوا فكذبوا ثانيا بعدما كذبوا أولا في أن آلهتهم تجيبهم (قوله من الهضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الارض ويجمع على هضب وهضاب (قوله فتنة لهم) مفعول لاجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لوقوعها اثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبئهم) أي أخبرهم (قوله ان الماء) أي وهو ماء بئرهم الذي كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره ان الضمير في بينهم واقع عليهم فقط وان في الكلام حذف الواو مع ما عطفت والاسهل أن الضمير واقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أي فكانت لا تبقي شيأ في البئر ويومها يكتفون بلبنها (قوله فنادوا صاحبهم) مرتب على محذوف قدره بقوله فتمادوا على ذلك الخ والمعنى انهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فاجمعوا على قتلها وقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمر اذا صدرت عن الماء فاجتمعوا وكمن لها قدار بن سالف في أصل شجرة في طريقها التي تمر بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاة واحدة ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في الشعراء حيث قال فعقروها فتحصل أن مباشرة القتل كان

منه

انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وماسقط من ذلك فداسته هو الهشيم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر) أي بالامور المنذرة لهم على لسانه (انا أرسلنا عليهم حاصبا) ريحا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة الواحدة دون ملء الكف فهلكوا (الا آل لوط) وهم ابنتاه معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار أي وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لانه معرفة معدول عن السحر لان حقه أن يستعمل في المعرفة بأل وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان وعبر عن الاستثناء على الاول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع وان كان من الجنس تسمحا (نعمة) مصدر أي انعاما (من عندنا كذلك) أي مثل ذلك الجزاء (نجزي من شكر) أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسله وأطاعهم (ولقد أنذرهم) خوفهم لوط (بطشتنا) أخذتنا اياهم بالعذاب (فتماروا) تجادلوا وكذبوا (بالنذر) بانذاره (ولقد راودوه عن ضيفه) أي أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الاضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة (فطمسنا أعينهم) عميناها وجعلناها بلا شق كباقي الوجه بان صفقها جبريل بجناحه (فذوقوا) فقلنا لهم ذوقوا (عذابي ونذر) أي انذاري وتخويفي أي ثمرته وفائدته (ولقد صبحهم بكرة) وقت الصبح من يوم غير معين (عذاب مستقر) دائم متصل بعذاب الآخرة (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون) قومه معه (النذر) الانذار على لسان موسى وهرون فلم يؤمنوا بل (كذبوا بآياتنا كلها) أي التسع التي أوتيها موسى (فأخذناهم) بالعذاب (أخذ عزيز) قوي (مقتدر) قادر لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا قريش (خير من أولئكم)

منه لكن باجماعهم عليه (قوله انا أرسلنا عليهم صيحة) أي صاح بهم جبريل في اليوم الرابع من عقر الناقة وذلك ان عقرها يوم الثلاثاء فوعدهم صالح بالعذاب وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الاربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر الوجوه ويوم الجمعة سود الوجوه وفي السبت ينزل بهم العذاب وكان الامر كما ذكر (قوله كهشيم المحتظر) تشبيه لاهلاكهم والحظيرة زريبة الغنم ونحوها والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره لتكون وقاية لمواشيه من الحر والبرد والسباع (قوله كذبت قوم لوط) أي وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم وذلك ان لوطا هو ابن أخي ابراهيم الخليل عليهما السلام خرج مع عمه من العراق فنزل ابراهيم بفلسطين ولوط بسدوم وقراها فأرسله الله لهم فكذبوه فحل بهم العذاب (قوله المنذرة) أي المخوفة (قوله ريحا ترميهم بالحصباء) أشار بذلك الى أن حاصبا اسم فاعل صفة لموصوف محذوف وفيه دليل على ان أمطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح لها (قوله من يوم غير معين) أي غير مقصود تعيينه للمخاطبين فلا ينافي تعيينه في الواقع ولمن حضر (قوله أي وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله في الآية الاخرى ان موعدهم الصبح والا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى في (قوله لان حقه أن يستعمل في المعرفة) أي في ارادة التعريف (قوله تسمحا) أي تساهلا في العبارة وأشار بذلك الى أن وجه كون الاستثناء منقطعا بعيد لان أهل لوط من جنس القوم على كل حال سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع أو على غير أهل لوط فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه وجعله منقطعا بعيد (قوله مصدر) أي مؤكد لما له في المعنى وهو نجيناهم اذ الانجاء نعمة أو مفعول لمحذوف من لفظه أي أنعمنا عليهم نعمة (قوله أي مثل ذلك الجزاء) أي الذي هو الانجاء (قوله نجزي من شكر) أي فلا خصوصية لآل لوط بل هو عام لكل من شكر نعمه تعالى قال تعالى وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية وقوله أو من آمن عطف على من شكر عطف تفسير وفي ذلك اشارة الى تفسيرين للموصول فقيل ان المراد من شكر النعمة مع أصل الايمان وقيل هو من ضم الى الايمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك الى أنه ضمن تماروا معنى التكذيب فتعدى تعديته (قوله بانذاره) أي أو بالامور التي خوفهم بها لوط (قوله ولقد راودوه عن ضيفه) أي أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة في صورة الاضياف للفاحشة والمراودة الطلب المتكرر (قوله ليخبثوا بهم) الخبث الزنا والمراد به ما يشمل اللواط وهو المراد هنا وهو من باب قتل (قوله عميناها) صوابه أعميناها بالهمز لان عمي ثلاثي لازم والمتعدي انما هو الرباعي (قوله وجعلناها بلا شق) هذا أحد قولين وقيل بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أي على ألسنة الملائكة (قوله من يوم غير معين) أي لم يرد الله تعيينه لنا والا فهو معين في علم الله وعلم من بقي من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أي فقلع جبريل بلادهم فرفعها وقلبها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أي فلا يزول عنهم حتى يصلوا الى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك في كل قصة التنبيه على الاتعاظ والتدبر اشارة الى أن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان تقريرا للنعم المختلفة المعدودة فكلما ذكر نعمة وبخ على التكذيب بها (قوله الانذار) أي فهو مصدر ويصح جعله جمع نذير باعتبار الآيات التسع (قوله كذبوا بآياتنا) استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا الخ (قوله أي التسع) أي وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله أخذ عزيز) من اضافة المصدر لفاعله (قوله خير من أولئكم) أي في القوة والشدة (قوله

المذكورين من قوم نوح الى فرعون فلم يعذبوا (أم لكم) يا كفار قريش (براءة) من العذاب (في الزبر) الكتب والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي أي ليس الامر كذلك (أم يقولون) أي كفار قريش (نحن جميع) أي جمع (منتصر) على محمد ولما قال أبو جهل يوم بدر انا جمع منتصر نزل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فهزموا ببدر ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بل الساعة موعدهم) بالعذاب (والساعة) عذابها (أدهى) أعظم بلية (وأمر) أشد مرارة من عذاب الدنيا (ان المجرمين في ضلال) هلاك بالقتل في الدنيا (وسعر) نار مسعرة بالتشديد أي مهيجة في الآخرة (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أي في الآخرة ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) اصابة جهنم لكم (انا كل شيء) منصوب بفعل يفسره (خلقناه بقدر) بتقدير حال من كل أي مقدرا وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وما أمرنا) لشيء نريد وجوده (الا) امرة (واحدة كلمح بالبصر) في السرعة وهي قول كن فيوجد انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الامم الماضية (فهل من مدكر) استفهام بمعنى الامر أي اذكروا واتعظوا (وكل شيء فعلوه) أي العباد مكتوب (في الزبر) كتب الحفظة (وكل صغير وكبير) من الذنب أو العمل (مستطر) مكتتب في اللوح المحفوظ (ان المتقين في جنات) بساتين (ونهر) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعا كاسد وأسد المعنى في
أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (في مقعد صدق) مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى
أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق
ببدل البعض وغيره (عند مليك) مثال مبالغة أي عزيز الملك واسعه (مقتدر) قادر لا يعجزه شيء وهو الله تعالى

من قوم نوح الى فرعون) أي وهم خمس فرق قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن المنفي والمعنى أتزعمون ان كفاركم خير ممن كفر من الامم قبلكم فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم (قوله أم لكم براءة في الزبر) اضراب انتقالي الى وجه آخر من التبكيت (قوله بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله منتصر) أي فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي (قوله نزل) أي يوم بدر أي أو كر رنز ولها لما روي أنها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم أعلم ماهي أي الواقعة التي يكون فيها ذلك فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته أي علمت المراد من هذه الآية (قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لان كل واحد يولي دبره وأتى به مفردا لموافقة رؤس الآي (قوله بل الساعة موعدهم) أي فليس ما وقع لهم في الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أدهى) افعل تفضيل من الداهية وهي الامر الفظيع الذي لا يهتدي الى الخلاص منه والاظهار في مقام الاضمار للتهويل (قوله نار مسعرة) أي شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف لقول محذوف تقديره ويقال لهم أو ظرف لسعر (قوله اصابة جهنم) أشار بذلك الى ان المس مجاز أطلق وأريد منه الاصابة وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أي غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهي أرجح لان الرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشيء وبقدر خبره لانه يكون مفهومه ان هنالك شيأ ليس مخلوقا لله وليس بقدر مع ان مختار أهل السنة كل شيء مخلوق لله تعالى والمعنى كل شيء خلقناه بقضاء وحكم وتدبير محكم وقوة بالغة واختلف في تعريف القدر فقالت الاشاعرة هو ايجاد الله الاشياء على طبق ما سبق في علمه وارادته وعليه فهو صفة فعل وهي حادثة وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلا بحده الذي يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعلق العلم والارادة وعليه فهو قديم والقضاء عند الاشاعرة ارادة الله المتعلقة بالاشياء أزلا فهو قديم وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة احكام فهو حادث وقيل هما شيء واحد وهو ايجاد الله الاشياء على طبق تعلق العلم والقدرة واقتصر على القدر هنا لان بينهما تلازما أو لترادفهما وفي هذه الآية رد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بأن الله لا يعلم الاشياء الا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الامام الشافعي (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله خبره خلقناه) أي وقوله بقدر اما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أي شأننا في ايجاد شيء أو اعدامه (قوله الا امرة واحدة) أي مرة من الامر وفي الحقيقة ليس هنالك قول ولا أمر وانما هو كناية عن سرعة الايجاد (قوله كلمح بالبصر) حال من متعلق الامر والمعنى حال كونه يوجد سريعا بالمرة من الامر ولا يتراخى عنها واللمح النظر بسرعة فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الافعال كلها عند الله (قوله وهي كن) بيان للامرة الواحدة وقوله انما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشباهكم في الكفر) أي الذين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أي بما وقع لهم فيرتدع وينزجر (قوله في الزبر) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أي لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لرؤس الآي (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله في مقعد صدق) من اضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ مقاعد) أي شذوذا (قوله ببدل البعض) أي لان المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أي وهو بدل الاشتمال لان الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند مليك) خبر ثان ان جعل

في مقام صدق بدلا أو ثالث ان جعل خبرا ثانيا (قوله وعند اشارة للرتبة) أي فهي عندية مكانة وقوله والقربة أي التقرب فهما متحدان

﴿سورة الرحمن﴾

وتسمى عروس القرآن لما ورد لكل شئ عروس وعروس القرآن سورة الرحمن (قوله مكية) أي كلها وقوله أو الا يسئله الخ حكاية لقول آخر وبقي قول ثالث وهو كلها مدني (قوله الآية) الاوضح أن يقول الآيتين لان المدني على هذا القول يسئله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن وقول عقبها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شك أنهما آيتان (قوله الرحمن) اما خبر مبتدا محذوف أي الله الرحمن أو مبتدا خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان على القول بأن الرحمن آية مستقلة واما على أنه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدا خبره علم القرآن وسبب نزولها انه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت ردا عليهم وفيها رد عليهم أيضا حيث قالوا انما يعلمه بشر فأفاد أن الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن اشارة الى أنها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لان الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كما وكيفا ولذا كرر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان احدى وثلاثين مرة فيها (قوله علم القرآن) اما من التعليم وهو التفهيم أي عرفه فالقرآن مفعول ثان له والاول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أي من عباده انسا وجنا وملكا وقدره بعضهم محمدا أو جبريل ردا على المشركين في قولهم انما يعلمه بشر والاول أولى لعمومه أو من العلامة والمعنى جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الانسان مع أنه متأخر عنه في الوجود لان التعليم هو السبب في ايجاده وخلقه (قوله خلق الانسان) هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان وترك العاطف منهما لشدة الاتصال (قوله أي الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده وحينئذ فالمراد بالبيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال في تفسير الانسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه الانسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام والمراد بالبيان أسماء كل شئ ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله بحسبان) متعلق بمحذوف خبر المبتدا الذي هو الشمس والقمر تقديره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك الى أن قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران ويصح أن يكون جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى أن الشمس والقمر يجريان في بروج ومنازل بمقدار وحد لا يتعديانه لمنافع العباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدا الدنيا لمنتهاها (قوله ما لا ساق له) أي وهو المفروش على الارض كالقثاء والبطيخ ونحوهما (قوله ماله ساق) أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما (قوله يخضعان) أي ينقادان لما يراد منهما طوعا فلا تخالف ما أمرت به فلو أراد منهما الاثمار أو عدمه لم تخالف بل تأتي على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أي في جميع الامور والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شئ لا سيما في الكيل والوزن (قوله أي لاجل أن لا تجوروا) أشار بذلك الى أن ان ناصبة ولا نافية وتطغوا منصوب بأن وقبلها لام العلة مقدرة (قوله وأقيموا الوزن) ايضاح لقوله أن لا تطغوا في الميزان وذلك لان الطغيان في الميزان أخذ الزائد والاخسار اعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أي دحاها وخفضها (قوله للانام) أي لانتفاعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أي كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة حالية (قوله ذات الاكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضا على أكنة وأما بالضم فهو للقميص (قوله والحب ذو العصف الخ) اما برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الاولين وجر الثالث ثلاث قرا آت سبعيات فرفع الجميع عطف على فاكهة ونصبها بفعل محذوف أي خلق ورفع الاولين عطف

وعند اشارة الى الرتبة والقربة من فضله تعالى

﴿سورة الرحمن مكية أو الا يسئله من في السموات والارض الآية فمدنية وهي ست أو ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الرحمن علم) من شاء (القرآن خلق الانسان) أي الجنس (علمه البيان) النطق (الشمس والقمر بحسبان) يجريان بحساب (والنجم) ما لا ساق له من النبات (والشجر) ماله ساق (يسجدان) يخضعان بما يراد منهما (والسماء رفعها ووضع الميزان) أثبت العدل (أن لا تطغوا) أي لاجل أن لا تجوروا (في الميزان) ما يوزن به (وأقيموا الوزن بالقسط) بالعدل (ولا تخسروا الميزان) تنقصوا الموزون (والارض وضعها) أثبتها (للانام) للخلق الانس والجن وغيرهم (فيها فاكهة والنخل) المعهود (ذات الاكمام) أوعية طلعها (والحب) كالحنطة والشعير (ذو العصف) التبن (والريحان) الورق أو المشموم

على فاكهة وجر الثالث عطف على العصف (قوله فبأي آلاء ربكما) أي بأي فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أي تنكرانها وتكابران فيها وذلك شأن الكفار أو لا تشكران ربكما عليها وذلك شأن العصاة والآلاء جمع الى أو الى كمعى ومعى والى كمعل والى كاصل (قوله أيها الانس والجن) أي فالخطاب للثقلين كما يشعر به قوله فيما يأتي أيها الثقلان (قوله ذكرت احدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدة أبوابها لان التخلص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الاولين كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الاولين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح أن يكون للتوبيخ على ما فصل من فنون النعم الموجبة للشكر والايمان (قوله ثم قال مالي أراكم سكوتا الخ) يؤخذ من ذلك أنه ينبغي لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم ردا) أي في الجواب فلا ينافي أن الانس أحسن منهم فهذه مزية (قوله فبأي آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله الا قالوا ولا بشئ من نعمك الخ) ظاهره ان جميع ما في هذه السورة نعم مع أن فيها يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الخ وكل من عليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك وأجيب بأن رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية في الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم فحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك الى أن أل في الانسان للعهد بخلاف الانسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاث (قوله اذا نقر) أي ليختبر هل فيه عيب أولا (قوله كالفخار) أي في أن كلا منهما يسمع له صوت اذا نقر واعلم أنه تعالى أفاد في هذه السورة ان خلق آدم كان من صلصال كالفخار وفي سورة الحجر من صلصال من حمأ مسنون أي طين اسود متغير وفي الصافات من طين لازب أي يلصق باليد وفي آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب ولا تنافي بينها وذلك لانه تعالى أخذه من تراب الارض فعجنه بالماء فصار طينا لازبا ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا ثم صوره كما تصور الاواني ثم أيبسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار اذا نقر صوت فالمذكور هنا آخر أطواره وفي غير هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالارض أمه والماء أبوه ممتزجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم فهو من العناصر الاربع لكن الغالب في جملته التراب كما أن الجان خلق من العناصر الاربع لكن الغالب في جملته النار ولذا نسب اليها (قوله وهو ما طبخ من الطين) أي فكان مجوفا كالاواني وليس كالآجر (قوله وهو ابليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح وقيل أبو الجن غير ابليس (قوله من مارج من نار) من الاولى لابتداء الغاية والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبعيض (قوله هو لهبها الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال في تفسير المارج وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو مشاهد في النار ترى الالوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض وقيل هو الاحمر الكائن في طرف النار وقيل اللهب المختلط بسواد (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعم ربكما الناشئة عنه تكفران (قوله رب المشرقين) بالرفع في قراءة العامة على أنه خبر لمحذوف أي هو رب المشرقين وقرئ شذوذا بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أي مغرب الشتاء ومغرب الصيف واما آية فلا أقسم برب المشارق والمغارب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي بأي نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها (قوله مرج البحرين) المرج بفتحتين في الاصل الاهمال والترك أو الارسال وبسكون الراء الارض ذات النبات والمرعى يقال مرج الدابة أي أرسلها ترعى في المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين أي يتماسان على وجه الارض بلا فصل بينهما في رؤية العين (قوله بينهما برزخ) جملة مستأنفة أو حالية من البحرين (قوله لا يبغيان) أي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الداخل في الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح فلو حفرت في جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخلطهما الله في رأي العين وحجزهما بقدرته تعالى واذا كان هذا حال جماد لا ادراك له ولا عقل فكيف يبغي العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق

(فبأي آلاء) نعم (ربكما) أيها الانس والجن (تكذبان) ذكرت احدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم سكوتا للجن كانوا أحسن منكم ردا ماقرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (خلق الانسان) آدم (من صلصال) طين يابس يسمع له صلصلة أي صوت اذا نقر (كالفخار) وهو ما طبخ من الطين (وخلق الجان) أبا الجن وهو ابليس (من مارج من نار) هو لهبها الخالص من الدخان (فبأي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) كذلك فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج) أرسل (البحرين) العذب والملح (يلتقيان) في رأي العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرته تعالى (لا يبغيان) لا يبغي واحد منهما على الآخر فيختلط به (فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج) بالبناء للمفعول والفاعل (منهما) من مجموعهما الصادق

باحدهما

بأحدهما) هذا غير ظاهر لان المجموع لا يصدق على البعض الا اذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالاولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف أى من أحدهما وقيل لا تقدير فى الآية بل يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند الغواصين وقيل العذب كالرجل والملح كالمرأة واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر (قوله وله الجوار) جمع جارية وهى السفينة صفة جرت مجرى الاسماء سميت بذلك لان شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى تنشئ الريح بجريها أو تنشئ السير اقبالا وادبارا ونسبة الانشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الارض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شئ بخلاف قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه فيستثنى الجنة والنار والحور العين والولدان والعرش والارواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله وجه ربك) الخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه واما لاى سامع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذو الجلال والاكرام) فيه وعد ووعيد فبوصف الجلال افناء الخلق وتعذيب الكفار وبوصف الاكرام احياؤهم واثابة المؤمنين وذو بالرفع فى قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذا بالجر صفة للرب وأما فى آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسأله من فى السموات والارض) أى لانهم مفتقرون اليه تعالى فى جميع حاجاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الارض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لاهل الارض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والارض وفى الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق لبنى آدم ووجه كوجه الاسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير (قوله بنطق) أى بلسان المقال وقوله أو حال أى بلسان الحال وهو الذل والاحتياج (قوله كل يوم هو فى شأن) كل ظرف منصوب بالمحذوف الذى تعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصريف فى خلقه لما ورد أن الانسان يخرج منه فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فى كل نفس يحمل مائة ألف ويولد مائة ألف ويعز مائة ألف ويذل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف وفى رواية فى كل واحدة ستمائة ألف وحكى أن ابن الشجرى كان يقرر فى درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن ربك اليوم فأطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فان أتاك وسألك فقل له شؤون يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بذلك فقال له صل على من علمك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من احياء الخ بيان له فالتغير راجع للمصنوعات وأما ذاته تعالى وصفاته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعمة من تلك النعم التى أنشأها خالقكما ومدبركما تكفران بها (قوله سنقصد لحسابكم) جواب عما يقال ان الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال سنفرغ لكم فأجاب بما ذكر وايضاحه أن تقول الفراغ من الشئ يطلق على التفرغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطلق على القصد للشئ والاقبال عليه وهو المراد هنا والمراد بالقصد فى كلام المفسر الارادة وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم وهذا لا يظهر الا على القول بأن للارادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب له أن يقول سأحاسبكم وفى الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين (قوله أيه الثقلان) تثنية ثقل بفتحتين سميا بذلك لانهما أثقلا الارض أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى التى من جملتها اثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصى (قوله يا معشر الجن والانس الخ) هذا الزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء

بأحدهما وهو الملح (اللؤلؤ والمرجان) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار) السفن (المنشآت) المحدثات (فى البحر كالاعلام) كالجبال عظما وارتفاعا (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) أى الارض من الحيوان (فان) هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء (ويبقى وجه ربك) ذاته (ذو الجلال) العظمة (والاكرام) للمؤمنين بأنعمه عليهم (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسأله من فى السموات والارض) أى بنطق أو حال ما يحتاجون اليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كل يوم) وقت (هو فى شأن) أمر يظهره على وفق ما قدره فى الازل من احياء واماتة واعزاز واذلال واغناء واعدام واجابة داع واعطاء سائل وغير ذلك (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) سنقصد لحسابكم (أيه الثقلان) الانس والجن (فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) تخرجوا (من أقطار) نواحى (السموات والارض فانفذوا) أمر تعجيز (لا تنفذون الا بسلطان) بقوة ولا

الله وقدره وهو اشارة لمعنى حديث قدسي من لم يرض بقضائي و يصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي و يتخذ له ربا سوائي وعلى هذا فالخطاب يقال لهما في الدنيا وقيل يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون الى الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التي تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيع الاعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها الا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية والحكمة في تقديم الجن هنا على الانس وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ان الجن أقوى من الانس فقدموا فيما يتعلق بالهروب والانس أفصح من الجن فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن فقدم في كل موضع ما يناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين في تفسير السلطان وقيل هو البينة والحجج الواضحة (قوله فبأي آلاء ربكما) أي من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (قوله يرسل عليكما) اما جملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم في الدنيا واما على القول بأنه في الآخرة فالكلام مرتبط بعضه ببعض وليس مستأنفا (قوله شواظ) بكسر الشين وضمها قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وهو لهب الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو اللهب الاحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب (قوله ونحاس) اما بالرفع عطف على شواظ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لا بد فيها من كسر شين شواظ أو امالة نار فمن قرأ بجر نحاس بدون أحد الامرين فقد وقع في التلفيق (قوله أي دخان الخ) هذا التفسير انما يناسب قراءة الرفع لا الجر والافيصير المعنى يرسل عليكما شواظ أي لهب من نحاس أي دخان لا لهب فيه وهو لا يصح الا أن يقال الشواظ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان (قوله فلا تنتصران) أي لا تجدان لكما ناصرا واعلم أن هذا الامر وهو سوق الجن والانس بالنار الى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف قدم ليس لعموم الجن والانس بل ورد في أناس انهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الفزع الاكبر وكل واحد ممن حضر الموقف على قدر عمله فمنهم من يظل في ظل العرش ومنهم من يلجمه العرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أي المذكور من الشواظ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أي المذكور منهما (قوله لنزول الملائكة) أي لتحيط بالعالم من سائر جهات الارض (قوله كالدهان) اما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان اما جمع دهن كرماح ورمح ويكون بمعنى قوله يوم تكون السماء كالمهل أي كدردي الزيت أو مفرد كحزام وادام وهو الاديم الاحمر أي الجلد وقد مشى على الثاني المفسر (قوله على خلاف المعهود) أي على خلاف لونها الذي نراه ونعهده وهو الزرقة فانها عارضة قيل بسبب جبل ق المحيط بها وأما لونها الاصلي فهو الحمرة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أي فيوم اذ انشقت السماء (قوله ولا جان عن ذنبه) أشار بذلك الى أن الجار والمجرور محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه (قوله ويسئلون في وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ما هنا وبين الآية التي ذكرها وايضاح الجمع أن يقال انهم حين يخرجون من القبور لا يسئلون ويسئلون حين يحشرون ويجتمعون في الموقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لا حاجة له لان الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجي (قوله فبأي آلاء ربكما) أي نعمه العظيمة التي من جملتها الزجر عما يؤدي للعذاب (قوله أي سواد الوجه وزرقة العيون) أي وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى (قوله بالنواصي) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أي فينثني بكسر ظهره كما يكسر الحطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره (قوله ويقال لهم) قدره اشارة الى أن قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يترددون بينهما فحين يستغيثون من النار يسعى بهم الى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رؤسهم فاذا

قوة لكم على ذلك (فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (ونحاس) أي دخان لا لهب فيه (فلا تنتصران) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم الى المحشر (فبأي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فكانت وردة) أي مثلها محمرة (كالدهان) كالاديم الاحمر على خلاف المعهود بها وجواب اذا فما أعظم الهول (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) عن ذنبه ويسئلون في وقت آخر فوربك لنسئلنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتي بمعنى الجنى والانس فيهما بمعنى الانسي (فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) أي سواد الوجوه وزرقة العيون (فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي تضم ناصية كل منهم الى قدميه من خلف أو قدام ويلقى في النار ويقال لهم (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون) يسعون (بينها وبين حميم) ماء حار (آن) شديد الحرارة

استغاثوا منه يسعى بهم الى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ) أى ويغمسون فيه لما ورد عن كعب ان واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (قوله وهو منقوص كقاض) أى فيقال أنى يأنى كقضى يقضى فهو آن كقاض وأصله آنى استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله ولمن خاف مقام ربه) أى لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس فى النعيم وهو ما عليه الأئمة الثلاثة وقال أبو حنيفة ان من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهائم ولا حظ له فى النعيم (قوله أى لكل منهم) أى لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان واختلف فى المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف فقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل جنة لطاعته وجنة لترك المعاصى وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كعادة الاكابر فى الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بستانه وقيل احدى الجنتين خلقت له والاخرى جنة ورثها من الكفار وعلى كل من الاقوال تسمى احداهما جنة عدن والاخرى جنة النعيم وروى عن ابن عباس فى وصف الجنتين أنه قال الجنتان بستانان فى عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام فى وسط كل بستان دار من نور وليس منهما شئ الا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها ثابت وقيل المراد بالجنتين جنة واحدة وانما ثنى رعاية للفواصل (قوله أو لمجموعهم) أى ان الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الانسى والأخرى للخائف الجنى فكل خائف ليس له الا جنة واحدة والاول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك الى ان المقام مصدر ميمى بمعنى القيام وهو أحد احتمالات ثلاث فى تفسير المقام والثانى انه اسم مكان أى خاف مكان وقوفه للحساب والثالث انه مصدر ميمى بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق أى اشرافه واطلاعه عليهم ومناقشته لهم فى الحساب (قوله فترك معصيته) أى فتسبب عن خوفه تركه المعاصى واعلم ان الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهى خوف تعذيب الله اياهم ومرتبة الخاصة وهى خوف جلال الله وهيبته وفيهما فليتنافس المتنافسون وللعارفين تفسير آخر وهو ان المراد بالخوف خوف الاجلال والتعظيم والهيبة والمراد بالجنتين جنة الشهود فى الدنيا بالقلب وفى الآخرة بالابصار وجنة الثواب فى الآخرة لا غير (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه تكذبان أبتلك النعم التى من جملتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) اما صفة لجنتان أو خبر لمحذوف أى هما (قوله تثنية ذوات) أى الذى هو مفرد (قوله على الاصل) أى وذلك لان أصلها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت الفاء فصار ذوى كفتى فهذه الالف لام الكلمة وانما قلبت الياء ألفا دون الواو مع أن كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لانها طرف والطرف محل تغيير ولم ترد هذه الالف فى التثنية الى الياء فيقال ذويتان لانه لما زيدت التاء فى هذا اللفظ تحصنت الالف من الرد الى الياء وما فى الآية هو الفصيح فى تثنيتها وقد تثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أى وهى فروع الشجر التى تشتمل على الورق والثمار (قوله جمع فنن) هذا أحد قولين وقيل جمع فن أى نوع وشكل (قوله فيهما) أى فى كل واحدة منهما (قوله عينان تجريان) أى بالماء الزلال احداهما يسمى التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله فى الدنيا) أى ما هو فاكهة فى الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أو كل ما يتفكه به) أى فى الآخرة ولو كان فى الدنيا غير فاكهة كالحنظل وقوله والمر منها الخ مبنى على القول الثانى (قوله متكئين) أى مضطجعين أو متربعين فالتوكؤ الاضطجاع أو التربع لما فى الحديث أما أنا فلا آكل متكئا أى جالسا جلوس المتربع ونحوه من الهيآت التى تستدعى كثرة الاكل فالتوكؤ فى الدنيا مذموم وفى الآخرة غير مذموم لارتفاع التكليف (قوله أى يتنعمون) الضمير عائد على من فى قوله ولمن خاف مقام ربه

يسقونه اذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف) أى لكل منهم أو لمجموعهم (مقام ربه) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا) تثنية ذوات على الاصل ولامها ياء (أفنان) أغصان جمع فنن كطلل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة) فى الدنيا أو كل ما يتفكه به (زوجان) نوعان رطب ويابس والمر منها فى الدنيا كالحنظل حلو (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) حال عامله محذوف أى يتنعمون (على فرش

بطائنها من استبرق) ماغلظ من الديباج وخشن والظهائر من السندس (وجنى الجنتين) ثمرهما (دان) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور (قاصرات الطرف) العين على أزواجهن المتكئين من الانس والجن (لم يطمثهن) يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) أي اللؤلؤ بياضا (فبأي آلاء ربكما تكذبان هل) ما (جزاء الاحسان) بالطاعة (الا الاحسان) بالنعيم (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) أي الجنتين المذكورتين (جنتان) أيضا لمن خاف مقام ربه (فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) سوداوان من شدة خضرتهما (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان)فوارتان بالماء لا ينقطعان (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) هما منها وقيل من غيرها (فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن) أي الجنتين وما فيهما (خيرات) أخلاقا (حسان) وجوها (فبأي آلاء ربكما تكذبان حور) شديدات سواد العيون وبياضها (مقصورات) مستورات (في الخيام)

(قوله بطائنها من استبرق) هذه الجملة صفة لفرش (قوله من السندس) أي وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنتين دان) جنى مبتدأ بمعنى مجنى خبره دان وأصله دانو كغاز وقاض (قوله يناله القائم الخ) قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه أحدها أن الثمرة على رؤس الشجر في الدنيا بعيدة عن الانسان المتكئ وفي الجنة يتكئ والثمرة تتدلى اليه وثانيها أن الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويتحرك اليها وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه وثالثها أن الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو اليه في وقت واحد ومكان واحد (قوله في الجنتين الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع مع ان المرجع مثنى (قوله قاصرات الطرف) اي محبوسات على أزواجهن لا يبغين بغيرهم بدلا لما روي أنها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك (قوله لم يطمثهن) الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع فالمعنى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (قوله من الحور) أي فيكن قسمين انسيات للانس وجنيات للجن (قوله أو من نساء الدنيا المنشآت) أي المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله انس قبلهم ولا جان) أي ان كل واحد من افراد النوعين يجد زوجاته في الجنة اللاتي كن في الدنيا أبكارا وان كن في الدنيا ثيبات لم يمسها غيره (قوله كأنهن الياقوت) هذه الجملة نعت لقاصرات أو حال منه (قوله صفاء) أي فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لا من حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أي اللؤلؤ بياضا) أي فالمرجان يطلق على الاحمر والابيض والمراد به هنا الابيض روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها (قوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان) اعلم أن هل ترد لاربعة أوجه تكون بمعنى قد قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وبمعنى الاستفهام كقوله فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله فهل أنتم منتهون وبمعنى النفي كقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين وكما هنا فهي هنا للنفي والمعنى لا جزاء الاحسان أي الطاعات وترك المعاصي الا الاحسان أي الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحاب هاتين الجنتين أهل اليمين وهم دون الخائفين مقام ربهم في المنزلة وهذا على حد ما يأتي في سورة الواقعة ان أهل اليمين أقل من السابقين وقيل الجنات الاربع لمن خاف مقام ربه ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ويؤيده ماورد ان الاولين من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت وتقدم أن الاوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة المأوى وهو ما مشى عليه المفسر(قوله مدهامتان) من الدهمة وهي السواد (قوله من شدة خضرتهما) أي لكثرة بساتينهما (قوله فوارتان) أي وليستا كالجاريتين لان النضخ دون الجري وهذا بناء على أن هاتين أقل من الاوليين وأما على القول بأنهما أعلى منهما فمعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود انهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دار أهل الجنة كما ينضخ رش المطر أو ان المراد فوارتان مع الجري ولا شك أنهما أعلى من الجاريتين فقط (قوله هما منها) أي من الفاكهة وهو ظاهر وقوله وقيل من غيرها أي وذلك لان النخل كان طعامه قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التي يعجبون بها روي أن نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمارها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس لها عجم وروي أن الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب وروي أن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (قوله أي الجنتين وما فيهما الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى (قوله خيرات) اما جمع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين أو جمع خيرة مخفف خيرة بالتشديد وفي الحديث ان

الحور

الحور العين يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة رضي الله عنها فغلبنهن والله واختلف هل الحور العين أكثر حسنا وأبهى جمالا أو نساء الدنيا والصحيح ان نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله من در مجوف) قال ابن عباس الخيمة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وروي أن سحابة مطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الانهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولي الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين (قوله مضافة الى القصور) أي انها في داخلها فالخيمة في داخل القصر (قوله بالخدور) جمع خدر وهو الستر الذي يتخذ في البيوت كالناموسية (قوله واعرابه كما تقدم) أي انه حال عامله محذوف أي يتنعمون (قوله جمع رفرفة) أي واحده رفرفة والرفرف اسم جنس جمعي أو اسم جمع (قوله أي بسط أو وسائد) هذان قولان في معنى الرفرف وقيل هو شيء اذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع أنيسه (قوله وعبقري) منسوب الى عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة فقرب الله لنا فراش تلك الجنتين به وقيل ان الياء ليست للنسب بل هي كياء الكرسي والبختي فهو اسم للفراش والمنقوش البالغ الغاية في الحسن (قوله أي طنافس) جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بساط له خمل رقيق (قوله ذي الجلال) بالياء والواو قراءتان سبعيتان (قوله ولفظ اسم زائد) أي لان أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمى وقد يقال أسماء الله وصفاته يثبت لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ في التعظيم والتنزيه

﴿سورة الواقعة﴾

قال مسروق من أراد أن يعلم نبأ الاولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وحكي أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات منه فقال ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضني قال أفلا آمر لك بعطائك قال لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي اني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا (قوله الا أفبهذا الحديث الخ) هذا قول الكلبي وقول المفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدني على هذا القول أربع آيات أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وقيل مكية كلها وقيل مكية الا آية منها وهي قوله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون (قوله اذا وقعت الواقعة) اذا ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث انها تضمنت معنى النفي كأنه قيل انتفى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أي فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها) اللام بمعنى في على حذف مضاف والمعنى ليس نفس كاذبة توجد في وقت وقوعها (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسر بقوله أي هي الخ (قوله تخفض أقوام الخ) أي حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع اليها مجاز من اسناد الفعل لمحله وزمانه (قوله اذا رجت الارض) اما بدل من اذا

من در مجوف مضافة الى القصور شبيهة بالخدور (فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أزواجهن (ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين) أي أزواجهن واعرابه كما تقدم (على رفرف خضر) جمع رفرفة أي بسط أو وسائد (وعبقري حسان) جمع عبقرية أي طنافس (فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) تقدم ولفظ اسم زائد

﴿سورة الواقعة مكية الا أفبهذا الحديث الآية وثلة من الاولين الآية وهي ست أو سبع أو تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة (ليس لوقعتها كاذبة) نفس تكذب بان تنفيها كما نفتها في الدنيا (خافضة رافعة) أي هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ولرفع آخرين بدخولهم الجنة (اذا رجت الارض رجا)

حركت حركة شديدة (وبست الجبال بسا) ١٢٦ فتتت (فكانت هباء) غبارا (منبثا) منتشرا واذا الثانية بدل من الاولى (وكنتم) في القيامة

(أزواجا) أصنافا (ثلاثة فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره (ما أصحاب الميمنة) تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة (وأصحاب المشئمة) أي الشمال بان يؤتى كل منهم كتابه بشماله (ما أصحاب المشئمة) تحقير لشأنهم بدخولهم النار (والسابقون) الى الخير وهم الانبياء مبتدأ (السابقون) تأكيد لتعظيم شأنهم والخبر (أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الاولين) مبتدأ أي جماعة من الامم الماضية (وقليل من الآخرين) من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم السابقون من الامم الماضية وهذه الامة والخبر (على سرر موضونة) منسوجة بقضبان الذهب والجواهر (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير في الخبر (يطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) على شكل الاولاد لا يهرمون (بأكواب) أقداح لا عرى لها (وأباريق) لها عرى وخراطيم (وكاس) اناء شرب الخمر (من معين) أي خمر جارية من منبع لا ينقطع أبدا (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وفاكهة مما

الاولى وعليه مشى المفسر أو تأكيد لها أو شرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أي فترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم ما عليها وينكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشرا) أي متفرقا بنفسه من غير حاجة الى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق المكلفين والمعنى قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم في الدنيا أصنافا ثلاثة (قوله فأصحاب الميمنة) شروع في ذكر أحوال الازواج الثلاثة على سبيل الاجمال وسيأتي تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدأ خبره ما أصحاب الميمنة الخ) أي فأصحاب الاول مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر الاول وتكرير المبتدا بلفظه مغن عن الرابط (قوله تعظيم لشأنهم) أي أن في هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشئمة في نهاية سوء الحال (قوله بأن يؤتى كتابه بشماله) ما ذكره المفسر في الفريقين أحد أقوال وقيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأهل المشئمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشئمة أصحاب المنزلة الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الاقسام الثلاثة لئلا يعجبوا بأعمالهم وقدم أهل اليمين لئلا يقنطوا من رحمة الله (قوله وهم الانبياء) هذا أحد أقوال في تفسير السابقين وقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق وقيل هم المسارعون الى الخيرات وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل (قوله أولئك المقربون) أي الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته في الجنة بكرة وعشيا فحيث تسابقوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم في الجنة (قوله في جنات النعيم) خبر ثان أو حال من الضمير في المقربون (قوله ثلة من الاولين) الثلة بالضم في قراءة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فمعناها الهلكة (قوله وهم السابقون الخ) أي الى الايمان بالانبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك لان المؤمنين الذين اجتمعوا على الانبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الامم وهذا لا ينافي كون هذه الامة المحمدية ثلثي أهل الجنة لان ما هنا فيمن اجتمع بالانبياء مشافهة اذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالانبياء غير واضح فالمناسب أن يقول والسابقون الى الخير من أمة كل نبي وبعض المفسرين جعل الخطاب في قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الامة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الاولين يعني جماعة كثيرة من أوائل هذه الامة وقوله وقليل من الآخرين يعني أن من أتى بعد أوائل هذه الامة من الخيار قليل بالنسبة لاوائلها وان كان كثيرا في نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرر) جمع سرير وهو ما يوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة واجلالا قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أي على السرر (قوله متقابلين) أي فلا ينظر بعضهم الى قفا بعض بل اذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة اما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الاولاد) أي فهم مخلوقون في الجنة ابتداء كالحور والعين ليسوا من أولاد الدنيا وانما سموا أولادا لكونهم على شكل الاولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الصحيح وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا ورد بان الله أخبر عنهم أنهم يلحقون بآبائهم في السيادة والخلقة وقيل هم صغار أولاد الكفار وقيل غير ذلك (قوله لا يهرمون) تفسير لقوله مخلدون والمعنى لا يتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والنعومة بخلاف أولاد الدنيا في الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع ابريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أي ما يمسك بها المسماة بالاذن (قوله وخراطيم) هي المسماة بالبزابيز (قوله لا يصدعون عنها) أي لا يحصل لهم صداع من أجلها والصداع داء معروف يلحق الانسان في رأسه (قوله أي لا يحصل لهم الخ) لف ونشر مرتب (قوله مما

يتغيرون

يتخيرون) أي يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون) وردان في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول أحدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني فلا يزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا رسول الله انها الناعمة قال آكلها أنعم منها وقال ابن عباس رضي الله عنه يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على ما يشتهي أو يقع على الصحفة فيأكل منها ما يشتهي ثم يطير (قوله وحور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح فالعين شديدات سواد العيون مع سعتها وأما الحور فقيل هو بياض أجسادهن وقيل هو شدة بياض العين في شدة سوادها (قوله بدل ضمها) أي الذي هو حقها لان أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين لتصح الياء (قوله وفي قراءة بجر حور عين) أي وهي سبعية أيضا عطف على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور عين (قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي المستور في الصدف لم تمسه الايدي ولا الشمس والهواء روي أنه يسطع نور في الجنة فيقولون ما هذا فيقال ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها وروي أن الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وعقد الياقوت في نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح (قوله بما كانوا يعملون) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة (قوله لكن قيلا) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع وذلك لان السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم (قوله بدل من قيلا) أي أو نعت له أو منصوب بقيلا أي الا أن يقولوا سلاما سلاما (قوله فانهم يسمعونه) أي من الله والملائكة وبعضهم بعضا (قوله وأصحاب اليمين) شروع في تفصيل ما أجمل من أوصافهم اثر تفصيل أوصاف السابقين (قوله في سدر) خبران عن قوله وأصحاب اليمين (قوله مخضود) من خضد الشجر قطع شوكه من باب ضرب روي ان اعرابيا أقبل يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليس يقول في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيها لون يشبه الآخر وليس ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا بل كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه (قوله دائم) أي لا تنسخه الشمس (قوله جار دائما) أي على وجه الارض ليس في حفر (قوله ولا ممنوعة بثمن) الاولى أن يقول بشيء يشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك والمعنى لا تمنع عن متناولها بوجه من الوجوه بل اذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلا تعب (قوله وفرش مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض لما ورد أن ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك الى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهوم مما سبق وهذا أحد قولين وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا انشاءهن ويؤيده ما ورد أن ام سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الانسب بالادلة (قوله بضم الراء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي مستويات في السن) أي وهو ثلاث وثلاثون سنة لما في الحديث يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة أذرع وروي أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من دخل الجنة من صغير أو

يتخيرون ولحم طير مما يشتهون و) لهم للاستمتاع (حور) نساء شديدات سواد العيون وبياضها (عين) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء وفي قراءة بجر حور عين (كأمثال اللؤلؤ المكنون) المصون (جزاء) مفعول له أو مصدر والعامل مقدر أي جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها) في الجنة (لغوا) فاحشا من الكلام (ولا تأثيما) ما يؤثم (الا) لكن (قيلا) قولا (سلاما سلاما) بدل من قيلا فانهم يسمعونه (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر) شجر النبق (مخضود) لا شوك فيه (وطلح) شجر الموز (منضود) بالحمل من أسفله الى أعلاه (وظل ممدود) دائم (وماء مسكوب) جار دائما (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة) في زمن (ولا ممنوعة) بثمن (وفرش مرفوعة) على السرر (انا أنشأناهن انشاء) أي الحور العين من غير ولادة (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عربا) بضم الراء وسكونها جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها عشقا له (أترابا) جمع ترب أي مستويات في السن (لأصحاب اليمين)

صلة أنشأناهن أو جعلناهن وهم (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم) ريح حارة من النار تنفذ في المسام (وحميم) ماء شديد الحرارة (وظل من يحموم) دخان شديد السواد (لا بارد) كغيره من الظلال (ولا كريم) حسن المنظر (انهم كانوا قبل ذلك) في الدنيا (مترفين) منعمين لا يتعبون في الطاعة (وكانوا يصرون على الحنث) الذنب (العظيم) اي الشرك (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين (أوآباؤنا الاولون) بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد وفي قراءة بسكون الواو عطفا بأو والمعطوف عليه محل ان واسمها (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات) لوقت (يوم معلوم) أي يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم) بيان للشجر (فمالئون منها) من الشجر (البطون فشاربون عليه) أي الزقوم المأكول (من الحميم فشاربون شرب) بفتح الشين وضمها مصدر (الهيم) الابل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للانثى كعطشان وعطشى (هذا نزلهم) ما أعد لهم (يوم الدين) يوم القيامة (نحن خلقناكم) أوجدناكم من عدم (فلولا) هلا (تصدقون) بالبعث اذ القادر على الانشاء قادر على الاعادة (أفرأيتم ما تمنون) تريقون المني في أرحام النساء (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه في المواضع الاربعة (تخلقونه) أي المني بشرا

كبير برد الى ثلاثين سنة في الجنة لا يزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أي متعلقة به والمعنى أنشأناهن لاجل أصحاب اليمين ويصح تعلقها بأترابا والمعنى جعلناهن أترابا أي مساويات لاصحاب اليمين في الطول والعرض والجمال فلا تتخير امرأة عن رجل في الجنة (قوله ثلة من الاولين) خبر لمحذوف قدره بقوله وهم واختلف في المراد بالاولين والآخرين فقيل أوائل هذه الامة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتي بعدهم الى يوم القيامة وقيل المراد بالاولين الامم السابقة وبالآخرين هذه الامة فالخلاف هنا نظير ما تقدم وقال فيما سبق وقليل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لان ما تقدم في ذكر السابقين وهم في الآخرين قليل وهنا في أصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع في ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم (قوله ما أصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله في سموم خبر ثان (قوله تنفذ في المسام) أي تدخل في أعماق أبدانهم (قوله وحميم) أي يطلبونه عند اشتعال السموم في أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون من ماء الحميم فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من يحموم) صفة أولى لظل وقوله لا بارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله انهم كانوا الخ) تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر في أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب اشارة الى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لا وجوب عليه فعدم ذكر سببه لا يوهم نقصا وأما العقاب فمن عدله تعالى فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور في حقه تعالى (قوله لا يتعبون في الطاعة) أي تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المحرمة وأما فعل الطاعات مع التنعم بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه قال تعالى قل من حرم زينة الله الآية (قوله وادخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول وتركه ليكون منها على أربع قراآت وكلها سبعية وهي التحقيق والتسهيل مع الالف ودونها (قوله وهو في ذلك) أي الاستفهام في هذا الموضع وهو قوله أوآباؤنا وقوله وفيما قبله أي وهو قوله أئذا متنا أئنا لمبعوثون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله والمعطوف عليه) أي على كل من القراءتين (قوله قل ان الاولين الخ) رد لانكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) أي فيه وضمن الجمع معنى السوق فعداه بالى والا فمقتضى الظاهر تعديته بفي (قوله ثم انكم) عطف على ان الاولين والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر ينبت في الدنيا بتهامة وفي الآخرة في الجحيم (قوله بيان للشجر) أي فمن بيانية وأما من الاولى فهي لابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر) أي وانما أعاد الضمير عليه مؤنثا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله فشاربون شرب الهيم) تفسير للشرب الاول وفي الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وانه لا ينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بفتح الشين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع هيمان الخ) هذا سبق قلم والصواب أن يقول جمع أهيم وهيماء لان هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وحمر جمع لاحمر وحمراء والمعنى يكونون في شربهم الحميم كالجمل أو الناقة التي أصابها الهيام وهو داء معطش تشرب منه الابل الى أن تموت أو تمرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم) أي ما ذكر من مأكولهم ومشروبهم والنزل في الاصل ما يهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة فتسميته نزلا تهكم بهم (قوله بالبعث) أي الاحياء بعد الموت (قوله أفرأيتم ما تمنون الخ) احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث والمعنى أخبروني فمفعولها الاول ما تمنون والثاني الجملة الاستفهامية (قوله ما تمنون) بضم التاء في قراءة العامة من أمنى يمني وقرئ شذوذا بفتحها من منى يمني بمعنى صب والمعنى أخبروني الماء الذي تقذفونه وتصبونه في الرحم أأنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الهمزتين) في كلامه تنبيه على أربع قراآت سبعيات مع أنها خمس وذلك لان التحقيق اما مع ادخال ألف بينهما ممدودة مدا طبيعيا أو بدونها والتسهيل كذلك وابدال

الثانية

(أم نحن الخالقون نحن قدرنا) بالتشديد والتخفيف (بينكم الموت وما نحن ١٢٩ بمسبوقين) بعاجزين (على) عن (أن نبدل) أي نجعل (أمثالكم) مكانكم (وننشئكم) نخلقكم (فيما لا تعلمون) من الصور كالقردة والخنازير (ولقد علمتم النشأة الاولى) وفي قراءة بسكون الشين (فلولا تذكرون) فيه ادغام التاء الثانيـــة في الاصل في الذال (أفرأيتم ما تحرثون) تثيرون الارض وتلقون البذر فيها (أأنتم تزرعونه) تنبتونه (أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما) نباتا يابسا لا حب فيه (فظلتم) أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا أي أقمتم نهارا (تفكهون) حذفت منه احدى التاءين في الاصل تعجبون من ذلك وتقولون (انا لمغرمون) نفقة زرعنا (بـل نحن محرومون) ممنوعون رزقنا (أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن) السحاب جمع مزنة (أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا) مالحا لا يمكن شربه (فلولا) فهلا (تشكرون أفرأيتم النار التي تورون) تخرجون من الشجر الاخضر (أأنتم أنشأتم شجرتها) كالمرخ والعفار والكلخ (أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة) لنار جهنم (ومتاعا) بلغة (للمقوين) للمسافرين من أقوى القوم أي صاروا بالقوى بالقصر والمد أي القفر وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء (فسبح) نزه (باسم) زائد (ربك العظيم) أي الله (فلا أقسم)

الثانيـة ألفا مدودة مد الازما وقوله في المواضع الاربعة أي هـذا وقوله بعد أأنتم تزرعونه أأنتم أنزلتموه من المزن أأنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل ان أم منقطعة لان ما بعدها جملة والمتصلة انما تعطف المفردات وحينئذ فيكون الكلام مشتملا على استفهامين الاول أأنتم تخلقونه وهو انكاري وجوابه لا والثاني مأخوذ من أم ان قدرت ببـل والهمزة أو بالهمزة وحـدها ويكون تقريريا ويحتمل أن تكون متصـلة وذلك لانها عاطفت المفرد وهو نحن والاتيان بالخبر زيادة تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أي حكمنا به وقضيناه على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغييره قدرنا (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبدل أمثالكم) يصح تعلقه بمسبوقين أي لم يعجزنا أحد على تبديلنا أمثالكم أو بقدرنا والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نميت طائفة ونجعـل مكانها أخرى وأمثالكم اما جمع مثل بكسر فسكون والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم أو جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم وننشئكم في صفات أخرى غيرها (قوله في ما لا تعلمون) ما موصولة وحينئذ فتكتب مفصولة من حرف الجر والمعنى نخلقكم في صور لا علم لكم بها (قوله النشأة الاولى) أي الترابيـة لابيكم آدم واللحمية لامكم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شئ الى غـيره (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تثيرون الارض الخ) انما فسر الحرث بمجموع الامرين مراعاة لمعناه اللغوي ولان الشأن أن البذر يكون معه اثارة ارض والمناسب هنا تفسيره بالبـذر والمعنى أفرأيتم البذر الذي تلقونه في الطين أأنتم تنبتون الخ (قوله نباتا يابسا لا حب فيه) أي وقيل هشيما لا ينتفع به في مطعم آدمي ولا غيره (قوله تفكهون) هو في الاصل من التفكه وهو التقاء الفاكهة من اليد وهو لا يكون من الشخص الا عند اصابة الامر المكروه فقوله تعجبون أي من غرابة ما نزل بكم تفسير باللازم (قوله وتقولون انا لمغرمون) أشار بذلك الى ان قوله انا لمغرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلتم تفكهون قائلين انا لمغرمون أي الزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من المزن) هو بالضم السحاب مطلقا كما قال المفسر أو المراد به أبيضه أو المحتوي على الماء (قوله جعلناه أجاجا) حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج الى التأكيد اذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء بخلاف الزرع والارض ففي ذلك شائبة ملك فأتى في جانبه بالمؤكد وهو اللام (قوله لا يمكن شربه) أي ولا انتفاع الزرع به (قوله التي تورون) من أوريت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله توريون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الاخضر) أي أو من غـيره وانما اقتصر على الشجر الاخضر لكونه أعظم وأبهر في الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والعفار) تقدم الكلام على ذلك في سورة يس وأما الكلخ فهو معمر وفي بعض بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب احداهما فتخرج النار وعن ابن عباس أنه قال ما من شجر ولا عود الا وفيه النار سوى العناب (قوله المسافرين) أي وخصوا بالذكر لان منفعتهم بها أكثر من المقيمين فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدي الضال ونحو ذلك من المنافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك الى أن المراد بالمقوين المسافرون وأنه مأخوذ من أقوى القوم اذا صاروا بالقوى وهي الارض الخالية من السكان وقيل المراد بهم ما هو أعم لان المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال وللغني لقوته على ما يريد والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للاغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لاحد عنها (قوله بالقصر والمد) أي مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم والمعنى ادع الخلق الى توحيد الله وطاعته وضح لهم الامر بما تقدم فان لم يهتدوا فارجع الى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره والمراد نزهه عما لا يليق به سواء كان بخصوص سبحان الله أو بغيره من بقية الاذكار (قوله زائد) أي لفظ اسم زائد والمعنى سبح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالباء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم أحد قولين

والآخر انه ليس زائدا بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوبا في ورقة موضوعا في قذر وتركه فقد كفر وذلك لان التهاون باسماء الله كالتهاون بذاته لان الاسم دال على المسمى وهذا هو الاتم ﴿ فائدة ﴾ أثبتوا في الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسملة لكثرة دورات البسملة في الكلام دون ما هنا (قوله لا زائدة) أي للتأكيد لان المقصود القسم وهذا أحد أقوال فيها وقيل هي لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف تقديره أنا أقسم حذف المبتدأ فاتصلت بخبره وقيل هي نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فيك وفي قرآنك وقوله أقسم الخ جملة مستأنفة تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها الغروبها) هذا قول قتادة وقيل هو منازلها وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما فان الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا الى السفرة الكاتبين جملة واحدة فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد في عشرين سنة (قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفي أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهي قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة لان الجملتين في حكم جملة واحدة (قوله أي لو كنتم الخ) أشار بذلك الى ان جواب لو محذوف والى أن الفعل منزل منزلة اللازم (قوله لعلمتم عظم هذا القسم) أي لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولان آخر الليل الذي هو وقت تساقط النجوم محل الرحمات والعطايا الربانية قال تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم (قوله لقرآن كريم) أي كثير النفع وصف بالكرم لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) أي من التغيير والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قوله وهو المصحف) أي وقيل هو اللوح المحفوظ وعليه فمعنى لا يمسه لا يطلع عليه الا الملائكة المطهرون من الاقذار المعنوية ولا يكون في الآية دليل النهي المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهي) أي فاطلق الخبر وأريد النهي والا فلو أبقي على خبريته للزم عليه الخلف في خبره تعالى لانه كثيرا ما يمس بدون طهارة والخلف في خبره تعالى محال وما مشى عليه المفسر أحد وجهين والآخر أن لا ناهية والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام وانما حرك بالضم اتباعا لحركة الهاء ان قلت انه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فان قوله تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن وأجيب بانه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبر المبتدا محذوف أي هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك الى أن المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفبهذا الحديث الخ) الاستفهام توبيخي والمعنى لا يليق منكم ذلك (قوله مدهنون) الادهان في الاصل جعل الشيء مدهونا بالدهن ليلين وحسن أطلق وأريد به اللين الظاهري الذي هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مداهنة فالدهن هو الذي ظاهره يخالف باطنه والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلتم مطرنا الخ) أي وقائل ذلك كافر ان اعتقد تأثير الكوكب في المطر وعاص ان لم يعتقده (قوله فلولا اذا بلغت الخ) الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه وقوله وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلغت وكذا قوله ونحن أقرب اليه (قوله من البصيرة) أي أو من البصر والمعنى وأنتم لا تبصرون أعوان ملك الموت وردّ أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيأ فشيأ حتى ينتهوا بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت (قوله مجزيين) أي مدينين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير للمراد هنا (قوله فلولا الثانية) أي التي في قوله فلولا ان كنتم غير مدينين (قوله تأكيد) أي لفظي وقوله للاولى أي التي في قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم (قوله المتعلق به الشرطان) أي وهما ان كنتم غير مدينين ان كنتم صادقين ومعنى تعلقهما به انه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) أي فهي للطلب والمعنى ارجعوها

لا زائدة (بمواقع النجوم) بمساقطها لغروبها (وانه) أي القسم بها (لقسم لو تعلمون عظيم) أي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم (انه) أي المتلو عليكم (لقرآن كريم في كتاب) مكتوب (مكنون) مصون وهو المصحف (لا يمسه) خبر بمعنى النهي (الا المطهرون) أي الذين طهروا أنفسهم من الاحداث (تنزيل) منزل (من رب العالمين أفبهذا الحديث) القرآن (أنتم مدهنون) متهاونون مكذبون (وتجعلون رزقكم) من المطر أي شكره (أنكم تكذبون) بسقيا الله حيث قلتم مطرنا بنوء كذا (فلولا) فهلا (اذا بلغت) الروح وقت النزع (الحلقوم) هو مجرى الطعام (وأنتم) يا حاضري الميت (حينئذ تنظرون) اليه (ونحن أقرب اليه منكم) بالعلم (ولكن لا تبصرون) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) مجزيين بان تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم (ترجعونها) تردون الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) فيما زعمتم فلولا الثانية تأكيد للاولى واذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان والمعنى هلا ترجعونها

(قوله

(قوله ان نفيتم البعث) هذا هو الشرط الاول وقوله صادقين في نفيه هو الشرط الثاني (قوله لينتفي الخ) علة للجزاء وقوله عن محلها أي الذي هو الجسد والمعنى ان صدقتم في نفي البعث فردوا روح المحتضر الى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث الذي تنكرونه المترتب على الموت (قوله فأما ان كان من المقربين الخ) شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عنده (قوله من المقربين) أي وهم المعبر عنهم فيما سبق بالسابقين (قوله فروح) بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضمها ومعناها الرحمة (قوله أي فله) أشار بذلك الى أن روح مبتدأ خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هنا بالتاء المجرورة والوقف عليها اما بالهاء أو التاء وفي ذكر الجنة عقب الروح والريحان اشعار بأن محل ذلك يكون للمقربين في البرزخ قبل الجنة كما هو مشهور في السنة (قوله وهل الجواب لاما) أي وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه وهذا هو الراجح لانه عهد حذف جواب ان كثيرا (قوله فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين ففيه التفات من الغيبة الى الخطاب تعظيما لصاحب اليمين (قوله أي له السلامة) أشار بهذا الى أن السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلناه فهما تفسيران (قوله من جهة أنه منهم) أشار به الى أن من تعليلية أي من أجل أنه منهم (قوله وأما ان كان من المكذبين) لم يقل وأما ان كان من أصحاب الشمال الخ تبكيتا عليهم واشعارا بالافعال التي أوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدأ خبره محذوف أي له نزل من حميم والمعنى أنه يشرب به بعد أكل الزقوم وسمي نزلا تهكما بهم (قوله وتصلية جحيم) أي احتراق بها (قوله ان هذا) أي ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك في هذه السورة (قوله تقدم) الذي تقدم في كلامه أن سبح بمعنى نزه وان لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وانه الاولى والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك لان كلا منهما مجرور وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لانه سبح له ما في السموات والارض والله أعلم بأسرار كتابه

﴿ سورة الحديد ﴾

سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله مكية) أي لما قيل ان سبب اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة الى قوله ان كنتم مؤمنين مكتوبا في صحيفة فأسلم (قوله أو مدنية) وهو لابن عباس وعليه الجمهور وقال القرطبي انها مدنية في قول الجميع واسلام عمر كان بأوائل طه وعلى القول بأنه كان بأوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية (قوله سبح لله) عبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي وفي الجمعة والتغابن بالمضارع وفي الاعلى بالامر وفي الاسراء بالمصدر اشعارا بأن التسبيح مطلوب من الانسان في كل حال وصدر بالمصدر تنبيها على أن تنزيهه تعالى مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضي لتقدم زمنه ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال ثم بالامر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص فكأنه قال حيث علمت أيها الشخص أن ربك منزه تنزيها مطلقا وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمر واعلى تسبيحه فعليك بالاشتغال به والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولا وفعلا واعتقادا من سبح في الارض والماء ذهب وأبعد فيهما ان قلت ان سبح متعد بنفسه فما وجه الاتيان باللام أجيب بأن اللام زائدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أو للتعليل والمعنى فعل التسبيح لاجل رضا الله تعالى وخالصا لوجهه لا لغرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أي للتأكيد وهو مفرع على قوله أي نزهه أو أصلية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للاكثر) أي وهو غير العاقل فالمراد بالسموات والارض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والارض * واعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقا * واختلف في تسبيح غيرهم فقيل بالحال أي ان ذاتها دالة على تنزيه

ان نفيتم البعث صادقين في نفيه أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث (فأما ان كان) الميت (من المقربين فروح) أي فله استراحة (وريحان) رزق حسن (وجنت نعيم) وهل الجواب لاما أو لان أو لهما أقوال (وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك) أي له السلامة من العذاب (من أصحاب اليمين) من جهة أنه منهم (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين) من اضافة الموصوف الى صفته (فسبح باسم ربك العظيم) تقدم

﴿ سورة الحديد مكية أو مدنية تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (سبح لله ما في السموات والارض) أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للاكثر

(وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في صنعه (له ملك السموات والارض يحيي) بالانشاء (ويميت) بعده

(وهو على كل شيء قدير هو الاول) قبل كل شيء بلا بداية (والآخر) بعد كل شيء بلا نهاية (والظاهر) بالادلة عليه (والباطن) عن ادراك الحواس (وهو بكل شيء عليم هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة (ثم استوى على العرش) الكرسي استواء يليق به (يعلم ما يلج) يدخل (في الارض) كالمطر والاموات (وما يخرج منها) كالنبات والمعادن (وما ينزل من السماء) كالرحمة والعذاب (وما يعرج) يصعد (فيها) كالاعمال الصالحة والسيئة (وهو معكم) بعلمه (أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور) الموجودات جميعها (يولج الليل) يدخله (في النهار) فيزيد وينقص الليل (ويولج النهار في الليل) فيزيد وينقص النهار (وهو عليم بذات الصدور) بما فيها من الاسرار والمعتقدات (آمنوا) دوموا على الايمان (بالله ورسوله وأنفقوا) في سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) من مال من تقدمكم

صانها عن كل نقص وقيل بلسان المقال أيضا ولكن لا يطلع على تسبيحها الا من خصه الله بذلك (قوله وهو العزيز في ملكه) أي الغالب على أمره لا يغلبه شيء (قوله الحكيم في صنعه) أي يضع الشيء في محله فلا حرج عليه ولا معقب لحكمه (قوله له ملك السموات والارض) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها كأنه قيل هو العزيز الحكيم لان له ملك السموات والارض يتصرف فيه على ما يريد (قوله بالانشاء) أي من العدم وفيه رد على من يزعم أن الاحياء يكون بترك الحي من غير قتل مثلا كالنمرود حيث قال في محاجة ابراهيم عليه السلام أنا أحيي وأميت وأتى برجلين فأطلق أحدهما وقتل الآخر (قوله ويميت بعده) أي بعد الاحياء الحاصل بالانشاء وأما الاحياء الثاني فلا موت بعده قال تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قوله وهو على كل شيء قدير) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله هو الاول قبل كل شيء) أي السابق على جميع الموجودات وقوله بلا بداية أي فلا افتتاح لوجوده (قوله والآخر بعد كل شيء) أي الباقي بذاته بعد استحقاق كل ما سواه الفناء وبهذا اندفع ما يقال ان الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليهما الفناء لان كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتي له قال العارف

من لا وجود لذاته من ذاته * فوجوده لولاه عين محال

(قوله بالادلة عليه) أي وهي آثاره وتصاريفه في خلقه

في كل شيء له آية * تدل على أنه الواحد

(قوله عن ادراك الحواس) أي الظاهرية والباطنية فلا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة وابصار رؤيته وسماع كلامه في الآخرة من غير كيف ولا انحصار ولا احاطة فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزا ولذا ورد في الحديث سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الايمن ويقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته وفي رواية من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر اه وأتى بالواو الاولى والثالثة للجمع بين الوصفين الاولين والوصفين الاخيرين والثانية للجمع بين مجموع الاوصاف الاربعة فهو تعالى متصف بالاولية وضدها والظاهرية وضدها وتلك الصفات الاربع مجموعة فيه تعالى فالواو الاولى والثالثة عطفت مفردا على مفرد والثانية عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين (قوله الكرسي) تقدم غير مرة أن المناسب ابقاء العرش على ظاهره (قوله استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السلف وأما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة (قوله والسيئة) المناسب حذفه لان الذي يرفع انما هو الاعمال الصالحة قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله بعلمه) أي وقدرته وارادته فالمراد بالمعية تصاريفه في خلقه (قوله له ملك السموات والارض) ذكره ثانيا مع الاعادة كما ذكره أولا مع ابتداء الخلق فلا تكرار (قوله ترجع الامور) بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل وبضم التاء وفتح الجيم مبنيا للمفعول قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله يدخله في النهار فيزيد) أي النهار بسبب دخول الليل فيه وكذا يقال في النهار (قوله بما فيها من الاسرار والمعتقدات) أي من خير وشر (قوله آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد شرع يأمر عباده بالايمان وبترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في وجوه البر (قوله دوموا على الايمان) جواب عما يقال ان الخطاب للمؤمنين وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل وهذا نتيجة ما قبله لانه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكر فيها يزيد في الايمان ويوجب الدوام عليه نتج منه الامر بالدوام على الايمان (قوله من مال من تقدمكم الخ) أي فأنتم خلفاء عمن تقدمكم ويصح أن المعنى من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم واعلم أن الاموال في الحقيقة لله تعالى

نخلف فيها آدم يتصرف فيها أو لاده خلف عنه وحينئذ فالخلافة اما عمن له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى أو عمن تصرف فيها قبله ممن كانت في أيديهم وانتقلت لهم وفي هذا حث على الانفاق وتهوين له على النفس فلا ينبغي البخل بمال الغير بل ينفقه في الوجوه التي تنفعه في المعاد (قوله وسيخلفكم فيه من بعدكم) أي من المال الذي هو بأيديكم سواء كان من مال من تقدمكم أو من مال اكتسبتموه بأنفسكم (قوله وهي غزوة تبوك) بالصرف نظر اللبقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وهو مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل لما وصلوا الى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع الجزية فرجع صلى الله عليه وسلم بالعز والنصر العظيم وتقدم تفصيلها في سورة براءة (قوله اشارة الى عثمان) أي فانه جهز في تلك الغزوة ثلثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها ولا خصوصية لعثمان بهذه الاشارة بل غيره بذل فيها جهده (قوله لهم أجر كبير) أي عظيم (قوله ومالكم لا تؤمنون) جملة من مبتدا وخبر وحال والمعنى أي شئ ثبت لكم حال كونكم غير مؤمنين (قوله أي لا مانع لكم من الايمان) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله والرسول يدعوكم) الجملة حالية من الواو في تؤمنون والمعنى لا مانع لكم من الايمان والحال أن الرسول يدعوكم اليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة (قوله وقد أخذ ميثاقكم) الجملة حالية أيضا من الكاف في يدعوكم (قوله بضم الهمزة وكسر الخاء) أي ورفع ميثاقكم وترك لوضوحه (قوله وبفتحهما) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين (قوله أي مريدين الايمان به) جواب عما يقال كيف قال ومالكم لا تؤمنون بالله ثم قال ان كنتم مؤمنين ويجاب أيضا بأن المعنى ان كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شرعهما مقتضية للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله فبادروا اليه) أشار بذلك الى أن جواب الشرط محذوف (قوله على عبده) أي وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وان الله بكم لرؤف رحيم) أي حيث طلبكم للايمان وأقام لكم الحجج على ألسنة الرسل وأمهلكم (قوله الا تنفقوا) توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان (قوله في سبيل الله) أي طاعته جهادا أو غيره (قوله ولله ميراث السموات والارض) الجملة حالية والمعنى أي شئ يمنعكم من الانفاق في سبيل الله والحال أن ميراث السموات والارض له فالدنيا له ابتداء وانتهاء وانما جعلكم خلفاء لكم أجر الانفاق وعليكم وزر الامساك (قوله لا يستوي منكم الخ) أي لان الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا من قبل فعلوا ذلك قبل عزة الاسلام وعزة أهله فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم رسول الله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه بخلاف من أنفق وقاتل من بعد الفتح فسعيه وان كان مشكورا لا يصل لتلك المزية (قوله من أنفق) هو فاعل لا يستوي والاستواء لا يكون الا بين شيئين فحذف المقابل لوضوحه والتقدير ومن أنفق من بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح الى يوم القيامة (قوله لمكة) وقيل هو صلح الحديبية (قوله وكلا) بالنصب مفعول مقدم وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أي وعده الله والمعنى ان كلا ممن آمن وأنفق قبل الفتح ومن آمن وأنفق بعده ومات على الايمان وعده الله الحسنى أي الجنة وان كانت درجات الاوائل أعلى من درجات الاواخر (قوله من ذا الذي) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبره والذي بدل منه ويحتمل أن من ذا مبتدأ والموصول خبره وقوله يقرض الله الخ صلة الموصول على كلا الاحتمالين وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى حيث ملك عباده الاموال من عنده وسمى رجوعها اليه قرضا مع أن العبد وما ملكت يداه لسيده قال

وسيخلفكم فيه من بعدكم نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) اشارة الى عثمان رضي الله عنه (لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون) خطاب للكفار أي لا مانع لكم من الايمان (بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ) بضم الهمزة وكسر الخاء وبفتحهما ونصب ما بعده (ميثاقكم) عليه أي أخذه الله في عالم الذر حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (ان كنتم مؤمنين) أي مريدين الايمان به فبادروا اليه (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) آيات القرآن (ليخرجكم من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (وان الله بكم) في اخراجكم من الكفر الى الايمان (لرؤف رحيم وما لكم) بعد ايمانكم (ألا) فيه ادغام نون أن في لام لا (تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) بما فيهما فيصل اليه أموالكم من غير أجر الانفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) لمكة (وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) من الفريقين وفي قراءة بالرفع مبتدأ (وعد الله الحسنى) الجنة (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم به (من ذا الذي يقرض الله) بانفاق ماله

في سبيل الله (قرضا حسنا) بأن ينفقه لله (فيضاعفه) وفي قراءة فيضعفه بالتشديد (له) من عشر الى أكثر من سبعمائة

كما ذكر في البقرة (وله) مع المضاعفة (أجر كريم) مقترن به رضا واقبال اذكر (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم) أمامهم (و) يكون (بأيمانهم) ويقال لهم (بشراكم اليوم جنات) أي دخولها (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) أبصرونا وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء أمهلونا (نقتبس) نأخذ القبس والاضاءة (من نوركم قيل) لهم استهزاء بهم (ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) فرجعوا (فضرب بينهم) وبين المؤمنين (بسور) قيل هو سور الاعراف (له باب باطنه فيه الرحمة) من جهة المؤمنين (وظاهره) من جهة المنافقين (من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم) على الطاعة (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم) بالنفاق (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) شككتم في دين الاسلام (وغرتكم الاماني) الاطماع (حتى جاء أمر الله) الموت (وغركم بالله

صاحب الحكم ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسبه اليك (قوله في سبيل الله) أي طاعته جهادا أو غيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهي أن يكون المال من الحلال وأن يكون من أجود المال وأن تتصدق به وأنت محتاج اليه وأن تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وأن تكتم الصدقة ما أمكنك وأن لا تتبعها بالمن والاذى وأن تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس وأن تستحقر ما تعطي وان كان كثيرا وأن يكون من أحب أموالك اليك وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة خصال اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفقه لله) أي خالصا لوجهه لا رياء ولا سمعة (قوله وفي قراءة فيضعفه الخ) أي وعلى كل من القراءتين فالفعل اما مرفوع عطفا على يقرض أو مستأنفا أو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام فالقراآت أربع سبعيات (قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) [3] ظاهر المفسر ان العبد اذا عمل الحسنة تضاعف له الى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا كريما لا يعلم قدره الا الله تعالى ولكن الذي يظهر أن الاجر الكريم يحصل له في نظير العمل المضاعف وذلك ان المضاعفة تكتب للعبد في الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفي أجرها الكريم في الجنة (قوله رضا واقبال) فاعل مقترن والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والاقبال عليه من الله تعالى كما قال ورضوان من الله أكبر (قوله اذكر يوم ترى) أشار بذلك الى أن يوم ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه أو ظرف لاجر كريم والمعنى لهم أجر كريم في ذلك اليوم أو ظرف ليسعى والمعنى يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم (قوله يسعى نورهم) الجملة حالية لان الرؤية بصرية وهذا اذا لم يجعل عاملا في يوم (قوله بين أيديهم) أي على الصراط (قوله ويكون بأيمانهم) قدر يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسعى عليه انه يكون النور في جهاته بعيدا عنه والمراد بالايمان جميع الجهات فعبر بالبعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره الى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدمه (قوله ويقال لهم) أي تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أي بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم الى غير نهاية (قوله أي دخولها) أشار بذلك الى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أي الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون) بدل من يوم ترى (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا ثم يحتمل أن القراءة الاولى بمعنى هذه لانه يقال نظره بمعنى انتظره وذلك لانه يسرع بالمؤمنين الخالصين الى الجنة على نجب فيقول المنافقون انتظرونا لانا مشاة لا نستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الابصار كما قال المفسرون وذلك لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان (قوله أمهلونا) أي تمهلوا لنا لندرككم (قوله ارجعوا وراءكم) أي الى الموقف أو الدنيا أو المعنى ارجعوا خائبين لا سبيل لكم الى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لانهم لا يستطيعون الرجوع الى الموقف ولا الى الدنيا (قوله فضرب بينهم بسور) الفعل مبني للمفعول وبسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الاعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذي يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة والمعنى ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلي كما تصلون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أي كنتم معنا في الظاهر (قوله ولكنكم فتنتم أنفسكم) أي أهلكتموها (قوله بالنفاق) أي والمعاصي والشهوات (قوله الدوائر) أي الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ في السبع باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وتسهيل الثانية مع تحقيق الاولى وبتحقيقهما

(٣) قول المحشي ظاهر المفسر الخ هكذا في نسخة وفي نسخة قوله وله مع المضاعفة أجر كريم فان العبد اذا عمل الحسنة يضاعف له في الجزاء عشر الى سبعمائة الى أضعاف كثيرة على حسب اخلاصه في العمل ويعطى فوق ذلك أجرا كريما وهو رضا الله ورؤية وجهه حققنا الله بذلك

فالقراآت

الغرور) الشيطان (فاليوم لايؤخذ) بالياء والتاء (منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي لاكم) اولى بكم (وبئس المصير) هي (ألم يأن) يحن (للذين آمنوا) نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل) بالتخفيف والتشديد (من الحق) القرآن (ولا يكونوا) معطوف على تخشع (كالذين أوتوا الكتاب من قبل) هم اليهود والنصارى (فطال عليهم الامد) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فقست قلوبهم) لم تلن لذكر الله (وكثير منهم فاسقون اعلموا) خطاب للمؤمنين المذكورين أن الله يحيي الارض بعد موتها) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم بردها الى الخشوع (قد بينا لكم الآيات) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لعلكم تعقلون ان المصدقين) من التصدق أدغمت التاء في الصاد أي الذين تصدقوا (والمصدقات) اللاتي تصدقن وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الايمان (وأقرضوا الله قرضا حسنا) راجع الى الذكور والاناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم في صلة أل لانه فيها حل محل الفعل وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له (يضاعف) وفي قراءة يضعف بالتشديد أي قرضهم (لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) المبالغون في التصديق (والشهداء عند ربهم) على المكذبين من الامم (لهم أجرهم ونورهم (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) الدالة على وحدانيتنا (أولئك أصحاب الجحيم)

فالقراآت أربع سبعيات (قوله الغرور) بفتح الغين هو الشيطان كما قال المفسر وقرئ بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بيؤخذ (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم في الظاهر (قوله هي مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أي ولايتكم ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أي مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أي هي أولى بكم وهو الذي اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أي لا ناصر لكم الا النار وهو تهكم بهم (قوله ألم يأن للذين آمنوا الخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أنى يأنى كرمى يرمي مجزوم بحذف حرف العلة والمعنى ألم يأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا وحينئذ فالذي ينبغي لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لا يعنيهم وقرئ شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين اذا علمت ذلك فقول المفسر يحن حل معنى لا حل اعراب والا فهو يناسب القراءة الشاذة لانه من حان يحين كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاح) أي بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة وذلك لانهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا بعظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والهزل فعوتبوا عليه وأما غالبهم كأبي بكر وأضرابه فقامهم يجل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) ان وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يأن أي لم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أي وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أي والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) أي ولا نافية ويصح أن تكون لا ناهية فيكون انتقالا الى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم فان الدوام على المزاح ربما أدى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله فطال عليهم الامد) قرأ العامة بتخفيف دال الامد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تلن لذكر الله) أي لم تخضع ولم تذل (قوله وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم والقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم وأما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطاب للمؤمنين المذكورين) أي الذين عوتبوا في شأن المزاح كان الله تعالى يقول لهم يا عبادي لا تقنطوا من رحمتي فان شأني احياء الارض الميتة بالنبات فكذلك اذا حصل منكم الانابة والرجوع احييت قلوبكم بالذكر والفكر فأثبتت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أي كونه يحيي الارض بعد موتها وقوله وغيره أي من الامور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله ادغمت التاء في الصاد) أي بعد قلبها صادا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله راجع الى الذكور والاناث) أي فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الاول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله في صلة أل) الجملة نعت للاسم أي الاسم الكائن في صلة أل وقوله فيها متعلق بحل وهذا من قبيل قول ابن مالك * واعطف على اسم شبه فعل فعلا * الخ (قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال ان قوله المصدقين على قراءة التشديد يغني عنه لان المراد بالقرض الصدقة فأجاب بانه ذكره توطئة لوصفه بالحسن فقوله تقييد له أي للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) أي يكتب لهم في صحائفهم الحسنة بعشرة الى سبعمائة الى غير ذلك (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولهم أجر كريم) ٣ أي في نظير عملهم المضاعف (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وهم اما ضمير فصل أو مبتدأ ثالث والصديقون خبر الثالث وهو وخبره خبر الثاني وهو وخبره خبر الاول (قوله أولئك هم الصديقون) أي الموصوفون بالايمان بالله ورسله والمراد الايمان الكامل والا فمجرد الايمان لا يسمى الشخص به صديقا لان الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ما قبله فالوقف تام على قوله الشهداء

(٣) قول المحشي أي في نظير عملهم المضاعف في نسخة أي فوق عملهم المضاعف

ويكون أخبر عن الذين آمنوا بانهم صديقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد لهم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدا وخبره اما الظرف بعده أو جملة لهم اجرهم (قوله النار) أى فراده بالجحيم دار العذاب لا خصوص الطبقة المسماة بالجحيم (قوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع بزهدهم فى الدنيا لانها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أى يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كاتعاب الصبيان أنفسهم فى اللعب من غير فائدة (قوله ولهو) أى شغل عن الآخرة (قوله وزينة) أى مايتزين به من اللباس والحلى ونحوهما (قوله وتفاخر بينكم) أى مفاخرة حاصلة فيما بينكم والعامة على تنوين تفاخر وقرئ شذوذا باضافته الى الظرف بعده (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك الى أن قوله انما الحياة الدنيا مبتدا على حذف مضاف والتقدير انما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ فالشغل بها دائر بين هذه الامور الخمسة قال على كرم الله وجهه لعمار بن ياسر لاتحزن على الدنيا فان الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة وأكثر شرابها الماء وهو يستوى فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وأفضل مشمومها المسك وهو دم فارة وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال فى مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا لان ويحتمل أن يكون خبر المحذوف وعليه اقتصر المفسر والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أى حصل بعد جدب وبأس (قوله الزراع) انما سموا كفارا لانهم يسترون الارض بالزرع بسبب الحرث والبذر كما سمى من ستر الايمان بالطغيان والجحد كافرا ويصح أن يبقى الكفار على حقيقته وذلك لان الكفار يفتخرون ويعجبون فى السراء ويسخطون فى الضراء فاذا كانوا زراعا افتخروا بالزرع اذا ظهر وسخطوا اذا ضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا فى الارض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها ففرحوا به فرح بطر وخيلاء ثم يعقب بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبارة المفسر محتملة للمعنيين لان قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسيرا للكفار أو صفة لهم (قوله ييبس) تفسير لهيج والحامل له على ذلك تفريع قوله فتراه مصفرا عليه والا فهيج معناه فى اللغة يطول جدا (قوله وفى الآخرة عذاب شديد) لما ذكر احوال الدنيا الزائلة ذكر مايكون عقب زوالها وقسمه الى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفى الآية بشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان فهو من باب لن يغلب عسر يسرين (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك الى أن قوله وما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله الامتاع الغرور) هو بالضم مااغتر به الشخص من متاع الدنيا (قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة المتسابقين الى مايوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب والى مايوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والارض) أى ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها قال ابن عباس يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان ذلك تمثيل للعباد بما يعقلونه ويعرفونه وأكثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا له اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين النار فقال لهم أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا ان مثلها فى التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عما يقال انه ذكر العرض ولم يذكر الطول فأجاب المفسر بانه لم يرد بالعرض ماقابل الطول بل أراد به السعة وأجيب أيضا بانه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لانه اذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لان العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أى الموعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة) من زائدة فى فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت فى جملة منفية ومجرورها نكرة (قوله فى الارض) يصح أن يكون متعلقا باصاب أو

بمحذوف

النار (اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة) تزيين (وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد) أى الاشتغال فيها واما الطاعات ومايعين عليها فمن أمور الآخرة (كمثل) أى هى فى اعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غيث) مطر (أعجب الكفار) الزراع (نباته) الناشئ عنه (ثم يهيج) ييبس (فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) فتاتا يضمحل بالرياح (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن آثر عليها الدنيا (ومغفرة من الله ورضوان) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وما الحياة الدنيا) ما التمتع فيها (الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) لو وصلت احداهما بالاخرى والعرض السعة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة فى الارض)

بمحذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجدب) أى وغيره كالعاهة والزلزلة (قوله الا فى كتاب) حال من مصيبة لتخصصها بالوصف والمعنى الا مكتوبة فى كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله ويقال فى النعمة كذلك) أى ما حصل للخلق نعمة فى الارض كالمطر ولا فى أنفسكم كالصحة والولد الا مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة الى ان فى الآية حذف الواو مع ما عطفت بدليل التعليل الآتى فى قوله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ويصح ان يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير وشر وعلى ما مشى عليه المفسر من أن المراد بالمصيبة الشر نخصها بالذكر لانها أهم على البشر (قوله إن ذلك على الله يسير) أى سهل لا مشقة فيه ولا تعب بل هو بقول كن (قوله كى ناصبة للفعل) أى بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أى أخبر تعالى) أشار بذلك الى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل وأصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى ساكنان الالف والواو التى هى الفاعل حذفت الالف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون ومصدره اسى وفعله اسى كجوى جوى فقول بعض النحاة والتقدير لاجل عدم اساءتكم صوابه اساكم لان مصدره اسى لا اساءة (قوله تحزنوا) أى حزنا يوجب القنوط والا فالحزن الطبيعى لا ينفك عنه الانسان كالفرح الطبيعى (قوله بل فرح شكر على النعمة) أى فالمنهى عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والاشر وعدم شكر النعمة وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلا محيص للشخص عنهما ولكن يسلم أمره لله ويرجع فى جميع أموره لمالكه وسيده فالمقصود من هذه الآية بيان أن الخير والشر بيد الله مقدر كل منهما فى الازل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أى لانه مقدر لكم (قوله وبالقصر) هما قراءتان سبعيتان (قوله جاء كم منه) أى من الله (قوله كل مختال) أى معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله فخور به على الناس) أى كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد ويصح ان يكون خبر المحذوف تقديره هم الذين يبخلون او بدل من قوله كل مختال فخور (قوله بما يجب عليهم) أى من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره ومن بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى فى الكتب القديمة (قوله ويأمرون الناس) أى من يعرفونه (قوله ومن يتول) أى يعرض ومن شرطية وجوابها محذوف تقديره فالوبال عليه (قوله وفى قراءة بسقوطه) أى وهى سبعية أيضا وهى تعين أنه ضمير فصل اذ لو صح أن يجعل ضميرا منفصلا لما حسن اسقاطه من غير دليل لانه عمدة (قوله الغنى) أى المستغنى عما سواه (قوله الحميد لاوليائه) أى المثنى عليهم بالاحسان المنعم عليهم بجزيل الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد أرسلنا الخ (قوله الملائكة الى الانبياء) تبع فى ذلك الزمخشرى ولم يسبقه اليه أحد والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية فى قوله وأنزلنا معهم الكتاب لان الكتب انما تنزل مع الملائكة والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر كما عليه الجمهور ولانه لم ينزل بالكتب والاحكام على الرسل الا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة والتقدير وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلا وصائرا الى أن يكون معهم اذا وصل اليهم أو مع بمعنى الى (قوله العدل) أى فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل ما يشمله وغيره والمراد بالعدل التوسط فى الامور فلا يحصل منهم تفريط ولا افراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لارسال الرسل وانزال الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين فى تفسير الانزال والآخر ابقاؤه على حقيقته لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين السندال والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المبرد والمسحاة وروى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار والماء والملح وعن ابن عباس أيضا قال أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الاسود وعصا موسى

بالجدب (ولا فى أنفسكم) كالمرض وفقد الولد (الا فى كتاب) يعنى اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) نخلقها ويقال فى النعمة كذلك (ان ذلك على الله يسير لكيلا) كى ناصبة للفعل بمعنى أن أى أخبر تعالى بذلك لئلا (تأسوا) تحزنوا (على ما فاتكم ولا تفرحوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بما آتاكم) بالمد أعطاكم وبالقصر جاءكم منه (والله لا يحب كل مختال) متكبر بما أوتى (فخور) به على الناس (الذين يبخلون) بما يجب عليهم (ويأمرون الناس بالبخل) به لهم وعيد شديد (ومن يتول) عما يجب عليه (فان الله هو) ضمير فصل وفى قراءة بسقوطه (الغنى) عن غيره (الحميد) لاوليائه (لقد أرسلنا رسلنا) الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج القواطع (وأنزلنا معهم الكتاب) بمعنى الكتب (والميزان) العدل (ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد) أخرجناه من المعادن

والحديد اهـ والسندال بكسر السين وفتحها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة حالية من الحديد (قوله يقاتل به) أي فمنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أي فما من صنعة إلا والحديد يدله دخل في آلتها (قوله علم مشاهدة) أي للخلق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع ما يقال ان هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع أنه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أي لكن المعطوف عليه علة للارسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفي الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) انما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره) أي الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أي متحجبا بجلاله وعظمته (قوله ولا يبصرونه) أي في الدنيا فان رؤيته تعالى في الدنيا لم تثبت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لا حاجة له الى النصرة) أي وانما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتي بها) أي فنفع التكاليف عائد على ذوات المكلفين قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله لقد أرسلنا رسلنا وكرر القسم اظهارا لمزيد الاعتناء والتعظيم وخص هذين الرسولين بالذكر لان جميع الانبياء من ذريتهما وذلك لان نوحا هو الاب الثاني لجميع البشر وابراهيم أبو العرب والروم وبني اسرائيل (قوله يعني الكتب الاربعة) أشار بذلك الى ان أل في الكتاب للجنس وخص هذه الاربعة لانها أصول الكتب (قوله والفرقان) في نسخة القرآن (قوله فمنهم مهتد) أي من الذرية أو من المرسل اليهم (قوله فاسقون) أي كافرون بدليل مقابلته بالمهتد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائد على نوح وابراهيم ومن عاصرهما من الرسل وليس عائدا على الذرية فان الرسل المقفى بهم من جملة الذرية والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا الى عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أي جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم في الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوته ورسالته (قوله وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) أي من الحواريين وغيرهم (قوله رأفة ورحمة) أي شدة لين وشفقة (قوله ورهبانية) يصح أن تكون بالنصب عطفا على رأفة وجملة ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل اما بمعنى خلق أو صير وذلك لان الرأفة والرحمة أمر غريزي لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدر يفسره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هي رفض النساء الخ) أي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتقشف في المأكل والملبس والمشرب مع التقليل من ذلك روي عن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون منا الا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها أي ابتدعها الصالحون فما رعوها حق رعايتها يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ

(فيه بأس شديد) يقاتل به (ومنافع للناس وليعلم الله) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (من ينصره) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (ورسله بالغيب) حال من هاء ينصره أي غائبا عنهم في الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوي عزيز) لا حاجة له الى النصرة لكنها تنفع من يأتي بها (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) يعني الكتب الاربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان فانها في ذرية ابراهيم (فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية) هي رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابتدعوها) من قبل أنفسهم (ما كتبناها عليهم) ما أمرناهم بها

انتهى

انتهى (قوله الا لكن) أشار المفسر الى أن الاستثناء منقطع والى هذا ذهب جماعة وقيل ان الاستثناء متصل من عموم الاحوال والمعنى ما كتبناها عليهم لشئ من الاشياء الا لابتغاء مرضاة الله ويكون كتب بمعنى قضى (قوله فما رعوها حق رعايتها) أي ما قاموا بها حق القيام بل غلوا في دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فآتينا الذين آمنوا به) أي بنبينا وقوله وكثير منهم أي من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها (قوله فاسقون) أي لم يؤمنوا بنبينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم أمة من بعد أمة الى نزول عيسى عليه السلام فيمحوه وما مشى عليه المفسر خلاف ما تفيده رواية ابن عباس المتقدمة فان مقتضاها حمل قوله فآتينا الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير وبدل قبل بعثة نبينا وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما تقدم أن أمة عيسى بعد رفعه الى السماء افترقوا فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها الى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير وبدل شرع بين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسرين ويشهد له سياق الكلام والثاني ان الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل ان قلت ان هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة فنسخت بملة محمد صلى الله عليه وسلم وأما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود فلا تظهر اثابتهم على التمسك بها أجيب بان اثابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم في ملة الاسلام ولذلك كان الاسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة (قوله اتقوا الله) أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله يؤتكم) أي يثبكم على اتباعه (قوله كفلين) تثنية كفل وهو في الأصل كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز يحفظ الراكب ويمنعه من السقوط والمراد هنا نصيبان عظيمان من الرحمة يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط وهذان الكفلان لا يختصان من ذكر بل ورد في الحديث ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذي أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها تزوجها فله أجران (قوله لايمانكم بالنبيين) أي فاستحقاقهم الكفلين ظاهر لانهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه الى ان بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فكفل لايمانهم بعيسى وكفل لايمانهم بنبينا (قوله ويجعل لكم نورا) قيل هو القرآن وقيل هو الهدى والسبيل الواضح في الدين (قوله ويغفر لكم) أي ما سبق من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله لئلا يعلم أهل الكتاب) سبب نزولها انه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية وقوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابنا وكتابكم ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر كأجركم فبأي شئ فضلتم علينا فنزلت هذه الآية ردا عليهم (قوله أي أعلمكم بذلك الخ) أشار بذلك الى ان لا زائدة واللام متعلقة بمحذوف والمعنى ان تتقوا وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله (قوله والمعنى أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله) أي لا يملكونه ولا يتصرفون فيه بحيث يجعلونه لانفسهم ويمنعونه من غيرهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع خبر لمحذوف أي وعدم قدرتهم خلاف أي مخالف لما في زعمهم (قوله وان الفضل بيد الله) معطوف على قوله أن لا يقدرون (قوله يؤتيه من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لان

﴿ سورة المجادلة ﴾

هي في الاصل المحاورة في الكلام والمغالبة فيه بحق أو باطل والمراد هنا المحاورة في الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فان تلك المرأة أصابها من ألم الفراق ما حملها على اكثار الكلام مع

(الا) لكن فعلوها (ابتغاء رضوان) مرضاة (الله فما رعوها حق رعايتها) اذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فآتينا الذين آمنوا) به (منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا) بعيسى (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم وعلى عيسى (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بالنبيين (ويجعل لكم نورا تمشون به) على الصراط (ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم) أي أعلمكم بذلك ليعلم (أهل الكتاب) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم (لا يقدرون على شئ من فضل الله) خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وأن الفضل بيد الله يؤتيه) يعطيه (من يشاء) فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (والله ذو الفضل العظيم)

﴿ سورة المجادلة ﴾

رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أي كلها وهو قول الجمهور وقيل مدنية الا قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وقيل غير ذلك وهذه السورة أول النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سوره وأول عشره الاخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون ومن فوائدها أن تكتب سجعا بالقرينة ويجعل ما فيها من الجلالات سطرا وسطا كهيئة النقطة الحمراء التي تجعل وسط القصيدة ويكون حملها قبل نفخ الروح في الجنين وبعد الولادة تنقل اليه (قوله قد سمع الله الخ) قد للتحقيق والمراد بسماع قولها اجابة مطلوبها بان أنزل حكم الظهار على ما يوافق مرادها (قوله في زوجها) أي شأنه (قوله وكان قال لها أنت علي كظهر أمي) شروع في سبب نزول هذه الآيات وأجمل المفسر في القصة وحاصلها تفصيلا انه روي أنها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر الى عجيزتها فأعجبه أمرها فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم فأصابه بعض لممه فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى اذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت يا رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه أبو ولدي وأحب الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي فكان هذا أول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداك يا رسول الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي النوم فلما قضى الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها الآيات الى قوله وللكافرين عذاب أليم وروى الشيخان عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته وأنا في جانب البيت وما أسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآيات فقال صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني ان أخطأني الاكل في اليوم مرة أو مرتين كل بصري وظننت اني أموت قال فاطعم ستين مسكينا قال ما أجد الا أن تعينني منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك يا عمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار الى آخره لا زلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (قوله عن ذلك) أي عن حكمه هل هو فراق أو لا (قوله فأجابها بانها حرمت عليه) أي وجوابه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية لانه لا ينطق عن

﴿مدنية ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قد سمع الله قول التي تجادلك) تراجعك أيها النبي (في زوجها) المظاهر منها وكان قال لها أنت علي كظهر أمي وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بانها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من ان الظهار موجبه فرقة مؤبدة

الهوى

وهي خولة بنت ثعلبة وهو أوس بن الصامت (وتشتكي الى الله) وحدتها وفاقتها وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا أو

الهوى (قوله وهي خولة بنت ثعلبة) أي ابن مالك الخزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أي أخو عبادة ابن الصامت (قوله وتشتكي الى الله) أي تتضرع الى الله (قوله وفاقتها) أي فقرها وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لانهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أي من عدم تعهدا لخدمة وقوله جاعوا أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الاولاد لم تكن اذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أي فالمحاورة المراجعة في الكلام (قوله ان الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظهرون منكم) شروع في بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالاجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجته أنت علي كظهر أمي فهو ظهار باجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة غير الام من ذوات المحارم عليها واختلف القول عن الشافعي فروي عنه مثل مالك و روي عنه ان الظهار لا يكون الا بالام وحدها (قوله وفي قراءة بألف الخ) في كلامه التنبيه على ثلاث قراآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فمشددة (قوله ماهن أمهاتهم) أي حقيقة (قوله و بلاياء) أي فالقراءتان سبعيتان و بقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكرا) أي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع (قوله بالكفارة) أي فالمغفرة سببها الكفارة وفيه اشارة الى أن الحدود جوابر (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب على الظهار اثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أي لقولهم فما مصدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء وعند الشافعي يحصل بامساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار) الكلام اما على حذف مضاف أي ذي الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحرير) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله عليه والجملة خبر المبتدأ الذي هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول للشافعي قديم وفي الجديد بانه الاستمتاع بما بين السرة والركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام مبتدأ ثان خبره محذوف قدره المفسر بقوله عليه والجملة خبر الاول (قوله فصيام شهرين متتابعين) أي فان أفطر فيهما ولو لعذر انقطع التتابع و وجب استئنافهما (قوله عليه) أي على من لم يستطع ومن لم يجد وهو خبر عن كل من قوله فصيام وقوله فاطعام (قوله حملا للمطلق) أي الذي هو وجوب الاطعام أطلق في الآية عن التقييد بكونه من قبل أن يتماسا على المقيد الذي هو وجوب الصيام و وجوب الرقبة قيد كل بكونه من قبل أن يتماسا والحمل معناه تقييد المطلق بالقيد الذي في المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره أنه مد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الشافعي وقال مالك انه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على المظاهر بخلاف باقي الكفارات فالمراد به مد النبي صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحا بالمصري لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ أي تستمروا على الايمان وتعملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه الجاهلية (قوله وللكافرين) أي المنكرين لتلك الاحكام (قوله ان الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت في أهل مكة عام الاحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان في السنة الرابعة وقيل في الخامسة والمقصود منها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكبتون و يذلون و يفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم (قوله يخالفون الله) أي يعادونه و رسوله فسمى المحادة مخالفة لان المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعاداة (قوله كبتوا) أي يكبتوا وعبر بالماضي لتحقق الوقوع لان هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله اذلوا) وقيل معناه أهلكوا وقيل أخزوا وقيل عذبوا وقيل لعنوا وقيل أغيظوا وكلها متقاربة في المعنى (قوله في مخالفتهم) أي بسببها (قوله وقد أنزلنا الخ) الجملة حالية من

اليها جاعوا (والله يسمع تحاوركما) تراجعكما (ان الله سميع بصير) عالم (الذين يظهرون) أصله يتظهرون أدغمت التاء في الظاء وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة وفي أخرى كيقاتلون والموضع الثاني كذلك (منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائي) بهمزة و ياء و بلا ياء (ولدنهم وانهم) بالظهار (ليقولون منكرا من القول وزورا) كذبا (وان الله لعفو غفور) للمظاهر بالكفارة (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) أي فيه بأن يخالفوه بامساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فتحرير رقبة) أي اعتاقها عليه (من قبل أن يتماسا) بالوطء (ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير) (فمن لم يجد) رقبة (فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع) أي الصيام (فاطعام ستين مسكينا) عليه أي من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذلك) أي التخفيف في الكفارة (لتؤمنوا بالله ورسوله

وتلك) أي الاحكام المذكورة (حدود الله وللكافرين) بها (عذاب أليم) مؤلم (ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله كبتوا) أذلوا (كما كبت الذين من قبلهم) في مخالفتهم رسلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) دالة على صدق الرسول (وللكافرين) بالآيات (عذاب مهين) ذو اهانة

الواو في كبتوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو لعذاب أو لمحذوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أي بحيث لا يبقى أحد غير مبعوث أو المعنى مجتمعين في حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أي من القبائح اما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أي لم يفته منه شئ بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرته أو تهاونهم به واعتقادهم أن لا حساب عليه (قوله ما يكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان ان علمه وسع كل شئ ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا واضافتها الى ثلاثة من اضافة المصدر الى فاعله (قوله الاهو رابعهم) الاستثناء في هذا وما بعده مفرغ واقع في موضع نصب على الحال والمعنى ما يوجد شئ من هذه الاشياء الا في حال من هذه الاحوال وخص الثلاثة والخمسة بالذكر اما لان الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أو لان قوما من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجي وكانوا بهذا العدد زيادة في الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله بعلمه) أي وسمعه وبصره ومتعلق بهم قدرته وارادته ولاهل الله المقربين في سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أي من العدد المذكور فالادنى من الخمسة الاربعة والادنى من الثلاثة الاثنان والواحد في خاصة نفسه (قوله ولا أكثر) بالجر في قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرئ شذوذا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله أينما كانوا) أي من الاماكن فان علمه تعالى بالاشياء لا يتفاوت بقرب الامكنة ولا بعدها (قوله ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضار للصورة العجيبة ويقال في قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أي عداوة الرسول والمؤمنين (قوله ومعصيت الرسول) رسمت هنا وفيما يأتي بالتاء المجرورة واذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما في الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا في قلوبهم الريبة) أي فيوهموهم انهم قد بلغهم خبر اخوانهم الذين خرجوا في السرايا وانهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أي خاطبوك بشئ لم يحيك به الله أي لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه ذلك (قوله وهو قولهم السام عليك) أي وكان يرد فيقول عليكم في البخاري ان اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ما قالوا قال أولم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في واختلف العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال مالك ان تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم والا فلا يجب وعند الشافعي يجب الرد بأن يقول وعليك (قوله ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم (قوله ان كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله والمعنى لو كان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا (قوله حسبهم جهنم) أي كافيهم في العذاب وقوله يصلونها حال واما امهالهم في الدنيا فمن كراماته على ربه لكونه بعث رحمة (قوله هي) قدره اشارة الى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم) يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين فقصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود ويحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهرا وهم المنافقون (قوله انما النجوى بالاثم ونحوه) أي فالغيبة والتكلم في اعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمن المتكلم في عرضه وليس بضاره في الواقع وانما الوبال على المتناجين بذلك قال العارفون من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض في أعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث الا باذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة

(يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر) تعلم (أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) بعلمه (ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر) تنظر (الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) هم اليهود نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أي تحدثهم سرا ناظرين الى المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة (واذا جاؤك حيوك) أيها النبي (بما لم يحيك به الله) وهو قولهم السام عليك أي الموت (ويقولون في أنفسهم لولا) هلا (يعذبنا الله بما نقول) من التحية وأنه ليس بنبي ان كان نبيا (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) هي (يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى) بالاثم ونحوه

فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه فبين في الحديث غاية المنع قال العلماء ولا مفهوم لتناجي اثنين دون ثالث بل المدار على ترك واحد كان المتناجي اثنين أو أكثر (قوله من الشيطان) نسبت اليه لكونه المزين لها والحامل عليها (قوله ليحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاي من أحزنه أو بفتح الياء وضم الزاي من حزن فهما قراءتان سبعيتان والموصول على الاولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أي الشيطان (قوله الا باذن الله) أي فيحصل منه الضرر لارادة الله اياه ففي الحقيقة الخير والضر من الله وهذه الآية مخوفة لاهل الغيبة والنميمة من المؤمنين في كل زمن (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم الخ وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم السلام ثم سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يا فلان وأنت يا فلان فاقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصمم الذي كان في أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه وبينهم كلام فنزلت وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول أي مجلس كان سواء كان مجلس علم أو ذكر أو صلاة أو قتال أو غير ذلك ولما ورد لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا وقوله في الحديث لا يقيمن أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لا يقيم الجالس وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أو كبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلا بأس بذلك (قوله مجالس النبي) أي فانهم كانوا يتضامون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفي قراءة المجالس) أي والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلسا والقراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم في جواب الامر الواقع جوابا للشرط (قوله في الجنة) أي والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أي كالجهاد وكل خير وقيل معنى انشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فنزلت هذه الآية والمقصود العموم في كل ما يطلب فيه النهوض والاسراع ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد في الطاعات وترك التكاسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وكلاهما لغتان فصيحتان من بابي ضرب ونصر (قوله في ذلك) أي القيام الى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على الذين آمنوا عطف خاص على عام لان الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع الدرجات والاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم (قوله يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة في هذا الامر تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا ومحب الآخرة واختلف في هذا الامر فقيل للندب وقيل للوجوب روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم وكان يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة وروي عنه أيضا قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة قال لي

(من الشيطان) بغروره (ليحزن الذين آمنوا وليس) هو (بضارهم شيأ الا باذن الله) أي ارادته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) توسعوا (في المجلس) مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم وفي قراءة المجالس (فافسحوا يفسح الله لكم) في الجنة (واذا قيل انشزوا) قوموا الى الصلاة وغيرها من الخيرات (فانشزوا) وفي قراءة بضم الشين فيهما (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالطاعة في ذلك (ويرفع الذين أوتوا العلم درجات) في الجنة والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول)

أردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم) قبلها (صدقة ذلك خير لكم وأطهر) لذنوبكم (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور) لمناجاتكم (رحيم) بكم يعنى فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة ثم نسخ ذلك بقوله (أأشفقتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه أى أخفتم من (أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) الفقر (فاذ لم تفعلوا) الصدقة (وتاب الله عليكم) رجع بكم عنها (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) أى دوموا على ذلك (والله خبير بما تعملون ألم تر) تنظر (الى الذين تولوا) هم المنافقون (قوما) هم اليهود (غضب الله عليهم ما هم) أى المنافقون (منكم) من المؤمنين (ولا منهم) من اليهود بل هم مذبذبون (ويحلفون على الكذب) أى قولهم انهم مؤمنون (وهم يعلمون) أنهم كاذبون فيه (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون) من المعاصى (اتخذوا أيمانهم جنة) سترا على أنفسهم وأموالهم (فصدوا) بها المؤمنين (عن سبيل الله) أى الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فلهم عذاب مهين) ذو اهانة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) من عذابه (شيأ) من الاغناء (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) اذكر (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) انهم مؤمنون (كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ) من نفع حلفهم فى الآخرة كالدنيا (ألا انهم هم الكاذبون استحوذ) استولى (عليهم الشيطان) بطاعتهم له (فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان) أتباعه (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله

النبى صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد أى قليل المال ففى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبى طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لانه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى القول باتساعه فلعل الاغنياء كانوا غائبين والفقراء لم يكن بأيديهم شئ (قوله أردتم مناجاته) أشار بذلك الى أن الماضى ليس على حقيقته أخذا من قوله فقدموا بين يدى نجواكم (قوله ذلك خير لكم) أى التقديم خير لما فيه من طاعة الله ورسوله (قوله يعنى فلا عليكم) أشار بذلك الى أن جواب الشرط محذوف وقوله فان الله غفور رحيم تعليل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أى الامر بتقديم الصدقة بعد ان استمر زمنا قيل هو ساعة وقيل يوم وقيل عشرة أيام واختلفوا فى الناسخ للامر فقيل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعا للجمهور وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله أأشفقتم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أشار بذلك لاربع قرا آت سبعيات وبقى قراءة خامسة سبعية وذلك لان التحقيق اما مع ادخال ألف أو بدونه (قوله الفقر) أشار بذلك الى أن مفعول أأشفقتم محذوف والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فاذ لم تفعلوا) يحتمل ان اذ باقية على بابها من المضى والمعنى ان تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة الخ ويحتمل أنها بمعنى ان الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الجملة حالية أو مستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أى عن وجوبها فنسخها تخفيفا عليكم (قوله أى دوموا على ذلك) أى المذكور من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر الى الذين تولوا قوما الخ) المقصود من هذه الآية التعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين وسبب نزولها أن عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق العين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت الآية (قوله ما هم منكم ولا منهم) اخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص لا ينتسبون الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهذه الجملة اما مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذبذبون) أى مترددون بين الايمان الخالص والكفر الخالص لان فيهم طرفا من الايمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحلفون والمعنى يحلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك فيمينهم غموس لا عذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها الغمس فى النار ان كان مؤمنا حالفا بالله ان كان كافرا وفائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنة) مفعولان لاتخذوا والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لانفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقوتلوا وأخذ مالهم (قوله فلهم عذاب مهين) أى فى الآخرة والعذاب الاول فى الدنيا والقبر (قوله من عذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله شيأ) مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء (قوله كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا (قوله ويحسبون) حال من فاعل يحلفون والمعنى يحلفون والحال انهم يظنون ان حلفهم فى الآخرة ينفعهم وينجيهم من عذابها كما نفعهم فى الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الاصل وخولف فيه القياس اذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفا كاستعاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أى فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الخاسرون)

أى لانهم فوّتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرضوها للعذاب المقيم (قوله أولئك فى الاذلين) أى مع الاذلين أو معدودون فى جملتهم (قوله المغلوبين) أى وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى أقسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله لاغلبن ويصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليه ما اقتصر المفسر ويكون قوله لاغلبن جوابا لقسم محذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوّز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين والدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ايمانا صحيحا فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق الكفار ويحبهم قلبه لانه ان فعل ذلك لم يكن صادقا فى ايمانه بل يكون منافقا كما قال الشاعر

اذا وافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام

وأما البشاشة فى وجوه الكفار ظاهر الاجل الضرورات فلا بأس بها لما فى الحديث انا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد ان كان بمعنى تعلم وان كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أو صفة ثانية له وقدم أولا الآباء لانهم تجب طاعتهم ثم الابناء لانهم أعلق بالقلب ثم الاخوان لانهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الذراع ثم بالعشيرة لان بها يستغاث وعليها يعتمد (قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قالوا ولو كانوا آباءهم يعنى أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح أو أبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز وقال يا رسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر وروى أيضا أن عبد الله بن عبد الله بن أبى هم بقتل أبيه فنعه رسول الله ووقع لابى بكر الصديق أنه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر وقيل القرآن والحجج وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتانات عنهم (قوله رضى الله عنهم) أى عاملهم معاملة الراضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفائزون) أى بخيرى الدنيا والآخرة

﴿ سورة الحشر ﴾

وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) اى فى قول الجميع روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر لم يبق شئ من الجنة والنار والعرش والكرسى والسموات والارض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له فان مات فى يومه أو ليلته مات شهيدا وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وان مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك (قوله سبح لله ما فى السموات وما فى الارض الخ) قال المفسرون نزلت فى بنى النضير وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة فى مبادى الهجرة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا من اليهود فأتوا قريشا فالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان فى أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة فأخبر الله النبى بذلك وأمر

أولئك فى الاذلين) المغلوبين (كتب الله) فى اللوح المحفوظ أو قضى (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف (ان الله قوى عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) يصادقون (من حاد الله ورسوله ولو كانوا) أى المحادون (آباءهم) أى المؤمنين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الايمان كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أولئك) الذين لا يوادونهم (كتب) أثبت (فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح) بنور (منه) تعالى (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (أولئك حزب الله) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (ألا ان حزب الله هم المفلحون) الفائزون

﴿ سورة الحشر ﴾

مدنية أربع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) أى نزهه فاللام مزيدة وفى الاتيان بما تغليب للاكثر

النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الاوس فقتلوه في حصنه غيلة فألقى الله الرعب في قلوب بني النضير وكان قتله في ربيع الاول من السنة الثالثة وكانت غزوة بني النضير في ربيع الاول من السنة الرابعة وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة فلما سار اليهم رسول الله وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر أمرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه اليهم أن لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه أن اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من أصحابه وخرج ثلاثون حبرا منهم حتى كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كل يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون أخرج في ثلاثة من أصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الله بذلك فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن كل بيت يحمل على بعير ما شاؤا من متاعهم ما عدا السلاح ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى أذرعات وأريحاء الا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ولم يسلم من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا مالهما (قوله وهو العزيز الحكيم) الجملة حال من لفظ الجلالة (قوله هو الذي أخرج الذين كفروا) بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة (قوله من أهل الكتاب) حال من الذين كفروا (قوله هم بنو النضير من اليهود) أي وهم من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلوا في دينه (قوله بالمدينة) أي أرضها بالقرب منها وذلك لانهم كانوا بقرية بينها وبين المدينة ميلان لان [illegible] (قوله لاول الحشر) متعلق بأخرج واضافة أول للحشر من اضافة الصفة للموصوف أي للحشر الاول واعلم أن [illegible] فالاول اجلاء بني النضير [illegible] أهل خيبر ثم في آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ثم في يوم القيامة حشر جميع الخلق (قوله الى خيبر) صوابه من خيبر كما صرح به غيره وذلك أن عمر أجلى اليهود من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحاء من الشام (قوله ما ظننتم أن يخرجوا) أي لما كان بهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش وبكم من الضعف وقلة العدد (قوله به تم الخبر) أي بالفاعل تم خبر ان ومحصله أن الضمير اسم ان ومانعتهم خبرها وحصونهم فاعله ويصح أن مانعتهم خبر مقدم وحصونهم مبتدأ مؤخر والجملة خبر ان (قوله أمره وعذابه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف وبه اندفع ما أوهمه ظاهر الآية من أن الله تعالى يوصف بالاتيان فأفاد بأن الآية من قبيل المتشابه وأوله بتقدير مضاف نظير وجاء ربك (قوله لم يخطر ببالهم) تفسير لقوله لم يحتسبوا (قوله من جهة المؤمنين) اضافة جهة لما بعده بيانية والمعنى جاءهم عذاب الله من جهة لا تخطر ببالهم وهم المؤمنون لانهم مستضعفون بالنسبة لهم فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرون عليهم (قوله وقذف في قلوبهم الرعب) أي أنزله فيها بشدة (قوله بسكون العين وضمها) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله بقتل سيدهم) أي وكان قتله في ربيع الاول من السنة الثالثة كما تقدم

(وهو العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) هم بنو النضير من اليهود (من ديارهم) مساكنهم بالمدينة (لاول الحشر) هو حشرهم الى الشام وآخره أن أجلاهم عمر في خلافته الى خيبر (ما ظننتم) أيها المؤمنون (أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم) خبر أن (حصونهم) فاعله به تم الخبر (من الله) من عذابه (فأتاهم الله) أمره وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وقذف) ألقى (في قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها الخوف بقتل سيدهم كعب بن الاشرف

(قوله يخربون بيوتهم) مستأنف أتى به للاخبار عنهم بذلك (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما سبعيتان (قوله من أخرب) راجع للتخفيف وأما التشديد فهو من خرب (قوله من خشب) بفتحتين وضمتين وضم وسكون جمع خشبة (قوله بأيديهم) أى من داخل الحصون وقوله وأيدى المؤمنين أى من خارجها ليدخلوها وعطفها على أيديهم من حيث انهم سبب فى ذلك لان بنى النضير لما نقضوا العهد كانهم سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم (قوله فاعتبروا يا أولى الابصار) أى اتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله فالاعتبار النظر فى حقائق الاشياء ليستدل بها على شئ آخر (قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا والتقدير لولا الكتب موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمد يطلق على الخروج من الوطن والاخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الامر الجلى الواضح (قوله ولهم فى الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لما قبلهم كانه قال ان نجوا فى الدنيا من القتل لم ينجوا فى الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أى المذكور من المعذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن يشاق الله) من شرطية وقوله فان الله الخ اما نفس الجزاء وحذف منه العائد وقد قدره المفسر بقوله له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تتميم لما قبله وتقرير لمضمونه وتحقيق لسببه (قوله ما قطعتم من لينة الخ) ما شرطية ومن لينة بيان لما وباذن الله خبر لمبتدا محذوف أى فقطعها والجملة جواب الشرط واللينة قيل هى النخلة مطلقا وقيل هى النخلة الكريمة وقيل غير ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم شيأ مما قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلفوا فى القطع وتركه فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله هذه الآية (قوله فباذن الله) اى رضاه (قوله أى خيركم فى ذلك) أى القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما بين حال بنى النضير وما وقع لذواتهم أخذ يبين ما وقع فى أموالهم (قوله رد الله على رسوله) أشار بذلك الى أن الاموال التى كانت بأيدى بنى النضير ليست لهم بالاصالة بل هى لمن أطاع الله تعالى وتلذذهم بها انما هو صورة تعدّ منهم وذلك لان الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق لهم ما فى الارض جميعا ليستعينوا بها على طاعته فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم استحقاق فى تلك النعم (قوله فما أوجفتم الخ) خبر ما الموصولة وأفاء صلته (قوله أسرعتم الخ) أى فالايجاف اسراع المشى (قوله يا مسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو سبق قلم وصوابه بالواو ولان المنادى يبنى على ما يرفع به ولا شك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو فيبنى المنادى عليها (قوله من زائدة) أى فى المفعول (قوله ولا ركاب) هى ما يركب من الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات فالعرب يطلقون لفظ الراكب على راكب البعير والفارس على راكب الفرس (قوله أى لم تقاسوا فيه مشقة) أى لم تقطعوا اليها مسافة ولم يحصل منكم حرب وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا اليها خيلا ولا ابلا الا النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان راكبا جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا فكان الامر فى تلك الاموال مفوضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الامة بل يسلطهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار اذا حصل من غير قتال فهو فئ يوضع تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتى بيانه ومثله المال الذى جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية واعشار أهل الذمة وخراج الارض على ما هو مبين فى الفروع ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أى لا على أنه غنيمة بل يوصف الفقر ليرفع بذلك مؤنتهم عن الانصار لانهم كانوا قد قاسموهم فى الاموال والديار (قوله وثلاثة من الانصار) أى وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق وكان

(يخربون) بالتشديد والتخفيف من أخرب (بيوتهم) لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره (بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب الله) قضى (عليهم الجلاء) الخروج من الوطن (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل بقريظة من اليهود (ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا) خالفوا (الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) له (ما قطعتم) يا مسلمين (من لينة) نخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله) أى خيركم فى ذلك (وليخزى) بالاذن فى القطع (الفاسقين) اليهود فى اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد (وما أفاء) رد (الله على رسوله منهم فما أوجفتم) أسرعتم يا مسلمين (عليه من) زائدة (خيل ولا ركاب) ابل أى لم تقاسوا فيه مشقة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير) فلا حق لكم فيه ويختص به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه فى الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقى يفعل فيه ما يشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة من الانصار لفقرهم

لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف الفيء اثر بيان رده على رسول الله وحذف الواو من هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي غير أجنبية منها (قوله كالصفراء الخ) أي وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينة وينبع (قوله فلله وللرسول) اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم وفي القرطبي وقال قوم منهم الشافعي ان معنى الآيتين أن ماهنا والانفال واحد أي ما حصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذي كان من الفيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعي في قول الى المجاهدين المرصدين للقتال في الثغور لانهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفي قول آخر له يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في أربعة أخماس الفيء فأما السهم الذي كان من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم اه وقالت المالكية لا خلاف في أن الغنيمة تخمس وأما ما انجلى عنه أهله دون قتال فلا يخمس ويصرف في مصالح المسلمين باجتهاد الامام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الانفال فيما أوجف عليه وما هنا فيما لم يوجف عليه وقوله فلله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وانما المقصود التعميم باجتهاد الامام فتدبر (قوله من بني هاشم وبني المطلب) هذا مذهب الشافعي وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع في سفره) أي والمحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أي يستحقه النبي الخ) انما لم يقل الله والنبي اشارة الى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن الفيء يخمس خمسة أخماس وأن للنبي خمسه وليس مرادا بل التخميس انما هو للخمس لا للمال من أصله فالاشتراك المذكور انما هو في الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعي وأما عند مالك فلا تخميس وانما النظر فيه للامام (قوله كي لا يكون الخ) كي ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) أي لام التعليل والمعلل ما يستفاد مما سبق أي جعل الله الفيء لمن ذكر لاجل أن لا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أي يتداوله الاغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يصطفي بعد أخذ الربع منها ما شاء فنسخ هذا الامر وجعله الله يصرف في مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أي فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) أي الفيء فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على الفيء ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لا غير وقرئ أيضا برفع دولة على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله دولة) التداول حصول الشيء في يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول كقصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومعناهما واحد وقيل الدولة بالضم في المال وبالفتح في الحرب (قوله وما آتاكم الرسول فخذوه الخ) أي ما أعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا وقيل في تفسيرها ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه فالآية محمولة على العموم في جميع أوامره ونواهيه لانه لا يأمر الا باصلاح ولا ينهى الا عن افساد فنتج من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وأن كل ما نهى عنه النبي نهي من الله فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أي القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات (قوله أي أعجبوا) أي تعجبوا من حال المهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والاموال وتركوا

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) كالصفراء ووادي القرى وينبع (فلله) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذي) صاحب (القربى) قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب (واليتامى) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (والمساكين) ذوي الحاجة من المسلمين (وابن السبيل) المنقطع في سفره من المسلمين أي يستحقه النبي صلى الله عليه وسلم والاصناف الاربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الاربعة خمس الخمس وله الباقي (كي لا) كي بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يكون) الفيء علة لقسمه كذلك (دولة) متداولا (بين الاغنياء منكم (وما آتاكم) أعطاكم (الرسول) من الفيء وغيره (فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعجبوا

ذلك

ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أي أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم)
عطف على ديارهم وعبر فيه بالخروج لأن المال لما كان يستتر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله يبتغون
فضلا الخ) الجملة حالية والمعنى طالبين الرزق من الله لاعراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى
في الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله يبتغون فهو حال أيضا لكنها مقدرة أي ناوين
النصرة اذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (قوله أولئك هم الصادقون) أي المخلصون في ايمانهم
حيث اختاروا الاسلام وخرجوا عن الديار والاموال والعشائر حتى روي أن الرجل كان يعصب الحجر
على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها وفي الحديث ان فقراء
المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين خريفا (قوله والذين تبوؤا الدار الخ) شروع
في الثناء على الانصار اثر بيان الثناء على المهاجرين والموصول اما معطوف على الفقراء فيكون من عطف
المفردات وقوله يحبون الخ حال أو مبتدأ وجملة يحبون خبره (قوله أي المدينة) أي اتخذوها منزلا باسلامهم
من قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فمصروها وحفظوها بالاسلام فكأنهم استحدثوا بناءها (قوله
أي ألفوه) أشار بذلك الى ان قوله والايمان معمول لمحذوف ويكون من عطف الجمل اذ لا معنى لتبوء
الايمان وهذا أحد الوجوه الجارية في قوله علفتها تبنا وماء باردا أو ضمن تبوؤا معنى لزموا والمعنى لزموا
الدار والايمان أو شبه تمكنهم في الايمان باتخاذه منزلا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون في
صدورهم) أي نفوسهم (قوله حسدا) أي ولا غيظا ولا حزازة فالمراد بالحاجة هذه المعاني روي ان
المهاجرين كانوا في دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما
صنعوا مع المهاجرين مع انزالهم اياهم منازلهم واشراكهم اياهم في الاموال ثم قال صلى الله عليه وسلم ان
احببتم قسمت ما أفاء الله علي من النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في
مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه
بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء
الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله
أي أتى النبي) بيان للفاعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للمفعول القائم مقام الفاعل وقوله من أموال
بني النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على أنفسهم) أي في كل شيء من أسباب المعاش حتى ان من كان
عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين والايثار تقديم الغير على النفس
وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله
ولو كان بهم خصاصة) أي يقدمون غيرهم في الاموال مع احتياجهم اليها وهذا الوصف لا يخص الانصار
فقد روي عن ابن عمر أنه قال أهدي لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي فلانا
وعياله أحوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت الى
الاول فنزلت هذه الآية وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة ثم
قال للغلام اذهب بها الى أبي عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده في البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها
الغلام اليه وقال يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال
تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر
فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها اليه وامكث في البيت ساعة حتى تنظر
ما يصنع فذهب بها اليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال رحمه الله
ووصله وقال يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا والى بيت فلان بكذا فجاءت امرأة معاذ وقالت نحن والله
مساكين فأعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها فرجع الغلام الى عمر فأخبره فسر بذلك
وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه) من شرطية

(المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) في ايمانهم (والذين تبوؤا الدار) أي المدينة (والايمان) أي ألفوه وهم الانصار (من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة) حسدا (مما أوتوا) أي آتى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) حاجة الى ما يؤثرون به (ومن يوق شح نفسه)

حرصها على المال (فأولئك هم المفلحون والذين جاؤوا من بعدهم) من بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ألم تر) تنظر (الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم بنو النضير واخوانهم في الكفر (لئن) لام قسم في الاربعة مواضع (أخرجتم) من المدينة (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم) في خذلانكم (أحدا أبدا وان قوتلتم) حذفت منه اللام الموطئة (لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم) أي جاؤوا لنصرهم (ليولن الادبار) واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة (ثم لا ينصرون) أي اليهود (لانتم أشد رهبة) خوفا (في صدورهم) أي المنافقين (من الله) لتأخير عذابه (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم) اليهود (جميعا) مجتمعين (الا في قرى محصنة أو من وراء جدار) سور وفي

قراءة جدر (بأسهم) حربهم (بينهم شديد تحسبهم جميعا) مجتمعين (وقلوبهم شتى) متفرقة خلاف الحسبان

ويوق فعل الشرط وقوله فاولئك الخ جزاؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفي قوله يوق اشارة الى أن الشح أمر غريزي في الانسان لا ينجو منه الشخص الا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها على المال) فيه اشارة الى الفرق بين البخل والشح فالبخل منع الاموال والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتي المعروف وتعاطي مكارم الاخلاق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد أبدا وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن تطمح عين الرجل فيما ليس له وقال بعضهم من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيأ أمر الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاؤوا) اما معطوف على الفقراء وقوله يقولون حال أو مبتدأ وجملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والانصار) أي من بعد هجرة المهاجرين وايمان الانصار (قوله الى يوم القيامة) أي فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم الى آخر الزمان (قوله الذين سبقونا بالايمان) أي بالموت عليه فينبغي لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من زمنه الى عصر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل جميع من تقدمه من المسلمين لا خصوص المهاجرين والانصار (قوله حقدا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رؤف) بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر الى الذين نافقوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والانصار واتباعهم أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بني النضير وهم عبد الله بن أبي وأصحابه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لاخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى مبلغين اخوانهم (قوله لام قسم) أي موطئة لقسم محذوف أي والله (قوله في الاربعة مواضع) أي لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم بل في الخمسة هذه الاربعة وقوله وان قوتلتم لان اللام مقدرة معه (قوله أخرجتم من المدينة) أي أخرجكم النبي وأصحابه (قوله ولا نطيع فيكم) عطف على قوله لئن أخرجتم وكذا قوله وان قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنتان ثم كذبهم الله اجمالا وتفصيلا بعد (قوله في خذلانكم) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أي من النبي والمؤمنين وقوله أبدا ظرف للنفي (قوله حذفت منه اللام) أي وحذفها قليل في لسان العرب والكثير اثباتها (قوله لكاذبون) أي فيما قالوه (قوله لئن أخرجوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أخرجتم وقوله ولئن قوتلوا الخ تكذيب لقولهم وان قوتلتم الخ وقوله ولئن نصروهم من تمام تكذيبهم في المقالة الثالثة (قوله جاؤوا لنصرهم) جواب عما يقال ان قوله ولئن نصروهم مناف لقوله لا ينصرونهم فأجاب بان المعنى خرجوا والقصد نصرهم وحينئذ فلا يلزم منه نصرهم بالفعل وأجيب أيضا بان قوله ولئن نصروهم أي على سبيل الفرض والتقدير (قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أي القاعدة المعروفة في قول ابن مالك

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله أي اليهود) هذا أحد أقوال في مرجع الضمير وقيل عائد على المنافقين وقيل عائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الاقرب (قوله لانتم أشد رهبة الخ) أي خوفهم منكم في السر أشد من خوفهم من الله الذي يظهرونه لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الادبار كأنه قال انهم لا يقدرون على مقابلتكم لانكم أشد رهبة (قوله ذلك) أي ما ذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار به الى أن جميعا حال (قوله وفي قراءة جدر) أي وهي سبعية أيضا غير أن من قرأ جدار بالالف يلتزم اما الامالة في جدار واما الصلة في بينهم بحيث يتولد منها واو فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأسهم بينهم شديد) راجع لقوله لا يقاتلونكم جميعا الخ أي فعجزهم عن قتالكم ليس لضعفهم بل هم في غاية القوة من العدد والعدة وانما يضعفون في حربكم للرعب الذي في قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أي لعظم الخوف فقلوبهم لا توافق الاجسام بل فيها حيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال أي خلاف

طن كم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله ذلك بانهم قوم لا يعقلون) انما خص الاول بلا يفقهون والثانى بلا يعقلون لان الاول متصل بقوله لانتم أشد رهبة فى صدورهم من الله وهو دليل على جهلهم بالله فناسبه عدم الفقه والثانى متصل بقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقلهم اذ لو عقلوا لما تشتتت قلوبهم وتحيرت وامتلأت رعبا (قوله كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدا محذوف قدره بقوله مثلهم أى صفة بنى النضير العجيبة الذى تقع لهم من الاجلاء والذل كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والاسر والقتل فكل حصل له خزى الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزمن قريب) أى بين وقعة بدر ووقعة بنى النضير وهو سنة ونصف لما تقدم ان غزوة بنى النضير كانت فى ربيع الاول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت فى رمضان من الثانية (قوله مثلهم أيضا) أى صفة بنى النضير وقوله فى سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم أى تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد به حقيقته لا شيطان الانس وقوله اذ قال للانسان اكفر بيان لمثل الشيطان وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين الاول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا ببدر فكانت الدائرة عليهم والثانى من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم باغراء الشيطان لانسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله اذ قال للانسان) المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الانسان الذى قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها الم ليدعو لها فزين له الشيطان وطئها فحملت ثم قتلها خوفا من ان يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده ان سجد له أن ينجيه منهم فسجد له فتبرأ منه وقصته مبسوطة فى الشبرخيتى على الاربعين فى شرح الحديث الرابع فانظرها ان شئت (قوله كذبا منه ورياء) أى قوله هذا كذب منه ورياء لانه لا يخاف الله أبدا (قوله أى الغاوى) اسم فاعل من غوى يغوى كرمى يرمى والمراد به الانسان الذى غره الشيطان وقوله والمغوى اسم فاعل أيضا من أغواه يغويه وهو الشيطان (قوله وقرئ بالرفع) أى شاذا (قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود وما آل اليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من ان يكونوا مثل من تقدم ذكرهم وذلك أوقع فى النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الامر والحكمة فى التنكير الاشارة الى أن الانفس الناظرة لمعادها المعتبرة بغيرها قليلة جدا عديمة المثيل (قوله ماقدمت لغد) ما اسم موصول وقدمت صلته والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذى قدمته لغد وذلك لان جميع ما تعمله فى الدنيا ترى جزاءه فى القيامة فليختر العاقل أى الجزاءين لما ورد فى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى (قوله ليوم القيامة) سمى غدا لقرب مجيئه قال تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر فكانه لقربه شبيه بما ليس بينه وبينه الا ليلة واحدة والتنكير فى غد للتعظيم والابهام كانه قيل لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله (قوله واتقوا الله) كرره للتأكيد أو الاول اشارة للامر باصل التقوى والثانى للامر بالدوام عليها (قوله ان الله خبير بما تعملون) الخبير المطلع على خفيات الاشياء القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات وقوله بما تعملون أى من خير وشر (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك الى ان المراد بالنسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن يقدموا لها خيرا) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأنساهم تقديم خير لانفسهم فثمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم أى فترك حقوق الله خسرانهم وهو نظير قوله تعالى وان أسأتم فلها ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن كفر فعليه كفره لانه المستغنى عن كل ما سواه (قوله لا يستوى أصحاب النار) أى الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار (قوله وأصحاب الجنة) أى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتذييل لقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لان الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر فى العواقب والعمل النافع ونهاهم عن الغفلة والتشبه

(ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) مثلهم فى ترك الايمان (كمثل الذين من قبلهم قريبا) بزمن قريب وهم أهل بدر من المشركين (ذاقوا وبال أمرهم) عقوبته فى الدنيا من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) مؤلم فى الآخرة (مثلهم) أيضا فى سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) كذبا منه ورياء (فكان عاقبتهما) أى الغاوى والمغوى وقرئ بالرفع اسم كان (أنهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين) الكافرين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) ليوم القيامة (واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا طاعته (فأنساهم أنفسهم) أن يقدموا لها خيرا (أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل)

بمن نسى طاعة الله ذيله عما يرغبهم فى طاعة الله ويقربهم اليه زلفى (قوله وجعل فيه تمييز كالانسان) المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طباعهم وفيه رمز لمن قل خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تدبره ولم يأتمر بأوامره ولم ينته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فانه لا عذر فى ترك ذلك اذ لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها خاشعة مشققة من خشية الله (قوله المذكورة) أى فى هذه السورة أو فى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم ومن المعلوم ان عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكمالات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك الذى لا اله الا هو اما خبر ثان أو صفة للفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لان الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الانبياء فى الدنيا أو السالم من كل نقص أو المؤمن من المخاوف والمهالك (قوله المصدق رسله بخلق المعجزة لهم) أى أولياءه بالكرامات وعباده المؤمنين على ايمانهم واخلاصهم لانه لا يطلع على الاخلاص الا هو (قوله أى الشهيد على عباده) وقيل معناه المطلع على خطرات القلوب (قوله القوى) أى فهو من عز بمعنى غلب وقهر فيكون من صفات الجلال ويصح أن يكون من عز بمعنى قل فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أى من اسلام وكفر وطاعة ومعصية فاذا أراد أمرا فعله لا يعجزه عنه عاجز فهو من صفات الجلال ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الاصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أى أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهى التعالى فى العظمة وهى مختصة به تعالى لما فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته ثم قذفته فى النار (قوله عما لا يليق به) أى من صفات الحدوث (قوله سبحان الله عما يشركون) أتى بالتسبيح عقب قوله المتكبر اشارة الى أن هذا الوصف مختص به وينزه سبحانه عن مشاركة الغير له (قوله هو الله) كرر الهوية لانها حقيقة الذات المتصفة بالكمالات فما ذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها (قوله الخالق) أى الموجد للمخلوقات من العدم (قوله المنشئ) أى المبدع للاعيان المبرز لها (قوله المصور) أى المبدع للاشكال على حسب ارادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤنث الاحسن) أى الذى هو أفعل تفضيل لا مؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء ووصفت بالحسنى لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك ووصف الجمع لذى لا يعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولو جاء على المطابقة لقال الحسن بوزن أخر ويصح أن يراد من الحسنى المصدر ويقال فيه ما قيل فى زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لانه لا يثنى ولا يجمع (قوله يسبح له ما فى السموات والارض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به اشارة الى أنه المقصود الاعظم والمبدأ والنهاية وان غاية المعرفة بالله تنزيهه عما تصورته العقول

﴿سورة الممتحنة﴾

بكسر الحاء وفتحها لانه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التى هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة ابراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أى باجماع (قوله عدوى وعدوكم) أضاف العدو لنفسه تعالى تشريفا للمؤمنين أى ان عدوكم بمنزلة عدوى أنتقم منه والا فالعدو بمعنى الموصل للضر على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أى كفار مكة) تفسير للعدو والعبرة بعموم اللفظ

وجعل فيه تمييز كالانسان (لرأيته خاشعا متصدعا) متشققا (من خشية الله وتلك الامثال) المذكورة (نضربها للناس لعلهم يتفكرون) فيؤمنون (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس) الطاهر عما لا يليق به (السلام) ذو السلامة من النقائص و (المؤمن) المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (المهيمن) من هيمن يهيمن اذا كان رقيبا على الشئ أى الشهيد على عباده بأعمالهم (العزيز) القوى (الجبار) جبر خلقه على ما أراد (المتكبر) عما لا يليق به (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به (هو الله الخالق البارئ) المنشئ من العدم (المصور له الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الاحسن (يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم) تقدم أولها

﴿سورة الممتحنة مدنية ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم) أى كفار مكة (أولياء

لا بخصوص السبب فحكم الآية باق مع سائر الكفار الى يوم القيامة (قوله تلقون اليهم) هذه الجملة اما مفسرة لموالاتهم اياهم أو استئنافية فلا محل لها من الاعراب على هذين أو حال من فاعل تتخذوا أو صفة لاولياء (قوله قصد النبي الخ) أشار بذلك الى أن مفعول تلقون محذوف والباء في قوله بالمودة سببية (قوله وورى بحنين) أي بغزوة حنين والمعنى أظهر لعامة الناس انه يريد غزوة حنين على عادته من انه كان اذا خرج لغزوة يوري بغيرها كان يسأل عن طريق غيرها استرا عن المنافقين لئلا يرسلوا الى الكفار فيتنبهوا فيفوت تدبير الحرب والتورية مأخوذة من وراء الانسان كأنه يجعل ما أراده خلفه ووراءه وفي بعض النسخ وورى بخيبر وهو تحريف لان غزوة خيبر كانت في المحرم سنة سبع وفتح مكة كان في رمضان من السنة الثامنة وحنين كانت بعد الفتح في شوال من سنة الفتح فوري بها على عادته في غزواته والسورة نزلت في غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبي بلتعة الخ) أي وكان ممن هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الاصل من اليمن وكان في مكة حليف بني أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام وهذا بيان لسبب نزول قوله يا أيها الذين آمنوا الآيتين روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلا فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تهادى خيلنا أي تسرع فاذا نحن بامرأة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيأ وأن الله ناصرك عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء قيل اسم المرأة سارة من موالي قريش روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة الا أربعة هي احداهم وقيل انها عاشت الى خلافة عمر وأسلمت وحسن اسلامها وكان في الكتاب أما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم ولا نجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره وروى أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت يا سارة فقالت لا فقال أمسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قال كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فأين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها فخرجت الى مكة وأتاها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير وبردا على أن تلقي هذا الكتاب الى أهل مكة وكتب فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة الى مكة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها عليا الى آخر ما تقدم (قوله فاسترده النبي) أي طلب رده بارسال علي ومن معه (قوله ممن أرسله) أي وهي سارة والضمير المستتر في أرسل عائد على حاطب والبارز عائد على الكتاب (قوله باعلام الله له) متعلق باسترده والباء سببية (قوله وقبل عذر حاطب) أي لانه مؤمن بدري شهد الله له بالايمان حيث

تلقون) توصلون (اليهم) قصد النبي صلى الله عليه وسلم غزوهم الذي أسره اليكم وورى بحنين (بالمودة) بينكم وبينهم كتب حاطب بن أبي بلتعة اليهم كتابا بذلك لماله عندهم من الاولاد والاهل المشركين فاسترده النبي صلى الله عليه وسلم ممن أرسله معه باعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي دين الاسلام والقرآن

(يخرجون الرسول وإياكم) من مكة بتضييقهم عليكم (أن تؤمنوا) أي لأجل أن آمنتم (بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا) للجهاد (في سبيلي وابتغاء مرضاتي) وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فلا تتخذوهم أولياء (تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم) أي إسرار خبر النبي إليهم (فقد ضل سواء السبيل) أخطأ طريق الهدى والسواء في الأصل الوسط (إن يثقفوكم) يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم) بالقتل والضرب (وألسنتهم بالسوء) بالسب والشتم (وودوا) تمنوا (لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة (يوم القيامة يفصل) بالبناء للمفعول والفاعل (بينكم) وبينهم فتكونون في الجنة وهم في جملة الكفار في النار (والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة) بكسر الهمزة وضمها في الموضعين قدوة (حسنة في إبراهيم) أي به قولا وفعلا (والذين معه) من المؤمنين (إذ قالوا لقومهم إنا برآء) جمع بريء كظريف (منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أنكرناكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا (حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) مستثنى من أسوة أي فليس لكم التأسي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله (وما أملك لك من الله) أي من عذابه وثوابه (من شيء) كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه

لأستغفرن

قال يا أيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أو تفسير لكفرهم أو حال من فاعل كفروا (قوله وإياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله لأنه لو قال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أي لأجل أن آمنتم الخ) أشار به إلى أن تؤمنوا في محل نصب مفعول له والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أي من مكة (قوله للجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من تلقون بدل بعض من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء في بالمودة للسببية نظير ما تقدم (قوله وأنا أعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يثقفوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أي يظهروا العداوة لكم (قوله وودوا لو تكفرون) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطئة لحاطب في رأيه كأنه قال لا تحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فإنه لا تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعلق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) إما متعلق بما قبله فيوقف عليه ويبتدأ بيفصل بينكم أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويبتدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أي مع التخفيف والتشديد وقوله والفاعل أي معهما أيضا فالقراءات أربع سبعيات (قوله وبينهم) أي الأرحام والأولاد (قوله فتكونون في الجنة) أي فلا ينبغي موالاة الكفار لأنه لا اجتماع بينكم وبينهم في الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء في أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه وأن طريقته التبري من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاقتداء به في ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن والى الكفار (قوله بكسر الهمزة وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقوله في الموضعين أي هذا وقوله الآتي لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاقتداء كما قال المفسر (قوله في إبراهيم) جار ومجرور متعلق بأسوة ورد بأنه لا يجوز عمل المصدر الموصوف وأجيب بأنه يتوسع في الظرف وفيما لا يتوسع في غيرها ويصح أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل ويصح أنه نعت ثان لأسوة وإنما خص التأسي بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدو الله النمروذ ولم يكن معه أحد يعينه عليه مع تفرده بملك الأرض مشرقا ومغربا (قوله قولا وفعلا) تمييز مبني لجهة الاقتداء أي اقتدوا به في القول والفعل فإنه لم يبال بالكفار ولا بشدتهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالمعية وهو في أرض بابل وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولد أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام وحينما كثر المؤمنون به (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم النمروذ وجماعته أي فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم مع شدة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنا برآء منكم) أي من دينكم وآلهتكم (قوله وبدا) أي ظهر بيننا وبينكم العداوة على مر الأزمان بدليل ذكر الأبد والعداوة المباينة ظاهرا والبغضاء المباينة بالقلوب وفي الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أي وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكأنه قيل لكم فيه أسوة في أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أي فليس لكم التأسي به) أي لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدو لله تبرأ منه (قوله وما أملك لك من الله من شيء) هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة ما يقتدى به فيه لأن محصله أنه لا يملك له ثوابا ولا عقابا على حد ليس لك من الأمر شيء وهذا ثابت لإبراهيم وغيره وليس مرادا هنا بل المراد معناها الكنائي وهو أنه لا يملك له غير الاستغفار فهو غير مقتدى به فيه وحينئذ فقوله وما أملك معطوف على لأستغفرن لك وأشار المفسر لذلك بقوله كنى به الخ (قوله فهو مبني عليه) أي معطوف على

لا مستثنى من حيث المراد منه وان كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه قل فمن يملك لكم من الله شيأ واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في براءة (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) من مقول الخليل ومن معه أي قالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا أي تذهب عقولهم بنا (واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم) في ملكك وصنعك (لقد كان لكم) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم أسوة حسنة لمن كان) بدل اشتمال من كم باعادة الجار (يرجو الله واليوم الآخر) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (ومن يتول) بأن يوالي الكفار (فان الله هو الغني) عن خلقه (الحميد) لاهل طاعته (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مودة) بان يهديهم للايمان فيصيروا لكم أولياء (والله قدير) على ذلك وقد فعله بعد فتح مكة (والله غفور) لهم ما سلف (رحيم) بهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم) من الكفار (في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) بدل اشتمال من الذين (وتقسطوا) تقضوا (اليهم) بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الامر بجهادهم (ان الله يحب المقسطين) العادلين (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا) عاونوا (على اخراجكم أن تولوهم) بدل اشتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات)

لا ستغفرن ومرتبط به سابقه اعتذارا (قوله مستثنى من حيث المراد منه) أي وهو المعنى الكنائي (قوله وان كان من حيث الخ) مبالغة على أنه ليس مرادا وان كان معناه الوضعي (قوله قل فمن يملك) هذا دليل للمعنى الوضعي الغير المراد (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر ابراهيم في استغفاره لابيه وذلك أنه لم يستغفر له الا لرجاء ايمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم الخ والحاصل أن ابراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة مريم بقوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واستغفر له بالقول في سورة الشعراء في قوله تعالى واغفر لابي ثم رجع عن ذلك كما بينه الله في سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ) أي الذي يقتدى به فيه فهو في المعنى مقدم على جملة الاستثناء (قوله أي قالوا) أي فهو من مقول القول السابق في قالوا انا برآء منكم أي قالوا ذلك وقالوا ربنا الخ ويصح أن يكون أمرا من الله للمؤمنين تتميما لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار أي أظهروا لهم العداوة ولا يهولكم أمرهم وقولوا ربنا الخ ومعنى توكلنا فوضنا أمرنا وقوله واليك أنبنا أي رجعنا بالتوبة عن كل ما تكرهه منا وقوله واليك المصير المرجع في الآخرة (قوله أي لا تظهرهم) أي لا تجعلهم غالبين علينا وقوله فيظنوا أنهم على الحق يعني ان ظفروا بنا وقوله فيفتتنوا أي يزدادوا كفرا ويدوموا عليه لان الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر لنا) أي ما مضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فيهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقا قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة في التحريض على الاتباع لابراهيم وأمته (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسير ثان لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك (قوله ومن يتول) أي يعرض عن الاقتداء بابراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين في عدم موالاة الكفار الذين أمروا به في أول السورة فشدد المسلمون على أنفسهم في هجر الكفار فوعد الله المسلمين باسلام أقاربهم الكفار فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة ويجمع الله الشمل بعد التفرق (قوله منهم) أي من الكفار فهو حال من الذين أي حال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله مفعول لاجله أي حصلت المعاداة لاجل طاعة الله (قوله والله قدير) أي فلا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور (قوله وقد فعله) أي بأن أسلم غالب كفار مكة فصاروا أحبابا واخوانا (قوله والله غفور لهم) أي للذين عاديتموهم بأن محا عنهم ما سلف بسبب الايمان (قوله لا ينهاكم) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لان الآية الاولى عامة في سائر الكفار مطلقا ولو كانوا مصالحين ثم بين هنا أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز موادتهم ولم يكن النهي شاملا لهم كخزاعة وبني الحرث وعلى هذا تكون الآية محكمة فيجوز الآن للمسلمين موادة الكفار الذين تحت الذمة والصلح وقيل ان المراد بقوله لم يقاتلوكم أي لم يبتدؤكم بالقتال ولو لم يكن بينكم وبينهم صلح وهذا كان في أول الامر بالجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال عموما بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (قوله في الدين) أي لاجل دينكم (قوله بدل اشتمال) أي فالمعنى لا ينهاكم الله عن ان تبروهم والبر هو الاحسان (قوله تقضوا) انما فسر تقسطوا بمعنى تقضوا ليصح تعديته بالى (قوله أي بالعدل) هذا لا يخص هؤلاء فقط بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل فالاولى تفسيره بالاعطاء أي تعطوهم قسطا من أموالكم فعطف القسط على البر من عطف الخاص على العام (قوله وهذا قبل الامر بجهادهم) يشير بذلك الى أن الآية منسوخة وقد علمت ما فيه (قوله العادلين) أي على تفسير القسط بالعدل وعلى تفسير القسط بالاعطاء فالمراد بالمقسطين المحسنين (قوله وأخرجوكم من دياركم) أي وهم أهل مكة (قوله بدل اشتمال) أي انما ينهاكم الله عن أن تولوهم (قوله الظالمون) فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار اقتضى ذلك عدم مساكنتهم والهجرة الى المسلمين خوفا من الموالاة المنهي عنها وكان التناكح من أقرب أسباب الموالاة بين أحكام الزوجين في هذه الآية وسبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما عقد الصلح مع الكفار عام الحديبية على شرط ان من أتى النبي من أهل مكة يرده اليهم وان كان مسلما

يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولام الجر داخلة على ما الاستفهامية وحذفت ألفها لذلك قال ابن مالك

وما في الاستفهام ان جرت حذف * ألفها واولها الها ان تقف

(قوله في طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية انه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والزجر وقيل نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبي وأصحابه نكصوا على عقبهم وتخلفوا وحينئذ فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والذم على حقيقته (قوله اذا انهزمتم بأحد) تعليل لقوله ما لا تفعلون (قوله تمييز) أي محول عن الفاعل والاصل كبر مقت قولهم والمقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب في مقام الذم (قوله ينصر ويكرم) هذا معنى المحبة في حق الله لان حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر فأطلق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أي من الواو في يقاتلون وقوله اى صافين فسره بمشتق لصحة الحالية ومفعوله محذوف أي أنفسهم (قوله ملزق بعضه الى بعض) أي كانه بني بالرصاص أو معنى المرصوص الملتئم الاجزاء المستويها المحكمها ومن كان كذلك لا ينهزم ولا يقاوم (قوله واذ قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى اجمالا تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام ليصبر على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وابتدأ بقصة موسى لاسبقيته في الزمن (قوله قالوا انه آدر) وسبب تهمتهم له بذلك ستره للعورة من صغره فلم ير وهم يعيبونه بذلك وتقدم ذلك عند قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (قوله وكذبوه) معطوف على قالوا أي عيبوه في جسمه وأنكروا ما جاء به وكذبوه (قوله وقد للتحقيق) أي تحقيق علمهم برسالته وذلك يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه (قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب ان زيغهم سبب لازاغة الله قلوبهم مع أن الامر بالعكس لان العبد لا يزيغ الا ان أزاغه الله وصرفه عن الهدى وأجيب انهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو ايذاء موسى أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت ايذائهم على وفق ما أراده أزلا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية ابليس فانه كان مطيعا فلما خالف مولاه وعاند زاغ فأزاغ الله قلبه وطرده موافقة لما تحرزه بارادته أزلا فزيغ العبد سبب لازاغة الله له باعتبار اظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أراده الله وتحرزه أزلا فليحفظ (قوله الكافرين في علمه) هذا جواب عما يقال ان الله هدى كثيرا من الكفار بأن وفقهم للاسلام وحاصل الجواب ان من أسلم وهداه الله لم يكن في الازل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره في الازل لا يهديه ولا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله واذ قال عيسى) معمول لمحذوف تقديره اذكر وانما كررت قصة موسى وعيسى بل وقصة غيرهما لان المقصود الاتعاظ ودوامه فاذا ذكر الشيء أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لانه لم يكن له فيهم قرابة) أي لانه لا أب له فيهم وان كانت أمه من أشرافهم ان قلت هو منهم باعتبار أمه قلت النسب انما هو من جهة الاب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستتر في رسول لتأويله بمرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لانها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتي من بعدي) الجملة صفة لرسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء في بعدي اما مفتوحة أو ساكنة قراءتان سبعيتان (قوله اسمه أحمد) يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره ويحتمل أن يكون من المبني للمفعول أي أكثر محمودية من غيره أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره وخص أحمد بالذكر دون محمد مع انه أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم لوجوه الاول كونه مذكورا في الانجيل بهذا الاسم الثاني كونه مسمى في السماء به الثالث لان حمده لله سابق على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة فحمده قبل شفاعته لامته وحمد الخلق له بعدها وقال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرؤوف ورحيم (قوله أى جاء أحمد الكفار) هذا

في طلب الجهاد (ما لا تفعلون) اذا انهزمتم بأحد (كبر) عظم (مقتا) تمييز (عند الله أن تقولوا) فاعل كبر (ما لا تفعلون ان الله يحب) ينصر ويكرم (الذين يقاتلون في سبيله صفا) حال أي صافين (كأنهم بنيان مرصوص) ملزق بعضه الى بعض ثابت (و) اذكر (اذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) قالوا انه آدر أي منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وقد) للتحقيق (تعلمون أني رسول الله اليكم) الجملة حال والرسول يحترم (فلما زاغوا) عدلوا عن الحق بايذائه (أزاغ الله قلوبهم) أمالها عن الهدى على وفق ما قدره في الازل (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الكافرين في علمه (و) اذكر (اذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل) لم يقل يا قوم لانه لم يكن له فيهم قرابة (اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي) قبلي (من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) قال تعالى (فلما جاءهم) جاء أحمد الكفار (بالبينات) الآيات والعلامات

أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في جاءهم والثاني انه عائد على عيسى (قوله أي المجيء به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيوء بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي لا أحد) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي (قوله و وصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى الى الاسلام) الجملة حالية أي يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أي في مفعول يريدون التوكيد و يصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون ابطال القرآن ليطفؤا وهناك طريقة لبعض النحويين ان اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه و براهينه) هذا أحد أقوال في تفسير النور وقيل هو القرآن وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انه مثل مضروب بمن أراد اطفاء الشمس بفيه فكما انه لا يفيده ذلك كذلك من أراد ابطال الحق فلا يفيده وفي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه الابطال بالاطفاء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاطفاء يطفؤن بمعنى يبطلون وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها (قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال ان الاتمام لا يكون الا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالاتمام اظهاره في المشارق والمغارب (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أي البيان الشافي والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) انما عبر أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لان الرسول في ابتداء أمره يأتي بالتوحيد و يأمر به فيخالفه المشركون فاذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا ابطال ما جاء به من المعجزات والبراهين فعبر في كل بما ناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله لعملنا به وقيل نزلت في عثمان ابن مظعون وذلك انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان وددت يا نبي الله ان أعلم أي التجارات أحب الى الله فأتجر فيها فنزلت والاستفهام انشاء في المعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع في النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله تؤمنون) في محل رفع خبر مبتدا مقدر أي هي تؤمنون أو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما هي فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أي المذكور من الايمان والجهاد (قوله خير لكم) أي من كل شئ (قوله ان كنتم تعلمون) أشار المفسر الى أن الجواب مقدر والى أن تعلمون متعد حذف مفعوله (قوله من تحتها) أي من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومساكن طيبة الخ) روى عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا و وصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله (قوله ذلك) أي المذكور من غفران الذنوب

(قالوا هذا) أي المجيء به (سحر) وفي قراءة ساحر أي الجائي به (مبين) بين (ومن) أي لا أحد (أظلم) أشد ظلما (ممن افترى على الله الكذب) بنسبة الشريك والولد اليه و وصف آياته بالسحر (وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (يريدون ليطفؤا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة (نور الله) شرعه و براهينه (بأفواههم) بأقوالهم انه سحر وشعر وكهانة (والله متم) مظهر (نوره) وفي قراءة بالاضافة (ولو كره الكافرون) ذلك (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) يعليه (على الدين كله) جميع الاديان المخالفة له (ولو كره المشركون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم) بالتخفيف والتشديد (من عذاب أليم) مؤلم فكأنهم قالوا نعم فقال (تؤمنون) تدومون على الايمان (بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فافعلوه (يغفر) جواب شرط مقدر أي ان تفعلوه يغفر (لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن) اقامة (ذلك الفوز العظيم)

و) يؤتكم نعمة (أخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب و بشر المؤمنين) بالنصر والفتح (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) لدينه وفي
قراءة بالاضافة (كما قال) الخ المعنى ١٦٠ كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله)

وادخال الجنان (قوله و يؤتكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقدير هذا العامل الى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والمراد يؤتكم في الدنيا فهو اخبار عن نعمة الدنيا بعد الاخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمر أي تلك النعمة الاخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أي معجل وهو فتح مكة أو فارس والروم (قوله و بشر المؤمنين) معطوف على محذوف أي قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ و بشر المؤمنين والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الايمان وما بعده (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أي أنصار الله والمعنى كونوا أنصار الله معي كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصاري الى الله (قوله نحن أنصار الله) من اضافة الوصف الى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور رقائم بالثياب وعلى الاول قائم بذواتهم (قوله فآمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى الى السماء افترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ وروي عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقتتلت الطائفتان) أي وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا ظهرت المؤمنة على الكافرة روى المغيرة عن ابراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

أي بالاجماع وقوله احدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أو للتعليل والمعنى يسبح ما في السموات وما في الارض لاجل وجهه تعالى لا لقصد دون غرض من الاغراض ففيه اشارة الى أنه ينبغي للكاملين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعدام وغيرهما (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله في الاميين) أي العرب وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم والحكمة في اقتصاره على الاميين هنا مع أنه رسول الى كافة الخلق تشريف العرب حيث أضيف اليهم (قوله رسولا منهم) أي من جملتهم ومن نسبهم فما من حي من العرب الا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة الا بني تغلب فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق والحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه في كتب الانبياء منعوتا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب الى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الامية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أزكياء (قوله مخففة من الثقيلة) أي بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الاميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث الى الاميين الموجودين والى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم الى يوم القيامة وما تقدم في الاميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه و بالواسطة لمن يأتي بعدهم الى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للاميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي

أي من الانصار الذين يكونون معي متوجها الى نصرة الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى وقالوا انه عبد الله رفع الى السماء (وكفرت طائفة) لقولهم انه ابن الله رفعه اليه فاقتتلت الطائفتان (فأيدنا) قوينا (الذين آمنوا) من الطائفتين (على عدوهم) الطائفة الكافرة (فأصبحوا ظاهرين) غالبين

﴿سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسبح لله) ينزهه فاللام زائدة (ما في السموات وما في الارض) في ذكر ما تغليب للاكثر (الملك القدوس) المنزه عما لا يليق به (العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه (هو الذي بعث في الاميين) العرب والامي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وان) مخففة من الثقيلة واسمها نسخه
محذوف أي وانهم (كانوا من قبل) قبل مجيئه (لفي ضلال مبين) بين (وآخرين) عطف على الاميين أي الموجودين (منهم) والآتين منهم بعدهم

(لما) لم (يلحقوا بهم) في السابقة والفضل (وهو العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه وهم التابعون والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث اليهم وآمنوا به من جميع الانس والجن الى يوم القيامة لان كل قرن خير ممن يليه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) النبي ومن ذكر معه (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) كلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أي كتبا في عدم انتفاعه بها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) المصدقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله لا يهدي القوم الظالمين) الكافرين (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الاول قيد في الثاني أي ان صدقتم في زعمكم أنكم أولياء الله والولي يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) من

كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه) الفاء زائدة (ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من)

نسخة وآتين وهي مشا كلة لآخرين في عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) أي في السبق الى الاسلام والشرف وهذا النفي مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما بلم وذلك لان منفي لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فنفيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أي على التابعين في تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس الى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس الى يوم القيامة لان كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث اليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث اليهم (قوله لان كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أي ما ذكر من تفضيل الرسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه وهم الاميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا حملوا مخففا مبنيا للفاعل (قوله كلفوا العمل بها) أي القيام بها فليس هو من الحمل على الظهر بل هو من الحمالة وهي الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه ابلد الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة اما حال أو صفة لان القاعدة أن الجمل بعد ما يحتمل التعريف والتنكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا لصورة التعريف والوصفية نظرا لجريان الحمار مجرى النكرة لان المراد به الجنس (قوله أي كتبا) أي كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله في عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أي دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أي الذين سبق في علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من يحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أي تمسكوا باليهودية وهي ملة موسى عليه السلام وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله أنكم أولياء) هذه الجملة سدت مسد مفعولي زعم ولله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله تعلق بتمنوا الشرطان) أي وهما ان زعمتم ان كنتم صادقين (قوله على أن الاول قيد في الثاني) أي شرط فيه وهذا اشارة لقاعدة وهي أنه اذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الاول قيدا في الثاني وأما ان تأخر الجواب عنهما أو تقدم عليهما معا فان الثاني يكون قيدا في الاول نحو ان دخلت دار زيد ان كلمت زوجته فأنت طالق فلا تطلق الا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (قوله ومبدؤها) أي طريقها (قوله ولا يتمنونه) عبر هنا بلا وفي البقرة بلن حيث قال ولن يتمنوه أبدا اشارة الى أنه نفى عنهم التمني على كل حال مؤكدا كما في البقرة وغير مؤكد كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفي (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذي تفرون منه) أي تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثاني أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف ونشر مرتب (قوله اذا نودي للصلاة) المراد به الاذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لانه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التي تسمى الزوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد في ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي (قوله

و) يؤتكم نعمة (أخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب و بشر المؤمنين) بالنصر والفتح (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) لدينه وفي
قراءة بالاضافة (كما قال) الخ المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله)

أي من الانصار الذين يكونون معي متوجها الى نصرة الله (قال الحواريون نحن أنصار الله) والحواريون أصفياء عيسى وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى وقالوا انه عبد الله رفع الى السماء (وكفرت طائفة) لقولهم انه ابن الله رفعه اليه فاقتتلت الطائفتان (فأيدنا) قوينا (الذين آمنوا) من الطائفتين (على عدوهم) الطائفة الكافرة (فأصبحوا ظاهرين) غالبين

وادخال الجنان (قوله و يؤتكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقدير هذا العامل الى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والمراد يؤتكم في الدنيا فهو اخبار عن نعمة الدنيا بعد الاخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمر أي تلك النعمة الاخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أي معجل وهو فتح مكة أو فارس والروم (قوله و بشر المؤمنين) معطوف على محذوف أي قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ و بشر المؤمنين والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الايمان وما بعده (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أي أنصار الله والمعنى كونوا أنصار الله معي كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصاري الى الله (قوله نحن أنصار الله) من اضافة الوصف الى مفعوله أي نحن الذين ننصر الله أي ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الاول قائم بذواتهم (قوله فآمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى الى السماء افترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ وروي عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقتتلت الطائفتان) أي وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا ظهرت المؤمنة على الكافرة روى المغيرة عن ابراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

﴿سورة الجمعة مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (يسبح لله) ينزهه فاللام زائدة (ما في السموات وما في الارض) في ذكر ما تغليب للاكثر (الملك القدوس) المنزه عما لا يليق به (العزيز الحكيم) في ملكه وصنعه (هو الذي بعث في الاميين) العرب والامي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رسولا منهم) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم)

أي بالاجماع وقوله احدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أو للتعليل والمعنى يسبح ما في السموات وما في الارض لاجل وجهه تعالى لا يقصدون غرضا من الاغراض ففيه اشارة الى أنه ينبغي للمكلفين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعدام وغيرهما (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله في الاميين) أي اليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم والحكمة في اقتصاره على الاميين هنا مع أنه رسول الى كافة الخلق تشريف العرب حيث أضيف اليهم (قوله رسولا منهم) أي من جملتهم ومن نسبهم فما من حي من العرب الا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة الا بني تغلب فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق والحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه في كتب الانبياء منعوتا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب الى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الامية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أزكياء (قوله مخففة من الثقيلة) أي بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الاميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث الى الاميين الموجودين والى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم الى يوم القيامة وما تقدم في الاميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه وبالواسطة لمن يأتي بعدهم الى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للاميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي

يطهرهم من الشرك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) ما فيه من الاحكام (وان) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي وانهم (كانوا من قبل) قبل مجيئه (لفي ضلال مبين) بين (وآخرين) عطف على الاميين أي الموجودين (منهم) والآتين منهم بعدهم

نسخة بعده

(لما) لم (يلحقوا بهم) فى السابقة والفضل (وهو العزيز الحكيم) فى ملكه وصنعه وهم التابعون والاقتصار عليهم كاف فى
بيان فضـل الصحابة المبعوث فيهم النبى صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث اليهم وآمنوا به من جميع الانس والجن الى يوم القيامة لان كل قرن خير ممن يليه (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) النبى ومن ذكر معه (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) كلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى كتبا فى عدم انتفاعه بها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) المصدقة للنبى صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله لا يهدى القوم الظالمين) الكافرين (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الاول قيد فى الثانى أى ان صدقتم فى زعمكم أنكم أولياء الله والولى يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) من
كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (والله عليم بالظالمين) الكافرين (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه) الفاء زائدة (ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) السر والعلانية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم به
(يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من)

نسخة وآتين وهى مشاكلة لآخرين فى عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) أى فى السبق الى الاسلام والشرف وهذا النفى مستمر دائما لان الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم فى فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما بلم وذلك لان منفى لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فنفيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أى على التابعين فى تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس الى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس الى يوم القيامة لان كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث اليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث اليهم (قوله لان كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أى ما ذكر من تفضيل الرسول وقومه (قوله النبى) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه وهم الاميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا حملوا مخففا مبنيا للفاعل (قوله كلفوا العمل بها) أى القيام بها فليس هو من الحمل على الظهر بل هو من الحمالة وهى الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه أبلد الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة اما حال أو صفة لان القاعدة أن الجمل بعد ما يحتمل التعريف والتنكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا لصورة التعريف والوصفية نظرا الى أن الحمار يجرى مجرى النكرة لان المراد به الجنس (قوله أى كتبا) أى كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله فى عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أى دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أى الذين سبق فى علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أى تمسكوا باليهودية وهى ملة موسى عليه السلام وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لا يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله أنكم أولياء) هذه الجملة سدت مسد مفعولى زعم ولله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله تعلق بتمنوا الشرطان) أى وهما ان زعمتم ان كنتم صادقين (قوله على أن الاول قيد فى الثانى) أى شرط فيه وهذا اشارة لقاعدة وهى أنه اذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الاول قيدا فى الثانى وأما ان تأخر الجواب عنهما أو تقدم عليهما فان الثانى يكون قيدا فى الاول نحو ان دخلت دار زيد ان كلمت زوجته فأنت طالق فلا تطلق الا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلا تطلق به (قوله ومبدؤها) أى طريقها (قوله ولا يتمنونه) عبر هنا بلا وفى البقرة بلن حيث قال ولن يتمنوه أبدا اشارة الى أنه نفى عنهم التمنى على كل حال مؤكدا كما فى البقرة وغير مؤكد كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفى (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذى تفرون منه) أى تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم وتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثانى أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف ونشر مرتب (قوله اذا نودى للصلاة) المراد به الاذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التى تسمى الزوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد فى ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى (قوله

بمعنى في) هذا أحد وجهين والثاني انها بيان لاذا نودي وتفسير لها (قوله يوم الجمعة) بضمتين وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا بسكون الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس فيها للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة واعلم أن أفضل الليالي ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد وأفضل الايام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك الى أنه ليس المراد من السعي الاسراع في المشي اذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والمشي عند الذهاب أفضل من الركوب ان لم يكن عذر وبعد انقضاء الصلاة لا بأس به (قوله اتركوا عقده) أي فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشتري ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعي تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أي المذكور من السعي وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره اشارة الى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فافعلوه جواب الشرط (قوله فاذا قضيت الصلاة) أي أديت وفرغ منها (قوله فانتشروا في الارض) أي للتجارة والتصرف في حوائجكم (قوله أمر اباحة) أي فالمعنى يباح لكم الانتشار في الارض فلا حرج عليكم في فعله ولا تركه (قوله واذكروا الله كثيرا) أتى به ثانية اعلاما بأن ذكر الله مأمور به في سائر الاحوال لا في خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أي تظفرون بسعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع في بيان سبب نزول قوله تعالى واذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أي بعد الصلاة كالعيدين (قوله فقدمت عير) أي من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبي وكان الوقت وقت غلاء في المدينة وكان في تلك القافلة جميع ما يحتاج اليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند أحجار الزيت موضع بسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم الناس بقدومه فيبتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة في أنهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق وقيل أهل القادم بها قال قتادة بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام ويوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثني عشر رجلا) وفي رواية أن الذين بقوا معه أربعون رجلا وفي أخرى انهم ثمانية وفي أخرى أنهم أحد عشر وفي أخرى أنهم ثلاثة عشر وفي أخرى أنهم أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الائمة في العدد الذي تنعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعي أنهم أربعون وورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لو تتابعتم حتى لو يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا (قوله انفضوا اليها) أي والذي سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لانه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لانها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع أن المتقدم شيآن ويجاب أيضا بأنه أفرد لان العطف بأو وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفي قوله قائما اشارة الى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما فقال جمهور العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله هذه الثلاث شروط في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين في الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة الى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وذهب مالك الى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير (قوله قل ما عند الله الخ) أي قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل (قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

بمعنى في (يوم الجمعة فاسعوا) فامضوا (الى ذكر الله) أي الصلاة (وذروا البيع) أي اتركوا عقده (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أنه خير فافعلوه (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) أمر اباحة (وابتغوا) اطلبوا الرزق (من فضل الله واذكروا الله) ذكرا (كثيرا لعلكم تفلحون) تفوزون كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلا فنزل (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) أي التجارة لانها مطلوبهم دون اللهو (وتركوك) في الخطبة (قائما قل ما عند الله) من الثواب (خير) للذين آمنوا (من اللهو ومن التجارة والله

خير الرازقين) يقال كل انسان برزق عائلته أي من رزق الله تعالى

﴿ سورة المنافقون مدنية احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا جاءك المنافقون قالوا) بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد) يعلم (ان المنافقين لكاذبون) فيما أضمروه مخالفا لما قالوه (اتخذوا أيمانهم جنة) سترة على أموالهم ودمائهم (فصدوا) بها (عن سبيل الله) أي عن الجهاد فيهم (انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك) أي سوء عملهم (بأنهم آمنوا) باللسان (ثم كفروا) بالقلب أي استمروا على كفرهم به (فطبع) ختم (على قلوبهم) بالكفر (فهم لا يفقهون) الايمان (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لجمالها (وان يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحته (كأنهم) من عظم أجسامهم في ترك التفهم (خشب) بسكون الشين وضمها (مسندة) ممالة الى الجدار (يحسبون كل صيحة) تصاح كنداء في العسكر وانشاد ضالة (عليهم) لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هم العدو فاحذرهم) فانهم يفشون سرك للكفار (قاتلهم الله)

(قوله خير) اسم التفضيل باعتبار ان في اللهو والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل انسان الخ) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل على بابه فالرازقون متعددون لكن على سبيل المجاز والا فالرازق حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أي عياله (قوله أي من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور والمعنى ليس المراد به أن كل انسان يرزق عائلته بالاستقلال ولا بحوله وقوته بل من رزق الله تعالى يجري على يديه

﴿ سورة المنافقون ﴾

هكذا بالواو على الحكاية وفي بعض النسخ المنافقين بالياء (قوله مدنية) أي بالاجماع وكذا قوله احدى عشرة آية (قوله اذا جاءك المنافقون) أي حضر واعندك كعبد الله بن أبي وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الاظهر وقيل جوابه محذوف أي فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد * وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد وكان أجير العمر يقود له فرسه والثاني من الانصار اسمه سنان الجهني كان حليفا لعبد الله بن أبي فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها رجل من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله بن أبي ما صحبنا محمدا الا لنلطم ووجهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم في أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحولوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك فحلف أنه ما قال شيأ وأنكره وقوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد انك لرسول الله) يحتمل أن الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن نشهد بمعنى نحلف (قوله والله يعلم انك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم نشهد انك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض انه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لدفع هذا الايهام (قوله فيما أضمروه) أي من أنك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذي أضمر وهذا ما أفاده المفسر وقيل كذبهم هو قولهم نشهد لان صدقها كونها من صميم القلب وقولهم خلاف ما في القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى دعواهم الايمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أي وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس في افادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بأنهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال ان المنافقين لم يحصل منهم ايمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وايضاحه أن ثم للترتيب الاخباري ومعناه أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجمالها) قال ابن عباس كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا طلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجالس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه الى الجدر وكان النبي ومن حضر يعجبون بهيا كلهم (قوله وان يقولوا) أي يتكلموا في مجالسك (قوله تسمع) أي تستمع بمعنى تصغي (قوله كأنهم خشب مسندة) جملة حالية من الضمير في قولهم أو مستأنفة (قوله في ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى أنهم يشبهون الاخشاب المسندة الى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) أي انهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء في العسكر من انشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وانهم يرادون بذلك فمقتضى كلام المفسر أن عليهم مفعول ثان ليحسبون وقوله هم العدو جملة مستأنفة (قوله لما في قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب والمعنى لما في قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لاباحة دمائهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدو (قوله قاتلهم الله) اخبار بهلاكهم أو تعليم

أهلكهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان (وإذا قيل لهم تعالوا) معتذرين (يستغفر لكم رسول الله لووا) بالتشديد والتخفيف عطفوا (رؤسهم ورأيتهم يصدون) يعرضون عن ذلك (وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم) استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون) لأصحابهم من الأنصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المهاجرين (حتى ينفضوا) يتفرقوا عنه (ولله خزائن السموات والأرض) بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم (ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا) أي من غزوة بني المصطلق (إلى المدينة ليخرجن الأعز) عنوا به أنفسهم (منها الأذل) عنوا به المؤمنين (ولله العزة) الغلبة (ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) تشغلكم (أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) الصلوات الخمس (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا) في الزكاة (مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا) بمعنى هلا أو لا زائدة

للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بعد قيام البرهان) أي على حقيقة الإيمان (قوله وإذا قيل لهم تعالوا الخ) روي أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فائتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم فلووا رؤسهم أي حركوها إعراضا وإباء وروي أن ابن أبي لوى رأسه وقال لهم قد أشرتم علي بالإيمان فآمنت وبإعطاء زكاة مالي ففعلت ولم يبق إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد فنزل وإذا قيل لهم تعالوا الخ فلم يلبث ابن أبي إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات منافقا (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيتهم يصدون) رأى بصرية وجملة يصدون حال من الهاء وقوله وهم مستكبرون حال من الواو في يصدون (قوله سواء عليهم الخ) هذا تيئيس من إيمانهم أي إن استغفارك وعدمه سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أي في التوصل للنطق بالساكن (قوله بهمزة الاستفهام) أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد وهي في الأصل همزة الاستفهام والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أي الكافرين الذين سبق في علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون الخ) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم (قوله من الأنصار) أي المخلصين في الإيمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لأنهم منافقون يقرون برسالته ظاهرا ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة فغيرها الله إجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفضوا) أي لأجل أن يتفرقوا بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش (قوله ولله خزائن السموات والأرض) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم فالمعطي المانع هو الله تعالى وإذا سد باب يفتح الله عشرة (قوله لا يفقهون) أي لا يفهمون أن لله خزائن السموات والأرض (قوله يقولون لئن رجعنا الخ) حكاية لبعض قبائحهم التي قالوها (قوله من غزوة بني المصطلق) وكانت في السنة الرابعة وقيل في الثالثة وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار وهو أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة فلما أخذ النبي جويرية من السبي لنفسه أعتقها وتزوجها قال المسلمون صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبي إكراما لرسول الله ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بني المصطلق (قوله ولله العزة) الجملة حالية أي قالوا ما ذكر والحال أن العزة لله الخ وعزة الله قهره وغلبته لأعدائه وعزة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم (قوله ولكن المنافقين لا يعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لأن الأول متصل بقوله ولله خزائن السموات والأرض وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فقه فناسب نفي الفقه وهذا متصل بقوله ولله العزة الخ وفي معرفته غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفي العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهي للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين في الاغترار بالأموال والأولاد (قوله الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك وقال الحسن عن جميع الفرائض وقيل عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن سائر الأذكار وهو الأتم (قوله فأولئك هم الخاسرون) أي لإيثارهم الفاني على الباقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم (قوله مما رزقناكم) من تبعيضية وفي التبعيض بإسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه زيادة ترغيب في الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه (قوله من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي أماراته ومقدماته (قوله فيقول رب) معطوف على أن يأتي مسبب عنه (قوله بمعنى هلا) أي التي معناها التحضيض وتختص بالفعل ماض وهو في تأويل المضارع كما

هنا والائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذى هو الطلب بلين و رفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذى هو الطلب بحث وازعاج (قوله ولو للتمنى) أى والتقدير على هذا ليتك أخرتنى الى أجل قريب (قوله الى أجل قريب) أى زمن قليل فأستدرك فيه مافاتنى (قوله بالزكاة) أى و بكل حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) برسم بدون واو كما فى خط المصحف وأما فى اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان اثبات الواو والنصب بالعطف على فأصدق المنصوب بان مضمرة بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فأصدق لاحظه جزمها فى جواب الطلب أى ان أخرتنى أصدق وأكن (قوله عند الموت) أى رؤية أماراته كما تقدم (قوله وان يؤخر الله نفسا) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدر تقديره هل يؤخر هذا المتمنى فقال وان يؤخر الله نفسا الخ وهو نكرة فى سياق النفى تعم (قوله بالياء والتاء) أى فالياء لمناسبة قوله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون والتاء المثناة فوق لمناسبة قوله يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ﴿ تتمة ﴾ استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبى صلى الله عليه وسلم لان السورة تمام ثلاث وستين وعقبت بالتغابن الذى هو ظهور الغبن بوفاته صلى الله عليه وسلم وهو من المعانى الاشارية

﴿ سورة التغابن مكية ﴾

أى الا قوله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم الى آخر السورة لانها نزلت بالمدينة باتفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الاكثر (قوله فاللام زائدة) أى أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور ليفيد الافادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة وأما نسبة الملك والحمد لغيره تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شئ قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تعلقت ارادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن أى بحسب تعلق قدرته وارادته فما قدر أزلا من كفر وايمان لابد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها واعلم ان القسمة رباعية شخص كتب سعيدا فى الازل وظهر مؤمنا ويموت عليه وشخص كتب شقيا فى الازل فيعيش كافرا ويموت كذلك وشخص كتب سعيدا فى الازل فيعيش كافرا ويختم له بالايمان وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع وشخص يعيش مؤمنا ويختم له بالكفر وذلك أندر من الكبريت الاحمر وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة لان ماقدر فى الازل لايغير ولايبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة والا فمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتكم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لاعبثا (قوله اذ جعل شكل الآدمى أحسن الاشكال) أى جعل رأسه لاعلى ورجليه لاسفل وذراعيه فى جنبيه وجعله منتصب القامة ان قلت قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلق أجيب بان التشويه بالنسبة لابناء جنسه لا بالنسبة لصور البهائم مثلا اذ لو قابلت بين الصورة المشوهة وبين صورة الغزال لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن (قوله يعلم مافى السموات والارض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرره فى قوله يسبح لله مافى السموات ومافى الارض وفى قوله ويعلم ماتسرون وماتعلنون ان تسبيح مافى السموات مغاير لتسبيح مافى الارض وكذا ماتسرونه مغاير لما تعلنونه لان المقصود منه تخويف المكلفين لاثبوت احاطة العلم فكرر الموصول لذلك ولما كان المقصود من قوله يعلم مافى السموات والارض ثبوت احاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاسم الاشارة عائد على ماذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر يهدينا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر يهدوننا والا

ولو للتمنى (أخرتنى الى أجل قريب فأصدق) بادغام التاء فى الاصل فى الصاد أتصدق بالزكاة (وأكن من الصالحين) بان أحج قال ابن عباس رضى الله عنهما ماقصر أحد فى الزكاة والحج الا سأل الرجعة عند الموت (وان يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) بالتاء والياء

﴿ سورة التغابن مكية أو مدنية ثمانى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله مافى السموات ومافى الارض) أى ينزهه فاللام زائدة وأتى بما دون من تغليبا للاكثر (له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم) اذ جعل شكل الآدمى أحسن الاشكال (واليه المصير يعلم مافى السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) بما فيها من الاسرار والمعتقدات (ألم يأتكم) يا كفار مكة (نبأ) خبر (الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم) عقوبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) مؤلم (ذلك) أى عذاب الدنيا (بأنه) ضمير الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) الحجج الظاهرات على الايمان (فقالوا أبشر) أريد به الجنس (يهدوننا

فكفروا وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) محمود فى أفعاله (زعم الذين كفروا

أن) مخففة واسمها محذوف أى أنهم (ان يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور) القرآن (الذى انزلنا والله بما تعملون خبير) اذكر (يوم يجمعكم ليوم الجمع) يوم القيامة (ذلك يوم التغابن) يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم فى الجنة لو آمنوا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله) وفى قراءة بالنون فى الفعلين (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) القرآن (أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) هى (ما أصاب من مصيبة الا باذن الله) بقضائه (ومن يؤمن بالله) فى قوله ان المصيبة بقضائه (يهد قلبه) للصبر عليها (والله بكل شئ عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) البين (الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) أن تطيعوهم فى التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فان سبب نزول الآية الاطاعة فى ذلك (وان تعفوا) عنهم فى تثبيطهم اياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم

فمقتضى الظاهر أن يقول يهدوننا (قوله فكفروا) الفاء سببية والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أى ظهر غناه عن ايمانهم لانه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فكل من الكفر والايمان واقع بارادة الله تعالى وهو المستغنى عن كل ما سواه فلا يسئل عما يفعل (قوله زعم الذين كفروا الخ) الزعم ادعاء العلم كذبا وهو يتعدى الى مفعولين فجملة أن لن يبعثوا سادة مسدهما والمراد بهم أهل مكة (قوله مخففة) أى لا ناصبة لئلا يتوالى ناصبان (قوله قل بلى) أى تبعثون لان بلى يجاب بها النفى فيصير اثباتا فهى متضمنة للجواب وانما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أى المذكور من البعث والحساب (قوله فآمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا الخ (قوله القرآن) أى لانه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمى بذلك لان الله يجمع فيه بين الاولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض (قوله يغبن المؤمنون الخ) أشار بذلك الى أن التفاعل ليس على بابه فان الكفار اذا أخذوا منازل المؤمنين فى النار لو ماتوا كفارا ليس بغبن للمؤمنين بل هو سرور لهم وما قاله المفسر مأخوذ من حديث ما من عبد يدخل الجنة الا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة فى قوله منازلهم وأهليهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه التغابن وتفصيل له لان فى ذلك ذكر منازل السعداء والاشقياء (قوله بالنون فى الفعلين) أى نكفر وندخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله ذلك) أى المذكور من تكفير السيآت وادخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف أى أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أى ايمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شئ بقضاء وقدر (قوله فى قوله) أى فى قول القائل ان المصيبة بقضاء الله والمعنى يكن قلبه مطمئنا مصدقا بهذا القول لا مجرد قوله انا لله وانا اليه راجعون باللسان فلا يعطى بفضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أى للثبات والاسترجاع عند نزولها (قوله وأطيعوا الله) أى فى جميع الاوقات ولا يشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فان توليتم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله فانما على رسولنا الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله الله لا اله الا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث للنبى على التوكل على الله والالتجاء اليه وفيه تعليم للامة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم الخ) أى بعضهم والمراد بالازواج ما يشمل الذكور فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أى يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوهم) أشار بذلك الى تقدير مضاف أى فاحذروا طاعتهم (قوله فان سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهاد والهجرة أى فسبب نزول الآية أن رجالا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا الى النبى فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة وقيل نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا اليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فرق عليهم وأقام عن الغزو وهذا معنى قول المفسر كالجهاد والهجرة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فى ذلك جميع أنواع الطاعات فلا يطيع الازواج ولا الاولاد فى التكاسل عن أى طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وان تعفوا الخ) أى تتركوا عقابهم بترك الانفاق عليهم وذلك أن من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه للخير فندم وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فانزل وان تعفوا الخ (قوله فى تثبيطهم) أى شغلهم اياكم وتكسيلهم لكم (قوله انما

أموالكم

أموالكم وأولادكم فتنة) أى ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما فى نفوسكم منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة وقدم المال لان فتنته أشد ويكفى فى فتنته قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الآية قال الحسن أدخل من التى للتبعيض فى قوله ان من ازواجكم الخ لانهم كلهم ليسوا بأعداء بل البعض منهم ولم يدخلها فى قوله انما اموالكم الخ لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما فمن رجع الى الله تعالى ولم يلتفت الى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ومن تتبع الشغل بالمال والولد وافتتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته) أى ومعناها أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ولذلك لما نزلت الآية قالت الصحابة ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته وضايق بعضهم نفسه فى العبادة حتى تورمت قدماه من طول القيام فخفف الله عنهم فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم وما قاله المفسر أحد قولين وقيل انها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية اتقوا الله حق تقاته مجملة وآية فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها فتفسير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الاشخاص فكل يبذل وسعه وطاقته فى طاعة ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فليست الاستطاعة فى الناس سواء وبالجملة فالتكليف بهذه الآية لا بآية اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا انها منسوخة أو محكمة (قوله خبر يكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيرا وهو الاولى لان حذف كان واسمها مع بقاء الخبر انما يكثر بعد أن ولو (قوله جواب الامر) أى وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل وهو الامساك (قوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا) سماه قرضا ترغيبا فى الصدقة حيث جعلها قرضا لله مع أن العبد انما يقرض نفسه لان النفع عائد عليه وفيه تنزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وسمى انفاقهم قرضا له فمن احسانه عليك خلق ونسب اليك وهذا الخطاب يعم الاغنياء والفقراء فالاغنياء مخاطبون بالاقراض فى بذل أموالهم وأنفسهم والفقراء مخاطبون بالاقراض فى بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص فى أعمالهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مجاز على الطاعة) أى بالكثير على القليل (قوله حليم فى العقاب على المعصية) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله السر) أى ما فى القلوب وقوله والعلانية أى ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشئ فى محله

﴿سورة الطلاق مدنية﴾

(قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد اقوال فى عدد آياتها وقيل ثنتا عشرة وقيل احدى عشرة (قوله المراد وأمته) أشار بذلك الى أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت على حد سرابيل تقيكم الحر وانما اقتصر على خطاب النبى لانه الرئيس الكامل وفى بعض النسخ المراد أمته أى ان لفظ النبى أطلق وأريد به أمته مجازا (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو الجمع فى قوله طلقتم وفى قوله فطلقوهن (قوله أو قل لهم) هذا احتمال ثان فى توجيه الخطاب ومحصله ان المخاطب حقيقة هو النبى وحده ولكن حذف منه الامر كأنه قال يا أيها النبى قل لامتك الخ وفى الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ وبقى احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا بلفظ الجمع تعظيما وتفخيما وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهى من أزواجك فى الجنة وورد تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وورد لا تطلقوا النساء الا من ريبة فان الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وورد ما حلف بالطلاق ولا استحلف به الا منافق (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك ما يقال ان قوله فطلقوهن تحصيل للحاصل

انما أموالكم وأولادكم فتنة) لكم شاغلة عن أمور الآخرة (والله عنده أجر عظيم) فلا تفوتوه باشتغالكم بالاموال والاولاد (فاتقوا الله ما استطعتم) ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته (واسمعوا) ما أمرتم به سماع قبول (وأطيعوا وأنفقوا) فى الطاعة (خيرا لانفسكم) خبر يكن مقدرة جواب الامر (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بأن تتصدقوا عن طيب قلب (يضاعفه لكم) وفى قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا الى سبعمائة وأكثر (ويغفر لكم) ما يشاء (والله شكور) مجاز على الطاعة (حليم) فى العقاب على المعصية (عالم الغيب) السر (والشهادة) العلانية (العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه

﴿سورة الطلاق مدنية ثلاث عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبى) المراد وأمته بقرينة ما بعده أو قل لهم (اذا طلقتم النساء) أى أردتم الطلاق (فطلقوهن

والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الاقراء أما غير المدخول بهن فلا عدة عليهن بالكلية وأما ذوات الاشهر والحوامل فسيأتين (قوله لعدتهن) اللام للتوقيت كهي في قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس والمعنى طلقوهن في وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله في طهر) أي وأما في الحيض فهو حرام بدليل ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وهو واقع لان النهي اذا كان لامر خارج لا يستلزم الفساد وهنا كذلك لان علة النهي تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه) أي لم توطأ وهذا القيد لمنع الريبة فانه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فيحصل اللبس وحكم الطلاق في الطهر الذي مس فيه الكراهة عند مالك والحرمة عند الشافعي ولكن تحتسب به من العدة ولا يجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد رويا عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله ان تطلق لها النساء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قوله احفظوها) أي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق والخطاب للازواج ويدخل الزوجات فيه أيضا لان الزوج يحصي العدة ليراجع وينفق ويتزوج بأخت المطلقة ونحو ذلك وهي لتحل للازواج ونحو ذلك (قوله لتراجعوا) أي وتنفقوا وتسكنوا (قوله لا تخرجوهن من بيوتهن الخ) المراد المساكن التي وقع الفراق فيها وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وجمع بين النهيين اشارة الى أن الزوج لو أذن لها في الخروج لا يجوز لها الخروج لان العدة حق لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (قوله الا أن يأتين الخ) الجملة حالية من فاعل لا يخرجن ومفعول لا تخرجوهن والمعنى لا يخرجن ولا تخرجوهن في حال من الحالات الا في حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة (قوله وزنا) وقيل الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي بينت أو هي بينة) لف ونشر مرتب (قوله وتلك المذكورات) أي من قوله فطلقوهن لعدتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أي عرضها للعقاب وقيل المراد بظلم نفسه الضرر الدنيوي الذي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكنه تداركه بدليل قوله لا تدري لعل الله الخ وارادة العموم أولى (قوله لا تدري لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ما تضمنته الجملة الشرطية والمراد بالامر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه عما فعله بأن يرغب في الرجعة ويندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أو الثنتين وعدم ضرر الزوجة بالفراق ليكون في فسحة اذا غير الله الاحوال (قوله مراجعة) أي بأن يقلب قلبه من بغضها الى حبها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه وبالجملة فالذي ينبغي للعاقل اذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لانه لا يدري ما يخلقه الله في قلبه بعد ذلك فاذا كان فراقه بالمعروف وحول الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فاذا بلغن أجلهن) أي المطلقات طلاقا رجعيا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أي فالكلام على سبيل المجاز (قوله فامسكوهن بمعروف) أي بحسن عشرة وانفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهن) تصوير للامساك (قوله ولا تضاروهن بالمراجعة) بيان للمعروف في الامساك والمعنى أنه اذا أراد امساكها وراجعها فليقصد بقاء الزوجية لا لقصد ضررها والاوضح أن يقول فلا تضاروهن عند الفراق بأن تتكلموا في حقهن ونحو ذلك وأما مضارتهن بالامساك فقد علم نفيها من قوله تعالى فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوي عدل) أي صاحبي عدالة (قوله على الرجعة) أي لتظهر ثمرتها بعد ذلك في الارث اذا مات أو ماتت وفيما اذا ادعى الرجعة بعد انقضاء العدة وأنكرت (قوله أو الفراق) أي الطلاق لتظهر ثمرة الاشهاد بعد ذلك اذا ادعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبي حنيفة والشافعي في أحد قوليه والآخر أنه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق

(قوله

لعدتهن) لاولها بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وأحصوا العدة) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (واتقوا الله ربكم) أطيعوه في أمره ونهيه (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) منها حتى تنقضي عدتهن (الا أن يأتين بفاحشة) زنا (مبينة) بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة فيخرجن لاقامة الحد عليهن (وتلك) المذكورات (حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك) الطلاق (أمرا) مراجعة فيما اذا كان واحدة أو ثنتين (فاذا بلغن أجلهن) قاربن انقضاء عدتهن (فأمسكوهن) بأن تراجعوهن (بمعروف) من غير ضرار (أو فارقوهن بمعروف) اتركوهن حتى تنقضي عدتهن (ولا تضاروهن) بالمراجعة (وأشهدوا ذوي عدل منكم) على الرجعة أو الفراق

(قوله وأقيموا الشهادة لله) أى لوجهه ولا تراعوا المشهود له ولا المشهود عليه وانما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لانه ربما يؤدى الى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى يؤدى عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق (قوله ذلكم) أى المذكور من أول السورة الى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى وأما من لم يكن متصفا بذلك فهو لقساوة قلبه لا يوعظ لانه لم ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الخ) هذه الجملة اعتراضية فى أثناء الاحكام المتعلقة بالنساء اشارة الى أنه لا يصبر على تلك الاحكام ولا يعمل بها الا أهل التقوى والاحسن أن يراد من هذه العموم لا خصوص التقوى فى أمر النساء قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الاشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى اليه الفاقة وقال ان العدو أسر ابنى وجزعت الام فما تأمرنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وآمرك واياها أن تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهى أربعة آلاف شاة واستاق من ابلهم خمسين بعيرا كما فى رواية وجاء بها الى المدينة فقال أبوه للنبى صلى الله عليه وسلم أتحل لى أن آكل مما أتى به ابنى فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى من فوض أمره اليه كفاه ما أهمه والاخذ فى الاسباب لا ينافى التوكل لانه مأمور به لكن لا يعتمد على تلك الاسباب (قوله ان الله بالغ أمره) أى فلا بد من انفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لكن من توكل تكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى تقديرا لا يتعداه ولو اجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لا يقدرون وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد فى الحديث انى لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا فما زال يقرؤها ويعيدها وورد أيضا من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها ومعنى انقطع الى الله انه اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فانه يفتح الله عليه ان كان ذا ضيق ويرزقه من حيث لا يحتسب وورد أيضا من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب ﴿لطيفة﴾ ذكر الاجهورى فى فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام وهى ان قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطنى عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة اذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقالها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمنى فقال ارم بالمال فى البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول اذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرأ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الى آخر الآية فقال جميع من فى المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا ان هذه لعظة ما أشك فى نفعها قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فانه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشى فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه كل ما يكون فى البحر من الجواهر وغيرها واذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأى شئ تعملين هنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة وكان أبى عظيم التجارة وكان لا يصبر عنى ساعة فسافر بى معه فى البحر فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت فى هذه الجزيرة فيخرج الى شيطان من البحر فيتلاعب بى سبعة أيام من غير أن يطأنى الا انه يلامسنى ويؤذينى ويتلاعب بى ثم ينظر الى ثم ينزل فى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله فى نفسك واخرج قبل موافاته والا أتى عليك فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة فقالت قد والله جاء وسيهلكك فلما قرب منى وكاد يغشانى قرأت الآية فاذا هو خر كقطعة جبل الا انه رماد محترق فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الذى من الله على بك فقمت أنا وهى فانتخبنا

(وأقيموا الشهادة لله) لا للمشهود عليه أوله (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا) من كرب الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يخطر بباله (ومن يتوكل على الله) أى فى أموره (فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) مراده وفى قراءة بالاضافة (قد جعل الله لكل شئ) كرخاء وشدة (قدرا) ميقاتا

ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا الساحل نهارنا فاذا كان الليل رجعنا الى القصر قال وكان فيه مائة كل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا فلوحنا اليه فدخل فحملنا فسرنا يسيرا الى البصرة فوصفت لي منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية وقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصابنا فقلت اخرجوا فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم اليها فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم أن يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر أهل البصرة وهؤلاء أولادي منها انتهى (قوله واللائي يئسن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد ابن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاء اسم موصول مبتدأ ويئسن صلته وقوله من نسائكم حال من الضمير في يئسن والشرط وجوابه خبره أو قوله فعدتهن خبره وجواب الشرط محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر معترض بين المبتدا وخبره والاول أحسن (قوله يئسن) أي وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الخمسين والستين يسئل النساء فان جزمن بأنه حيض أو شككن فحيض والافاستحيض وما قبل الخمسين حيض قطعا (قوله شككتم في عدتهن) أي جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أو جهلوا لكن الواقع في نفس الامر ان السائلين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللاء لم يحضن لصغرهن) أي عدم بلوغهن أوان الحيض كبنت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلا وتسمى النساء البغلة وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز فانها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل للازواج ثم ان استحيضت لمدة بعد ذلك كانت كالآيسة والصغيرة وأما من تأخر حيضها لرضاع أو استحيضت وميزت أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو سنتين الى خمس فلا تعتد الا بالحيض فان زادت عادتها عن خمس فالذي لابي الحسن على المدونة انها تعتد بسنة بيضاء من أول الامر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة والصغيرة فليحفظ هذا المقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك الى أن قوله واللاء مبتدا وجملة لم يحضن صلته والخبر محذوف قدره المفسر جملة والاولى تقديره مفردا بأن يقول مثلهن أو كذلك (قوله والمسئلتان) أي مسئلة الآيسة ومسئلة الصغيرة (قوله في غير المتوفى عنهن) أي فاهنا مخصوص بآية البقرة (قوله وأولات الاحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثاني والثاني وخبره خبر الاول والاحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب اسم لما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك الى بقاء عموم وأولات الاحمال فهو مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أي ما لم يكن حوامل *وحاصل الفقه في هذا المقام أن النساء قسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفي كل اما حرائر أو اماء فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء والآيسة والصغيرة ثلاثة أشهر والامة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرآن فان كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها ان كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا مدخولا بها أولا والامة شهران وخمس ليال والحوامل وضع الحمل وانظر تفاصيل ذلك في الفروع (قوله المذكور في العدة) أي في تفاصيلها (قوله أنزله) أي بينه ووضحه (قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته الخ) كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى بأن النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر على أمورهن الا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى (قوله أي المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق والا فكل مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو موت وانما التفصيل في النفقة (قوله أي بعض مساكنكم) أشار بذلك الى أن من للتبعيض وهو أحد وجهين والثاني انها لابتداء الغاية والمعنى تسببوا الى اسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وان كان يجوز فيه

(واللائى) بهمزة وياء وبلا ياء في الموضعين (يئسن من المحيض) بمعنى الحيض (من نسائكم ان ارتبتم) شككتم في عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن أما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا (وأولات الاحمال أجلهن) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) في الدنيا والآخرة (ذلك) المذكور في العدة (أمر الله) حكمه (أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أسكنوهن) أي المطلقات (من حيث سكنتم) أي بعض مساكنكم (من وجدكم) أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله

بإعادة الجار وتقدير مضاف أي أمكنة سعتكم لا ما دونها (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم) أولادكم منهن (فآتوهن أجورهن) على الإرضاع (وائتمروا بينكم) وبينهن (بمعروف) بجميل في حق الأولاد بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع (وإن تعاسرتم) تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله (فسترضع له) للأب (أخرى) ولا تكره الأم على إرضاعه (لينفق) على المطلقات والمرضعات (ذو سعة من سعته ومن قدر) ضيق (عليه رزقه فلينفق مما آتاه) أعطاه (الله) على قدره (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) وقد جعله بالفتوح (وكأين) هي كاف الجر دخلت على أي بمعنى كم (من قرية) أي وكثير من القرى (عتت) عصت يعني أهلها (عن أمر ربها ورسله فحاسبناها) في الآخرة وإن لم تجئ لتحقق وقوعها (حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) بسكون الكاف وضمها فظيعا وهو عذاب النار (فذاقت وبال أمرها) عقوبته (وكان عاقبة أمرها خسرا) خسارا وهلاكا (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير الوعيد توكيد (فاتقوا الله يا أولي الألباب) أصحاب العقول (الذين آمنوا) نعت للمنادى أو بيان له (قد أنزل الله إليكم ذكرا) هو القرآن (رسولا) أي محمدا صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل مقدر أي وأرسل (يتلو عليكم آيات الله مبينات) بفتح الياء وكسرها كما تقدم

التثليث لغة يقال وجد في المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرها وجدة أيضا بالكسر أي استغنى (قوله بإعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا إلا أن عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل فالأولى رجوعه للبدلية (قوله لا ما دونها) أي لا المساكن التي دون أمكنة سعتكم لنفاستها وارتفاع سعرها وإنما تكليفه باللائق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي بأن تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أي المطلقات حيث كن رجعيات فيلجئهن الأمر إلى كونهن يفتدين منه ليبنها ويتخلص منه (قوله وإن كن أولات حمل) وإن كن المطلقات الرجعيات أو البائنات وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فإن أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها اللبان وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الإرضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقا (قوله وائتمروا) أي ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله على أجر معلوم) أي أجرة معلومة على قدر وسعه وحالها (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبة الأم على ترك الإرضاع والمعنى فإن امتنع الأب من دفع الأجرة للأم وتركت الأم الولد من غير إرضاع بنفسها فليطلب له الأب مرضعة أخرى ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد فقوله فسترضع الخ خبر بمعنى الأمر والضمير في له للأب بدليل فإن أرضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به أي فسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أي اللاتي لم يرضعن وقوله والمرضعات أي المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق وإلا فالزوجة كذلك * واعلم أن المطلقة طلاقا رجعيا لها النفقة بإجماع المذاهب وأما البائن فلا نفقة لها عند مالك والشافعي وعند أبي حنيفة لها النفقة وكل هذا ما لم تكن حاملا وإلا فلها النفقة بإجماع وللمرضع أجرة الرضاع بإجماع أيضا كما يقضى بالسكنى للجميع بإجماع (قوله من سعته) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أي على قدر سعته والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد هذا مذهب الشافعي ومذهب مالك يفرض لها قوت وإدام وكسوة ومسكن بقدر وسعه وحالها (قوله على قدره) أي لا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) في هذا بشارة للفقراء أي فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى وفي الحديث لن يغلب عسر يسرين (قوله وقد جعله بالفتوح) أي فقد صدق الله وعده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتى صاروا أغنى الناس ولا خصوصية للصحابة بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تمييزها وقوله عتت خبر (قوله بمعنى كم) أي فصار المجموع بمعنى كم (قوله عتت) ضمنه معنى أعرضت أو خرجت فعداه بعن (قوله يعني أهلها) أي فأطلق لفظ القرية وأريد أهلها مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال إن الحساب وما بعده إنما يحصل في الآخرة فما وجه التعبير بالماضي فأجاب بأنه عبر بالماضي لتحقق وقوعه (قوله حسابا شديدا) أي بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيعا) أي شنيعا قبيحا (قوله تكرير الوعيد) أي المذكور في الجمل الأربع وهي قوله فحاسبناها وعذبناها فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله أو بيان له) أي عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها المفسرون وقوله أي محمدا هو أحد أقوال ثلاثة في تفسير الرسول وهو أحسنها وقيل هو جبريل وقيل هو القرآن نفسه (قوله يتلو عليكم) نعت لرسولا (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أي في قوله بفاحشة مبينة من أن المفتوح من المتعدي والمكسور من اللازم أي بينها الله أو هي بينة في نفسها (قوله

ليخرج) متعلق بيتلو فالضمير راجع له صلى الله عليه وسلم أو متعلق بأنزل فالضمير عائد على الله تعالى وكل صحيح (قوله وفى قراءة بالنون) أى وهى سبعية أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله له رزقا) أى عظيما عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى خالدين فتكون متداخلة (قوله ومن الارض مثلهن) عامة القراء على نصب مثلهن ووجهه انه معطوف على سبع سموات أو مفعول لمحذوف تقديره وخلق مثلهن من الارض وقرئ شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعنى سبع أرضين) اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض وأما الارضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفى كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الارض العليا لانه الثابت والمنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد ممن بعده نزل الى الارض الثانية ولا غيرها من باقى الارضين وبلغهم الدعوة وهل يعمل الله لما تحت الارض العليا ضوأ آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما قولان للعلماء وقيل انها طباق ملزوقة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار وتظل الجميع السماء والاول هو الاصح (قوله ينزل به جبريل) أى بالوحى بمعنى التصريف والمعنى ان أمر الله وقضاءه يجرى وينزل من السماء السابعة الى الارض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف فى كل ذرة منها وأما ان أريد بالوحى وهى التكاليف بالاحكام فالمراد بقوله بينهن أى بين السموات السبع والاراضى السبع فيكون فوق الارض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أى على أنه علة له والمعنى حكمة اعلامه لكم بهذا الخلق صيرورتكم علماء بأن الله على كل شئ قدير الخ (قوله على كل شئ) أى من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبدع من هذا العالم وهذا كله بالنظر للامكان العقلى فلا يخالف ما نقل عن الغزالى من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان لان معناه تعلق علم الله فى الازل بأنه لا يخلق عالما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لانه لو وقع لانقلب العلم جهلا فهى استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها فى كتابة الجوهرة

﴿ سورة التحريم ﴾

وتسمى سورة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أى كلها وقول الجميع (قوله يا أيها النبى لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التفخيم والتعظيم حيث عاتبه على اتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضات أزواجه كأن الله تعالى يقول له لا تتعب نفسك فى مرضات أزواجك بل أرح نفسك ولا تتعبها وأزواجك يسعون فى مرضاتك فان سعين فى مرضاتك سعدن والا فلا (قوله من أمتك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين ومحصله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله فى زيارة أبويها فاذن لها فلما خرجت أرسل الى جاريته مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر فادخلها بيت حفصة ووقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج النبى ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال لها ما يبكيك فقالت انما أذنت لى من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا فقال أليست هى جاريتى قد أحلها الله لى وهى حرام على التمس بذلك رضاك ولا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية وأن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان الذى حرمه على نفسه هو شرب العسل وهو ما فى الصحيحين لما روى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو من كل واحدة منهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول

(ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بعد مجئ الذكر والرسول (من الظلمات) الكفر الذى كانوا عليه (الى النور) الايمان الذى قام بهم بعد الكفر (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله) وفى قراءة بالنون (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) هو رزق الجنة التى لا ينقطع نعيمها (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) يعنى سبع أرضين (يتنزل الامر) الوحى (بينهن) بين السموات والارض ينزل به جبريل من السماء السابعة الى الارض السابعة (لتعلموا) متعلق بمحذوف أى أعلمكم بذلك الخلق والمتنزل (أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما)

﴿ سورة التحريم مدنية ثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) من أمتك مارية القبطية لما واقعها فى بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك فى بيتها وعلى فراشها

حيث قلت هي حرام علي (تبتغي) بتحريمها (مرضات أزواجك) أي رضاهن (والله غفور رحيم)

غفر لك هذا التحريم (قد فرض الله) شرع (لكم تحلة أيمانكم) تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ومن الايمان تحريم الامة وهل كفر صلى الله عليه وسلم قال مقاتل أعتق رقبة في تحريم مارية وقال الحسن لم يكفر لانه صلى الله عليه وسلم مغفور له (والله مولاكم) ناصركم (وهو العليم الحكيم و) اذكر (اذ أسر النبي الى بعض أزواجه) هي حفصة (حديثا) هو تحريم مارية وقال لها لا تفشيه (فلما نبأت به) عائشة ظنا منها أن لا حرج في ذلك (وأظهره الله) أطلعه (عليه) على المنبأ به (عرف بعضه) لحفصة (وأعرض عن بعض) تكرما منه (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) أي الله (ان تتوبا) أي حفصة وعائشة (الى الله فقد صغت قلوبكما) مالت الى تحريم مارية أي سركما ذلك مع كراهة النبي صلى الله عليه وسلم له وذلك ذنب وجواب الشرط محذوف أي تقبلا وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وان تظاهرا) بادغام التاء الثانية في الاصل في الظاء وفي قراءة بدونها تتعاونا (عليه) أي النبي فيما يكرهه (فان الله هو) فصل (مولاه) ناصره (وجبريل وصالح المؤمنين) ابو بكر وعمر رضي الله عنهما معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه

الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت والله لاحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت لها اذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور أي صمغا حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فانه سيقول لك لا فقولي له وما هذه الريح وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه الريح الكريه فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي له أكلت نحله العرفط حتى صار فيه أي في العسل ذلك الريح الكريه واذا دخل علي فسأقول له ذلك وقولي أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقدم فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت ان سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه فقالت لها اسكتي اه (قوله حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو تعليل له (قوله تبتغي مرضات أزواجك) حال من فاعل تحرم والمعنى لا ينبغي لك أن تشتغل بما يرضي الخلق بل اللائق أن أزواجك وسائر الخلق تسعى في مرضاتك (قوله أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائد عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر حلل كتكرم تكرمة فأصله تحللة فادغم (قوله تحليلها بالكفارة الخ) أشار الى أن التحلة تحليل اليمين فكأنه عقده وتحلته بالكفارة (قوله ومن الايمان تحريم الامة) أي بقوله أنت علي حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو لا يلزم به شيء ما لم يقصد به في الامة عتقها والا فيلزمه عتقها وأما التحريم في الزوجة فعند الشافعي ان نوى به الطلاق وقع والا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث ان كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وان لم ينو به حل العصمة (قوله قال مقاتل الخ) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الخ) أي وبه أخذ مالك والاصل عدم الخصوصية الا لدليل (قوله والله مولاكم) أي متولي أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الاحكام البلاغية (قوله هو تحريم مارية) أي وأسر اليها أيضا أن أباها عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على الامة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره اشارة الى أنه يتعدى الى مفعولين الاول بنفسه والثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الاول للدلالة عليه (قوله ظنا منها) أي فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطلعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشي (قوله على المنبأ به) أي وهو تحريم مارية والمناسب أن يقول على أنها قد أنبأت به (قوله عرف بعضه) أي وهو تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده وانما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثاره بعض المنافقين حسدا (قوله تكرما منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظنت أن عائشة هي التي أخبرته (قوله أي سركما ذلك مع كراهة النبي له) أي ومحبة الامر الذي يكرهه النبي صلى الله عليه وسلم زيغ وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أي فقوله فقد صغت قلوبكما تعليل للشرط والمعنى ان تتوبا الى الله من أجل ميل قلوبكما تقبلا (قوله ولم يعبر به) أي فيقول قلبا كما (قوله فيما هو كالكلمة الواحدة) أي لان بين المضاف والمضاف اليه علقة وارتباطا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فان الله هو مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا يعدم ناصرا فان الله الخ (قوله فصل) أي ضمير فصل لا محل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جنس لا جمع ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب بدون واو اعتبارا بلفظه لان الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم ان) أي قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه وظهير خبر

الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لان فعيلا يستوي فيه الواحد وغيره ان قلت ان نصرة الله هي الكفاية العظمى وما الحكمة في ضم ما بعدها اليها قلت تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه ان طلقكن الخ) سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وحلف أن لا يدخل عليهن شهرا مؤاخذة عليهن ومكث الشهر في بيت مارية فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها فقالت له انك أقسمت على شهر وانك دخلت في تسع وعشرين ليلة فقال لها هذا الشهر تسع وعشرون ليلة ولما بلغ عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس أنه طلقهن أتاه فوجده في مشربة قال عمر فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله قالت لا أدري هاهو ذا معتزل في هذه المشربة فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمال حصيرة أثر في جنبه فقلت يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يا رسول الله لا يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك قال عمر وقلما تكلمت بكلام الا رجوت الله يصدق قولي الذي أقوله فنزلت هذه الآية وآية وان تظاهرا عليه الخ فاستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بي فاخترته ثم خيرهن فاخترنه وآية التخيير هي قوله تعالى يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما (قوله ان طلقكن) أي جميعا فلا ينافي أنه وقع منه طلاق لحفصة طلقة واحدة وأمر بمراجعتها فطلاقه لها كالعدم فالتعليق انما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديل للكل لكونه مرتبا على تطليق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منكن) أي بأن يطردكن ويأتي له بنساء أخر خيرا منكن اذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع أنه لم يكن على وجه الارض نساء خيرا منهن لانا نقول قدرة الله صالحة لذلك ان حصل المعلق عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أي جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أي جملة عسى واسمها وخبرها ان قلت ان هذه الجملة فعلها جامد والجملة اذا كانت كذلك ووقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب محذوف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال ان الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا فأجاب بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن وأجيب أيضا بأن عسى هنا للتخويف (قوله تائبات) أي راجعات عن الزلات والهفوات (قوله عابدات) أي خاضعات متذللات (قوله سائحات) هذا قول ابن عباس وسمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فكذلك الصائم يمسك الى أن يجيء وقت افطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا وبعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثيب من ثاب يثوب أي رجع سميت بذلك لانها راجعة الى زوجها ان أقام معها أو الى غيره ان فارقها أو لانها رجعت الى بيت أبويها والابكار جمع بكر وهي العذراء سميت بكرا لانها على أول حالتها التي خلقت بها فمدح الثيبات من حيث انها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا والبكر من حيث انها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وقوا أمر من الوقاية فوزنه عوا لان فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والامر محمول عليه وحذفت اللام حملا له على المجزوم فأصله أوقيوا فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على المضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها

(والملائكة بعد ذلك) بعد نصر الله والمذكورين (ظهير) ظهراء أعوان له في نصره عليكما (عسى ربه ان طلقكن) أي طلق النبي أزواجه (أن يبدله) بالتشديد والتخفيف (أزواجا خيرا منكن) خبر عسى والجملة جواب الشرط ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مسلمات) مقرات بالاسلام (مؤمنات) مخلصات (قانتات) مطيعات (تائبات عابدات سائحات) صائمات أو مهاجرات (ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم

وأهليكم) بالحمل على طاعة الله (نارا وقودها الناس) الكفار (والحجارة) كاصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر (غلاظ) من غلظ القلب (شداد) في البطش (لا يعصون الله ما أمرهم) بدل من لفظ الجلالة أي لا يعصون أمر الله (ويفعلون ما يؤمرون) تأكيد والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار أي لانه لا ينفعكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) أي جزاءه (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) بفتح النون وضمها صادقة بأن لا يعاد الى الذنب ولا يراد العود اليه (عسى ربكم) ترجية تقع (أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات) بساتين (تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله) بادخال النار (النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم) أمامهم (و) يكون (بأيمانهم يقولون) مستأنف (ربنا أتمم لنا نورنا) الى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم (واغفر لنا) ربنا (انك على كل شيء قدير يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان والحجة

لزوال الساكن الذي جيء به لاجله واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضم ماقبل الواو لتصح (قوله وأهليكم) أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم والمراد بالاهل النساء والاولاد وما الحق بهما (قوله وقودها) أي ماتوقد به (قوله كاصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها (قوله منها) حال من الاصنام والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أي يتولى أمرها وتعذيب أهلها (قوله من غلظ القلب) أي قسوته فلا يرحمون أحدا لانهم خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم الطعام والشراب وقيل غلاظ الابدان لما روي ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب (قوله شداد في البطش) أي فقدروي أن من جملة قوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف انسان في قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) أي بدل اشتمال كأنه قال لا يعصون أمره وفيه اشارة الى أن ما مصدرية (قوله ويفعلون ما يؤمرون) أي به (قوله تأكيد) جواب عما يقال ان الجملة الاولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها فاجاب بأنه كررها للتأكيد وأجيب أيضا بأن مفاد الجملة الاولى أنهم لا يقع منهم عصيان لامر الله ولا مخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لا يعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا فقد يتخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلا فتغايرا بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أي الخالصين وهو جواب عما يقال ان هذا خطاب للمشركين فلاي شيء خوطب به المؤمنون فاجاب بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين وللمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أي يا أيها الذين كفروا الخ (قوله أي لانه لا ينفعكم) أي لانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار اذ قد فات زمنه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف في قوله ما كنتم تعملون (قوله يا أيها الذين آمنوا) أي اتصفوا بالايمان (بفتح النون) أي على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة لتوبة أي بلغت الغاية في الخلوص وقوله وضمها أي فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا وصفت به التوبة مبالغة على حد زيد عدل والقراءتان سبعيتان وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين (قوله بأن لا يعاد الى الذنب الخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولا في تفسير التوبة النصوح كلها ترجع الى التي استجمعت الشروط واعلم أن التوبة مما لا يتعلق به حق لآدمي لها شروط ثلاثة أن يقلع عن المعصية في الحال وأن يندم على ما فعله وان يعزم على أنه لا يعود وان كانت متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم الى أهلها ان أمكن والا فيكفي استسماحهم وهي واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة باجماع لما ورد يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة وفي رواية اني لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وورد ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في التوبة (قوله ترجية تقع) أشار بذلك الى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة ان كل ترج من الله في القرآن فهو واقع لكونه بمنزلة التحقيق وترجية كتزكية (قوله يوم لا يخزي الله النبي) اما منصوب بيدخلكم أو باذكر مقدرا (قوله والذين آمنوا) اما معطوف على النبي فالوقف على قوله معه ويكون قوله نورهم يسعى مستأنفا أو حالا أو مبتدأ خبره جملة نورهم يسعى (قوله ويكون بأيمانهم) قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسعى على الايمان أنه وان كان في جهتها الا أنه بعيد عنها فأفاد أنه كما يكون في جهة الايمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك في سورة الحديد (قوله والمنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب أي ان سبب قول المؤمنين ماذكر أنهم يرون المنافقين يعطيهم نورا في نظير اقرارهم بكلمة التوحيد فاذا مشوا طفيء فيمشون في ظلمة فيقعون في النار فاذا رأى المؤمنون هذه الحالة سألوا الله دوامه حتى يوصلهم الى الجنة والجنة لا ظلام فيها ان قلت كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون لا يحزنهم الفزع الاكبر أجيب بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك بل تلذذا وطلبا لما هو حاصل لهم من الرحمة (قوله والمنافقين باللسان والحجة) انما خصهم بذلك لانه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بالسيف لانهم مسلمون

لوط كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين
فخانتاهما) فى الدين اذ
كفرتا وكانت امرأة نوح
واسمها واهلة تقول
لقومه انه مجنون وامرأة
لوط واسمها واعلة تدل
قومه على أضيافه اذا
نزلوا به ليلا بايقاد النار
ونهارا بالتدخين (فلم
يغنيا) أى نوح ولوط
(عنهما من الله) من عذابه
(شيأ وقيل) لهما (ادخلا
النار مع الداخلين) من
كفار قوم نوح وقوم لوط
(وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون) آمنت
بموسى واسمها آسية
فعذبها فرعون بأن أوتد
يديها ورجليها وألقى على
صدرها رحى عظيمة
واستقبل بها الشمس
فكانت اذا تفرق عنها
من وكل بها اظلتها الملائكة
(اذ قالت) فى حال التعذيب
(رب ابن لى عندك بيتا
فى الجنة) فكشف لها
فرأته فسهل عليها التعذيب
(ونجنى من فرعون
وعمله) وتعذيبه (ونجنى
من القوم الظالمين) أهل
دينه فقبض الله روحها
وقال ابن كيسان رفعت
الى الجنة حية فهى
تأكل وتشرب (ومريم)
عطف على امرأة فرعون
(ابنت عمران التى
أحصنت فرجها) حفظته (فنفخنا فيه من روحنا) أى جبريل حيث نفخ فى جيب درعها بخلق (سورة
الله تعالى فعله الواصل الى فرجها فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) شرائعه (وكتبه) المنزلة (وكانت من القانتين) من القوم المطيعين

ظاهرا والاسلام يقى من قتال السيف وانما أمر بفضيحتهم واخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله واغلظ عليهم) أى شدد عليهم فى الخطاب ولا تعاملهم باللين (قوله بالانتهار) أى الزجر وقوله والمقت أى البغض والطرد (قوله ضرب الله مثلا) لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين فربما توهموا انها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا انها تضرهم ضرب الله لكل مثلا وضرب بمعنى جعل فمثلا مفعول ثان مقدم وقوله امرأة نوح الخ أى حالهما مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح لهما والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابها لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبى والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بدون الايمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة فى هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة وفى الوقف عليها خلاف بين القراء فبعضهم يقف بالتاء وبعضهم بالهاء (قوله كانتا تحت عبدين) أظهر فى مقام الاضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف بالصلاح (قوله فخانتاهما فى الدين) أى لا فى الزنا لما ورد عن ابن عباس انه ما زنت امرأة نبى قط (قوله اذ كفرتا) تعليل لقوله فخانتاهما (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس وقوله واعلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس (قوله فلم يغنيا عنهما من الله شيأ) أى لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتيهما لما كفرتا من عذاب الله شيأ تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة والامتثال لا بمجرد الصحبة (قوله شيأ) أى من الاغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به (قوله وقيل لهما) التعبير بالماضى لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضر مع الايمان (قوله آمنت بموسى) أى لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق فأبدلها الله بسبب ذلك الايمان أن جعلها فى الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا زوجه الله فى الجنة مريم بنت عمران لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهى فى الموت فقال لها يا خديجة اذا لقيت ضراتك فاقرئيهن منى السلام فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلى قال لا ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكلثوم أخت موسى فقالت يا رسول الله بالرفاء والبنين وفى الحديث كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين قيل انها عمة موسى فتكون اسرائيلية وقيل ابنة عم فرعون فتكون من العمالقة (قوله بأن أوتد يديها الخ) أى دق لها أربعة أوتاد فى الارض وشبحها فيها كل عضو بحبل (قوله وألقى على صدرها رحى الخ) فى القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما (قوله واستقبل بها الشمس) أى جعلها مواجهة للشمس وهو معطوف على قوله أوتد يديها وليس متأخرا عن القاء الرحى لان القاء الرحى كان فى آخر الامر لما أيس من رجوعها عن الايمان فالواو لا تقتضى ترتيبا (قوله ابن لى عندك) أى قريبا من رحمتك فالعندية عندية مكانة لا مكان (قوله وتعذيبه) عطف تفسير لعمله (قوله عطف على امرأة فرعون) أى فهى من جملة المثل الثانى فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين (قوله حفظته) أى عن الرجال فلم يصل اليها أحد بنكاح ولا بزنا (قوله أى جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به ان الاسناد فى نفخنا من حيث انه الخالق والموجد والاسناد لجبريل من حيث المباشرة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الاسناد (قوله فعله) أى فعل جبريل وهو النفخ وقوله الواصل الى فرجها أى بواسطة كونه فى جيب القميص (قوله فحملت بعيسى) أى عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع فى ساعة واحدة كما تقدم فى سورة مريم (قوله وكتبه المنزلة) أى فى زمانها كالتوراة والانجيل وصحف ابراهيم (قوله وكانت من القانتين) أى معدودة منهم وفيه اشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (أى من القوم المطيعين) أى وهم رهطها وعشيرتها لانها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام

﴿ سورة الملك ﴾

وتسمى أيضا الواقية والمنجية والمانعة لانها تقى صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة وتسمى أيضا المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ماهى الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك ومنها اذا وضع الميت فى قبره يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لانه كان يقرأ بى سورة الملك ثم قال هى المانعة من عذاب الله وهى فى التوراة سورة الملك من قرأها فى ليلة فقد أكثر وأطنب أى من الخير ومنها وددت أن تبارك الملك فى قلب كل مؤمن (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أى تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلا وأبدا (قوله السلطان) أى الاستيلاء والتمكن التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء والاوضح للمفسران يفسر اليد بالقدرة والملك بالملوكات والافابقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لاتخفى اذ يصير المعنى تبارك الذى بتصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شئ قدير) تذييل لما قبله قصد به افادة ان قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الاحوال بل عامة التعلق بها ايجاد الاعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال الى حال (قوله الذى خلق الموت الخ) شروع فى تفاصيل بعض آثار القدرة واعلم أنه اختلف فى الموت والحياة فحكى عن ابن عباس والكلبى ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فالموت فى هيئة كبش أملح لايمر بشئ ولا يجد ريحه الامات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهى التى كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ ولا يجد ريحها الاحيى ولا تطأ على شئ الاحيى وهى التى أخذ السامرى من أثرها ترابا فألقاه على العجل فحى فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والملكة (قوله فى الدنيا) أى وهو القاطع للحياة الدنيوية وقوله والحياة فى الآخرة أى وهى حياة البعث ولكن هذا القول لايناسب ترتب الابتلاء عليه فى قوله ليبلوكم لان الابتلاء انما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوهما فى الدنيا) أى فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود والمراد بالحياة الحياة الدنيوية (قوله وهى مابه الاحساس) تفسير للحياة على كل من القولين وقوله مابه الاحساس أى تكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أو عدمها) أى عدم الحياة أعم من أن يكون سابقا عليها أو متأخرا عنها (قوله قولان) أى فى تعريف الموت (قوله والخلق على الثانى) أى على القول الثانى فى تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة (قوله بمعنى التقدير) أى وهو يتعلق بالموجودات والمعدومات لانه تعلق الارادة والعلم الازليان وأما على الاول فيتعلق به الخلق حقيقة لانه أمر وجودى (قوله ليبلوكم) أى يعاملكم معاملة المبتلى والمختبر فاندفع ماقد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات (قوله أيكم أحسن عملا) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملا تمييز والجملة فى محل نصب مفعول ثان ليبلوكم وانما علق يبلو عن المفعول الثانى لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير فى قوله أحسن عملا وقيل أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقيل أحسن عملا أخلصه وأصوبه فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل غير ذلك (قوله الذى خلق سبع سموات) أى فالاولى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس أصفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة والحجب صحارى من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقا) اما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق فالوصف به على الاول ظاهر وعلى الثانى مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لاغير وهذا مذهب أهل السنة وقال أهل الهيئة ان الارض كرية والسماء الدنيا محيطة بها احاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا

﴿ سورة الملك مكية ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (تبارك) تنزه عن صفات المحدثين (الذى بيده) فى تصرفه (الملك) السلطان والقدرة (وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت) فى الدنيا (والحياة) فى الآخرة أوهما فى الدنيا فالنطفة تعرض لها الحياة وهى مابه الاحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثانى بمعنى التقدير (ليبلوكم) ليختبركم فى الحياة (أيكم أحسن عملا) أطوع لله (وهو العزيز) فى انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه (الذى خلق سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض من غير مماسة

فالعرش محيط بالكل والارض بالنسبة لسماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة وسماء الدنيا بالنسبة للثالثة كحلقة ملقاة في فلاة وهكذا واعتقاد ما قاله أهل الهيئة لا يضر وليس في الشرع ما يخالفه (قوله ماترى في خلق الرحمن) خطاب للنبي عليه السلام أو لكل من يصلح للخطاب واضافة خلق للرحمن من اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله لهن ولا لغيرهن (قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وعدم تناسب) أي اختلاف يخالف ما تعلقت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعلق قدرته وارادته بخلاف صنع العبد فقد يأتي على خلاف ما يريده (قوله فارجع البصر) أي ان أردت العيان بعد الاخبار فارجع فهو مرتب على قوله ماترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل في التاء واظهارها قراءتان سبعيتان هنا وفي الحاقة (قوله صدوع وشقوق) أي فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولا شقوق لعدم تعلق ارادته بذلك فليست كبنيان الخلائق يتصدع ويتشقق بطول الزمان مع كون صانعه لا يريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك الى أنه ليس المراد من قوله كرتين حقيقة التثنية بل التكثير بدليل قوله ينقلب اليك البصر الخ وانقلاب البصر خاسئا حسيرا لا يتأتى بنظرتين ولا ثلاث فهو كقولهم لبيك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزمه في جواب الامر وقرئ برفعه اما على أنه حال مقدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء والاصل فينقلب (قوله ذليلا) أي خاضعا صاغرا متباعدا (قوله منقطع) أي بلغ الغاية في الاعياء والتعب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع في ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى وعمام قدرته وارادته (قوله القربى الى الارض) أي التي هي أقرب الى الارض من باقي السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخالف ما تقدم من أن الكواكب ثابتة في العرش أو الكرسي لان السماء شفافة لا تحجب ما وراءها فتزيين السماء الدنيا بالكواكب لا يقتضي أنها ثابتة فيها وهذا في غير الكواكب السبعة التي أشار لها بعضهم بقوله

زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فانها مفرقة على السموات السبع في كل سماء كوكب منها فزحل في السابعة والمشترى في السادسة والمريخ في الخامسة والشمس في الرابعة والزهرة في الثالثة وعطارد في الثانية والقمر في سماء الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك الى أنه أطلق المصابيح وأراد النجوم فهو مجاز والحقيقة المصباح السراج (قوله رجوما) جمع رجم مصدر أطلق على المرجوم به ولذا قال المفسر مراجم أي أمورا يرجم بها (قوله اذا استرقوا السمع) أي أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال ان الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء وذلك يقتضي ثبوتها وبقاءها فيها وجعلها رجوما يقتضي زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كمثل القبس الذي يؤخذ من النار وهي على حالها (قوله أو يخبله) من الخبل بسكون الباء وهو الفساد في العقل أو في البدن (قوله لا أن الكوكب يزول عن مكانه) أي ففي الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهبها رجوما الخ (قوله وأعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أي للشياطين (قوله عذاب السعير) أي في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (قوله وللذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله اذا ألقوا فيها) معمول لسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهيقا لانه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا منكرا) أي فتشهق جهنم عند القاء الكفار فيها كشهقة البغل للشعير وهذا ما عليه ابن عباس وقيل الشهيق من الكفار عند القائهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أي سمعوا لاهلها (قوله وقرئ تتميز) أي شذوذا (قوله غضبا على الكفار) أي من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتي يوم القيامة تقاد الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة الغيظ

(ماترى في خلق الرحمن) لهن أو لغيرهن (من تفاوت) تباين وعدم تناسب (فارجع البصر) أعده الى السماء (هل ترى) فيها (من فطور) صدوع وشقوق (ثم ارجع البصر كرتين) كرة بعد كرة (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا لعدم ادراك خلل (وهو حسير) منقطع عن رؤية خلل (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى الى الارض (بمصابيح) بنجوم (وجعلناها رجوما) مراجم (للشياطين) اذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لا أن الكوكب يزول عن مكانه (وأعتدنا لهم عذاب السعير) النار الموقدة (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) هي (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وهي تفور) تغلي (تكاد تميز) وقرئ تتميز على الاصل تتقطع (من الغيظ) غضبا على الكفار (كلما ألقي فيها فوج) جماعة منهم

تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الازمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردها عنهم الا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة مالو أمران يقلع الارض وما عليها من الجبال و يصعد بها في الجو لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أي سال الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بلى الخ) انما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيدا وتحسرا وندما على تفريطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ومن المعلوم أن كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أي فتسبب عن مجيئه انا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله الا في ضلال كبير) أي بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أي قوله ان أنتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أي وعليه فقوله ان أنتم الا في ضلال كبير أي في الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أي من تمام كلام الكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كنا نسمع الخ) أي زيادة في توبيخ أنفسهم (قوله ما كنا في أصحاب السعير) أي في عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقا) اما مفعول به أي ألزمهم الله سحقا أو مصدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدر عن عامله والسحق البعد يقال سحق الشيء بالضم بوزن بعد فهو سحيق أي بعيد وأسحقه الله أبعده (قوله بسكون الحاء وضمها) أي فهما سبعيتان (قوله في غيبتهم عن أعين الناس) أشار بذلك الى أن قوله بالغيب حال من الواو في يخشون والباء بمعنى في والمعنى يخشى الله في حال غيبته عن الناس بحيث يطيع ربه ولم يطلع عليه أحد واذا كان ذلك في حال سره واختفائه عن الناس فعلانيته أولى لان العادة ان الانسان يستتر في المعصية عن أعين الناس وان لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أي لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أي لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أي من الخواطر التي لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أي وذلك انهم كانوا يتكلمون في شأن النبي بما لا يليق فاخبره جبريل بذلك فاخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعكم) مجزوم في جواب الامر (قوله من خلق) من فاعل يعلم وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق والمعنى اذا كان خالقا للسر الذي هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالما به فكيف يدعون أنه لا علم له به (قوله أي أينتفي علمه الخ) أشار بذلك الى أن همزة الاستفهام داخلة على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة حالية وقوله لا أشار به الى أن الاستفهام انكاري فهو نفي للنفي فالمقصود اثبات احاطة علمه بجميع الاشياء ظاهرها وخافيها (قوله هو الذي جعل لكم الارض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده و باهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولا) أي مذللة منقادة لما تريدون منها من مشي عليها و زرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشي فيها) أي بأن ثبتها بالجبال وجعلها من طين اذ لو جعلها من حديد او ذهب أو رصاص لكانت تسخن جدا في الصيف وتبرد جدا في الشتاء فلا يستطاع المشي عليها (قوله فامشوا) أمر اباحة (قوله جوانبها) هذا أحد تفاسير للمناكب وقيل المناكب الجبال وقيل الاطراف وقيل الفجاج ﴿ فائدة ﴾ حكى قتادة عن أبي الجلد أن الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف اه والظاهر ان المراد بها الارض المعمورة بني آدم غير يأجوج ومأجوج لما تقدم لنا ان معمورة الارض خمسمائة عام (قوله المخلوق لاجلكم) أي لانتفاعكم به فكمة خلق الارزاق انتفاعهم بها (قوله واليه النشور) أي الاخراج من القبور (قوله للجزاء) أي على أعمالكم (قوله وادخال ألف بينها) أي بين الهمزة الثانية بقسميها وهما التحقيق والتسهيل في كلامه التنبيه على خمس قرا آت سبعيات ثنتان في التحقيق ومثلها في التسهيل والخامسة الابدال (قوله من في السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب و رد على ظاهر الآية وحاصله ان الآية توهم أن الله تعالى في مكان

(سألهم خزنتها) سؤال توبيخ (ألم يأتكم نذير) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان) ما (أنتم الا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وقالوا لو كنا نسمع) أي سماع تفهم (أو نعقل) أي عقل تفكر (ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بذنبهم) وهو تكذيب النذر (فسحقا) بسكون الحاء وضمها (لاصحاب السعير) فبعدا لهم عن رحمة الله (ان الذين يخشون ربهم) يخافونه (بالغيب) في غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لهم مغفرة وأجر كبير) أي الجنة (وأسروا) أيها الناس (قولكم أو اجهروا به انه) تعالى (عليم بذات الصدور) بما فيها فكيف بما نطقتم به وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم اله محمد (ألا يعلم من خلق) ما تسرون أي أينتفي علمه بذلك (وهو اللطيف) في علمه (الخبير) فيه لا (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) سهلة للمشي فيها (فامشوا في مناكبها) جوانبها (وكلوا من رزقه) المخلوق لاجلكم (واليه النشور) من القبور للجزاء

(أأمنتم) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينها و بين الاخرى وتركه وابدالها ألفا (من في السماء) سلطانه وقدرته

(أن يخسف) بدل من من (بكم الارض ١٨٠ فاذا هى تمور) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل) بدل من من (عليكم

حاصبا) ريحا ترميكم بالحصباء (فستعلمون) عند معاينة العذاب (كيف نذير) نذارى بالعذاب أى انه حق (ولقد كذب الذين من قبلهم) من الامم (فكيف كان نكير) انكارى عليهم بالتكذيب عند اهلاكهم أى انه حق (أولم يروا) ينظروا (الى الطير فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات أجنحتهن (ويقبضن) أجنحتهن بعد البسط أى وقابضات (ما يمسكهن) عن الوقوع فى حال البسط والقبض (الا الرحمن) بقدرته (انه بكل شئ بصير) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير فى الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب (أمن) مبتدأ (هذا) خبره (الذى) بدل من هذا (هو جند) أعوان (لكم) صلة الذى (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أى غيره يدفع عنكم عذابه أى لا ناصر لكم (ان) ما (الكافرون الا فى غرور) غرهم الشيطان بان العذاب لا ينزل بهم (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك الرحمن (رزقه) أى المطر عنكم وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أى فمن يرزقكم أى لا رازق لكم غيره (بل لجوا) تمادوا

(فى عتو) تكبر (ونفور) تباعد عن الحق (أفمن يمشى مكبا) واقعا (على وجهه أهدى أمن يمشى سويا) معتدلا (على صراط طريق) (مستقيم) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الاولى اى أهدى والمثل فى المؤمن والكافر أى أيهما على هدى (قل هو الذى أنشأكم خلقكم

وهو السماء فأجاب رضى الله عنه بأن الكلام على حذف المضاف للضمير المستكن فى الظرف والاصل من ثبت واستقر فى السماء هو أى سلطانه وقدرته أى محل سلطانه وهو العالم العلوى وخصه بالذكر وان كان سلطانه فى العالم السفلى أيضا لانه أعجب وأغرب فالتخويف به أشد (قوله أن يخسف الخ) أى بعد ان جعلها ذلولا تمشون فيها وتأكلون من رزقه (قوله بدل من من) أى بدل اشتمال (قوله تتحرك بكم) أى فيقال مارتحرك وجاء وذهب (قوله أم أمنتم) اضراب وانتقال من تهديد الى آخر (قوله من فى السماء) أى سلطانه وقدرته (قوله بدل من من) أى بدل اشتمال أيضا (قوله ريحا ترميكم الخ) هذا أحد تفاسير للحاصب وقيل هو الحجارة من السماء وقيل سحاب فيها حجارة (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة أو عند خروج أرواحهم (قوله أى انه حق) أى الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لانبيائهم (قوله عند اهلاكهم) أى موتهم أو تعذيبهم فى الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والمعنى اغفلوا ولم يروا (قوله الى الطير) يجمع على طيور وأطيار ومفرد الطير طائر فطيور وأطيار جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله محذوف قدره بقوله أجنحتهن وكذا قوله ويقبضن (قوله أى وقابضات) أشار بذلك الى أن الفعل مؤول باسم الفاعل معطوف على صافات والحكمة فى تعبيره ثانيا بالفعل ولم يقل وقابضات ان الاصل فى الطيران صف الاجنحة والقبض طارئ عليه فعبر عن الاصل باسم الفاعل وعن الطارئ بالفعل الذى شأنه الحدوث (قوله ما يمسكهن الا الرحمن) عبر بالرحمن اشارة الى أنه من جلائل النعم وهذه الجملة مستأنفة (قوله انه بكل شئ بصير) أى فيعلم الاشياء الدقيقة الغريبة فيدبرها على مقتضى ما يريد (قوله أمن هذا الذى الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها ان الكفار كانوا يمتنعون من الايمان ويعاندون رسول الله معتمدين على شيئين قوتهم بالاموال والعدد واعتقادهم ان أصنامهم توصل اليهم الخيرات وتدفع عنهم المضرات فأبطل الله الاول بقوله أمن هذا الذى هو جند لكم الخ وأبطل الثانى بقوله أمن هذا الذى يرزقكم الخ وأم هنا منقطعة تفسر ببل وحدها لدخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة لئلا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أعوان) أشار بذلك الى ان جند لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله ينصركم (قوله ان الكافرون الا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله والالتفات عن الخطاب للغيبة ايذان بالاعراض عنهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذى يرزقكم) تكتب أم موصولة بمن فتكون ميما واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله ان أمسك رزقه) أى أسباب رزقه التى ينشأ عنها (قوله أى المطر) أى والنبات وغير ذلك كباقى الاسباب (قوله بل لجوا الخ) اضراب انتقالى مبنى على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل انهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يذعنوا بل لجوا الخ (قوله أفمن يمشى مكبا الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأنهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكب فكب من غيره متعد يقال كبه الله وأما أكب فهو لازم يقال أكب أى سقط وهذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن الهمزة اذا دخلت على اللازم تصيره متعديا وهنا دخلت على المتعدى فصيرته لازما (قوله واقعا على وجهه) أى لكونه أعمى ماشيا على غير طريق فهو معرض للهلاك (قوله أهدى) أى متصف بالهدى فافعل التفضيل ليس على بابه كما يشير له المفسر بقوله أى أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانية الخ) لا حاجة له بل من الثانية معطوفة على الاولى عطف مفردات والخبر قوله أهدى وأفرد لان العطف بأم وهى لاحد الشيئين (قوله والمثل فى المؤمن والكافر) أى فلا يستوى الاعمى الماشى على غير طريق والبصير الماشى فى الطريق المعتدلة لان الاول معرض للهلاك والتلف بخلاف الثانى فتسوية الكفار لهما سخافة عقل وعدم تدبر والمذكور فى الآية هو المشبه به والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله هو الذى أنشأكم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) القلوب (قليلا ما تشكرون) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب (ويقولون) للمؤمنين (متى هذا الوعد) وعد الحشر (ان كنتم صادقين) فيه (قل انما العلم) بمجيئه (عند الله وانما انا نذير مبين) بين الانذار (فلما رأوه) أى العذاب بعد الحشر (زلفة) قريبا (سيئت) اسودت (وجوه الذين كفروا وقيل) أى قال الخزنة لهم (هذا) أى العذاب (الذى كنتم به) بانذاره (تدعون) أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتى عبر عنها بطريق المضى لتحقق وقوعها (قل أرأيتم أن أهلكنى الله ومن معى) من المؤمنين بعذابه كما تقصدون (أو رحمنا) فلم يعذبنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) أى لا مجير لهم منه (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (من هو فى ضلال مبين) بين أنحن أم أنتم أم هم (قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا) غائرا فى الارض (فمن يأتيكم بماء معين) جارتناله الايدى والدلاء كمائكم أى لا يأتى به الا الله تعالى فكيف تنكرون ان يبعثكم ويستحب أن يقول القارئ عقب معين الله رب العالمين كما ورد فى الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته

﴿سورة ن﴾

بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا اليه فى أمورهم ولا يعولوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أى لتسمعوا آيات الله وتتعظوا بها (قوله والابصار) أى لتنظروا بها الى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير (قوله والافئدة) أى لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة (قوله قليلا ما تشكرون) قليلا صفة مصدر محذوف أى شكرا قليلا والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فصرف النعم فى غير مصارفها كفر لها (قوله ما مزيدة) أى لتأكيد القلة وهى على بابها بالنسبة للمؤمن أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذى ذرأكم) أى أنشأكم وبثكم ونشركم (قوله واليه تحشرون) أى تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أى استهزاء وتكذيبا (قوله ان كنتم صادقين) قصدوا بهذا الخطاب النبى والمؤمنين لانهم مشاركون له فى الوعد وتلاوة الآيات وجواب الشرط محذوف أى فبينوا وقته (قوله بمجيئه) أى بوقت اتيانه (قوله بين الانذار) أى بسبب اقامة الادلة الواضحة والبراهين القاطعة (قوله فلما رأوه زلفة) مرتب على محذوف تقديره وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ (قوله أى العذاب بعد الحشر) أى وهو العذاب فى الآخرة وهذا قول جمهور المفسرين فى مرجع الضمير فى رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو علم السيء (قوله زلفة) اسم مصدر لازلف ومصدره الازلاف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سيئت) مبنى للمفعول والاصل ساء العذاب وجوههم وأظهر فى مقام الاضمار تقبيحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أى قال الخزنة لهم) أى توبيخا وتقريعا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله انكم لا تبعثون والباء فى به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودت وجوههم وقال لهم الخزنة هذا العذاب الذى كنتم بسبب انذاركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهذه حكاية حال الخ) اسم الاشارة عائد على قوله فلما رأوه (قوله قل أرأيتم ان أهلكنى الله الخ) أرأيتم بمعنى أخبرونى تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسدهما والمعنى قل لهم يا محمد وكانوا يتمنون موته صلى الله عليه وسلم ان أماتنى الله ومن معى من المؤمنين بعذابه أو رحمنا فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لانه لا مجير لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه احدى التاءين أى تتقصدون وتنتظرون قال تعالى حكاية عنهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (قوله أى لا مجير لهم منه) أشار بذلك الى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر (قوله قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى عبادته وطاعته (قوله آمنا به وعليه توكلنا) الحكمة فى تأخير مفعول آمنا وتقديم مفعول توكلنا ان الاول وقع فى معرض الرد على الكافرين فكأنه قال آمنا ولم نكفر كما كفرتم والثانى قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا نتوكل على ما توكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل نقصر توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة (قوله أنحن) أشار به الى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة الظرف خبر المبتدا والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم المعلقة عن العمل بالاستفهام (قوله أم أنتم) راجع لقراءة الخطاب وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله ان أصبح ماؤكم) أى الكائن فى أيديكم وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون (قوله غائرا) أشار بذلك الى ان المصدر مؤول باسم الفاعل (قوله معين) أصله معيون بوزن مفعول كمبيع نقلت ضمة الياء الى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أى لا يأتيكم به الا الله) أى فلم تشركون به من لا يقدر على أن يأتيكم به (قوله أن يقول القارئ) أى ولو فى الصلاة (قوله وعمى) عطف تفسير (قوله من الجراءة على الله) يقال اجترأ على القول بالهمز أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأة بوزن غرفة وجراءة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه أن العبد يؤاخذ بالكفر ولو على سبيل المزح

﴿سورة ن﴾

وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أي في قول الجمهور والقول الآخر ان بعضها مكي وبعضها مدني (قوله ن) يقرأ بفك الادغام من واو القسم وبادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو بسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذا بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لان منهم من قال انه اسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التي افتتح بها كثير من السور فهو من المتشابه وقيل انه الحوت الذي على ظهره الارض وعليه فحرف القسم مقدر تقديره ونون والقلم قال أصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك خارجة من أقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت (قوله الذي كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والارض قال تعالى وربك الاكرم الذي علم بالقلم لان القلم نعمة كاللسان عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما كان وما يكون الى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة وهو من نور طوله كما بين السماء والارض (قوله أي الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الانسان فاقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء نفي الجنون عنه وثبوت الاجر له وكونه على خلق عظيم فالمقسم به شيآن أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء في بنعمة ربك سببية وفي بمجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون) أي كما حكاه الله عنهم في قوله وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (قوله وان لك لاجرا غير ممنون) أي بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات فقامه بعد وفاته أعظم منه في حال حياته ومقامه في الآخرة أعلى من مقامه في الدنيا (قوله وانك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى انك على الخلق الذي أمرك الله به في القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيري رضي الله عنه

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فستبصر ويبصرون) أي فستعلم ويعلمون في الدنيا بظهور عاقبة أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل (قوله بأيكم المفتون) بأيكم خبر مقدم والمفتون مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب تنازعها كل من تبصر ويبصرون أعمل الثاني وأضمر في الاول وحذف لانه فضلة وليس قوله بأيكم متعلقا بيبصرون لانه معلق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمفعول) أي جاء على صيغة مفعول كالمعقول والميسور (قوله ان ربك الخ) تعليل لما قبله وتأكيد

مكية ثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ن) أحد حروف الهجاء الله أعلم بمراده به (والقلم) الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ (وما يسطرون) أي الملائكة من الخير والصلاح (ما أنت) يا محمد (بنعمة ربك بمجنون) أي انتفى الجنون عنك بسبب انعام ربك عليك بالنبوة وغيرها وهذا رد لقولهم انه مجنون (وان لك لاجرا غير ممنون) مقطوع (وانك لعلى خلق) دين (عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) مصدر كالمفعول أي الفتون بمعنى الجنون أي أبك أم بهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين)

للوعد والوعيد (قوله له) أي للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك الى أن اسم التفضيل ليس على بابه والا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فلا تطع المكذبين) مرتب على ما تقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما تقدم من أول السورة (قوله تلين لهم) أي بتركك نهيهم عن الشرك أو بأن توافقهم فيه أحيانا وقوله يلينون لك أي يتركون ما هم عليه من الطعن ويوافقونك والمعنى تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك (قوله وهو معطوف الخ) أي فهو من جملة المتمنى وحينئذ فيكون المتمنى شيئين ثانيهما مسبب عن الاول (قوله قدر قبله بعد الفاء هم) أي فيكون الجواب جملة اسمية لا محل لها من الاعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التمني والفاء سببية فمقتضاه حذف النون للناصب فأجاب بأن الفاء داخلة على مبتدأ مقدر وجملة يدهنون خبره والجملة جواب التمني (قوله ولا تطع كل حلاف الخ) هذه الاوصاف من هنا الى قوله سنسمه على الخرطوم نزلت في الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين واقتصر عليه المفسر وقيل في الاسود بن عبد يغوث وقيل في الاخنس بن شريق وقيل في أبي جهل بن هشام (قوله كثير الحلف بالباطل) تفسير مراد أخذه من قوله المكذبين ومن سياق الذم والا فالحلاف كثير الحلف بحق أو باطل (قوله حقير) أي في رأيه وتدبيره عند الله تعالى فلا ينافي انه كان معظما في قومه (قوله عياب) أي كثير العيب للناس بمعنى انه يعيبهم في حضورهم وغيبتهم وقوله أي مغتاب المناسب كما في بعض النسخ أن يقول أو مغتاب فيكون تفسيرا ثانيا من الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم (قوله بنميم) متعلق بمشاء والنميم مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة (قوله مناع للخير) أي من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أي الواجبة والمندوبة (قوله ظالم) أي يتعدى الحق (قوله أثيم) أي فاجر يتعاطى الاثم (قوله غليظ) أي في الطبع أو الجسم وقوله جاف أي قاسي القلب وقيل العتل الذي يعتل الناس أي يحملهم ويجرهم الى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أي ما ذكر من الاوصاف السابقة وهي ثمانية وبعد هنا كثم التي هي للتراخي في الرتبة والمعنى أن هذا الوصف وهو زنيم متأخر في الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أي هو أشنع منها وأقبح (قوله زنيم) الزنمة في الاصل شئ يكون للمعز في أذنها كالقرط فأطلق على المستلحق في قوم ليس منهم فكأنه فيهم زنمة (قوله ادعاه أبوه) أي وهو المغيرة والمعنى تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب (قوله بعد ثماني عشرة سنة) أي من ولادته ولما نزلت الآية قال لامه ان محمدا وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك فقالت له ان أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعي من نفسي فأنت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية وانما ذم بذلك لان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الولد لما روي في الحديث لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وورد أن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وورد لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتي في المدثر الكلام على ماله وبنيه (قوله وهو متعلق بما دل عليه الخ) أي وقد بينه بقوله أي كذب بها ولا يصح أن يكون معمولا لفعل الشرط لان اذا تضاف للجملة بعدها والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولا لجواب الشرط لان ما بعد أداة الشرط لا يعمل فيما قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أي من المال والبنين (قوله وفي قراءة) أي سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين الاولى همزة الاستفهام التوبيخي والثانية همزة أن المصدرية واللام مقدرة والمعنى أكذب بها لأن كان ذا مال وبنين أي لا ينبغي ولا يليق ذلك منه لان المال والبنين من النعم فكان ينبغي مقابلتهما بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع ادخال الف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم) عبر به استهزاء بهذا اللعين لان الخرطوم أنف السباع وغالب

له وأعلم بمعنى عالم (فلا تطع المكذبين ودوا) تمنوا (لو) مصدرية (تدهن) تلين لهم (فيدهنون) يلينون لك وهو معطوف على تدهن وان جعل جواب التمني المفهوم من ودوا قدر قبله بعد الفاء هم (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف بالباطل (مهين) حقير (هماز) عياب أي مغتاب (مشاء بنميم) ساع بالكلام بين الناس على وجه الافساد بينهم (مناع للخير) بخيل بالمال عن الحقوق (معتد) ظالم (أثيم) آثم (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دعي في قريش وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة قال ابن عباس لا نعلم أن الله وصف أحدا وصفه به من العيوب فألحق به عارا لا يفارقه أبدا وتعلق بزنيم الظرف قبله (أن كان ذا مال وبنين) أي لان وهو متعلق بما دل عليه (اذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال) هي (أساطير الاولين) أي كذب بها لانعامنا عليه بما ذكر وفي قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين (سنسمه على الخرطوم) سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش

فحطم أنفه بالسيف يوم بدر (انا بلوناهم) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كما بلونا أصحاب الجنة) البستان (اذ أقسموا

ليصرمنها) يقطعون ثمرتها (مصبحين) وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (ولا يستثنون) في يمينهم بمشيئة الله تعالى والجملة مستأنفة أي وشأنهم ذلك (فطاف عليها طائف من ربك) نار أحرقتها ليلا (وهم نائمون فأصبحت كالصريم) كالليل الشديد الظلمة أي سوداء (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم) غلتكم تفسير لتنادوا أو أن مصدرية أي بأن (ان كنتم صارمين) مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله (فانطلقوا وهم يتخافتون) يتشاورون (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) تفسير لما قبله أو أن مصدرية أي بأن (وغدوا على حرد) منع للفقراء (قادرين) عليه في ظنهم (فلما رأوها) سوداء محترقة (قالوا انا لضالون) عنها أي ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بل نحن محرومون) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قال أوسطهم) خيرهم (ألم أقل لكم لولا) هلا (تسبحون) الله تائبين (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) بمنع الفقراء حقهم (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

قالوا يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا (انا كنا طاغين عسى ربنا أن يبدلنا) بالتشديد والتخفيف (خيرا منها انا الى ربنا راغبون) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا روي أنهم أبدلوا خيرا منها (كذلك) أي مثل العذاب لهؤلاء (العذاب) لمن خالف

ما يستعمل في أنف الفيل والخنزير (قوله فحطم أنفه) أي جرح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره (قوله انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هي بستان باليمن يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين وكان صاحبه ينادي الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأه المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شيء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن ذو عيال فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لا تأتي الفقراء الا بعد فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى بن مريم بزمن يسير (قوله بالقحط) أي وهو احتباس المطر الذي دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذي (قوله اذ أقسموا) اذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم والا فالاوسط نهاهم عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أي فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين) حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أي داخلين في الصباح (قوله فلا يعطونهم) معطوف على النفي ولذا رفع لا على المنفي لفساد المعنى (قوله ما كان أبوهم) أي القدر الذي كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيئة الله تعالى) أي لا يقولون في يمينهم ان شاء الله وقيل لا يستثنون شيأ للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أي وجوز بعضهم الحالية وهي أظهر في المعنى وانما عدل المفسر عنه لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في أنه لا يقع حالا مقرونا بالواو الا باضمار مبتدا وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة حالية (قوله كالليل) سمي الليل صريما لانصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريما أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أي بكروا وقت الغدو وعداه بعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أي فأن بمعنى أي (قوله دل عليه ما قبله) أي وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال (قوله أن لا يدخلنها الخ) أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكينا فأوقع النهي على دخول المساكين لانه أبلغ لان دخولهم أعم من أن يكون بادخالهم أو بدونه (قوله وغدوا) أي ساروا اليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا وان كان بمعنى أصبح الناقصة وان كانت تامة يكون منصوبا على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ما قاله المفسر ومنها أن معناه الغضب ومنها السنة التي قل مطرها (قوله في ظنهم) أي وأما في الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلا (قوله قالوا انا لضالون) أي قالوا ذلك في بادي الرأي (قوله لما علموها) أي بعد التأمل والتفتيش (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله خيرهم) أي رأيا وعقلا ونفسا أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الخ ومقوله محذوف أي ألم أقل لكم ان ما فعلتموه لا يرضى به الله (قوله هلا تسبحون الله) أي تستغفرونه وتتوبون اليه من خبث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أي فامتثلوا وتابوا (قوله يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا على ما صدر منهم سابقا (قوله هلاكنا) أي ان لم يعف عنا ربنا فقد حضر هلاكنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم الى الرجاء في رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله روي أنهم أبدلوا الخ) أي فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاي والغين المعجمتين بلدة بالشام بها عين غور مائها علامة خروج الدجال ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها قال ابن مسعود ان القوم أخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا وقال اليماني أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت منها كل عنقود كالرجل القائم الاسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أي مثل العذاب لهؤلاء) أي الذي بلونا به أصحاب الجنة من اهلاك ما كان عندهم يحصل لاهل مكة قال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلون محمدا

واصحابه

وأصحابه ويرجعون الى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رؤسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام خابوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله ونزل لما قالوا الخ) ظاهره أن قولهم سبب لنزول ان للمتقين الخ وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك القول أنزل رداً عليهم أفنجعل المسلمين الخ قال مقاتل لما نزل ان للمتقين الخ قال كفار مكة للمسلمين ان الله فضلنا عليكم في الآخرة فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أفنجعل المسلمين الخ (قوله جنات النعيم) أضيفت الى النعيم لانه ليس فيها الا النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين وفي العبارة قلب والاصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لانهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فحينئذ يكون الانكار متوجها لجعلهم المذكور وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهي لقوله أم لهم شركاء أولها أفنجعل المسلمين ثانيها ما لكم ثالثها كيف تحكمون رابعها أم لكم كتاب الخ خامسها أم لكم أيمان الخ سادسها سلهم أيهم الخ سابعها أم لهم شركاء الخ (قوله أي تابعين لهم في العطاء) المناسب أن يقول أي مساوين لهم في العطاء بقي أن الآية انما دلت على نفي المساواة مع ان المشركين ادعوا الافضلية فلم تحصل الموافقة أجيب بأنها دلت على نفي الافضلية بالاولى لانه اذا انتفت المساواة فالافضلية أولى (قوله ما لكم) مبتدأ وخبر والمعنى أي شيء ثبت واستقر لكم من هذه الاحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم واستفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة قيل للاضراب الانتقالي والهمزة للاستفهام التوبيخي التقريعي وكذا يقال فيما يأتي (قوله ان لكم فيه لما تخيرون) لكم خبر ان مقدم وما اسمها مؤخر واللام للتوكيد وهذه الجملة هي المدروسة في الكتاب فهي في المعنى مفعول تدرسون وكسرت همزة ان لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك

وكسروا من بعد فعل علقا * باللام كاعلم انه لذو تقى

(قوله تختارون) أي تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أي مؤكدة بالايمان لان العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالغة) بالرفع في قراءة العامة نعت لايمان وقرئ شذوذا بالنصب على الحال اما من أيمان أو من الضمير في علينا (قوله متعلق معنى بعلينا) أي متصل به وليس المراد التعلق الصناعي فانه مختص بالفعل أو ما فيه رائحة الفعل أو بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم (قوله وفي هذا الكلام) أي قوله أم لكم أيمان الخ (قوله أي أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أي أقسمنا لكم ايمانا موثقة (قوله سلهم أيهم بذلك الخ) سلهم ينصب مفعولين الاول الضمير المتصل والثاني جملة أيهم وأي مبتدأ وزعيم خبره وبذلك متعلق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر وهذه الجملة معطوفة معنى على جملة أيهم زعيم واختلف في الشركاء فقيل المراد بهم ناس يشاركونهم في القول المذكور وقيل المراد بها الاصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أي بصحته ونفوذه (قوله ان كانوا صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله اذكر) أشار بذلك الى أن يوم معمول لمحذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الظرف متعلق بيأتوا والمعنى فليأتوا بشركائهم في ذلك اليوم تنفعهم وتشفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أي هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشف الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

أمرنا من كفار مكة وغيرهم (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) عذابها ما خالفوا أمرنا * ونزل لما قالوا ان بعثنا نعطى أفضل منكم (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين) أي تابعين لهم في العطاء (ما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم الفاسد (أم) أي بل أ(لكم كتاب) منزل (فيه تدرسون) أي تقرؤن (ان لكم فيه لما تخيرون) تختارون (أم لكم أيمان) عهود (علينا بالغة) واثقة (الى يوم القيامة) متعلق معنى بعلينا وفي هذا الكلام معنى القسم أي أقسمنا لكم وجوابه (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم (سلهم أيهم بذلك) الحكم الذي يحكمون به لانفسهم من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) كفيل لهم (أم لهم) أي عندهم (شركاء) موافقون لهم في هذا المقول يكفلون لهم به فان كان كذلك (فليأتوا بشركائهم) الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) اذكر (يوم يكشف عن ساق) هو عبارة عن شدة الامر يوم القيامة للحساب والجزاء يقال كشفت الحرب عن ساق اذا اشتد الامر فيها

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الآخر

الا رب ساهي الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف فقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى ففي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى لا يبقى الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى لا يبقى الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيأ مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد من شدة الله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار الى نصف ساقه والى ركبته ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقال لهم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون الى الحجر أو الى الشجر ما يكون الى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها الى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله

الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا ﴿تنبيه﴾ قوله في الحديث أتاهم الله في أدنى صورة رأوه فيها الخ هو من المتشابه يجري فيه مذهب السلف والخلف فالسلف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شيء والخلف يؤولون الاتيان اما بالرؤية لان العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو باتيان ملك فيقول أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة فمعنى في أدنى صورة الخ في غير الصفة التي يعرفونه في الدنيا بها وقولهم فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا اليهم أي فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم فهو اخبار منهم بمزيد صبرهم على المشاق لاجل الله وقولهم نعوذ بالله منك انما استعاذوا منه لكونهم رأوا سمات المخلوق وقوله فيكشف عن ساق معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التي يعرفونه بها فيخرون سجدا وهذه الرؤية غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة أوليائه وانما هذه الرؤية امتحان لعباده وقوله وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة معناه أنه تجلى عنهم بالصفة التي رأوه فيها أول مرة وقوله ثم يضرب الجسر معناه الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وضمها معناه تقع ويؤذن فيها وقوله دحض مزلقة أي طريق تزلق فيه الاقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء والكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي يعلق بها اللحم والحسك الذي يقال له السعد ان نبت له شوك عظيم من كل جانب ومعنى الخبر اليقين ومعنى قبض قبضة أي جمع جماعة وقوله قد عادوا حمما أي صاروا فحما وقوله في أفواه الجنة جمع فوهة وهي أول النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أي في الصفاء وقوله في رقابهم الخواتيم قيل معناه أنهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله ويدعون) أي الكفار (قوله امتحانا لايمانهم) أي لا تكليفا بالسجود لانها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أي عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الخشوع والذل اليها لان ما في القلب يعرف في العين في ذلك المقام يسجد المؤمنون شكر الله تعالى على ما أعطوه من النعيم فيرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال أخرى (وقد كانوا يدعون) أي دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بأن لا يصلوا) أشار بذلك الى أن المراد بالسجود الثاني هو الصلاة واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الاول حقيقته (قوله فذرني) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخويف للكافرين والمعنى اترك أمر المكذبين الى أكفك ذلك (قوله ومن يكذب) في محل نصب اما معطوف على الياء في ذرني أو مفعول معه والاول أرجح قال ابن مالك

والعطف ان يمكن بلا ضعف أحق * والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد اجمالا من قوله ذرني الخ (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أي فالاستدراج الاخذ بالتدريج شيأ فشيأ والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم (قوله وأملي لهم) عطف على سنستدرجهم عطف تفسير (قوله ان كيدي متين) الكيد في الاصل الاحتيال وهو أن تفعل ما فيه نفع ظاهرا وتريد به الضر وانما سمى انعامه عليهم استدراجا بالكيد لانه في صورته فما وقع لهم من سعة الارزاق وطول الاعمار وعافية الابدان احسان ونفع ظاهري فقط والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك ووصف الكيد بالمتانة اشارة الى أنه لا يتأتى افلات المستدرجين مما أراده بهم بخلاف كيد المخلوق فتارة يقع وتارة لا يتمكن منه (قوله أم تسألهم أجرا) عود في المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ والمعنى أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله تعالى (قوله

(ويدعون الى السجود) امتحانا لايمانهم (فلا يستطيعون) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) حال من ضمير يدعون أي ذليلة (أبصارهم) لا يرفعونها (ترهقهم) تغشاهم (ذلة وقد كانوا يدعون) في الدنيا (الى السجود وهم سالمون) فلا يأتون به بأن لا يصلوا (فذرني) دعني (ومن يكذب بهذا الحديث) القرآن (سنستدرجهم) نأخذهم قليلا قليلا (من حيث لا يعلمون وأملي لهم) أمهلهم (ان كيدي متين) شديد لا يطاق (أم) بل أ(تسألهم) على تبليغ الرسالة (أجرا فهم من مغرم) مما يعطونكه

مثقلون) أي مكلفون حملا ثقيلا (قوله فلا يؤمنون لذلك) أي لسؤال الاجر المترتب عليه الغرم وهو ثقيل على النفس لان شأن النفس ان تستثقل ما يطلب منها (قوله أي اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ما غاب عنهم (قوله ما يقولون) أي ما يحكمون به ويستغنون به عن علمك (قوله فاصبر لحكم ربك الخ) نزلت هذه الآية بأحد حين فر أصحاب رسول الله باغراء المنافقين فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة فخرج يدعو ثقيفا فاغروا به سفهاءهم وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف فأراد أن يدعو عليهم فعلى الاول تكون مدنية وعلى الثاني تكون مكية (قوله اذ نادى) منصوب بمضاف محذوف والتقدير ولا يكن حالك كحاله في وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال من ضمير نادى (قوله مملوء غما) أي من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير اذن فظن أن الله آخذه بذلك وقيل معنى مكظوم محبوس ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أي يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلف في المراد بها فقيل الرحمة وهو الذي اختاره المفسر وقيل هي العصمة وقيل نداؤه بقوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين (قوله بالارض الفضاء) أي الخالية من النبات والاشجار والجبال (قوله وهو مذموم) أي مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب فاعل نبذ وهو محط النفي المستفاد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك الى ان لولا حرف امتناع لوجود والممتنع الذم والمعنى امتنع ذمه لسبق العصمة له فاجتباه ربه وجعله من الصالحين فيونس لم يحصل منه معصية أبدا لا صغيرة ولا كبيرة وانما أخر وعده من بينهم باجتهاد منه وعتابه من الله من باب حسنات الابرار سيآت المقربين وتقدم ذلك مفصلا (قوله فاجتباه ربه) عطف على مقدر والمعنى فادركته نعمة من ربه فاجتباه (قوله بالنبوة) هذا مبني على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وانما نبئ بعدها وهو أحد قولين والآخر انه كان نبيا ومعنى اجتباه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التي كان فيها (قوله فجعله من الصالحين) أي الكاملين في الصلاح قال ابن عباس رد عليه الله الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بأن أرسله الى مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وان يكاد) ان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أزلق والفتح من زلق (قوله بأبصارهم) الباء اما للتعدية أو السببية (قوله أي ينظرون اليك نظرا شديدا) أي فليس المراد أنهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما المراد أنهم ينظرون اليه نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش الجبر بة اصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت وذكر العلماء أن العين كانت في بني أسد من العرب وكان اذا أراد أحد منهم أن يصيب أحدا في نفسه أو ماله جوع نفسه ثلاثة أيام ثم يتعرض للعيون أو ماله فيقول ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن فيهلك المعيون هو وماله وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للمعيون فلا تضره العين (قوله لما سمعوا الذكر) ظرف ليزلقونك (قوله حسدا) أي وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو الا ذكر للعالمين) الجملة حالية من فاعل يقولون مفيدة لبطلان قولهم وتعجيب السامعين حيث جعلوا واعظة العالمين وتذكرهم سببا لجنون من أتى به وهذا دليل على خساسة عقلهم وسوء رأيهم لان هذا القرآن لا يدركه الا من كان كامل العقل فكيف بمن نزل على قلبه

﴿ سورة الحاقة مكية ﴾

أي بالاجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله التي يحق) من باب ضرب ورأى يثبت ويتحقق فاسناد التحقق للزمان مجاز عقلي على حد نهار قائم فالمراد بها الزمان الذي يتحقق فيه ما أنكر في الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معاينا (قوله أو المظهرة لذلك) أي لما أنكر في الدنيا وأشار بهذا المعنى الى أن الحاقة اسم فاعل أي المحققة والمظهرة وهو اسناد مجازي

أيضا

(مثقلون) فلا يؤمنون لذلك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب (فهم يكتبون) منه ما يقولون (فاصبر لحكم ربك) فيهم بما يشاء (ولا تكن كصاحب الحوت) في الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (اذ نادى) دعا ربه (وهو مكظوم) مملوء غما في بطن الحوت (لولا أن تداركه) أدركه (نعمة) رحمة (من ربه لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالارض الفضاء (وهو مذموم) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) بالنبوة (فجعله من الصالحين) الانبياء (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك) بضم الياء وفتحها (بأبصارهم) أي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا (انه لمجنون) بسبب القرآن الذي جاء به (وما هو) أي القرآن (الا ذكر) موعظة (للعالمين) الجن والانس لا يحدث بسببه جنون

﴿ سورة الحاقة مكية احدى أو اثنتان وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الحاقة) القيامة التي يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك (ما الحاقة)

تعظيم لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر الحاقة (وما أدراك) أعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم لشأنها فالاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لادري (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) القيامة لانها تقرع القلوب بأهوالها (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) بالصيحة المجاوزة للحد في الشدة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) شديدة الصوت (عاتية) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم (سخرها) أرسلها بالقهر (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) أولها من صبح يوم الاربعاء لثمان بقين من شوال وكانت في عجز الشتاء (حسوما) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم في اعادة الكي على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم (فترى القوم فيها صرعى) مطروحين هالكين (كأنهم أعجاز) أصول (نخل خاوية) ساقطة فارغة (فهل ترى لهم من باقية) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق لا (وجاء فرعون ومن قبله) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الامم الكافرة (والمؤتفكات) أي أهلها وهي قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالفعلات ذات الخطأ (فعصوا رسول ربهم) أي لوطا وغيره (فأخذهم أخذة رابية) زائدة في الشدة على غيرها (انا لما طغى الماء) علا فوق كل شئ من الجبال وغيرها

أيضا وهذان معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة (قوله تعظيم لشأنها) أي فالمقصود من الاستفهام تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال أي شئ هو ولا تحيط به العبارة ولا تحصره الاشارة فالمقام للاضمار و وضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وتفظيعه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم (قوله وهما مبتدأ وخبر الخ) أي ان الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثاني وهو وخبره خبر الاول والرابط اعادة المبتدا بلفظه (قوله وما أدراك الخ) ما استفهامية وهو للانكار أي انك لا علم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أي ان حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لها وتهويل لشأنها (قوله وما بعدها) أي وهو جملة ادراك (قوله في محل المفعول الثاني) المناسب أن يقول والثالث لان أدرى بالهمز يتعدى لثلاثة لانه بمعنى اعلم (قوله كذبت ثمود) استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن (قوله لانها تقرع القلوب) أي تؤثر فيها خوفا وفزعا (قوله فأما ثمود) تفصيل لما حصل لهم في الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيحة) أي بصيحة جبريل واعلم أن ما نزل بثمود يسمى في القرآن بأربعة أسماء في الاعراف بالرجفة وفي هود بالصيحة وفي حم السجدة بالصاعقة وفي هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الارض بهم عند صيحة جبريل عليهم والصاعقة لصعقهم أي موتهم بها والطاغية نظر وجها عن الحد وما ذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية وعليه فالباء للآلة وقيل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء سببية وقيل الطاغية عاقر ناقة صالح والمعنى أهلكوا بسبب ما فعله طاغيتهم من عقر الناقة وانما أهلكوا جميعا وان كان الفاعل واحدا لانهم علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أي لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا أحد قولين في تفسير عاتية والآخر ان المراد عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن لما في الحديث ما أرسل الله سفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد و يوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل (قوله أرسلها) أي سلطها (قوله أولها من صبح يوم الاربعاء) أي وآخرها غروب شمس يوم الاربعاء التالي للاربعاء الاول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الاخير منه (قوله حسوما) نعت لسبع ليال وثمانية أيام أو حال من مفعول سخرها أي ذات حسوم والحسم في الاصل تتابع الكي على الداء حتى تنقطع مادته اطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول المفسر متتابعات فيه اشارة الى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الاطلاق (قوله فترى القوم) أي على فرض حضورك واقعتهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير في فيها عائد على الايام والليالي أو البيوت أو الريح (قوله أصول نخل) أي بلا رؤس فكانت الريح تقطع رؤسهم كما تقطع رؤس النخل (قوله فارغة) أي من الحشو لما روي من أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من باقية) من زائدة في المفعول (قوله لا) أشار به الى ان الاستفهام انكاري قال ابن جريج مكثوا سبع ليال وثمانية أيام احياء في العذاب بالريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله والمؤتفكات) أي المنقلبات وهي التي اقتلعها جبريل على جناحه و رفعها لقرب السماء ثم قلبها (قوله أي أهلها) أشار بذلك الى انه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهي قرى قوم لوط) وكانت خمسة صبعة وصعره وعمره ودوما وسدوم وهي أعظمها (قوله ذات الخطأ) أشار بذلك الى ان الخاطئة صيغة نسب كتامر ولابن (قوله فعصوا) أي فرعون ومن قبله والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أي من عذاب الامم (قوله علا فوق كل شئ من الجبال الخ) أي فزاد على أعلى جبل

زمن الطوفان (حملناكم) يعني آباءكم اذ أنتم في أصلابهم (في الجارية) السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لنجعلها) أي هذه الفعلة وهي انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (لكم تذكرة) عظة (وتعيها) ولتحفظها (أذن واعية) حافظة لما تسمع (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) للفصل بين الخلائق وهي الثانية (وحملت) رفعت (الارض والجبال فدكتا) دقتا (دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) ضعيفة (والملك) يعني الملائكة (على أرجائها) جوانب السماء (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي الملائكة المذكورين (يومئذ ثمانية) من الملائكة أو من صفوفهم (يومئذ تعرضون) للحساب (لا تخفى) بالتاء والياء (منكم خافية) من السرائر (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول) خطابا لجماعته لما سر به (هاؤم) خذوا (اقرؤا كتابيه) تنازع فيه هاؤم واقرؤا (اني ظننت) تيقنت (اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية)

خمسة عشر ذراعا (قوله زمن الطوفان) المناسب أن يقول زمن نوح (قوله يعني آباءكم) جواب عما يقال ان المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يمتن الله تعالى عليهم به فأجاب بان الكلام على حذف مضاف أي آباءكم وقوله اذ أنتم الخ ظاهره انه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره ويراد حملنا كم حال كونكم في أصلاب آبائكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سام وحام ويافث (قوله أي هذه الفعلة) هذا أحد قولين في مرجع الضمير في نجعلها وقيل عائد على السفينة والمعنى انجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الامة فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم (قوله وتعيها) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفا على نجعل وماضيه وعى وأصل المضارع يوعى حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها (قوله حافظة لما تسمع) اسناد الحفظ للاذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال وتعمل بمقتضاه (قوله فاذا نفخ في الصور الخ) لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها اجمالا بقوله الحاقة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله فاذا نفخ الخ واذا شرطية وجوابها قوله فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكد لان نفخة مصدر مختص دال على الوحدة فيصح اقامته مقام الفاعل والممنوع اقامة المبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لان التأنيث مجازي ولوجود الفصل (قوله وهي الثانية) هذا هو الصحيح كما روي عن ابن عباس لان الثانية هي التي يعقبها الحساب والجزاء وقيل هي الاولى (قوله وحملت الارض والجبال) أي رفعها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دكتا) أي فتتا وصارتا كثيبا مهيلا وهباء منثورا (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة وانما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه في نفخ فلم يوجد ضمير فأنيب نفخة مناب الفاعل فرفع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملتين محذوفتين وهما نفخ وحملت (قوله قامت القيامة) أي حصلت ووجدت (قوله وانشقت السماء) أي انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أي ليس فيها تماسك ولا صلابة فتصير بمنزلة الصوف المنفوش (قوله على أرجائها) أي أطرافها لينظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالارض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من العرش والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الارجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جملة أقوال خمسة ثالثها ثمانية آلاف رابعها ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة خامسها ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء وورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال ان حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال أي تيوس الجبل من اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء (قوله يومئذ تعرضون) أي تسئلون وتحاسبون وعبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لينظر في أمرهم فيختار منهم المصالح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب وروي ان في القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لا تخفى منكم خافية) حال من الواو في تعرضون والمعنى لا يخفى على الله من سرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون انه لا يطلع عليها بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأما من أوتي كتابه الخ) تفصيل لاحوال الناس عند العرض (قوله خطابا لجماعته) أي أهله وأقربائه ومن حوله وانما أحب اظهار ذلك سرورا وفرحا لكونه من الناجين (قوله هاؤم) لها استعمالان تكون اسم فعل وتكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتكون فعلا وتلحقها العلامات ومعناها على كل من الاستعمالين خذ ولغة القرآن انها اسم فعل والهمزة بعدها بدل من كاف الخطاب والميم علامة الجمع (قوله كتابيه) أصله كتابي دخلت هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا في الباقي (قوله تنازع فيه الخ) أي فأعمل الثاني عند البصريين والاول عند الكوفيين وأضمر في الآخر وحذف لانه فضلة (قوله اني ظننت تيقنت) أي

فالمراد

فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى اشارة الى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك أنه تيقن ان الله يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله رجاءه وآمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك الى ان صيغة فاعل بمعنى مفعول أى يرضى بها صاحبها ولا يسخطها لما ورد أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا ويصحون فلا يمرضون أبدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا (قوله فى جنة عالية) أى مرتفعة المكان والدرجات والابنية والاشجار (قوله قطوفها) جمع قطف بكسر القاف أى المقطوف وهو ما يجتنيه الجانى من الثمار (قوله كلوا واشربوا) أى يقال لهم ذلك والامر للامتنان (قوله أى متهنئين) أى بذلك الاكل الطيب اللذيذ الشهى البعيد عن كل أذى السالم من كل آفة وقذر فلا بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول (قوله الماضية فى الدنيا) وقيل هى أيام الصيام والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى (قوله وأما من أوتى كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى فى كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر اثر ذلك أحوال الاشقياء (قوله فيقول) أى لما يرى من سوء عاقبته التى رآها (قوله ولم أدر ما حسابيه) ما استفهامية مبتدأ وحسابيه خبرها والجملة سدت مسد مفعولى أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل والمعنى ولم أدر عظم حسابى وشدته (قوله أى الموتة فى الدنيا) المعنى ياليت الموتة فى الدنيا كانت القاطعة لحياتى ولم أبعث بعد ذلك أصلا (قوله ما أغنى عنى) ما نافية والمفعول محذوف والمعنى لم يغن عنى مالى شيأ أو استفهامية للتوبيخ أى أى شئ أغنى ما كان لى من اليسار الذى منعت منه حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله (قوله ماليه) يحتمل ان ما اسم موصول فاعل غنى واللام والجر ورصلة ما ويحتمل ان مالى كلمة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف لياء المتكلم (قوله قوتى وحجتى) أشار المفسر الى أن فى السلطان تفسيرين أحدهما القوة التى كانت له فى الدنيا والثانى الحجة التى كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه الخ) هاء مبتدأ وللسكت خبر أول وقوله تثبت خبر ثان (قوله تثبت وقفا) أى على القاعدة فى هاء السكت (قوله ووصلا) هذا مخالف لقاعدة هاء السكت ولما كان مخالفا أجاب بجوابين الاول قوله اتباعا للمصحف أى فلما كانت ثابتة فيه ثبتت فى النطق ولو فى الاصل اتباعا للرسم الثانى قوله والنقل أى واتباعا للنقل عن النبى عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلا فليس لغنا لان ما خرج عن القواعد لا يكون لغنا الا اذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبى ونقل الينا بالتواتر (قوله ومنهم) أى القراء السبعة وهو حمزة والعشرة وهو يعقوب (قوله خذوه) معمول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره ما يفعل به بعد ذلك فقيل يقال الخ (قوله خطاب لخزنة جهنم) أى زبانيتها وسيأتى فى المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا (قوله ثم الجحيم) الترتيب فى الزمان والرتبة فان ادخاله فى النار بعد غله وكذا ادخاله فى السلسلة بعد ادخاله النار وكل واحد أشد مما قبله (قوله صلوه) أى كرروا غمسه فى النار كالشاة التى تصلى أى تشوى على النار مرة بعد مرة (قوله ذرعها سبعون ذراعا بذراع الملك) هذا قول ابن عباس قال فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بين مكة والكوفة وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون ذراعا وقيل ليس المراد بالعدد حقيقته بل هو كناية عن عظمها وطولها قال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجارنا الله منها وأشار سبحانه الى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك فقال فاسلكوه أى أدخلوه بحيث يكون كانه السلك الذى يدخل فى ثقب الخرز لاحاطتها بعنقه وبجميع أجزائه (قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كانه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك ولعل وجه التخصيص لهذين الامرين بالذكر أن الكفر أقبح الاشياء والبخل مع قسوة القلب يليه (قوله ولا يحض) أى لا يحث ولا يحرض نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أى اطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا الخ) أى فى الآخرة وحميم وما عطف عليه اسم

مرضية (فى جنة عالية قطوفها) ثمارها (دانية) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال (لهم كلوا واشربوا هنيأ) حال أى متهنئين (بما أسلفتم فى الايام الخالية) الماضية فى الدنيا (وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا) للتنبيه (ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها) أى الموتة فى الدنيا (كانت القاضية) القاطعة لحياتى بأن لا أبعث (ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه) قوتى وحجتى وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا اتباعا للمصحف الامام والنقل ومنهم من حذفها وصلا (خذوه) خطاب لخزنة جهنم (فغلوه) اجمعوا يديه الى عنقه فى الغل (ثم الجحيم) النار المحرقة (صلوه) أدخلوه (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا) بذراع الملك فاسلكوه أى أدخلوه فيها بعد ادخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم) قريب ينتفع به (ولا طعام الا من غسلين

ليس وخبرها الظرف قبله * فان قلت ما التوفيق بين ما هنا وبين قوله في محل آخر الا من ضريع وفي موضع آخر ان شجرة الزقوم طعام الاثيم وفي موضع آخر أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار * قلنا الا منافاة اذ جميع ذلك طعام لهم فالحصر اضافي والمعنى بالحصر طعام لهم فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجري من الجراح اذا غسلت (قوله أو شجر فيها) أي اذا أكلوه يغسل بطونهم أي يخرج ما فيها من الحشو (قوله الا الخاطئون) العامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ اذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد (قوله زائدة) أي والمعنى أقسم لكم يا عبادي بما تشاهدون من المخلوقات وبما لا تشاهدون الخ وانما أقسم بالمخلوقات لعظمها وشرفها بعظم خالقها وموجدها فالقسم بالمخلوقات لا من حيث ذاتها بل من حيث انها آثار عظمته ومظهر صفاته سبحانه وتعالى والنهي عن القسم بغير الله خاص بالمخلوق أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره المفسر أحد قولين والآخر أنها أصلية والمعنى أن هذا الامر لظهوره ووضوحه غني عن القسم والاول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أي بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله انه لقول رسول كريم) هذا هو المحلوف عليه وكذا قوله وما هو بقول شاعر وما بعده والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكمالات فيه فهو أكرم الخلق على الاطلاق وقيل المراد به جبريل عليه السلام ويؤيده قوله في سورة التكوير انه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوي (قوله أي قاله رسالة الخ) جواب عما يقال ان القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال انه لقول رسول كريم فأجاب بانه قوله على سبيل التبليغ والحاصل أنه ينسب لله من حيث ايجاده ولجبريل من حيث تلقيه عن الله ولمحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وما هو بقول شاعر الخ) انما عبر بالايمان في جانب نفي الشعر والتذكر في جانب نفي الكهانة لان عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر لا ينكره الا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فانها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا ما تؤمنون) أي تؤمنون بشئ قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا ما درج عليه المفسر وقيل أراد بالقلة نفي ايمانهم أصلا لان الايمان بشئ دون شئ كلا ايمان وذلك كقولك لمن يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أي فهما سبعيتان فالاولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب الى الغيبة (قوله وما زائدة مؤكدة) أي لمعنى القلة وقليلا صفة لمصدر محذوف في الموضعين أي ايمانا قليلا وتذكرا قليلا (قوله مما أتى به النبي) من للتبعيض في محل الحال من الاشياء والمعنى حال كون تلك الاشياء اليسيرة بعض ما أتى به النبي وقوله من الخير بيان للاشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب للمفسر أن يقدمه على قوله مما أتى به النبي والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الارحام وبالعفاف الكف عن الزنا وانما آمنوا بهذه الاشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولو تقول علينا) أي تكلف التقول (قوله بعض الاقاويل) اما جمع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقوولة كأعجوبة جمع أعجوبة فعلى الاول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط والمعنى لو نسب الينا قولا لم نقله أو لم نأذن له في قوله لاخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الاخذ بالنيل لتعديته بالجار وعليه فمن والباء غير زائدتين والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وأل عوض عن المضاف اليه أي يمين الله ويصح أن المراد باليمين الجارحة والباء زائدة والمعنى لاخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور وقيل الوتين هو القلب ومراقه وما يليه وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم وقيل هو كناية عن اماتته والمعنى لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أي عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف أي حاجزين لنا (قوله وانه لتذكرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة المقسم عليه

(قوله

صديد أهل النار أو شجر فيها (لا يأكله الا الخاطئون) الكافرون (فلا) زائدة (أقسم بما تبصرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أي بكل مخلوق (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) أي قاله رسالة عن الله تعالى (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) بالتاء والياء في الفعلين وما زائدة مؤكدة والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا بل هو (تنزيل من رب العالمين ولو تقول) أي النبي (علينا بعض الاقاويل) بأن قال عنا ما لم نقله (لاخذنا) لنلنا (منه) عقابا (باليمين) بالقوة والقدرة (ثم لقطعنا منه الوتين) نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه (فما منكم من أحد) هو اسم ما ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم حال من أحد (عنه حاجزين) مانعين خبر ما وجمع لان أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وانه) أي القرآن (لتذكرة

(قوله للمتقين) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون به (قوله ان منكم مكذبين) أى فنمهلهم ثم بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم وقوله ومصدقين أشار بذلك الى أن فى الآية حذف الواو مع ما عطفت (قوله أى لليقين الحق) أشار بذلك الى أنه من اضافة الصفة للموصوف والمعنى من تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أى لفظ باسم زائدة والمعنى نزه ربك العظيم واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم

﴿ سورة المعارج ﴾

وتسمى سورة سأل سائل (قوله مكية) أى اجماعا (قوله سأل) بالهمز والالف قراءتان سبعيتان فالهمز هو الاصل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الالف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير أنه خفف بقلب الهمزة ألفا والالف منقلبة عن واو كخاف يخاف والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان فالالف منقلبة عن ياء والمعنى سال سايل أى واد فى جهنم وأما سائل فبالهمز لا غير لان العين اذا أعلت فى الفعل تعل فى اسم الفاعل أيضا وقد أعلت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف ۞ واعلم أن مادة السؤال تتعدى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجر وحينئذ فيكون التقدير هنا سأل سائل الله أو النبى عذابا واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك الى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدى تعديته ويصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى وهزى اليك بجذع النخلة ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) أى سيقع وعبر بذلك اشارة لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يوم بدر صبرا واما فى الآخرة وهو عذاب النار (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى على أى واقع على الكافرين (قوله ليس له دافع) اما نعت آخر لعذاب أو حال منه أو مستأنف (قوله هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس وقيل هو الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى من كنت مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شئ منك أم من الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ما وصل الى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت وقيل هو أبو جهل وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أى استهزاء وايهاما أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أى متعلق به وعليه فجملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول ان جعلت مستأنفة واما ان جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذى المعارج) أى صاحبها وخالقها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك الى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود وما مشى عليه المفسر أحد أقوال وقيل المراد معارج المؤمنين فى دار الثواب وهى الجنة وقيل معارج الاعمال الصالحة فانها تتفاوت بحسب الاخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك الى ان عطف الروح على ما قبله عطف خاص على عام (قوله الى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ان ظاهر الآية يقتضى ان الله تعالى فى مكان والملائكة يصعدون اليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أى الى محل هبوط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أى دل عليه واقع (قوله لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك الى ان الكلام من باب التمثيل والتخييل فليس المراد حقيقة العدد بل المراد انه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد فتارة يمثل بالالف

للمتقين وانا لنعلم أن منكم) أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين (وانه) أى القرآن (لحسرة على الكافرين) اذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وانه) أى القرآن (لحق اليقين) أى لليقين الحق (فسبح) نزه (باسم) زائدة (ربك العظيم) سبحانه

﴿ سورة المعارج مكية أربع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سأل سائل) دعا داع (بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع) هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق الآية (من الله) متصل بواقع (ذى المعارج) مصاعد الملائكة وهى السموات (تعرج) بالتاء والياء (الملائكة والروح) جبريل (اليه) الى مهبط أمره من السماء (فى يوم) متعلق بمحذوف أى يقع العذاب بهم فى يوم القيامة (كان مقداره خمسين ألف سنة) بالنسبة الى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا

كما جاء في الحديث (فاصبر) هذا قبل أن يؤمر بالقتال (صبرا جميلا) أي لا جزع فيه (إنهم يرونه) أي العذاب (بعيدا)
غير واقع (ونراه قريبا)
واقعا لا محالة (يوم تكون
السماء) متعلق بمحذوف
أي يقع (كالمهل) كذائب
الفضة (وتكون الجبال
كالعهن) كالصوف في
الخفة والطيران بالريح
(ولا يسأل حميم حميما)
قريب قريبه لاشتغال
كل بحاله (يبصرونهم) أي
يبصر الأحماء بعضهم
بعضا ويتعارفون ولا
يتكلمون والجملة مستأنفة
(يود المجرم) يتمنى الكافر
(لو) بمعنى أن (يفتدي
من عذاب يومئذ) بكسر
الميم وفتحها (ببنيه
وصاحبته) زوجته
(وأخيه وفصيلته) عشيرته
لفصله منها (التي تؤويه)
تضمه (ومن في الأرض
جميعا ثم ينجيه) ذلك
الافتداء عطف على
يفتدي (كلا) ردع لما يوده
(إنها) أي النار (لظى)
اسم لجهنم لأنها تتلظى أي
تتلهب على الكفار (نزاعة
للشوى) جمع شواة وهي
جلدة الرأس (تدعوا من
أدبر وتولى) عن الإيمان
بأن تقول إلي إلي (وجمع)
المال (فأوعى) أمسكه
في وعائه ولم يؤد حق الله
منه (إن الإنسان خلق
هلوعا) حال مقدرة وتفسيره
(إذا مسه الشر جزوعا)
وقت مس الشر (وإذا مسه الخير منوعا) وقت مس الخير أي المال لحق الله منه (إلا المصلين) أي المؤمنين أي
(الذين هم على صلاتهم دائمون) مواظبون (والذين في أموالهم حق معلوم) هو الزكاة (للسائل والمحروم) المتعفف عن السؤال فيحرم
(والذين يصدقون بيوم الدين) الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون (إن عذاب ربهم

وبالخمسين ألفا كناية عن عظم الشدائد أو يقال يمثل بالخمسين ألفا في حق قوم من الكفار والألف في حق
قوم آخر منهم وحينئذ فلا منافاة بين ما هنا وآية السجدة وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد أن مواطن الحساب
خمسون موطنا يحبس الكافر في كل موطن ألفا (قوله كما جاء في الحديث) أي وهو ما رواه أبو سعيد
الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فما أطول هذا اليوم فقال
والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا (قوله
فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء والمعنى اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر
منه فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل أن يؤمر الخ) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله إنهم
يرونه) أي يعتقدونه (قوله ونراه) أي نعلمه والنون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى (قوله متعلق
بمحذوف) أي دال عليه واقع (قوله كذائب الفضة) وقيل المهل دردي الزيت (قوله كالصوف) أي
مطلقا وقيل بقيد كونه أحمر أو مصبوغا ألوانا وهذه الأقوال في معنى العهن في اللغة (قوله ولا يسأل حميم الخ)
القراء السبعة على بناء يسأل للفاعل وحميما مفعول أول والثاني محذوف تقديره شفاعته وقرأ أبو جعفر من
العشرة ببنائه للمفعول وحميم نائب الفاعل وحميما إما مفعول ثان على حذف مضاف أي إحضاره أو منصوب
على نزع الخافض أي عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين نظرا للمعنى الحميمين لأنهما نكرتان في
سياق النفي يعمان سائر الأقارب (قوله والجملة مستأنفة) أي استئنافا بيانيا واقعا في جواب سؤال مقدر نشأ
من قوله ولا يسأل حميم حميما تقديره أن عدم السؤال ربما يكون لعدم رؤيته فأجاب بأنهم يعرفون بعضهم
وينظرون إلى بعضهم غير أن كل أحد مشغول بحاله فلا يمكنه السؤال لذلك (قوله بمعنى أن) أي المصدرية
فلا جواب لها بل ينسبك منها ومما بعدها مصدر مفعول ليود أي يود افتداءه (قوله بكسر الميم) أي على
الإعراب وقوله وفتحها أي على البناء والقراءتان سبعيتان والتنوين عوض عن جمل متعددة والمعنى يوم
إذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها) أي فهي فعيلة بمعنى مفعولة أي مفصول منها والفصيلة
قيل الآباء الأقربون وقيل الفخذ وقيل العشيرة (قوله تضمه) أي في النسب وعند الشدة (قوله كلا)
يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقا فالكلام تم عند قوله ثم ينجيه ويحتمل أن تكون بمعنى لا النافية فالكلام تم
عليها (قوله أي النار) إنما أعاد الضمير عليها وإن لم يتقدم لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها (قوله لظى)
خبران ونزاعة خبر ثان (قوله اسم لجهنم) أي منقول إذ هو في الأصل اللهب جعل علما عليها ومنع من
الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع شواة) أي كنوى ونواة (قوله وهي جلدة الرأس) أي وقيل هو جلد
الإنسان ومعناه قلاعة للجلد وكلما قلعت عادت (قوله بأن تقول إلي إلي) أي ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب
(قوله إن الإنسان) أل فيه للجنس أي حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه وسمي بذلك إما لأنسه بنفسه
وجنسه أو لنسيانه حقوق ربه (قوله حال مقدرة) أي لأنه ليس متصفا بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته
(قوله وتفسيره) أي الهلوع وهو مستفاد من قولهم الهلع فحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر
والشح بالمال والسرعة فيما لا ينبغي (قوله وقت مس الشر) أشار بذلك إلى أن إذا معمولة لجزوعا وكذا
ما بعده ونصب جزوعا ومنوعا إما حالان من ضمير هلوعا أو خبران لكان المحذوفة أي إذا مسه الشر كان
جزوعا وإذا مسه الخير كان منوعا أو نعتان لهلوعا (قوله أي المال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن
لا يصرفه في طاعة ربه (قوله إلا المصلين) استثناء من الإنسان وتقدم أن المراد به الجنس فالاستثناء متصل
(قوله أي المؤمنين) فسر المصلين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الإيمان وليكون لقوله الذين هم على
صلاتهم دائمون معنى وإلا كان ضائعا واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثا فأراد بها أولا الإيمان وثانيا المداومة
عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا
قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم)
أي لكونه يظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين)

أى يؤمنون به و يجزمون بحصوله فيستعدون له بالاعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أى لا ينبغى لاحد أن يأمنه وان بلغ فى الطاعة ما بلغ فالمطلوب من الشخص أن يغلب فى حال صحته الخوف وفى حال مرضه الرجاء (قوله لفروجهم حافظون) أى عن المحرمات (قوله من الاماء) بيان لما واشبههن بغير العاقل عبر عنهن بما التى لغير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أى طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين (قوله المتجاوزون الحلال الى الحرام) دخل فى هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (قوله وفى قراءة بالافراد) أى وهى سبعية أيضا (قوله المأخوذ عليهم فى ذلك) أى فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد اما من الله أو من المخلوق فالواجب حفظه وعدم تضييعه (قوله وفى قراءة بالجمع) أى وهى سبعية أيضا (قوله ولا يكتمونها) أى بل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون فى الله لومة لائم (قوله بأدائها فى أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الاشارة الى أنها أعظم من غيرها لانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فمال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره والمعنى أى شئ ثبت لهم وحملهم على نظرهم اليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مهطعين وعن اليمين وعن الشمال فالاربعة أحوال من الموصول (قوله أى مديمى النظر) أى أو مسرعين فالاهطاع ادامة النظر أو الاسراع (قوله عزين) جمع عزة وهى الجماعة واختلفوا فى لام عزة فقيل هى واو من عزوته أعزوه أى نسبته وقيل هى ياء فيقال عزيته أعزيه وقيل هى هاء فاصله عزهة وعلى كل حذفت وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما الحق بجمع المذكر السالم فى اعرابه لكونه اسما ثلاثيا حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم هذه المقالة (قوله جنة نعيم) أضيفت له لانه ليس فيها غيره (قوله من نطف) أى ثم من علق ثم من مضغ والمعنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهى لا تناسب عالم القدس لاستقذارها فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ومن هذا المعنى قول الشاعر

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته * أتطلب الربح مما فيه خسران
انهض الى الروح واستكمل فضائلها * فأنت بالروح لا بالجسم انسان

(قوله انا لقادرون) جواب القسم (قوله على أن نبدل خيرا منهم) أى بأن نخلق خلقا غيرهم أو نحول أوصافهم فيكونوا أشد بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخدما وجاها فيكونوا عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتعظيمك والسعى فى مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل ما يغضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ما ذكر من الاوصاف بالمهاجرين والانصار والتابعين فاعطاهم أموال الجبارين وبلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسبوقين) هذا من جملة المقسم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أى اذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم فدعهم فيما هم فيه من الاباطيل ولا تلتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله يلاقوا) أشار بذلك الى أن التفاعل ليس على بابه (قوله يومهم الذى يوعدون) هو يوم كشف الغطاء وأوله عند الغرغرة وآخره النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله الى نصب) متعلق بيوفضون (قوله وفى قراءة بضم الحرفين) أى وهى سبعية أيضا فالاولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع له الشخص عند الشدائد وقيل هو شبكة الصائد وقيل يسرع اليها خوف انفلات الصيد والثانية بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وقرئ نصب وذا بفتحتين وبضم وسكون (قوله يسرعون) أى يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال اما من فاعل يوفضون أو

غير مأمون) نزوله (والذين هم لفروجهم حافظون) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الاماء فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) المتجاوزون الحلال الى الحرام (والذين هم لاماناتهم) وفى قراءة بالافراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وعهدهم) المأخوذ عليهم فى ذلك (راعون) حافظون (والذين هم بشهاداتهم) وفى قراءة بالجمع (قائمون) يقيمونها ولا يكتمونها (والذين هم على صلاتهم يحافظون) بأدائها فى أوقاتها (أولئك فى جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك) نحوك (مهطعين) حال أى مديمى النظر (عن اليمين وعن الشمال) منك (عزين) حال أيضا أى جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم قال تعالى (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا) ردع لهم عن طمعهم فى الجنة (انا خلقناهم) كغيرهم (مما يعلمون) من نطف فلا يطمع بذلك فى الجنة وانما يطمع فيها بالتقوى (فلا) لا زائدة (أقسم برب المشارق والمغارب) للشمس والقمر وسائر الكواكب (انا لقادرون على أن نبدل) نأتى بدلهم (خيرا منهم وما نحن بمسبوقين) بعاجزين عن ذلك (فذرهم) اتركهم (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا) يلقوا (يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم يخرجون من الاجداث) القبور (سراعا) الى المحشر (كأنهم الى نصب) وفى قراءة بضم الحرفين شئ منصوب كعلم أو راية (يوفضون) يسرعون (خاشعة) ذليلة (أبصارهم

ترهقهم) تغشاهم (ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ومعناه يوم القيامة

﴿سورة نوح مكية ثمان أو تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر) أى بانذار (قومك من قبل أن يأتيهم) ان لم يؤمنوا (عذاب أليم) مؤلم فى الدنيا والآخرة (قال ياقوم انى لكم نذير مبين) بين الانذار (أن) اى بأن أقول لكم (اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم) من زائدة فان الاسلام يغفر به ماقبله أو تبعيضية لاخراج حقوق العباد (ويؤخركم) بلاعذاب (الى أجل مسمى) أجل الموت (ان أجل الله) بعذابكم ان لم تؤمنوا (اذا جاء لايؤخر لو كنتم تعلمون) ذلك لآمنتم (قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى دائما متصلا (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن الايمان (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) غطوا رؤسهم بها لئلا ينظرونى (وأصروا) على كفرهم (واستكبروا) تكبروا عن الايمان (استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا) أى بأعلى صوتى (ثم انى أعلنت لهم) صوتى (وأسررت لهم) الكلام (اسرارا فقلت استغفروا ربكم) من الشرك (انه كان غفارا يرسل السماء) المطر وكانوا قد منعوه (عليكم

يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) اما مستأنف أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يغشاهم الذل جزاء لعزهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا ان لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أول السورة فقد رد عجزها لصدرها (قوله وما بعده) أى الذى هو لفظ يوم واما الموصول وصلته فهو صفة للخبر.

﴿سورة نوح﴾

(قوله ثمان) بكسر النون وضمها وأصله على كل ثمانى حذفت الياء اما اعتباطا كيد ودم فهو بضم النون والاعراب عليها أولعلة تصريفية كقاض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله انا أرسلنا نوحا) أى على رأس الاربعين كما قال ابن عباس وقيل أرسل وهو ابن ثلثمائة وخمسين وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة وعاش فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما فهو أطول الناس عمرا ولا يرد شعيب لان ماجاء فى عمره رواية آحاد ونوح أول رسول أرسل بالنهى عن الشرك لان الشرك انما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها (قوله الى قومه) المراد بهم جميع أهل الارض (قوله أى بانذار) أشار بذلك الى ان أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لان الارسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله فى الدنيا والآخرة) أى وهو الطوفان وعذاب النار (قوله بين الانذار) أى واضحه (قوله أى بأن أقول لكم الخ) أشار بذلك الى ان أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح فى كل منهما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم فى جواب الاوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أى على رأى الاخفش القائل بأنه لايشترط فى زيادتها تقدم نفى وكون مدخولها نكرة (قوله فان الاسلام الخ) تعليل لما قبله والمعنى أن الاسلام يغفر به ماتقدمه من الذنوب ولو حقوق العباد الا أنه يؤاخذ بها فى الآخرة (قوله لاخراج حقوق العباد) أى فانها لاتغفر بالاسلام أى فيطالب الكافر اذا أسلم بالحدود وبالاموال التى ظلم فيها والديون المستقرة فى ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال مقدر كيف قال ويؤخركم الى أجل مسمى مع أنه قال فى الآية الاخرى ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها فالجواب أن المراد بالاجل هنا أولا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الايمان وفى الآية الاخرى انتهاء العمر وهو لايتقدم ولا يتأخر آمنوا أم لم يؤمنوا (قوله مسمى) أى معلوم عند الله لايزيد ولا ينقص (قوله ان أجل الله) أضاف الاجل له سبحانه لانه هو الذى أثبته وقد يضاف الى القوم كما فى قوله اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (قوله لآمنتم) أشار بذلك الى أن لو شرطية (قوله فلم يزدهم دعائى) بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله الا فرارا) مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء من محذوف والتقدير فلم يزدهم دعائى شيأ من أحوالهم التى كانوا عليها الا فرارا أى بعدا واعراضا عن الايمان (قوله وانى كلما دعوتهم) كلما معمول لجعلوا والجملة خبران ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير الى الايمان بك لاجل مغفرتك (قوله لئلا ينظرونى) أى فكرهوا النظر الى من فرط كراهتهم دعوتى فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل الاسماع والابصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) اما نعت مصدر محذوف أى دعاء جهارا أو حال على حذف يعدل والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ابتدأ أولا بالاهون ثم ترقى للاشد فالاشد فافتتح بالسر فلما لم يفد ثنى بالجهر فلما لم يفد ثلث بالجمع بين السر والجهر وثم للدلالة على تباعد الاحوال (قوله استغفروا ربكم) أى اطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتركوا ليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله فمن لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا عن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وشكا اليه آخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون اليك أبوابا ويسئلونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية (قوله وكانوا قد منعوه) أى لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ

(قوله

مدرارا) كثير الدرور (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم أنهارا) جارية (مالكم لا ترجون لله وقارا) أى تأملون وقار الله اياكم بأن تؤمنوا (وقد خلقكم أطوارا) جمع طور وهو الحال فطورا نطفة وطورا علقة الى تمام خلق الانسان والنظر فى خلقه يوجب الايمان بخالقه (ألم تروا) تنظروا (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن) أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نورا وجعل الشمس سراجا) مصباحا مضيأ وهو أقوى من نور القمر (والله أنبتكم) خلقكم (من الارض) اذ خلق أباكم آدم منها (نباتا ثم يعيدكم فيها) مقبورين (ويخرجكم) للبعث (اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة (قال نوح رب انهم عصونى واتبعوا) أى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والاول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (الا خسارا) طغيانا وكفرا (ومكروا) أى الرؤساء (مكرا كبارا) عظيما جدا بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه (وقالوا) للسفلة (لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا) بفتح الواو وضمها (ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) هى أسماء أصنام

(قوله مدرارا) حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا يستوى فيه المذكر والمؤنث (قوله بساتين) أشار بذلك الى أن المراد جنات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهارا لتغاير المعمولين فان الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الانهار ولذا قال يمددكم بأموال وبنين ولم يقل يجعل لتغاير المعمول (قوله مالكم) مبتدأ وخبر والمعنى أى شئ ثبت لكم وقوله لا ترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقارا أى توقيرا من الله لكم واللام بمعنى من والمعنى أى شئ ثبت لكم لا تؤملون الله فى كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم أن ترجوا وقار الله اياكم بأن تؤمنوا به فالمقصود الحث على الايمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله لان الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه يحصل فى المستقبل مع الاخذ فى الاسباب وهو لا يكون الا بالايمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون وأطوارا حال مؤولة بمشتق أى منتقلين من حال الى حال (قوله والنظر) أى التأمل (قوله فى خلقه) أى الانسان والمعنى أن التأمل فى أحوال الانسان من أسباب الايمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أى نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدت مسد مفعولى تروا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير مماسة بل بين كل واحدة والاخرى خمسمائة عام وسمك الواحدة منهن خمسمائة عام (قوله أى فى مجموعهن) دفع بذلك ما يقال ان القمر لم يكن الا فى خصوص سماء الدنيا فما معنى اضافته الى الكل فأجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لا بد فيه من تعدد أفراد وهنا ليس كذلك فالاحسن الجواب بأن السموات شفافة فيرى الكل كأنه سماء واحدة وما فى واحدة كأنه فى الكل (قوله وجعل الشمس) أى فيهن فحذفت من الثانى لدلالة الاول عليه واعلم أن القمر فى سماء الدنيا اتفاقا واختلف فى الشمس فقيل فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وقيل فى الشتاء فى الرابعة وفى الصيف فى السابعة ووجههما الى السماء وقفاهما الى الارض (قوله سراجا) أى مثل السراج فى كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) ان قلت ان القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه المشارق والمغارب وانتشاره أجيب بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من مضيأ ويقال ان المصباح فى محل انتشاره أقوى من القمر وان كان أوسع امتدادا منه لان الانسان يمكنه قراءة الخط فى المصباح دون القمر ولا يقرؤه الا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالانبات استعارة للخلق (قوله اذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فان أصلها وهو الغذاء من الارض (قوله نباتا) مصدر لانبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) أى لا مسنمة فتتعب من عليها (قوله فجاجا) جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من ايمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائه عليهم (قوله انهم عصونى) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وبفتحهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومكروا) معطوف على صلة من كأنه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظرا لمعنى من وأفرد فى قوله يزده باعتبار لفظها (قوله كبارا) بضم الكاف وتشديد الباء وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالضم والتخفيف وهى صيغة مبالغة أيضا بمعنى المشدد والكسر والتخفيف جمع كبير (قوله وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرن ودا) عطف خاص على عام (قوله بفتح الواو وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يغوث ويعوق) بغير تنوين فى قراءة العامة ومنع الصرف ان كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل وان كانا أعجميين فللعلمية والعجمة وقرئ شذوذا بالصرف للتناسب لان ما قبلهما مصروف وما بعدهما مصروف (قوله ويعوق ونسرا) لم يذكر النفى مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس (قوله هى أسماء أصنام) أى كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ولذا خصوها بالذكر وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه فقالوا افعل فصوره فى المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم

(وقد أضلوا) بها (كثيرا) من الناس بأن أمروهم بعبادتها (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قد أضلوا دعا عليهم لما أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (مما) ما صلة (خطاياهم) وفي قراءة خطيئاتهم بالهمز (أغرقوا) بالطوفان (فأدخلوا نارا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فلم يجدوا لهم من دون) أي غير (الله أنصارا) يمنعون عنهم العذاب (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي نازل دار والمعنى أحدا (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) من يفجر ويكفر قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه (رب اغفر لي ولوالدي) وكانا مؤمنين (ولمن دخل بيتي) منزلي أو مسجدي (مؤمنا) وللمؤمنين والمؤمنات) إلى يوم القيامة (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) هلاكا فأهلكوا

﴿سورة الجن مكية ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يا محمد للناس (أوحي إلي) أي أخبرت بالوحي من الله تعالى (أنه) الضمير للشأن (استمع) لقراءتي (نفر من الجن) جن نصيبين وذلك في صلاة الصبح ببطن نخل موضع

الشيطان ما لكم لا تعبدون شيأ قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أي وقال قد أضلوا فهو معطوف على قوله قال نوح رب إنهم عصوني (قوله دعا عليهم لما أوحي إليه الخ) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال فأجاب بأنه لما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ساغ له الدعاء عليهم (قوله ما صلة) أي ومن تعليلية (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فأدخلوا نارا) أي في الدنيا عقب الإغراق فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى وهذا ما أفاده المفسر ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة وهو من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع (قوله وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاقهم العذاب (قوله أي نازل دار) هذا معنى الديار في اللغة والمراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لأحد فديار من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار (قوله من يفجر الخ) أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها (قوله قال ذلك) أي قوله لا تذر الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمانا طويلا فعرف طباعهم وأحوالهم فكان الرجل ينطلق إليه بابنه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرني منه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (قوله وكانا مؤمنين) أي واسم أبيه لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو إدريس واسم أمه شمخا بنت أنوش (قوله منزلي أو مسجدي) أي أو سفينتي (قوله مؤمنا) حال (قوله إلى يوم القيامة) أي من مبدأ الدنيا إلى يوم القيامة (قوله إلا تبارا) مفعول ثان لتزد والاستثناء مفرغ وفعله تبر من باب قتل وتعب ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فأهلكوا) أي وغرقت معهم صبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب المكلفين قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وما قيل في صبيان قوم نوح يقال في صبيان كل أمة هلكت والله أعلم

﴿سورة الجن﴾

أي التي ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسالته عامة للإنس والجن والجن أجسام نارية هوائية لها القدرة على التشكلات بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وبهذا ظهر الفرق بينهم وبين الملائكة لأن الملائكة أجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة ولا تحكم عليهم الصور واختلف في الجن فقيل هم ذرية إبليس غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا كما أن الإنس أولاد آدم وقيل إن الجن ولد الجان والشياطين ولد إبليس يموتون مع إبليس عند النفخة والراجح الأول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم ومن كفر من الإنس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بإبليس (قوله أي أخبرت بالوحي) أي أخبرني جبريل وظاهر الآية أن النبي لم يشعر بهم ولا باستماعهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته وبه قيل والصحيح أنه رآهم وعلم بهم ويجاب عن الآية بأن مصب الإيحاء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أنه استمع) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل أوحي والتقدير أوحي إلي استماع (قوله نفر من الجن) النفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة * واختلف في عددهم فقيل كانوا تسعة وقيل سبعة (قوله جن نصيبين) قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة (قوله في صلاة الصبح) وذلك أنه سار النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده في

كل سنة مرة في الجاهلية وأول الاسلام وكان في ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ماذاك الا من شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا واما الذي حال بيننا و بين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم فروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو يصلي الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان ببطن نخل قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذي حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه و بين مكة مسيرة ليلة (قوله في فصاحته) في بمعنى من فهو بدل مما قبله أوهي سببية (قوله وغزارة معانيه) أي كثرتها (قوله وغير ذلك) كالاخبار بالمغيبات (قوله ولن نشرك بربنا أحدا) هذا يدل على أنهم كانوا مشركين و روى انهم كانوا يهودا وقيل ان منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفي الموضعين بعده) أي وهما وانه كان يقول وانه كان رجال واسم كان ضمير الشأن والجملة بعدها خبرها وهي واسمها وخبرها خبران (قوله جد ربنا) الجد يطلق على معان منها العظمة وهي المرادة هنا ومنها الغنى والحظ ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد ومنها أبو الاب وأما الجد بالكسر فهو السرعة في الشيء ضد التأني (قوله ماتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وانا ظننا الخ) اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الايمان من الشرك وايضاحه انهم يقولون انا ظننا واعتقدنا ان أحدا لا يكذب على الله وان ماقاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد اليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا انه كذب (قوله مخففة) أي واسمها ضمير الشأن مضمر والجملة المنفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أي قولا كذبا (قوله بوصفه بذلك) أي بالصاحبة والولد (قوله حتى تبينا كذبهم) أي ظهر لنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى أن هذه المقالة والتي بعدها من كلامه تعالى مذكورتان في خلال كلام الجن المحكي عنهم وهو أحد قولين وقيل انهما أيضا من كلام الجن (قوله كان رجال) أي في الجاهلية (قوله حين ينزلون الخ) أي وذلك أن العرب كانوا اذا نزلوا واديا عبثت بهم الجن في بعض الاحيان لانهم كانوا لايتحصنون بذكر الله وليس لهم دين صحيح فحملهم ذلك على ان يستجير وا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح فلايرى الا خيرا و ربما هدوه الى الطريق و ردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا في العرب فلما جاء الاسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادوهم) الواو عبارة عن رجال الانس والهاء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أي الجن المستعاذ بهم (قوله سدنا الجن) بضم السين أي حصلت لنا السيادة على الجن غير نا لقهرنا اياهم وسدنا الانس الذين استعاذوا بنا وهذه المقالة بسبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحدا) هذه الجملة سادة مسد مفعولي الظن والمسئلة من باب التنازع أعمل الثاني وأضمر في الاول وحذف (قوله رمنا) أي قصدنا وطلبنا (قوله فوجدناها ملئت الخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة ملئت مفعول ثان لها وحرسا تمييز جمع حارس كخدم وخادم (قوله وشهبا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شعلا منفصلة من نار الكواكب لان الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أي امتلاؤها بالحرس والشهب (قوله مقاعد للسمع) أي لاجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حالي والمراد الاستقبال والحاصل أن الشياطين كانوا أولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملا الفضاء وصارت لاتخطئهم فنعوا من الصعود بالكلية لكن مازالوا يتوجهون الى الصعود فتحرقهم الشهب (قوله رصدا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أي مرصودا له (قوله

بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا في قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية (فقالوا) لقومهم لما رجعوا اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) يتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يهدي الى الرشد) الايمان والصواب (فآمنا به ولن نشرك) بعد اليوم (بربنا أحدا وانه) الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده (تعالى جد ربنا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب اليه (مااتخذ صاحبة) ولا ولدا (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا (على الله شططا) غلوا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد (وانا ظننا أن) مخففة أي أنه (لن تقول الانس والجن على الله كذبا) بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون) يستعيذون (برجال من الجن) حين ينزلون في سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فزادوهم) بعوذهم بهم (رهقا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والانس (وانهم) أي الجن (ظنوا كما ظننتم) يا انس (أن) مخففة أي انه (لن يبعث الله احدا) بعد موته قال الجن (وانا لمسنا السماء) رمنا استراق السمع منها (فوجدناها ملئت حرسا) من الملائكة (شديدا وشهبا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم (وانا كنا) أي قبل مبعثه (نقعد منها مقاعد للسمع) أي نستمع (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أي أرصد له ليرمى به (وانا لاندري

أشرأريد الخ) قيل القائل ذلك ابليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لاندري أشر أريد بمن في الارض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم فانهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه أم أراد ان يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنادون ذلك) خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر امابمعنى غير وفتح لاضافته لغير متمكن أوصفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير ومن ذلك قولهم مناظعن ومنا أقام أي منا فريق ظعن الخ (قوله اى قوم غير صالحين) اى غير مسلمين (قوله كناطرائق) أي ذوي مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قددا) جمع قدة بالكسر وهي في الاصل الطريق والسيرة فاستعمالها في الفرق مجاز (قوله وانا ظننا) أي علمنا وتيقنا (قوله في الارض) حال وكذا قوله هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو جملة اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وأنا منا المسلمون) أى وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر (قوله الجائرون) أى فالقاسط الجائر وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة المسلم وضده (قوله فكانوا لجهنم حطبا) ان قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يعذبون بها أجيب بأنهم وان خلقوا منها لكن هم ضعاف والنار قوية وقوي النار يأكل ضعيفها (قوله وانا وانهم وانه) مبتدأ وقوله في اثنى عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هي مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وانا أي في ثمان مواضع وانا ظننا وانا لمسنا الخ وقوله وانهم أي في موضع واحد وانهم ظنوا وقوله وانه أي في ثلاثة مواضع وانه تعالى وانه كان يقول وانه كان رجال فصح قوله في اثنى عشر موضعا وقوله وانه تعالى أي هي أولها وآخرها وانا منا المسلمون ومابينهما أي بين الاول والآخر وهو عشرة مواضع وقبل هذه الاثنى عشر موضعان أحدهما بالفتح لاغير أنه استمع نفر وثانيهما بالكسر لاغير انا سمعنا قرآنا عجبا وبعدها موضعان أحدهما بالفتح لاغير وان المساجد لله وثانيهما فيه الوجهان وانه لما قام عبد الله فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر (قوله بما يوجه به) أي بأن يؤول بمصدر أو يعطف على المصدر (قوله قال تعالى في كفار مكة) أشار بذلك الى أن قوله وأن لو استقاموا الى آخره ليس متعلقا بالجن بل هو من جملة الموحى به (قوله وهو معطوف على انه استمع) أى والتقدير أوحى الى استماع نفر وكونهم لو استقاموا الخ (قوله لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمن هؤلاء الكفار لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم في الدنيا زيادة على مايحصل لهم في الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عز الدنيا والآخرة والعامة على كسر واو لو على الاصل وقرئ شذوذا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال المامورات واجتناب المنهيات (قوله لاسقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقيا بل المراد التوسعة عليهم في الدنيا وبسط الرزق وانما اقتصر على ذكر الماء لان الخير والرزق كله في الماء فهو أصل الارزاق قال عمر أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحتين في السبع وقرئ شذوذا بفتح الغين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تعب يقال غدقت عينه تغدق أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثر ماؤها (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد مارفع الخ (قوله لنفتنهم فيه) أى الماء وفي للسببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق والا فهو تعالى لا يخفى عليه شئ فالمعنى ليظهر لهم متعلق علمنا وفي الآية معنى اشاري للصوفية وهو ان العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك في مرضاة الله تعالى لملأ الله قلوبهم بالاسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء في كونها حياة الارواح كما أن الماء حياة الاجسام فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا ويطربوا ويدهشوا ويخرجوا عن الاهل والاوطان فالاستقامة

أشرأريد) بعدم استراق لسمع (بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا) خيرا (وانا منا الصالحون) بعد استماع القرآن (ومنا دون ذلك) أى قوم غير صالحين (كنا طرائق قددا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين (وانا ظننا أن) مخففة أي أنه (لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا) أى لانفوته كائنين في الارض أو هاربين منها الى السماء (وأنا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف) بتقدير هو بعد الفاء (بخسا) نقصا من حسناته (ولا رهقا) ظلما بالزيادة في سيآته (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون بكفرهم (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) قصدوا هداية (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) وقودا وانا وانهم وانه في اثنى عشر موضعا هي وانه تعالى وانا منا المسلمون وما بينهما بكسر الهمزة استئنافا وبفتحها بما يوجه به قال تعالى في كفار مكة (وأن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وانهم وهو معطوف على انه استمع (لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا من السماء وذلك بعد مارفع المطر عنهم سبع سنين (لنفتنهم) لنختبرهم (فيه) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور

(ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن (نسلكه) بالنون والياء ندخله (عذابا صعدا) شاقا (وأن المساجد) مواضع الصلاة (لله فلا تدعوا) فيها (مع الله أحدا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا (وانه) بالفتح والكسر استئنافا والضمير للشأن (لما قام عبد الله) محمد النبي صلى الله عليه وسلم (يدعوه) يعبده ببطن نخل (كادوا) أي الجن المستمعون لقراءته (يكونون عليه لبدا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد في ركوب بعضهم بعضا ازدحاما حرصا على سماع القرآن (قال) مجيبا للكفار في قولهم ارجع عما أنت فيه وفي قراءة قل (انما أدعو ربي) الها (ولا أشرك به أحدا قل اني لا أملك لكم ضرا) غيا (ولا رشدا) خيرا (قل اني لن يجيرني من الله) من عذابه ان عصيته (أحد ولن أجد من دونه) أي غيره (ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا) استثناء من مفعول أملك أي لا أملك لكم الا البلاغ اليكم (من الله) أي عنه (ورسالاته) عطف على بلاغا وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (ومن يعص الله ورسوله) في التوحيد فلم يؤمن (فان له نار جهنم خالدين) حال من ضمير من في له رعاية لمعناها

وهي حال مقدرة والمعنى يدخلونها مقدرا خلودهم (فيها أبدا حتى اذا رأوا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة

سبب الرزق الظاهري والباطني (قوله بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ندخله) أشار بذلك الى أنه ضمن نسلك معنى ندخل فعداه للمفعول الثاني بنفسه (قوله صعدا) مصدر صعد بكسر العين كفرح وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل (قوله شاقا) هذا تفسير باللازم والا فمعنى الصعود العلو والارتفاع (قوله وأن المساجد لله) هو من جملة الموحى به أي وأوحى الى كون المساجد مختصة بالله * واختلف في المراد بالمساجد فقيل هي جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد به جميع البقاع لان الارض جعلت كلها مسجدا لهذه الامة وقيل جمع مسجد بالفتح وهو الاعضاء الواردة في الحديث الجبهة والانف والركبتان واليدان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء نعم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله وقيل المراد بها الاماكن المبنية للعبادة واضافة المساجد الى الله تعالى للتشريف والتكريم وقد تنسب لغيره على سبيل التعريف كما في الحديث صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أي لا تعبدوا غير الله فهو توبيخ للمشركين في عبادتهم الاصنام وقيل المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما في الحديث من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وفي الحديث كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فاسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار واذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب على الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما أعطيتني أبدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا أي غنى (قوله وأنه لما قام عبد الله الخ) سياق هذه الآية انما يظهر في المرة الثانية وهي التي كانت في الحجون وكان معه فيها ابن مسعود وكان الجن اذ ذاك اثني عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وبايع جميعهم وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر ووصفه الله بالعبودية زيادة في تشريفه وتكريمه (قوله ببطن نخل) المناسب أن يقول بحجون مكة وهي المرة الثانية وأما الاولى التي هي ببطن نخل فكانوا سبعة أو تسعة فلا يتأتى قوله كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أي فهما سبعيتان (قوله جمع لبدة) أي بكسر اللام كسدرة وسدر على قراءة الكسر أو ضمها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله قال انما أدعو ربي الخ) سببه ان كفار قريش قالوا له انك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك وننصرك (قوله وفي قراءة قل) أي وهي سبعية أيضا وعليها ففي الكلام التفات من الغيبة للخطاب (قوله الها) قدره اشارة الى أن ادعو بمعنى اعتقد فتتعدى لمفعولين ولو فسرها بأعبد لاستغنى عن هذا التقدير (قوله غيا) أشار بذلك الى أن المراد بالضر الغي فاطلق المسبب وأريد السبب فان الضر سببه الغي فهو مجاز مرسل وكذا يقال في قوله ولا رشدا (قوله قل اني لن يجيرني الخ) بيان لعجزه عن شؤن نفسه بعد بيان عجزه عن شؤن غيره (قوله استثناء من مفعول أملك) أي من مجموع الامرين وهما قوله ضرا ورشدا بعد تأويلهما بشيأ كأنه قال لا أملك لكم شيأ الا بلاغا فهو استثناء متصل وجملة قل اني لن يجيرني الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه أتى بها لتأكيد نفي الاستطاعة (قوله عطف على بلاغا) أي كأنه قال لا أملك لكم الا التبليغ والرسالة والمعنى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا وان أبلغ رسالاته أي أحكامه التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله في التوحيد) أخذ ذلك من قوله خالدين فيها أبدا لان الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر (قوله فان له نار جهنم) العامة على كسر ان لوقوعها بعد فاء الجزاء وقرئ شذوذا بفتحها على انها مع ما في حيزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف والتقدير فجزاؤه ان له نار جهنم (قوله في له) أي حال من الهاء المجرورة باللام (قوله فسيعلمون) جواب اذا والسين لمجرد

(من أضعف ناصرا وأقل عددا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الاول أو أنا أم هم على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قل ان) أى ما (أدرى أقريب ما توعدون) من العذاب (أم يجعل له ربى أمدا) غاية وأجلا لا يعلمه الا هو (عالم الغيب) ما غاب به عن العباد (فلا يظهر) يطلع (على غيبه أحدا) من الناس (الا من ارتضى من رسول فانه) مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له (يسلك) يجعل ويسير (من بين يديه) أى الرسول (ومن خلفه رصدا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه فى جملة الوحى (ليعلم) الله علم ظهور (أن) مخففة من الثقيلة أى انه (قد أبلغوا) أى الرسل (رسالات ربهم) روعى بجمع الضمير معنى من (وأحاط بما لديهم) عطف على مقدر أى فعلم ذلك (وأحصى كل شئ عددا) تمييز وهو محول عن المفعول والاصل أحصى عدد كل شئ

﴿ سورة المزمل مكية أو الا قوله ان ربك يعلم الى آخرها فمدنى تسع عشرة أو عشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها المزمل) النبى وأصله المتزمل أدغمت التاء فى الزاى أى المتلفف بثيابه حين مجئ الوحى له خوفا منه لهيبته

التأكيد لا الاستقبال لان وقت رؤية العذاب يحصل العلم المذكور (قوله من أضعف ناصرا) من اما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر لمحذوف أى هو أضعف والجملة صلة الموصول وناصرا وعددا تمييزان محولان عن المبتدا على حد أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا التوزيع تكلف لا داعى له بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين (قوله فقال بعضهم) هو النضر بن الحرث وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وانكار اللعذاب (قوله أقريب) مبتدأ وما توعدون فاعل سد مسد الخبر وما موصولة وعائدها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه الا هو) صفة لاجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع فى قراءة العامة على أنه بدل من ربى أو خبر لمحذوف وقرئ شذوذا بالنصب على المدح وقرئ شذوذا علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ما غاب به) المناسب حذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أى اظهارا تاما كاملا يستحيل تخلفه فليس فى الآية ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف ولكن اطلاع الانبياء على الغيب أقوى من اطلاع الاولياء لان اطلاع الانبياء يكون بالوحى وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الاولياء فعصمة الانبياء واجبة وعصمة الاولياء جائزة (قوله الا من ارتضى) أى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه فانه يظهره على ما يشاء من غيبه (قوله فانه يسلك الخ) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال الا من ارتضى من رسول فانه اذا أراد اظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أى من الجن قال قتادة وغيره كان الله اذا بعث رسولا أتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره فاذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسلك غاية له وقوله علم ظهور دفع به ما قد يتوهم من قوله ليعلم أن العلم متجدد فأجاب بأن المعنى ليظهر متعلق علمه (قوله رسالات ربهم) أى كما هى محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أى فى قوله من ارتضى (قوله وأحاط بما لديهم) الضمير عائد على الرسل والملائكة والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شئ عددا) أى من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار وجميع الاشياء جليلها وحقيرها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم

﴿ سورة المزمل مكية ﴾

أى وهو قول الجمهور لانها أول ما نزل بعد آية اقرأ أو قوله أو الا قوله الخ هذا قول الثعلبى وعليه فهو ناسخ لان السورة وليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ما قيل فيها عشر سنين (قوله يا أيها المزمل) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى معنى المزمل فقيل المتلفف بثيابه وهو ما مشى عليه المفسر وقيل المزمل بالنبوة والمدثر بالرسالة وقيل المزمل بالقرآن وقيل معناه يا أيها الذى زمل هذا الامر أى حمله واعلم ان هذا الوصف أثبته العلماء من جملة أسمائه صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف فى ذلك السهيلى محتجا بانه اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب ورد بان هذا لا يضر فى التسمية وأيضا فاسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به فى القرآن وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء فى الزاى) أى بعد قلبها زايا (قوله حين مجئ الوحى) أى جبريل فى ابتداء الرسالة بعد ان جاءه باقرأ باسم ربك وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى فى غار حراء رجع الى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال زملونى زملونى لقد

خشيت على نفسي أي من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله فقالت له خديجة وكانت وزيرة صدق رضي الله عنها كلا والله مايخزيك الله أبدا انك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والامر للوجوب واختلف فيه فقيل كان واجبا عليه وعلى أمته وقيل كان واجبا عليه وعلى جميع الانبياء قبله وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ التعيين بآخر السورة ثم نسخ بالصلوات الخمس (قوله صل) أي فالمعنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقال ان النصف مساو للنصف الآخر لا قليل فأجاب بأنه يوصف بالقلة بالنظر لكل الليل لا بالنظر للنصف الآخر (قوله الى الثلث) أي انقص من النصف الذي تنامه فمعناه قم ثلثي الليل وقوله الى الثلثين أي زد على النصف الذي تنامه حتى تبلغ الثلثين فمعناه قم ثلث الليل فتحصل ان المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب المخير (قوله ورتل القرآن) أي في أثناء قيامك والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدة وسكينة ووقار (قوله انا سنلقي الخ) هذه الجملة معترضة بين الامر بقيام الليل وتعليله بقوله ان ناشئة الليل وفي الحقيقة هذه الجملة أيضا تصلح أن تكون علة للامر بقيام الليل كأنه قال قم الليل لتتهيأ لتحمل القول الثقيل الذي سننزله عليك (قوله مهيبا) أي عظيما جليلا واختلف في معنى كونه ثقيلا فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه وقال محمد بن كعب ثقيل على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم وقيل ثقيل بمعنى كريم وقيل ثقيل لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وأجمع من هذا أن معناه كثير الفوائد والمعاني لا يدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذي لا ينقص بالاغتراف فجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يغترفون منه قال البوصيري

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم
فلا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام من الاكثار بالسأم

وما مشى عليه المفسر من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال وقيل ان المراد به الوحي لما في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحي اليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الارض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه وقالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل القول الثقيل هو قول لا اله الا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك الى ان ناشئة مصدر نشأ اذا قام ونهض كالعاقبة والعافية و يصح أن تكون صفة لمحذوف أي ان النفس الناشئة بالليل أي القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطأ) تمييز أي من جهة المواطأة أي الموافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أي ان هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ما وقع في الحواس وعاه القلب لخلو القلب عن الشواغل فلا مفهوم لقول المفسر السمع وفي وطأ قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناهما ما قاله المفسر (قوله أبين قولا) أي أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لسكون الاصوات (قوله سبحا طويلا) السبح مصدر سبح استعير من السباحة في الماء للتصرف في الاشغال (قوله لا تفرغ فيه الخ) أي فعليك بها في الليل الذي هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل (قوله أي قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع في ذلك السهيلي وقال جمهور المفسرين ان قوله واذكر اسم ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك (قوله انقطع اليه في العبادة) أي أخلص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل) أي كما علم تعليلا على حد قول ابن مالك

وغير ذي ثلاثة مقيس * مصدره كقدس التقديس

(قم الليل) صل (الا قليلا نصفه) بدل من قليلا وقلته بالنظر الى الكل (أو انقص منه) من النصف (قليلا) الى الثلث (أو زد عليه) الى الثلثين وأو للتخيير (ورتل القرآن) تثبت في تلاوته (ترتيلا انا سنلقي عليك قولا) قرآنا (ثقيلا) مهيبا أو شديدا لما فيه من التكاليف (ان ناشئة الليل) القيام بعد النوم (هي أشد وطأ) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وأقوم قيلا) أبين قولا (ان لك في النهار سبحا طويلا) تصرفا في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن (واذكر اسم ربك) أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك (وتبتل) انقطع (اليه) في العبادة (تبتيلا) مصدر بتل

جيء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل هو (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) موكولا له أمورك (واصبر على ما يقولون) أي كفار مكة من أذاهم (واهجرهم هجرا جميلا) لا جزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم (وذرني) اتركني (والمكذبين) عطف على المفعول أو مفعول معه والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (أولي النعمة) التنعم (ومهلهم قليلا) من الزمن فقتلوا بعد يسير منه

ببدر (إن لدينا أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل بكسر النون (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) يغص به في الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل (وعذابا أليما) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم (يوم ترجف) تزلزل (الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء (إنا أرسلنا إليكم) يا أهل مكة (رسولا) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شاهدا عليكم) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) هو موسى عليه الصلاة والسلام (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) شديدا (فكيف تتقون إن كفرتم) في الدنيا (يوما) مفعول تتقون أي عذابه أي بأي حصن تتحصنون من عذاب يوم (يجعل الولدان شيبا) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل في شين شيبا الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الأطفال وهو مجاز ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة (السماء منفطر) ذات انفطار أي انشقاق

وهذا إشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل وإنما هو مصدر لفعل آخر أجاب عنه بجوابين الأول قوله جيء به لرعاية الفواصل والثاني قوله وهو ملزوم التبتل وإيضاحه أن التبتل الذي هو مصدر تبتل كتكرم أطلق وأريد التبتيل الذي هو مصدر بتل كقدس لكونه لازماله ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك إلى أن قوله رب المشرق بالرفع خبر لمحذوف ويصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (فاتخذه وكيلا) نتيجة ما قبله والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب ولا إله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه (قوله واصبر على ما يقولون) هذا شروع في بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله واهجرهم هجرا جميلا) أي بأن تنذرهم ولا تكافئهم بأفعالهم فالهجر الجميل هو الترك مع عدم الإيذاء (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أي فهو منسوخ بآية القتال (قوله وذرني والمكذبين) أي فلا تشفع لهم ولا تحل بيني وبينهم بل اتركني معهم أنتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم وإجلال قدره (قوله أولي النعمة) نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم وبالكسر الشيء المنعم به وبالضم السرور (قوله ومهلهم قليلا) أي بلغهم على أني مهل لهم زمنا قليلا وهو إلى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سلط الله عليهم السنين المجدبة وهو العذاب العام ثم قتل صناديدهم ببدر وهو العذاب الخاص (قوله إن لدينا أنكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أي وهو القيد وقيل الغل (قوله وهو الزقوم) تقدم في الدخان أنه شجر مر من أخبث الشجر (قوله أو الضريع) سيأتي للمفسر في الغاشية أنه نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (قوله أو الغسلين) تقدم في الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لا يخرج ولا ينزل) تفسير لقوله يغص به فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا والتقدير استقر لهم عندنا ما ذكر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تتزلزل حذفت منه إحدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أي وتكون فعبر بالماضي لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أي عند سيبويه وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة ولذا اختاره المفسر وقال الكسائي إن المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذي يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول (قوله يا أهل مكة) أي ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله كما أرسلنا إلى فرعون الخ) خص موسى وفرعون بالذكر لأن قصتهما مشهورة عند أهل مكة (قوله فعصى فرعون الرسول) أل للعهد الذكري لأنه تقدم ذكره في قوله رسولا والقاعدة أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى (قوله شديدا) هذا قول ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل أي شديد وقيل الوبيل الثقيل الغليظ وقيل المهلك (قوله فكيف تتقون إن كفرتم) أي لا سبيل لكم إلى الوقاية من عذاب ذلك اليوم إن وقع الكفر منكم في الدنيا (قوله يجعل الولدان الخ) هذه الجملة صفة ليوما والضمير في يجعل إما عائد على الله أو على اليوم مبالغة أي إن نفس اليوم يجعل الولدان شيبا (قوله وهو مجاز) أي لفظ الشيب مجاز أي كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ) أي فيكون الشيب على حقيقته ولا مانع منه ثم في كلام المفسر إجمال وإيضاحه أن يقال إن كون الشيب على حقيقته مبني على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجازا مبني على أن المراد باليوم النفخة الثانية لأن القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منفطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انفطار) جواب عما يقال لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة فأجاب بأن هذه صيغة نسبة أي ذات انفطار ويجاب أيضا بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا

(به) بذلك اليوم لشدته (كان وعده) تعالى بمجيء ذلك اليوم (مفعولا) أي هو كائن لا محالة (ان هذه) الآيات المخوفة (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بالايمان والطاعة (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى) أقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) بالجر عطف على ثلثي وبالنصب عطف على أدنى وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسي به ومنهم من كان لا يدري كم صلى من الليل وكم بقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم قال تعالى (والله يقدر) يحصي (الليل والنهار علم أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن تحصوه) أي الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فتاب عليكم) رجع بكم الى التخفيف (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) في الصلاة بأن تصلوا ما تيسر (علم أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض) يسافرون (يبتغون من فضل الله) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس

(قوله به) الباء بمعنى في (قوله كان وعده تعالى) أشار به الى أن اضافة وعد للضمير من اضافة المصدر لفاعله وهو الله تعالى (قوله ان هذه الآيات) أي القرآنية وهي قوله ان لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الاشارة عائدا على السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أي النجاة وجملة اتخذ الى ربه سبيلا جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ الى ربه سبيلا فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفعل (قوله بالايمان والطاعة) أشار بذلك الى أن المراد باتخاذ السبيل التقرب الى الله تعالى بامتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله ان ربك يعلم الخ) شروع في بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ ومحله قوله فتاب عليكم وما قبله توطئة وتمهيد له (قوله أقل من ثلثي الليل الخ) ان قلت ان الاقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لانهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بأن معنى قوله أدنى التقريب أي يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ وعبر بالادنى لانها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكلفون بالظن لا التحقيق والتحرير بالدقة (قوله وبالنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أي فهو معمول لتقوم والمعنى تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ وقوله نحو ما أمر به خبره أي مثله فقوله هنا أدنى من ثلثي الليل المراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله أو انقص منه قليلا وقوله ونصفه المراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله قم الليل الا قليلا نصفه وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لقولنا تقريبا الا على قراءة الجر وأما قراءة النصب فظاهرة (قوله وجاز) أي العطف على ضمير الرفع المتصل من غير تأكيد بالضمير المنفصل وقوله للفصل أي بغير الضمير على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسي به خبره وقوله كذلك أي ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدري الخ) بيان الطائفة الاخرى التي لم تتأس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة تأست به في قيام الثلثين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فاحيوا الجميع (قوله سنة) أي على القول بأن السورة كلها مكية وقوله أو أكثر أي ستة عشر شهرا على القول بأنها مكية أيضا أو عشر سنين على القول بأن قوله ان ربك يعلم الخ مدني (قوله فخفف عنهم) أي عن الطائفتين من الصحابة (قوله أي الليل) أشار بذلك الى أن الضمير عائد على الليل لانه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم الى التخفيف) أي فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنبا (قوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالاجزاء الثلاثة الى جزء مطلق من الليل (قوله في الصلاة) بيان لمعنى القراءة في الاصل (قوله بأن تصلوا) أشار بذلك الى أن المراد بالقراءة الصلاة من اطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أي ولو ركعتين (قوله علم أن سيكون الخ) استئناف مبين لحكمة أخرى للترخيص والتخفيف (قوله مخففة من الثقيلة) أي واسمها ضمير الشأن وجملة سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون في الارض الخ) سوى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله اشارة الى أن كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد في الحديث ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود أيما رجل جلب شيأ من مدينة من مدائن الاسلام صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون يضربون في الارض الآية (قوله وغيرها) أي كطلب العلم وصلة الرحم (قوله فاقرؤا ما تيسر منه) انما كرره تأكيدا ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الاولى (قوله ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس) أي في حق الامة اتفاقا وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم بل بقي وجوب التهجد عليه لكن في خصوص العشر وقال الشافعي نسخ في حقه أيضا

ان قلت ان وجوب الصلوات الخمس لا ينافى وجوب قيام الليل وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا للحكم المنسوخ فالحق أن النسخ بالحديث وهو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابيا بأن الله افترض عليه خمس صلوات فى كل يوم وليلة فقال الاعرابى هل على غيرها يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم لا الا أن تطوّع فقوله لا نفى وجوب أى صلاة كانت غير الخمس (قوله وما تقدموا لانفسكم) ما شرطية وتجدوه جواب الشرط ومن خير بيان لما وعند الله ظرف لتجدوه وخيرا مفعول ثان لتجدوه (قوله مما خلفتم) أى وراءكم ان قلت ان الذى خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالاحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم فى العاجل (قوله وهو فصل) أى ضمير فصل (قوله وما بعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله أن ضمير الفصل لا يقع الا بين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة فأجاب بقوله يشبهها وقوله لامتناعه من التعريف أى لانه اسم تفضيل وهو لا يجوز دخول أل عليه اذا كان معه من لفظا أو تقديرا وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقرونا بمن (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا مغفرته فى جميع أحوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة ولا يزيل ذلك الحجاب الا الاستغفار كما قال تعالى فقلت استغفروا ربكم الآيات وكما قال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وفى الحديث أن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه

﴿ سورة المدثر مكية ﴾

أى بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل فى أول ما نزل من القرآن والصحيح أن أول ما نزل على الاطلاق اقرأ باسم ربك الى مالم يعلم وأول ما نزل بعد فترة الوحى يا أيها المدثر الى فاهجر * والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فى غار حراء فنزل جبريل بآية اقرأ كما فى حديث البخارى فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زملونى فنزل عليه يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ثم فتر الوحى فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال ويريد أن يرمى بنفسه فنودى وهو بغار حراء يا محمد انك رسول الله قال فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار ما يلى الجسد (قوله أدغمت التاء) أى بعد قلبها دالا وتسكينها (قوله أى المتلفف بثيابه) أى من الرعب الذى حصل له من رؤية الملك وقيل المدثر بالنبوّة والمعارف الالهية (قوله قم فأنذر) انما اقتصر على الانذار وان كان مبعوثا بالتبشير أيضا لانه فى ذلك الوقت لم يكن أحد يصلح للتبشير الا ما قل جدا فلما اتسع الاسلام نزل عليه انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (قوله وربك فكبر) أى خص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهرا وباطنا والفاء فى هذا وما بعده لافادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شئ فكبر والمعنى اعتقد أن ربك منزه عن كل نقص متصف بكل كمال (قوله وثيابك فطهر عن النجاسة) أى لان طهارة الثياب شرط فى صحة الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى والاحب فى غير الصلاة لان المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا وفى هذا رد على المشركين فانهم كانوا لا يصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يخالفهم فى ذلك (قوله أو قصرها) أى لان تطويل الثياب شأنه اصابة النجاسة فعبر بالملزوم عن اللازم وتقصير الثياب مطلوب لما فى الحديث ازار المؤمن الى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان على أسفل من ذلك ففى النار فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه ثم يتكلف رفعها بيده وورد من جر ازاره خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال أبو بكر يارسول الله ان أحد شقى ازارى يسترخى الا أنى أتعهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه وان كان يتحفظ من

(فاقرؤا ما تيسر منه) كما تقدم (وأقيموا الصلاة) المفروضة (وآتوا الزكاة وأقرضوا الله) بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال فى سبيل الخير (قرضا حسنا) عن طيب قلب (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا) مما خلفتم وهو فصل وما بعده وان لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) للمؤمنين

﴿ سورة المدثر مكية خمس وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (يا أيها المدثر) النبى صلى الله عليه وسلم وأصله المتدثر أدغمت التاء فى الدال أى المتلفف بثيابه عند نزول الوحى عليه (قم فأنذر) خوف أهل مكة النار ان لم يؤمنوا (وربك فكبر) عظم عن اشراك المشركين (وثيابك فطهر) عن النجاسة أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة

النجاسة وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية وقيل المراد طهر نفسك من الصفات المذمومة كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والذيل اذا أرادوا وصفه بالنقاء من ادناس الاخلاق ومن ذلك قول عكرمة لا تلبسها على معصية ولا على غدر وقال الحسن خلقك فحسن وقال سعيد بن جبير قلبك وبيتك فطهر وقال مجاهد هذا عملك فأصلح وقيل المراد بالثياب الاهل أي طهرهم من الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا قال تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن والآية صالحة لجميع تلك المعاني (قوله والرجز) بضم الراء وكسرها سبعيتان والزاي منقلبة عن السين ومعناهما واحد (قوله أي دم على هجره) دفع بذلك ما يقال ظاهر الآية يقتضي انه كان متلبسا بعبادة الاوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المن هنا الانعام والمعنى لا تعط شيأ مستكثرا له وقوله حال أي من فاعل تمنن (قوله أي لا تعط شيأ لتطلب أكثر منه) أي فالاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض بأن يهب شيأ ويطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الشيء الموهوب وقيل المعنى لا تعط شيأ مستكثرا له أي رائيا ما تعطيه كثيرا بل عده قليلا لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل وقال البوصيري

مستقل دنياك أن ينسب الامـ * ـساك منها اليه والاعطاء

وقوله أكثر منه أي ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهي عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس اليه وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه السلام خليفة الله الاعظم في خلقه دنيا وأخرى يقسم عليهم من خزائن الله تعالى فجميع ما يبذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولا أن يطلب عوضا من الفقراء وهو خليفة عن الغني المطلق فتدبر (قوله وهذا) أي النهي وقوله خاص به أي وأما أمته فليس حراما في حقهم (قوله فاذا نقر في الناقور) من النقر وهو القرع الذي هو سبب الصوت فاطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت والمعنى اذا صوت اسرافيل في الصور (قوله وهو القرن) أي وهو مستطيل سعته كما بين السماء والارض وفيه ثقب بعدد الارواح كلها وتجمع في تلك الثقبة فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقبة روح الى الجسد الذي نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (قوله أي وقت النقر) أي الذي هو معنى اذا (قوله بدل مما قبله) أي وهو اسم الاشارة وقوله المبتدا بيان لما وقوله وبني أي لفظ يوم وقوله الى غير متمكن أي وهو اذ وتنوينها عوض عن الجملة أي يوم اذ نقر في الناقور وقوله وخبر المبتدا يوم عسير أي لفظ يوم وقوله عسير صفة أولى له وغير يسير صفة ثانية (قوله ما دلت عليه الجملة) أي جملة الجزاء وهي قوله فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل في اذا فالناصب لها مدلول جوابها لا جوابها نفسه (قوله على الكافرين) متعلق بعسير وقوله فيه دلالة أي في التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على انه يسير على المؤمنين وأشار به الى جواب ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين وبشرى وتسلية للمؤمنين (قوله ذرني) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد اجلال وتعظيم له واشعار بان رحمته صلى الله عليه وسلم غالبة على غضبه (قوله على المفعول) أي وهو الياء في ذرني (قوله أو مفعول معه) أي فالواو للمعية (قوله أو من ضميره المحذوف) أي عائده المحذوف من خلقت أي خلقته ويحتمل أنه حال من التاء في خلقت أي خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد والاول أقرب (قوله هو الوليد بن المغيرة المخزومي) أي الذي تقدمت بعض أوصافه في سورة ن (قوله وجعلت له) عطف على خلقت (قوله مالا ممدودا) اختلف في مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أي فكان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أي المواشي (قوله عشرة) أي من الذكور وقد عد الخازن منهم سبعة وهم الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد (قوله شهودا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أي مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو

(والرجز) فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالاوثان (فاهجر) أي دم على هجره (ولا تمنن تستكثر) بالرفع حال أي لا تعط شيأ لتطلب أكثر منه وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لانه مأمور بأجمل الاخلاق وأشرف الآداب (ولربك فاصبر) على الاوامر والنواهي (فاذا نقر في الناقور) نفخ في الصور وهو القرن النفخة الثانية (فذلك) أي وقت النقر (يومئذ) بدل مما قبله المبتدا وبني لاضافته الى غير متمكن وخبر المبتدا (يوم عسير) والعامل في اذا ما دلت عليه الجملة أي اشتد الامر (على الكافرين غير يسير) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أي في عسره (ذرني) اتركني (ومن خلقت) عطف على المفعول أو مفعول معه (وحيدا) حال من من أو من ضميره المحذوف من خلقت أي منفردا بلا أهل ولا مال هو الوليد ابن المغيرة المخزومي (وجعلت له مالا ممدودا) واسعا متصلا من الزروع والضروع والتجارة (وبنين) عشرة أو أكثر (شهودا) يشهدون المحافل

وتسمع شهادتهم
(ومهدت) بسطت (له)
في العيش والعمر والولد
(تمهيدا ثم يطمع أن أزيد
كلا) لا أزيده على ذلك (انه
كان لآياتنا) أي القرآن
(عنيدا) معاندا (سأرهقه)
أكلفه (صعودا) مشقة
من العذاب أو جبلا من
نار يصعد فيه ثم يهوي أبدا
(انه فكر) فيما يقول في
القرآن الذي سمعه من
النبي صلى الله عليه وسلم
(وقدر) في نفسه ذلك
(فقتل) لعن وعذب
(كيف قدر) على أي
حال كان تقديره (ثم قتل
كيف قدر ثم نظر) في
وجوه قومه أو فيما يقدح
به فيه (ثم عبس) قبض
وجهه وكلحه ضيقا بما
يقول (وبسر) زاد في
القبض والكلوح (ثم
أدبر) عن اتباع النبي صلى
الله عليه وسلم (فقال) فيما
جاء به (ان) ما (هذا الا
سحر يؤثر) ينقل عن
السحرة (ان) ما (هذا الا
قول البشر) كما قالوا انما
يعلمه بشر (سأصليه)
أدخله (سقر) جهنم (وما
أدراك ما سقر) تعظيم
لشأنها (لا تبقي ولا تذر)
شيأ من لحم ولا عصب الا
أهلكته ثم يعود كما كان
(لواحة للبشر) محرقة

كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله وتسمع شهادتهم) أي كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد في الاصل التسوية والتهيئة أطلق وأريد به بسط المال والجاه (قوله بسطت له في العيش والعمر والولد) أي حتى لقب ريحانة قريش والوحيد (قوله ثم يطمع) عطف على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أي بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية ما زال في نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخدشة سهم أصابته في رجله كما قال البوصيري

وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء

(قوله انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل الردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) المعاند ينشأ من كبر في النفس أو يبس في الطبع أو شراسة في الاخلاق أو خبل في العقل (قوله يصعد فيه) أي سبعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت واذا رفعها عادت (قوله ثم يهوي) أي سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهوي (قوله انه فكر) أي ردد فكره فيما يطعن به في القرآن وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام البشر ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وانك داخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة تسأل من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال ألم تعلم اني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه وقدر ثم قال ما هذا الا سحر يؤثر (قوله فقتل) أي في الدنيا (قوله ثم قتل) أي فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة وثم للدلالة على ان الثانية أبلغ من الاولى فهي في هذه المواضع للتراخي وكيف منصوب على الحال من الضمير في قدر وهي للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله في وجوه قومه) أي نظر بعين الغضب من أجل الامر الذي قالوه فيه وقوله أو فيما يقدح به أي في القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيدا لقوله انه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أي قطب وجهه والعبس يطلق على ما يبس في أذناب الابل من البعر والبول وقوله وبسر يقال بسر يبسر بسرا وبسورا اذا قبض بين عينيه كراهية للشئ واسود وجهه منه يقال وجه باسر أي متقبض مسود فالبسور غاية في العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله الا سحر) أي أمور تخييلية لا حقائق لها وهي لدقتها تخفى أسبابها وقوله ينقل عن السحرة أي كمسيلمة وأهل بابل (قوله ان هذا الا قول البشر) نتيجة حصره في السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم ان كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح وان كان صعود الجبل والهبوط فهو بدل اشتمال فتدبر (قوله ما سقر) ما مبتدأ أو سقر خبره والجملة سدت مسد المفعول الثاني لادرى (قوله تعظيم لشأنها) أي نظير ما تقدم في سورة الحاقة (قوله لا تبقي ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجملتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا ما تقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدا

محذوف

لظاهر الجلد (عليها تسعة عشر) ملكا خزنتها قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين قال تعالى

(وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) أي فلا يطاقون كما يتوهمون (وما جعلنا عدتهم) ذلك (الا فتنة)

ضلالا (للذين كفروا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (ليستيقن) ليستبين (الذين أوتوا الكتاب) أي اليهود صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب (ايمانا) تصديقا لموافقة ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) من غيرهم في عدد الملائكة (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك بالمدينة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا) العدد (مثلا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كذلك) أي مثل اضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك) أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (الا هو وما هي) أي سقر (الا ذكرى للبشر كلا) استفتاح بمعنى ألا (والقمر والليل اذا) بفتح الذال (أدبر) جاء بعد النهار وفي قراءة اذ أدبر بسكون الذال بعدها همزة أي مضى (والصبح

اذا أسفر) ظهر (انها) أي سقر (لاحدى الكبر) البلايا العظام (نذيرا) حال من احدى وذكر لانها من العذاب (للبشر لمن شاء منكم) بدل من البشر (أن يتقدم) الى الخير أو الجنة بالايمان (أو يتأخر) الى الشر أو النار بالكفر

محذوف وقوله محرقة لظاهر الجلد أي فالمراد بالبشر الجلد ويطلق البشر على الناس جميعا أو معنى لواحة تظهر لهم وتلوح قبل أن يستقطوا فيها ولكن المعنى الاول أقرب (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أي وهم مالك ومعه ثمانية عشر وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثاني موافق لقوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وفي القرطبي قلت والصحيح ان شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء * وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها اهـ وقد ورد في صفة الخزنة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث شاء من جهنم وفي رواية ان لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي الجبل عليهم (قوله خزنتها) أي يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها ولا يتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة في الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الاشد بن كلدة بن خلف الجمحي قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الاشد أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني أنتم اثنين وفي رواية أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة (قوله الا فتنة) مفعول ثان لجعل على حذف مضاف أي الا سبب فتنة وقوله للذين صفة لفتنة وانما صار هذا العدد فتنة لهم من وجهين الاول ان الكفار يستهزؤن ويقولون لم لا يكونون أزيد من ذلك والثاني ان هذا العدد القليل كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله الى قيام الساعة (قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بجعلنا الثاني والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (قوله من غيرهم) أي غير اليهود فحصل التغاير فالمراد بالذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أولا اليهود والمراد بالذين أوتوا الكتاب ثانيا هم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الامة فاندفع ما يقال ان في الآية تكرارا (قوله بالمدينة) حال من الذين أي حال كونهم بالمدينة وهذا من الله اخبار بما سيقع لان السورة نزلت قبل الهجرة بمكة (قوله ماذا الخ) ما اسم استفهام مبتدأ وذا موصول خبره وأراد الله صلة الموصول ومثلا حال والمعنى ما الذي أراده الله بهذا حال كونه مثلا حقيقة لغرابته لان هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا (قوله أي مثل اضلال) أشار به الى ان الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف أي يضل اضلالا مثل ذلك (قوله وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه أو بضم أوله وفتح ثانيه (قوله وما يعلم جنود ربك الا هو) هذا جواب لابي جهل حين قال أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر (قوله أي سقر) أعاد الضمير على سقر ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها (قوله الا ذكرى للبشر) أي يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أي فأتى بها تعظيما للقسم عليه وحينئذ فالوقف على ما قبلها وقيل انها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح الذال) أي فاذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفي قراءة الخ أي فاذ ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما اذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شذوذا اذا أدبر بالفين واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد أو دبر معناه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذي مشى عليه المفسر (قوله انها لاحدى الكبر) جواب القسم (قوله حال من احدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر وهو أظهرها (قوله لمن شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله

(كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة ٢١٠ مأخوذة بعملها في النار (إلا أصحاب اليمين) وهم المؤمنون فناجون منها كائنون (في جنات يتساءلون) بينهم (عن المجرمين) وحالهم و يقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار (ما سلككم) أدخلكم (في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض) في الباطل (مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين) البعث والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والأنبياء والصالحين والمعنى لا شفاعة لهم (فما) مبتدأ (لهم) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عن التذكرة معرضين) حال من الضمير والمعنى أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ (كأنهم حمر مستنفرة) وحشية (فرت من قسورة) أسد أي هربت منه أشد الهرب (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أي من الله تعالى باتباع النبي كما قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (كلا) ردع عما أرادوه (بل لا يخافون الآخرة) أي عذابها (كلا) استفتاح (إنه) أي القرآن (تذكرة) عظة (فمن شاء ذكره) قرأه فاتعظ به (وما يذكرون) بالياء والتاء (إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى) بأن يتقى

فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله كل نفس) أي مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والكسب بمعنى العمل (قوله إلا أصحاب اليمين) فتعلمت أن الاستثناء متصل وأهل اليمين يعم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة إما ابتداء ودواما وإما دواما (قوله كائنون في جنات) أشار بذلك إلى أن قوله في جنات متعلق بمحذوف خبر عن مبتدأ مقدر أي هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر والتقدير ما شأنهم وحالهم (قوله يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا وقوله عن المجرمين أي الكافرين والكلام على حذف مضاف أي عن حالهم (قوله و يقولون لهم) أي للمجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم والحاصل أن أهل الجنة حين يستقرون فيها وينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت و يا أهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضا عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا في النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم ما سلككم في سقر (قوله ما سلككم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نطعم المسكين) أي نعطيه ما يجب علينا عطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نخوض مع الخائضين) أي في القرآن فنقول فيه إنه سحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التي كانوا يخوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصيص بعد تعميم لأن الخوض في الباطل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره وفي هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية في الأمور الأربعة (قوله والمعنى لا شفاعة لهم) أي فالنفي مسلط على القيد والمقيد معا وهذا خلاف القاعدة من أن النفي إذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط فهنا ليس المراد أنه توجد شفاعة لكنها غير نافعة بل المراد لا توجد شفاعة أصلا (قوله انتقل ضميره) أي الضمير الذي كان مستكنا في المحذوف وقوله إليه أي إلى هذا الخبر الذي هو الجار والمجرور لأن القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبرا حذف متعلقه وجوبا وانتقل ضميره إليه وسمي حينئذ ظرفا أو جارا أو مجرورا مستقرا لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أي المجرور باللام (قوله كأنهم حمر) حال من الضمير في معرضين فهي حال متداخلة (قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أي نافرة بنفسها من أجل الأسد أو نفرها الأسد فقوله وحشية ليس تفسيرا لمستنفرة فكان المناسب تقديمه عليه (قوله أسد) وقيل القسورة الجماعة الذين يصطادونها (قوله بل يريد كل امرئ الخ) إضراب انتقالي عن محذوف كأنه قيل لا سبب لهم في الإعراض بل يريد الخ وسبب نزول الآية أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك وكانوا يقولون إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أي من كفار قريش (قوله منشرة) أي طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها (قوله بل لا يخافون الآخرة) إضراب انتقالي لبيان سبب تعنتهم واقتراحهم إذ لو خافوا الآخرة لما تعنتوا بل كانوا يكتفون بأي دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أي أو ردع وزجر (قوله فمن شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) أي لا يحصل منكم ذكر إلا في حال مشيئة الله له أي إرادته لأن ما أراده يقع ولا بد وفيه تسلية للنبي حيث ينظر للحقيقة وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم قال بعض العارفين عن لسان الحضرة

أيها المعرض عنا * إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا * كل ما فيك يردنا

(قوله هو أهل التقوى) أي حقيق بأن تمتثل عباده أوامره وتجتنب نواهيه (قوله وأهل المغفرة) أي هو جدير بأن يغفر لمن اتقاه وورد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى فمن اتقى أن يشرك بي غيري فأنا أهل أن أغفر له

﴿ سورة القيامة مكية أربعون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا) زائدة فى الموضعين (أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) التى تلوم نفسها وان اجتهدت فى الاحسان وجواب القسم محذوف أى لتبعثن دل عليه (أيحسب الانسان) أى الكافر (ألن نجمع عظامه) للبعث والاحياء (بلى) نجمعها (قادرين) مع جمعها (على أن نسوى بنانه) وهو الاصابع أى نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة (بل يريد الانسان ليفجر) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة أى أن يكذب (أمامه) أى يوم القيامة دل عليه (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال استهزاء وتكذيب (فاذا برق البصر) بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به (وخسف القمر) أظلم وذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك فى يوم القيامة (يقول الانسان يومئذ أين المفر) الفرار (كلا) ردع عن طلب الفرار (لا وزر) لا ملجأ يتحصن به (الى ربك يومئذ المستقر) مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر) بأول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلابد من جزائه (ولو ألقى معاذيره) جمع معذرة على غير قياس أى لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه قال تعالى لنبيه (لا تحرك به) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لسانك لتعجل به) خوف أن يتفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) قراءتك اياه أى جريانه على لسانك

﴿ سورة القيامة مكية ﴾

أى بالاجماع وكذا قوله أربعون آية (قوله زائدة فى الموضعين) أى لتأكيد القسم ففيه دليل على أن لا تزاد كثيرا فى الكلام سواء كان فى أوله أو وسطه خلافا لمن يقول انها تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وقيل لا نافية لكلام تقدمها أتى بها ردا على منكرى البعث كأنه قال ليس الامر كما زعم وأقسم الخ كقولك لا والله (قوله التى تلوم نفسها) أى فى الدنيا لما شاهدت من حقيقتها وهى العدم وعظيم حق الله عليها فالعبد وان قطع نفسه أربا فى عبادة الله وطاعته لا يفى بحق الله عليه لان الفانى لا يقدر على القيام بحق الباقى واعلم أن الصوفية قسموا النفس الى سبعة أقسام الاول الامارة وهى نفوس الكفار ومن حذا حذوهم لا تأمر بخير أصلا ومع ذلك راضية بأفعالها مستحسنة لها الثانى اللوامة وهى التى تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا فى الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الترقى الثالث الملهمة وهى التى ألهمت فجورها وتقواها الرابع المطمئنة وهى التى اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره الخامس الراضية وهى التى رضيت عن الله فى جميع حالاتها السادس المرضية وهى التى جوزيت بالرضا من الله لان من رضى له الرضا السابع الكاملة وهى غاية المراتب وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومأخذ الجميع من القرآن فالامارة من قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء واللوامة من هذه الآية والملهمة من قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية (قوله أيحسب الانسان) استفهام توبيخ وتقريع (قوله ألن نجمع) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وان وما فى حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مسد مفعولى حسب وليس بين الهمزة واللام نون فى الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بلى) جواب لما بعد النفى (قوله قادرين) حال من فاعل الفعل المقدر الذى دل عليه بلى والتقدير نجمعها حال كوننا قادرين (قوله بنانه) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وهو الاصابع) أى اطرافها فالبنان أطراف الاصابع (قوله كما كانت) أى فى الدنيا (قوله بل يريد الانسان) اضراب انتقالى (قوله ونصبه بأن مقدرة) أى والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أى بأمامه والمعنى يريد الانسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسئل أيان) هذه الجملة اما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وأيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان معناهما التحير والدهشة وقيل برق بالكسر تحير وبالفتح لمع من شدة شخوصه فقوله دهش وتحير تفسير للقراءتين (قوله وذلك فى يوم القيامة) ان قلت ان طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس فى يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة أجيب بأن المراد بيوم القيامة ما يشمل وقت مقدماته من الامور العظام (قوله يقول الانسان) جواب اذا (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم اذ برق البصر الخ (قوله أين المفر) أى من الله أو من النار احتمالان (قوله الى ربك يومئذ) أى يوم اذ كانت هذه الامور المذكورة والجار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل الانسان) مبتدأ وبصيرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصيرة وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالانسان جوارحه أو أن الهاء للمبالغة كما قال المفسر والمعنى أنه لا يحتاج الى شاهد غير جوارحه بل هى تكفى فى الشهادة عليه (قوله ولو ألقى معاذيره) الجملة حالية من الضمير فى بصيرة ولو شرطية قدر المفسر جوابها بقوله ما قبلت منه (قوله على غير قياس) أى وقياسه معاذر بدون ياء (قوله أى لو جاء بكل معذرة الخ) أشار بذلك الى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجىء بالمعذر بالقاء الدلو فى البئر للاستقاء به واشتق من الالقاء ألقى بمعنى جاء (قوله قبل فراغ جبريل منه) أى من القائه عليك (قوله لتعجل به) أى بقراءته وحفظه (قوله ان علينا) تعليل للنهى عن العجلة (قوله قراءتك اياه) أشار

بقراءة جبريل (فاتبع قرآنه) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم يقرؤه (ثم ان علينا بيانه) بالتفهيم لك والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الاعراض عن ٢١٢ آيات الله وهذه تضمنت المبادرة اليها بحفظها (كلا) استفتاح بمعنى ألا (بل يحبون العاجلة) الدنيا بالياء والتاء في الفعلين (ويذرون الآخرة) فلا يعملون لها (وجوه يومئذ) أي في يوم القيامة (ناضرة) حسنة مضيئة (الى ربها ناظرة) أي يرون الله سبحانه وتعالى في الآخرة (ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديدة العبوس (تظن) توقن (أن يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر (كلا) بمعنى ألا (اذا بلغت) النفس (التراقي) عظام الحلق (وقيل) قال من حوله (من راق) يرقيه ليشفى (وظن) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أنه الفراق) فراق الدنيا (والتفت الساق بالساق) أي احدى ساقيه بالاخرى عند الموت أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة (الى ربك يومئذ المساق) أي السوق وهذا يدل على العامل في اذا المعنى اذا بلغت النفس الحلقوم تساق الى حكم ربها (فلا صدق) الانسان (ولا صلى) أي لم يصدق ولم يصل (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى أهله يتمطى) يتبختر في مشيته اعجابا (أولى لك) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أي وليك ما تكره (فأولى) أي فهو أولى بك من غيرك (ثم أولى لك فأولى) تأكيد (أيحسب) يظن (الانسان أن يترك سدى) هملا لا يكلف بالشرائع أي لا يحسب ذلك (ألم يك) أي كان (نطفة من مني يمنى) بالياء والتاء تصب في الرحم (ثم كان) المني (علقة فخلق) الله منها الانسان (فسوى) عدل أعضاءه (فجعل منه) من المني الذي صار علقة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزوجين)

بذلك الى أن قوله قرآنه مصدر مضاف لمفعوله (قوله بقراءة جبريل) أشار بذلك الى أن قوله فاذا قرأناه من قبيل اسناد ما هو للمأمور للآمر (قوله بالتفهيم) أي تفهيم ما أشكل عليك من معانيه (قوله والمناسبة بين هذه الآية) أي قوله لا تحرك به لسانك والمراد بالآية الجنس اذ المذكور ثلاث آيات (قوله وما قبلها) أي وهو قوله أيحسب الانسان الى قوله معاذيره (قوله تضمنت الاعراض الخ) أي لانها في منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن ومن المعلوم أن الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون العاجلة) الضمير للانسان المذكور في قوله أيحسب الانسان وجمع الضمير لان المراد بالانسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة) وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ ظرف لناضرة وسوغ بالابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وناظرة خبر ثان والى ربها متعلق بناظرة (قوله أي في يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين في يومئذ عوض عن جملة أي يوم اذ تقوم القيامة (قوله فقار الظهر) بفتح الفاء ما تصل من عظام الصلب من الكاهل الى العجب (قوله اذا بلغت النفس) أي مؤمنة أو كافرة والمعنى أخذت في النزع وقت الموت (قوله التراقي) جمع ترقوة (قوله عظام الحلق) أضافها اليه لقربها منه والافالتراقي العظام المكتنفة لثغرة النحر يمينا وشمالا ولكل انسان ترقوتان (قوله من راق) مبتدأ وخبر والجملة قائمة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من رقى يرقى بالفتح في الماضي وبالكسر في المضارع من الرقية وهي كلام يرقى به المريض ليشفى وهو ما مشى عليه المفسر وقيل انه من رقي يرقى بالكسر في الماضي والفتح في المضارع من الرقي وهو الصعود أي ان ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس ويحتمل أن أعوانه يقولون له من يرقى بهذه النفس أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمي اليقين ظنا لان الانسان ما دام مستمرة روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع في الحياة لشدة حبه لها (قوله أنه) أي النازل به (قوله والتفت) أي التصقت ساق الانسان عند موته بالاخرى قال قتادة أما رأيته اذا أشرف على الموت يضرب احدى رجليه بالاخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا الانسان اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الميت بساق الكفن وكل صحيح (قوله أو التفت شدة فراق الدنيا الخ) أي فالمراد بالساق الشدتان لان الساق يطلق على الشدة وهذا المعنى ظاهر في الكافر لانه ينتقل من سكرات الموت الى عذاب القبر (قوله وهذا يدل على العامل في اذا) أي الذي هو جوابها وقد بينه بقوله تساق الى حكم ربها (قوله فلا صدق) معطوف على قوله أيحسب الانسان أن نجمع عظامه وصدق من التصديق كما يشير له المفسر أي فلا صدق بالقرآن والنبي وقوله ولا صلى أي الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع لما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه وبين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب الى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر في دنياه وجملة يتمطى حالية من فاعل ذهب وفي معناه قولان أحدهما أنه من المطا الذي هو الظهر والمعنى يمد مطاه أي ظهره ويلويه تبخترا في مشيه والثاني أن أصله يتمطط من تمطط أي تمدد ومعناه أنه يتمدد في مشيته تبخترا والمعنيان متقاربان (قوله والكلمة اسم فعل) أي مبنية على السكون لا محل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على ما يفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل في الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أي تبيين المفعول فهي زائدة داخلة على المفعول على حد سقيا لك وقوله أي وليك بيان لمعنى الفعل الذي سمي (قوله فهو أولى بك) أي فالكلمة الثانية أفعل تفضيل فدلت الاولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره هذا ما سلكه المفسر وهو حسن (قوله أي لا يحسب ذلك) أي لا ينبغي ولا يليق منه هذا الحسبان (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله قادرين على أن نسوي بنانه والاستفهام للتقرير (قوله يمنى) فائدته بعد قوله مني الاشارة الى

سقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري مجرى البول (قوله النوعين) أي لا خصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى أو بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى وقال ابن عباس من قرأ سبح اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة الى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى اماما كان أو غيره وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله

﴿ سورة الانسان ﴾

وتسمى سورة هل أتى وسورة الامشاج وسورة الدهر مناسبة هذه السورة لما قبلها ان كلا منهما فيه دليل على البعث (قوله مكية) أي على قول جماعة وقوله أو مدنية هو قول الجمهور (قوله قد أتى) أي فليست هل للاستفهام لانه محال عليه تعالى وقيل انها للاستفهام التقريري والمعنى أتقرون بانه أتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالمقصود الزام الخصم المنكر للبعث كانه قال القادر على ايجاد الانسان من العدم قادر على اعادته وهو بهذا المعنى صحيح أيضا في الآية تقريران (قوله على الانسان) فسره هنا بآدم وفيما يأتي بالجنس وفيه أن المعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عينا الا أن يجاب بان القاعدة أغلبية أو يقدر مضاف في قوله خلقنا الانسان أي ذريته والاضافة تأتي لادنى ملابسة (قوله أربعون سنة) أي مرت عليه قبل ان تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف روى ان آدم خلق من طين فاقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فاقام أربعين سنة ثم من صلصال فاقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح اذا علمت ذلك فقول المفسر أربعون سنة أي باعتبار كونه طينا والا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيأ مذكورا ان قلت مقتضى الآية أنه يسمى انسانا في حال كونه طينا مع انه في ذلك الوقت لم يكن شيأ مذكورا أجيب بأن التسمية باعتبار ما آل اليه نظير اني أراني أعصر خمرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أي الصادق بآدم وأولاده وقوله وبالحين مدة الحمل أي ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والمائة والعشرين بالنسبة لآدم لان الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هي في الاصل الماء القليل في الوعاء ويطلق على الماء الصافي قل أو كثر سمي به مني الرجل والمرأة لسيلانهما ووضعهما في الرحم (قوله أمشاج) جمع مشج بفتحتين أو مشج بكسر فسكون أو مشيج بفتح فكسر كشريف والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة والثخن فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فايهما علا كان الشبه له وان سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى وان استويا فخنثى مشكل قال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الاوصاف في الماءين كما علمت (قوله مريدين ابتلاءه) جواب عما يقال ان الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف انما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لا قبله فاجاب بأنه حال مقدرة مؤولة بقوله مريدين ابتلاءه وارادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل فلم يكن في الآية تقديم ولا تأخير (قوله فجعلناه بسبب ذلك) أي بسبب ارادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أي عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكر لانهما أنفع الحواس وقدم السمع لانه أنفع في المخاطبات ولان الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية ولان البصر يعم البصيرة وهي تتضمن الجميع فيكون من ذكر العام بعد الخاص (قوله انا هديناه السبيل) تعليل لقوله نبتليه والمراد بالهداية الدلالة (قوله ببعث الرسول) أي جنسه الصادق بآدم

النوعين (الذكر والانثى) يجتمعان تارة و ينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أليس ذلك) الفعال لهذه الاشياء (بقادر على أن يحيي الموتى) قال صلى الله عليه وسلم بلى

﴿ سورة الانسان مكية أو مدنية احدى وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (هل) قد (أتى على الانسان) آدم (حين من الدهر) أربعون سنة (لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر أو المراد بالانسان الجنس وبالحين مدة الحمل (انا خلقنا الانسان) الجنس (من نطفة أمشاج) أخلاط أي من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نبتليه) نختبره بالتكليف والجملة مستأنفة أو حال مقدرة أي مريدين ابتلاءه حين تأهله (فجعلناه) بسبب ذلك (سميعا بصيرا انا هديناه السبيل) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (اما شاكرا) أي مؤمنا

وبعن بعده من الرسل الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله واما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكرا اما مراعاة لرؤس الآى أو لان الشاكر قليل والكافر كثير فعبر فى جانب الكفر بصيغة المبالغة (قوله من المفعول) أى وهو الهاء فى هديناه (قوله انا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله واما كفورا وقوله ان الابرار الخ راجع لقوله اما شاكرا (قوله سلاسل) اما بمنع الصرف كمساجد أو بالصرف لمناسبة قوله وأغلالا وهما قراءتان سبعيتان (قوله وأغلالا فى أعناقهم) أى فتجمع أيديهم الى أعناقهم (قوله ان الابرار الخ) لما ذكر حال الكفار وجزاءهم فى الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين وأطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أى كرب وأرباب وقوله أو بار أى كشاهد وأشهاد (قوله وهم المطيعون) أى المؤمنون الصادقون فى ايمانهم وان اقترفوا الذنوب فكل من كان ليس مستوجبا للخلود فى النار فهو من الابرار لذكرهم فى مقابلة الفجار فى قوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وهذا تعريف لمطلق الابرار فلا ينافى قولهم البر هو الذى لا يؤذى الذر أو الذى يؤدى حق الله ويوفى بالنذر أو غير ذلك فانه تعريف للابرار الكاملين كما هنا (قوله وهى فيه) أى فان لم تكن فيه فهو اناء (قوله والمراد من خمر) دفع بذلك ما يقال ان الضمير فى قوله مزاجها عائد على الكاس مع أن الكافور لا يمزج بالكاس بل بما فيه فأجاب المفسر بأن المراد بالكاس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله كافورا) ان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به أجيب بأن المراد انه كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرودته (قوله بدل من كافورا) أى على حذف مضاف أى ماء عين لان العين اسم لمنبع الماء وهو لا يبدل من الماء وما ذكره المفسر أحد احتمالات فى وجه نصب عينا ويصح أنه مفعول يشربون وقوله من كاس حال لانه نعت نكرة قدم عليها والاصل يشربون عينا من كاس أى خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها (قوله يشرب بها عباد الله) الجملة صفة لعينا وقوله منها اشارة الى أن الباء بمعنى من الابتدائية أى يبتدئون الشرب من العين (قوله أولياؤه) أى وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أى فهى سهلة لا تمتنع عليهم ورد أن الرجل منهم يمشى فى بيوته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجرى معه حيثما دار فى منازله على الارض المستوية ويتبعه حيثما صعد الى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لاعمالهم التى استوجبوا بها هذا النعيم الدائم والمراد بالنذر العهد أى يوفون بالعهد الذى أوجبه الله عليهم أو الذى التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر وغير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك الى أن حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أى شدائده من تشقق السموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الاهوال والشدائد التى تقع فى ذلك اليوم (قوله منتشرا) أى وأما المستطيل باللام فمعناه الممتد ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره فى الافق (قوله ويطعمون الطعام الخ) نزلت فى على بن أبى طالب وأهل بيته وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقى نخلا بشئ من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيأ ليأكلوه يقال له الخزيرة فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا اليه الطعام ثم صنع الثلث الثانى فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع أى مع حبه وشهوته ففيه ايثار على النفس ويصح رجوع الضمير لله أى على حب الله أى لوجهه وابتغاء رضوانه والاول أبلغ فى المدح (قوله مسكينا ويتيما وأسيرا) خص الثلاثة لانهم من العواجز المعدمين الكسب (قوله بمعنى المحبوس بحق) أى وأولى المحبوس بباطل (قوله فيه علة الاطعام) أى بيان سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أى ليطمئن الفقير بذلك لانه قد يقول فى نفسه انه يطعمنى ويريد أن يخدمنى مثلا (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثانى (قوله انا نخاف من ربنا) أى فلذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله انما

(واما كفورا) حالان من المفعول أى بيناله فى حال شكره أو كفره المقدرة واما لتفصيل الاحوال (انا أعتدنا) هيأنا (للكافرين سلاسل) يسحبون بها فى النار (وأغلالا) فى أعناقهم تشد فيها السلاسل (وسعيرا) نارا مسعرة أى مهيجة يعذبون بها (ان الابرار) جمع بر أو بار وهم المطيعون (يشربون من كاس) هو اناء شرب الخمر وهى فيه والمراد من خمر تسمية للحال باسم المحل ومن للتبعيض (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا عينا) بدل من كافورا فيها رائحته (يشرب بها) منها (عباد الله) أولياؤه (يفجرونها تفجيرا) يقودونها حيث شاؤا من منازلهم (يوفون بالنذر) فى طاعة الله (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) منتشرا (ويطعمون الطعام على حبه) أى الطعام وشهوتهم له (مسكينا) فقيرا (ويتيما) لا أب له (وأسيرا) يعنى المحبوس بحق (انما نطعمكم لوجه الله) لطلب ثوابه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) شكرا فيه علة الاطعام وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به قولان (انا نخاف من ربنا يوما

نطعمكم

نظهم كما لخ (قوله عبوسا) اسناد العبوس لليوم مجاز عقلي والمراد أهله من اسناد الشيء الى زمانه كنهاره صائم (قوله في ذلك) أي العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أي فبسبب خوفهم دفع الله عنهم شر ذلك اليوم وشدته وذكر القرطبي في تذكرته حديثا في بيان ما ينجي المؤمن من أهوال يوم القيامة وهو ما روي عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بر والديه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا الحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده الى جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فانه كان واصلا للرحم فكلموه وصافحوه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه التي كان بكاها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن الظن بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته علي فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الابواب كلها وأدخلته الجنة * قلت هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم وروى الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة (قوله نضرة) أي بدل العبوس (قوله وسرورا) أي فرحا في قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أي بترك فعلها وكذا على الطاعة بفعلها وعلى المصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى فأقسام الصبر ثلاثة وانما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لانه يستلزم القسمين الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة ولم يشك مولاه (قوله حال من مرفوع ادخلوها) أي ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاهم (قوله في الحجال) واحده حجلة بفتحتين وهي المسماة بالناموسية (قوله حال ثانية) أي من المقدر المذكور أو من المفعول (قوله أي لا حر ولا برد) أي فهي معتدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أي لاجل مقابلة قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أي بل بنور العرش وهو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله عطف على محل لا يرون) أي أو عطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك الى أن المراد بالظلال الشجر نفسه فدفع بذلك ما يقال ان الظل انما يوجد حيث توجد الشمس ولا شمس في الجنة (قوله وذللت) عطف على دانية وجعلت فعلية اشارة الى أن التذليل متجدد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت ثمارها) أي سهل تناولها تسهيلا عظيما لكل أحد (قوله ويطاف

عبوسا) تكلح الوجوه فيه أي كريه المنظر لشدته (قمطريرا) شديدا في ذلك (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم) أعطاهم (نضرة) حسنا واضاءة في وجوههم (وسرورا وجزاهم بما صبروا) بصبرهم عن المعصية (جنة) أدخلوها (وحريرا) ألبسوه (متكئين) حال من مرفوع ادخلوها المقدر (فيها على الارائك) السرر في الحجال (لا يرون) لا يجدون حال ثانية (فيها شمسا ولا زمهريرا) أي لا حرا ولا بردا وقيل الزمهرير القمر فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر (ودانية) قريبة عطف على محل لا يرون أي غير رائين (عليهم) منهم (ظلالها) شجرها (وذللت قطوفها تذليلا) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع (ويطاف

عليهم) فيها (بآنية من فضة وأكواب) أقداح بلا عرى (كانت قوارير قوارير من فضة) أي أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قدروها) أي الطائفون (تقديرا) على قدر ري الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب (ويسقون فيها كاسا) أي خمرا (كان مزاجها) ما تمزج به (زنجبيلا عينا) بدل من زنجبيلا (فيها تسمى سلسبيلا) يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب سهل المساغ في الحلق (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) بصفة الولدان لا يشيبون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وانتشارهم في الخدمة (لؤلؤا منثورا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه في غير ذلك (واذا رأيت ثم) أي وجدت الرؤية منك في الجنة (رأيت) جواب اذا (نعيما) لا يوصف (وملكا كبيرا) واسعا لا غاية له (عاليهم) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدا بعده وفي قراءة بسكون الياء مبتدا وما بعده خبره والضمير المتصل به للمطوف عليهم (ثياب سندس) حرير (خضر) بالرفع (واستبرق) بالجر ما غلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفي قراءة عكس ما ذكر فيهما وفي أخرى برفعهما وفي أخرى بجرهما (وحلوا أساور من فضة) وفي موضع آخر من ذهب

عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف شرابهم وبني الفعل للمجهول هنا لان المقصود بيان المطاف به لا بيان الطائف وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد في قوله ويطوف عليهم ولدان ولما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناه للفاعل (قوله بآنية) أصله أأنية بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام (قوله أقداح بلا عرى) أي فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج لادارته (قوله كانت قوارير) جمع قارورة وهي ما قر فيه الشراب ونحوه من كل اناء رقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة فجمعت صفاء الزجاج وبريقه وبياض الفضة ولينها قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء اذ الذي في الجنة أشرف وأعلى واعلم أن القراء السبعة في هاتين الكلمتين على خمس مراتب احداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف الثانية عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالالف الرابعة تنوين الاول والوقف عليه بالالف والثاني بدون تنوين ولا يوقف عليه بالالف الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها والتنوين للتناسب نظير ما تقدم في سلاسل وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع (قوله على قدر ري الشاربين) أي شهوتهم اذ لا عطش في الجنة والري بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك ألذ الشراب) أي لكونه لا يزيد على الحاجة فيستقذر الزائد ولا ينقص فيحتاج لمثله ثانيا وهذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيلا) أي ويصح أن يكون مفعول يسقون وقوله كاسا منصوب على نزع الخافض أي من كاس كما تقدم نظيره (قوله تسمى) أي تلك العين لسهولة اساغتها ولذة طعمها (قوله سلسبيلا) هو ما كان في غاية السلاسة وهي سهولة الانحدار في الحلق زيدت الباء في الكلمة حتى صارت خماسية وقال مقاتل وابن حبان سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان قال البغوي شراب الجنة في برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع (قوله يعني أن ماءها كالزنجبيل) أي فهو مماثل له في الاسم فجميع ما في الجنة من الاشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لا يشبه ما في الدنيا الا في مجرد الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء وألذه مما يعرفونه في الدنيا لاجل أن يسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق وقيل هم أولاد المؤمنين الصغار ورد بأنهم يلحقون بآبائهم تأنيسا وسرورا بهم وقيل هم أولاد الكفار (قوله لا يشيبون) أي لعدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه في غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم فأجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم في الخدمة شبههم باللؤلؤ المنثور (قوله واذا رأيت) الخطاب للنبي أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أي ما يتنعم به من مأكل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسعا لا غاية له) أي في الطول ولا في العرض لما في الحديث أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه ومن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رؤسهم كما تكون على رؤس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر الى وجهه بكرة وعشيا كل يوم (قوله عاليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفي قراءة أي سبعية أيضا (قوله وهو خبر المبتدا بعده) أي وهو ثياب ويصح العكس وهو كون عاليهم مبتدأ وثياب خبره (قوله ثياب سندس) الاضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ما ذكر) أي وهو جر خضر ورفع استبرق فجر خضر على الوصفية لسندس لانه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع استبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أي وثياب استبرق فالقراآت أربع سبعيات رفع خضر واستبرق وجرهما ورفع الاول وجر الثاني وعكسه وأما سندس فمجرور لا غير لاضافة ثياب اليه (قوله وحلوا) عبر بالماضي اشارة لتحقق وقوعه (قوله وفي موضع آخر الخ) أي فقال في سورة الحج وفاطر يحلون فيها من أساور من

ذهبا

للايذان بأنهم يحلون من النوعين معاومفرقا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) مبالغة في طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن) تأكيد لاسم ان أو فصل (نزلنا عليك القرآن تنزيلا) خبران أي فصلناه ولم ننزله جملة واحدة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ رسالته (ولا تطع منهم) أي الكفار (آثما أو كفورا) أي عتبة ابن ربيعة والوليد بن المغيرة قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الامر ويجوز أن يراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما أيا كان فيما دعاك اليه من اثم أو كفر (واذكر اسم ربك) في الصلاة (بكرة وأصيلا) يعني الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) يعني المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء يحبون العاجلة) الدنيا (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) شديدا أي يوم القيامة لا يعملون له (نحن خلقناهم وشددنا) قوينا (أسرهم) أعضاءهم ومفاصلهم (واذا شئنا بدلنا) جعلنا (أمثالهم) في الخلقة بدلا منهم بأن نهلكهم (تبديلا) تأكيد ووقعت اذا موقع ان نحو ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك واذا لما يقع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) طريقا بالطاعة

(وما تشاؤن) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (الا أن يشاء الله) ذلك (ان الله كان عليما) بخلقه (حكيما) في فعله (يدخل من يشاء في رحمته) جنته وهم المؤمنون (والظالمين) ناصبه فعل مقدر أي أوعد يفسره (أعد لهم عذابا أليما) مؤلما وهم الكافرون

﴿ سورة المرسلات مكية خمسون آية ﴾

ذهب ولؤلؤ (قوله للايذان) أي للاعلام وقوله معا أي فيجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أي فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب ما يشتهون (قوله وسقاهم ربهم) أسند الاسقاء لنفسه اشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم والى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ما تقدم (قوله شرابا طهورا) أي من الاقذار لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا (قوله ان هذا الخ) أي يقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها لمزيد الانس والسرور (قوله مشكورا) أي مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم ان) أي ويصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبران (قوله خبران) أي سواء جعلنا نحن تأكيدا أو فصلا (قوله أي فصلناه الخ) أي لحكمة بالغة وهي كما في الفرقان لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة (قوله فاصبر لحكم ربك) مشى المفسر على أن المراد بالحكم التكليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة وقيل ان المراد بالحكم القضاء والمعنى اصبر على أذى المشركين الذي حتمه الله في الازل فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أي عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك الى أن المراد بالآثم عتبة لانه كان متعاطيا لانواع الفسوق متظاهرا بها وأن المراد بالكفور الوليد فانه كان متظاهرا بالكفر داعيا اليه وبهذا ظهر التخصيص لكل وان كان كل منهما آثما وكفورا (قوله قالا للنبي ارجع الخ) حاصله أنهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر فقال عتبة أنا أزوجك ابنتي وأسوقها اليك من غير مهر وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فنزلت الآية (قوله أي لا تطع أحدهما الخ) أي والنهي عن طاعتهما معا معلوم بالاولى فأو أبلغ من الواو لانها النفي الاحد الدائر (قوله في الصلاة) أشار بذلك الى أن المراد بالذكر الصلاة والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والعصر) اطلاق الاصيل على العصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها والا فالزوال وما يقرب منه لا يسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعيضية والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شيء فصل من الليل الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله ان هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهي والامر والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة لان هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا بالدنيا فاترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لانه نعت نكرة قدم عليها ووراء اما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لا يعبؤن به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقل مجاز اذ الثقل من صفات الاعيان لا المعاني (قوله قوينا أسرهم) أي ربطنا أوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب (قوله أمثالهم) مفعول أول والثاني محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت اذا الخ) جواب عما يقال ان اذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم يشأ ذلك فكان المقام لان التي تفيد الاحتمال فأجاب بانه استعمل اذا موضع ان مجازا (قوله عظة للخلق) أي لان في تدبرها وتذكرها تنبيه الغافلين وفوائد للطالبين المقبلين بكليتهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أي فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله الا أن يشاء الله) منصوب على الظرفية والمعنى الا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع الى الحقيقة (قوله أوعد) وهذا المقدر يلاقي المذكور في المعنى فهو على حد زيدا مررت به

﴿ سورة المرسلات ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والمرسلات عرفا) أي الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا ونصبه على الحال (فالعاصفات عصفا) الرياح الشديدة (والناشرات نشرا) الرياح تنشر المطر (فالفارقات فرقا) أي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فالملقيات ذكرا) أي الملائكة تنزل بالوحي الى الانبياء أو الرسل يلقون الوحي الى الامم (عذرا أو نذرا) أي للاعذار والانذار من الله تعالى وفي قراءة بضم ذال نذرا وقرئ بضم ذال عذرا (انما توعدون) أي كفار مكة من البعث والعذاب (لواقع) كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محي نورها (واذا السماء فرجت) شقت (واذا الجبال نسفت) فتتت وسيرت (واذا الرسل وقتت) بالواو والهمز بدلا منها أي جمعت لوقت (لأي يوم) ليوم عظيم (أجلت) للشهادة على أممهم بالتبليغ (ليوم الفصل) بين الخلق ويؤخذ منه جواب اذا أي وقع الفصل بين الخلائق (وما أدراك مايوم الفصل) تهويل لشأنه (ويل يومئذ للمكذبين) هذا وعيد لهم (ألم نهلك الاولين) بتكذيبهم أي أهلكناهم (ثم نتبعهم الآخرين) ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم (كذلك) مثل فعلنا بالمكذبين (نفعل بالمجرمين) بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم (ويل يومئذ للمكذبين) تأكيد

وفي نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال ابن مسعود ونحن معه نسير حتى أوينا الى غار منى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وفاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم والغار المذكور مشهور قرب منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفا الخ) اعلم ان الله تعالى اقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف فقدره بعضهم الرياح في الكل وبعضهم قدره الملائكة في الكل وبعضهم غاير فجعله تارة الرياح وتارة الملائكة وأما ما ذكره المفسر فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن وحاصل صنيعه انه جعل الصفات الثلاثة الاول لموصوف واحد وهو الرياح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أي الرياح) أي رياح العذاب ليغاير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أي من الضمير في المرسلات والمعنى حال كونها مشابهة لعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها فالعرف بالضم شعر عنق الفرس والمعرفة كمرملة موضع العرف من الفرس (قوله فالعاصفات) من العصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذي هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أي تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للملقيات (قوله أي للاعذار الخ) أشار بذلك الى ان عذرا أو نذرا مفعولان لاجله والعامل بهما هو الملقيات والمراد بالاعذار ازالة أعذار الخلائق وبالانذار التخويف (قوله وفي قراءة بضم ذال نذرا) أي وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة والحاصل أن الضم في عذرا ونذرا على انهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر والسكون على أنهما مصدران (قوله انما توعدون الخ) جواب القسم وما بمعنى الذي والعائد محذوف أي ان الذي توعدونه (قوله فاذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف يفسره ما بعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أي بعد التفتيت (قوله أقتت) أي جعل لهم وقت للقضاء بينهم وبين أممهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أي على الاصل لانه من الوقت وقوله وبالهمز أي لان الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لاي يوم) متعلق بأجلت والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أي يقال لاي يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتت وقوله ليوم الفصل بدل من أي يوم باعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم (قوله ويؤخذ منه) أي من قوله ليوم الفصل وقوله جواب اذا أي المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله مايوم الفصل جملة من مبتدا وخبر سادة مسد المفعول الثاني والاستفهام الاول للاستبعاد والانكار والثاني للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للمكذبين) ويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمكذبين خبره ويومئذ ظرف لويل وكررت هذه الجملة في هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب والمراد بالويل قيل العذاب والخزي وقيل واد في جهنم فيه ألوان العذاب لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل وقيل انه مجمع ما يسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الاولين) الاستفهام تقريري وهو طلب الاقرار بما بعد النفي والمراد بالاولين الامم السابقة من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخرين كفار أمة محمد (قوله أي أهلكناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفي ونفي النفي اثبات نظير ألم نشرح لك صدرك (قوله ثم نتبعهم الآخرين) العامة على رفع العين استئنافا أو معطوفا على جملة ألم نهلك الاولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام مسلط عليه لانه يقتضي أن المعنى أهلكنا الاولين ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك وليس كذلك لان هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ وقرئ شذوذا بتسكين العين اما تخفيفا والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجزوم ويكون المراد بالاولين قوم نوح وعاد وثمود وبالآخرين قوم شعيب ولوط وموسى وحينئذ فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه السلام (قوله فنهلكهم) أي في

الدنيا

(ألم نخلقكم من ماء مهين) ضعيف وهو المني (فجعلناه في قرار مكين) حريز وهو الرحم (الى قدر معلوم) وهو وقت الولادة (فقدرنا) على ذلك (فنعم القادرون) نحن (ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا) مصدر كفت بمعنى ضم أي ضامة (أحياء) على ظهرها (وأمواتا) في بطنها (وجعلنا فيها رواسي شامخات) جبالا مرتفعات (وأسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين)

ويقال للمكذبين يوم القيامة (انطلقوا الى ما كنتم به) من العذاب (تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب) هو دخان جهنم اذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته (لا ظليل) كنين يظلهم من حر ذلك اليوم (ولا يغني) يرد عنهم شيأ (من اللهب) النار (انها) أي النار (ترمي بشرر) هو ما تطاير منها (كالقصر) من البناء في عظمه وارتفاعه (كأنه جمالات) جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة (صفر) في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أسود كالقير والعرب تسمي سود الابل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر في الآية بمعنى سود لما ذكر وقيل لا والشرر جمع شررة والشرار جمع شرارة والقير القار (ويل يومئذ للمكذبين هذا) أي يوم القيامة (يوم لا ينطقون) فيه بشيء (ولا يؤذن لهم) في العذر (فيعتذرون) عطف على يؤذن من غير تسبب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا اذن فلا اعتذار (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم) أيها المكذبون من هذه الامة (والاولين) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا (فان كان لكم كيد) حيلة في دفع العذاب عنكم (فكيدون) فافعلوه (ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال) أي تكاثف أشجار اذ لا شمس يظل من حرها (وعيون) نابعة من الماء (وفواكه مما يشتهون) فيه اعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب ما يجد

الدنيا كوقعة بدر (قوله ألم نخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى للكفار بعظيم انعامه عليهم و بقدرته على ابتداء خلقهم والقادر على الابتداء قادر على الاعادة ففيه رد على منكري البعث (قوله حريز) أي يحفظ فيه المني من الفساد (قوله الى قدر معلوم) أي مقدار معلوم من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فقدرنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة (قوله على ذلك) أي الخلق والتصوير (قوله كفاتا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن يقول اسم مكان لان كفت من باب ضرب فمصدره الكفت فالمعنى ألم نجعل الارض موضع كفت أي جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أي تضمهم في دورهم ومنازلهم في حال الحياة وتضمهم في بطنها في قبورهم حال الموت ثم هي اما راضية عليه فتضمه ضمة الام الشفوق أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه (قوله جبالا مرتفعات) أي لولاها لتحركت بأهلها (قوله ماء فراتا) أي من العيون والانهار فتشربون منه أنتم ودوابكم وتسقون منه زرعكم (قوله من العذاب) بيان لما (قوله انطلقوا الى ظل) توكيد لانطلقوا الاول (قوله ذي ثلاث شعب) أي فرق شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ففيه اشارة لعظم الدخان لان شأن الدخان العظيم اذا ارتفع يصير ثلاث شعب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش (قوله لا ظليل) صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفي وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة (قوله كنين) أي ساتر (قوله بشرر) هكذا براءين من غير ألف بينهما وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا بألف بين الراءين مع كسر الشين وفتحها فالشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وبفتح الشين جمع شرارة وهي على كل ما تطاير من النار متفرقا (قوله كأنه) أي الشرر فشبهه أولا بالقصر في العظم والكبر وثانيا بالجمال في اللون والكثرة والتتابع (قوله وفي قراءة) أي سبعية أيضا (قوله في هيئتها الخ) بيان لوجه الشبه (قوله لشوب سوادها) أي اختلاطه (قوله فقيل الخ) تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أي ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار) أي الزفت (قوله أي يوم القيامة) أي المدلول عليه بقوله انطلقوا الى ظل الخ (قوله لا ينطقون) أي في بعض المواقف وفي بعضها يتكلمون و يعتذرون فلا منافاة بين ما هنا وبين قوله يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ونحوه (قوله من غير تسبب عنه) جواب عما يقال ان العطف بالفاء أو الواو على المنفي يقتضي نصب المعطوف فلم رفع في الآية وايضاحه ان محل نصبه اذا كان متسببا عن المنفي نحو لا يقضى عليهم فيموتوا وأما اذا لم يكن متسببا كما هنا لان النفي متوجه للمعطوف والمعطوف عليه فانه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أي بين المحق والمبطل (قوله والاولين) اما عطف على الكاف في جمعناكم أو مفعول معه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أي يقال لهم هذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيدا تهكم بهم (قوله فكيدون) أي فاحتالوا لانفسكم وقاوموني فلم تجدوا مفرا (قوله ان المتقين الخ) ذكر في سورة هل أتى على الانسان أحوال الكفار في الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب في أحوال المؤمنين عكس ما فعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أي تكاثف أشجار) من اضافة الصفة للموصوف (قوله وعيون نابعة من الماء) أي ومن العسل واللبن والخمر كما في آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والفواكه (قوله بحسب شهواتهم) أي فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما في أنواع فاكهة الدنيا

قال تعالى أكلها دائم وظلها (قوله ويقال لهم) أي من قبل الله أو القائل لهم الملائكة اكراما لهم (قوله كما نجزي المتقين) أي بالظلال والعيون والفواكه نجزي المحسنين * ان قلت لا مغايرة بين المتقين والمحسنين ففيه تشبيه الشئ بنفسه * والجواب ان يراد بالمتقين الكاملون في الطاعة وبالمحسنين من عندهم أصل الايمان ويصير المعنى ان هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين في الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الايمان فالمماثلة في الاوصاف التي ذكرت في تلك الآية لا في المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أي فقليلا منصوب على الظرفية (قوله وغايته الى الموت) أي فهو مدة العمر قال بعض العلماء التمتع بالدنيا من أفعال الكافرين والسعي لها من أفعال الظالمين والاطمئنان اليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من أفعال الزاهدين وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها وجمعها وتركها (قوله واذا قيل لهم) أي لهؤلاء المجرمين أي من أي قائل كان (قوله صلوا) أي فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأي حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشر المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العقلية مع وضوحها لا يؤمنون بغيرها قال البوصيري في همزيته

واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتماله على الاعجاز) أي فقد ورد أن معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفا في القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لا ينتج ما قاله المفسر من عدم الامكان اذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم اعجازه ويكذبوا بالقرآن المعجز فلو قال في التعليل لان القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لها في أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لان ما في غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى

﴿ سورة التساؤل ﴾

وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية في محل جر حذفت ألفها للقاعدة المقررة التي أشار لها ابن مالك بقوله

وما في الاستفهام ان جرت حذف * ألفها وأولها الها ان تقف

ووقف البزي بهاء السكت جريا على القاعدة ونقل عن ابن كثير اثبات الهاء في الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف وقرئ شذوذا باثبات الالف والجار والمجرور متعلق بيتساءلون وقوله عن النبأ عطف بيان وسبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذي أتى به ويتجادلون فيما بعث به ومناسبتها لما قبلها أنه لما قال فبأي حديث بعده يؤمنون أي بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه ويتساءلون عنه فقال عم يتساءلون (قوله بيان لذلك الشئ) أي المعبر عنه بما الاستفهامية والمراد بالبيان عطف البيان (قوله والاستفهام لتفخيمه) أي فليس استفهاما حقيقيا بل هو كناية عن تفخيم الامر وتعظيمه (قوله الذي) صفة للنبأ وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون والجملة صلة الذي وقوله فالمؤمنون الخ أشار بذلك الى أن الضمير في هم عائد على ما يشمل المؤمنين والكفار وجعل الواو في يتساءلون محمولة على الكفار ليس بواضح لانه يلزم عليه تشتيت الضمائر فالمناسب أن يسوى بين الضميرين بأن يجعلهما عائدين على الكفار واختلافهم فيه من حيث ان بعضهم يقول فيه شعر وبعضهم يقول فيه كهانة وغير ذلك (قوله ردع) أي فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله ما يحل بهم) مفعول يعلمون والمعنى ما ينزل بهم عند النزع أو في القيامة لكشف الغطاء عنهم في ذلك الوقت وحل يحل بالكسر والضم في المضارع بمعنى نزل (قوله

تأكيد)

الناس في الاغلب ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) حال أي متهنئين (بما كنتم تعملون) من الطاعات (انا كذلك) كما جزينا المتقين (نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا) خطاب للكفار في الدنيا (قليلا) من الزمان وغايته الى الموت وفي هذا تهديد لهم (انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا) صلوا (لا يركعون) لا يصلون (ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون) أي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره

﴿ سورة التساؤل مكية احدى وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(عم) عن أي شئ (يتساءلون) يسأل بعض قريش بعضا (عن النبأ العظيم) بيان لذلك الشئ والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الذي هم فيه مختلفون) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه (كلا) ردع (سيعلمون) ما يحل بهم على انكارهم له (ثم كلا سيعلمون)

تأكيد وجيء فيه بثم للايذان بأن الوعيد الثاني أشد من الاول ثم أومأ تعالى الى القدرة على البعث فقال (ألم نجعل الارض مهادا) فراشا كالمهد (والجبال أوتادا) تثبت بها الارض كما تثبت الخيام بالاوتاد والاستفهام للتقرير (وخلقناكم أزواجا) ذكورا واناثا (وجعلنا نومكم سباتا) راحة لابدانكم (وجعلنا الليل لباسا) ساترا بسواده (وجعلنا النهار معاشا) وقتا للمعايش (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة أى قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان (وجعلنا سراجا) منيرا (وهاجا) وقادا يعني الشمس (وأنزلنا من المعصرات) السحابات التي حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التي دنت من الحيض (ماء ثجاجا) صبابا (لنخرج به حبا) كالحنطة (ونباتا) كالتبن (وجنات) بساتين (ألفافا) ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف (ان يوم الفصل) بين الخلائق (كان ميقاتا) وقتا للثواب والعقاب (يوم ينفخ في الصور) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ اسرافيل (فتأتون) من قبوركم الى الموقف (أفواجا) جماعات مختلفة (وفتحت السماء) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) ذات أبواب (وسيرت الجبال) ذهب بها عن أماكنها (فكانت سرابا) هباء أى مثله في خفة سيرها (ان جهنم كانت مرصادا)

تأكيد) أى لفظي وقيل عطف نسق فيه معنى التأكيد (قوله للايذان بأن الوعيد الثاني الخ) أى فتغايرا بهذا الاعتبار ومن هنا قيل ان الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء (قوله ثم أومأ تعالى) أى أشار الى الادلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ووجه الدلالة أن يقال انه تعالى حيث كان قادرا على هذه الاشياء فهو قادر على البعث (قوله ألم نجعل الارض مهادا) الارض مفعول أول ومهادا مفعول ثان ان جعلت بمعنى التصيير وان جعلت بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا وكذا يقال في قوله أوتادا وما بعده (قوله كالمهد) أى للصبي وهو ما يفرش له لينام عليه (قوله للتقرير) أى بما بعد النفي (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أى ظلمته ففيه تشبيه بليغ بحذف الاداة أى كاللباس بجامع الستر في كل (قوله وقتا للمعايش) أى تتصرفون فيه في حوائجكم (قوله وهاجا) أى مضيئا (قوله يعني الشمس) أى لانها كوكب نهاري ينسخ ضوء ظلمة الليل (قوله التي حان لها أن تمطر) أى جاء وقت امطارها المقدر لها (قوله الجارية) المراد بها مطلق الانثى (قوله صبابا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد ما يقتات به وما يعلف به من التبن والحشيش (قوله جمع لفيف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لا واحد له (قوله ان يوم الفصل الخ) كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ما وقت البعث الذي أثبت بالادلة المتقدمة فقال ان يوم الفصل وأكده بان لتردد الكفار فيه (قوله كان ميقاتا) أى في علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك الى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ في الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه باكيا ثم قال يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم ويجرون عليها وبعضهم عمي مترددون وبعضهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم وأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رؤسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمي فهم من يجورون في الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وعبر بالماضي لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شققت) أشار بذلك الى أنه ليس المراد بالفتح ما عرف من فتح الابواب بل هو التشقق لموافقة قوله اذا السماء انشقت اذا السماء انفطرت * وخير ما فسرته بالوارد (قوله لنزول الملائكة) أى لانهم يموتون بالنفخة الاولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الارض وجهاتها يسوقون الناس الى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى في الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) لمناسب ابقاء السراب على ظاهره ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث ان المرئي خلاف الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك في الواقع لقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب والاقتفسير

راصدة أو مرصدة (للطاغين) الكافرين فلا يتجاوزونها (مآبا) مرجعا لهم فيدخلونها (لابثين) حال مقدرة أي مقدرا لبثهم (فيها أحقابا)
دهورا لا نهاية لها جمع حقب بضم أوله (لا يذوقون فيها بردا) نوما فانهم لا يذوقونه (ولا شرابا) ما يشرب تلذذا (الا) لكن (حميما) ماء
حارا غاية الحرارة (وغساقا) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) موافقا لعملهم فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار (انهم كانوا لا يرجون) يخافون (حسابا) لانكارهم البعث (وكذبوا بآياتنا) القرآن (كذابا) تكذيبا (وكل شئ) من الاعمال (أحصيناه) ضبطناه (كتابا) كتبا في اللوح المحفوظ لنجازي عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (فذوقوا) أي فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فلن نزيدكم الا عذابا) فوق عذابكم (ان للمتقين مفازا) مكان فوز في الجنة (حدائق) بساتين بدل من مفازا أو بيان له (وأعنابا) عطف على مفازا (وكواعب) جواري تكعبت ثديهن جمع كاعب (أترابا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء (وكأسا دهاقا) خمرا مالئة محالها وفي القتال وأنهار من خمر (لا يسمعون فيها) أي الجنة
عند شرب الخمر وغيرها من الاحوال (لغوا) باطلا من القول (ولا كذابا) بالتخفيف أي كذبا وبالتشديد أي تكذيبا من واحد لغيره بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أي جزاهم الله بذلك جزاء (عطاء) بدل من جزاء
على
(حسابا) أي كثيرا من قولهم أعطاني فأحسبني أي أكثر علي حتى قلت حسبي (رب السموات والارض) بالجر والرفع (وما بينهما الرحمن)

السراب بالمهملة لم يوجد في اللغة (قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك الى أن مرصادا من رصدت الشئ أرصده اذا ترقبته فهي راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أحقابا) ظرف للابثين (قوله لا نهاية لها) أي لمجموعها وان كان كل منها متناهيا وانما قال لا نهاية لها ليوافق قوله تعالى خالدين فيها أبدا (قوله بضم أوله) أي وسكون ثانيه وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل حقب الى الابد وليس للاحقاب عدة الا الخلود وعن ابن مسعود قال لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا (قوله نوما) سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه ألا ترى أن العطشان اذا نام سكن عطشه وهي لغة هذيل وقال ابن عباس البرد برد الشراب وقال الزجاج أي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل نوم فجعل البرد برد كل شئ له راحة فأما الزمهرير فهو برد عذاب لا راحة فيه (قوله لكن حميما) قضية كلامه أن الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا والاحسن أنه بدل من شرابا لان الاستثناء من كلام غير موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدرية لمحذوف قدره المفسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لعملهم) أشار بذلك الى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله انهم كانوا) تعليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد باتفاق السبعة (قوله وكل شئ) منصوب على الاشتغال أي وأحصينا كل شئ أحصيناه (قوله كتبا) أشار بذلك الى أن كتابا مصدر من معنى الاحصاء على حد جلست قعودا فمعنى كتابا احصاء (قوله في اللوح المحفوظ) وقيل في صحف الحفظة على بني آدم (قوله ومن ذلك) أي كل شئ (قوله فذوقوا) أمر اهانة وتحقير والجملة معمولة لمقدر كما أشار له المفسر (قوله فلن نزيدكم الا عذابا) قيل هذه أشد آية في القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه (قوله ان للمتقين مفازا) مقابل قوله ان للطاغين مآبا والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفارا (قوله مكان فوز) أشار بذلك الى أن مفازا مصدر ميمي بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث أي نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل من مفازا) أي بدل بعض من كل (قوله عطف على مفازا) المناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الاعناب (قوله تكعبت) أي استدارت مع ارتفاع يسير كالكعب (قوله ثديهن) بضم المثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدي (قوله على سن واحد) أي فلا اختلاف بينهن في الشكل ولا في العمر لئلا يحصل الحزن ان وجد التخالف ولا حزن في الجنة (قوله خمرا مالئة محالها) فسر الكأس بالخمر والدهاق بالمتلئة والمناسب ابقاء الكأس على ظاهرها وتفسيرها الدهاق بالممتلئة لما في القاموس دهق الكأس ملأها وفي المختار أدهق الكأس ملأها وكأس دهاق أي ممتلئة (قوله لا يسمعون) حال من المتقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التأنيث من المضاف اليه وهو الخمر لانها تذكر وتؤنث وفي بعض النسخ وغيره وهي ظاهرة (قوله بالتخفيف) أي بوزن كتاب مصدر كذب ككتب وقوله وبالتشديد أي فهو مصدر كذب المشدد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله وأما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد باتفاق السبعة لوجود التصريح بالفعل المشدد (قوله جزاء من ربك) أي بمقتضى وعده الحسن لاهل الطاعة وهذا من مزيد الاكرام لاهل الجنة كما يقول الشخص الكريم اذا بالغ في اكرام ضيفه هذا من فضلك واحسانك مثلا والا فأي حق للمخلوق على خالقه (قوله بدل من جزاء) أي بدل كل من كل (قوله حسابا) صفة لعطاء وهو مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف أي ذو كفاية على حد زيد عدل (قوله بالجر) أي جر رب على أنه بدل من ربك وقوله والرفع أي

كذلك وبرفعه مع جر رب (لا يملكون) أي الخلق (منه) تعالى (خطابا) أي لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه (يوم)

على أنه خبر مبتدا محذوف أي هو رب (قوله كذلك) أي بالجر والرفع فالجر على أنه بدل من رب الاول أو صفة للثاني والرفع على أنه خبر مبتدا محذوف والجملة مستأنفة وقوله وبرفعه أي الرحمن على أنه خبر لمحذوف فالقراآت ثلاث سبعيات رفعهما وجرهما ورفع الرحمن مع جر رب (قوله أي الخلق) أي من أهل السموات والارض لغلبة الجلال في ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى في دفع بلاء ولا في رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطابا (قوله أو جند الله) ذكر المفسر في معنى الروح قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله أي جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بني آدم كالناس وليسوا بناس ثالثها أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه في السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثني عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجيء يوم القيامة وحده صفا رابعها أنهم أشراف الملائكة خامسها أنهم بنو آدم سادسها أرواح بني آدم تقوم صفا بين النفختين قبل أن ترد الى الاجساد سابعها القرآن لقوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا ثامنها أنهم الحفظة على الملائكة (قوله لا يتكلمون الخ) تأكيد لقوله لا يملكون والمعنى ان هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا أن يشفعوا الا باذنه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله اتخذ الى ربه مآبا ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقديره فعل الخير به) أي الى ثوابه وهو متعلق بمآبا (قوله كل امرئ) أي مسلما أو كافرا وأخذ العموم من أل الاستغراقية والنظر بمعنى الرؤية والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتا في صحيفته وخص اليدين بالذكر لان أكثر الافعال تزاول بهما (قوله يقول ذلك عندما يقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث ثانيها أنه يتمنى أن لو كان ترابا في الدنيا فلم يخلق انسانا ولم يكلف ثالثها أنه يتمنى أن لو كان ترابا في يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الاقتصاص من بعضها البعض) أي فيقتص للجماء من القرناء اظهارا للعدل وأما الجن فهم مكلفون كالانس يثابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار على الصحيح

﴿سورة والنازعات﴾

وفي بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف فاختلف المفسرون في تقدير الموصوف في الاربعة الاول فبعضهم قدره الملائكة وبعضهم قدره النجوم وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث في الاوصاف ظاهر ان كان المراد النجوم وان كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كأنه قال والطائفة النازعات ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود ان ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل (قوله غرقا) اما مصدر على حذف الزوائد بمعنى اغراقا فهو ملاق لعامله في المعنى كقمت وقوفا أو حال أي ذوات اغراق يقال أغرق في الشيء اذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعا بشدة) أي لما ورد أن كل نزعة أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف ويرى ان السموات السبع انطبقت على الارض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط في عمله خف وأسرع فيه وانشطت البعير من عقاله أطلقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعواملها والسبب في شدة نزع أرواح الكفار وسهولة نزع أرواح المؤمنين ان كلا يرى قبل الموت مقعده الذي أعد له فالمؤمن يزداد فرحا وشوقا فلا يشاهد ألما ولا يحس به والكافر تأبى روحه الخروج لزيادة الحزن والكرب الذي يجده عند رؤية مقعده في النار فتنزع كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والسابحات) أي الملائكة النازلين برفق ولطافة كالسابح في الماء وكالفرس الجواد اذا أسرع في جريه لقبض الارواح فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمره تعالى

ظرف للا يملكون (يقوم الروح) جبريل أو جند الله (والملائكة صفا) حال أي مصطفين (لا يتكلمون) أي الخلق (الا من أذن له الرحمن) في الكلام (وقال) قولا (صوابا) من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا أي رجع الى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (انا أنذرناكم) أي كفار مكة (عذابا قريبا) أي عذاب يوم القيامة الآتي وكل آت قريب (يوم) ظرف لعذابا بصفته (ينظر المرء) كل امرئ (ما قدمت يداه) من خير وشر (ويقول الكافر يا) حرف تنبيه (ليتني كنت ترابا) يعني فلا أعذب يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض كوني ترابا

﴿سورة والنازعات مكية ست وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنازعات) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) نزعا بشدة (والناشطات نشطا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسلها برفق (والسابحات سبحا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى أي تنزل (فالسابقات سبقا) الملائكة

تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة (فالمدبرات أمرا) الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره وجواب هذه الاقسام محذوف أي لتبعثن يا كفار
مكة وهو عامل في (يوم ترجف الراجفة) النفخة الاولى بها يرجف كل شيء أي يتزلزل فوصفت بما يحدث منها (تتبعها الرادفة) النفخة
الثانية وبينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قلوب يومئذ واجفة) خائفة قلقة (أبصارها خاشعة) ذليلة لهول ما ترى (يقولون) أي أرباب القلوب والابصار استهزاء وانكارا للبعث (أئنا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لمردودون في الحافرة) أي أنرد بعد الموت الى الحياة والحافرة اسم لاول الامر ومنه رجع فلان في حافرته اذا رجع من حيث جاء (أئذا كنا عظاما نخرة) وفي قراءة ناخرة بالية متفتتة نحيا (قالوا تلك) أي رجعتنا الى الحياة (اذا) ان صحت (كرة) رجعة (خاسرة) ذات خسران قال تعالى (فانما هي) أي الرادفة التي يعقبها البعث (زجرة) نفخة (واحدة) فاذا نفخت (فاذا هم) أي كل الخلائق (بالساهرة) بوجه الارض احياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتا (هل أتاك) يا محمد (حديث موسى) عامل في (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) اسم الوادي بالتنوين وتركه

محمول على أمر خاص وهو قبض الارواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتي في قوله فالمدبرات أمرا (قوله تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة) أي وبأرواح الكفار الى النار ففي الكلام اكتفاء وحينئذ فتلك الاوصاف الاربعة للملائكة التي تقبض الارواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أي وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الارواح واسرافيل موكل بالصور (قوله أي تنزل بتدبيره) أشار بذلك الى ان اسناد التدبير الى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبعثن يا كفار مكة) خصهم وان كان البعث عاما للمسلم والكافر لان القسم انما يكون للمنكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للاقسام (قوله بها يرجف كل شيء) أي فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لانها تردفها وتأتي بعدها ولا شيء بينهما (قوله فاليوم واسع الخ) جواب عما يقال ان وقت الراجفة موت لا بعث فكيف يحصل ظرفا للبعث المقدر وايضاح جوابه ان البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين اذ هو متسع فكأنه قال تبعثن وقت حصول النفخة الاولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) أي المقدر جوابا للقسم (قوله قلوب) مبتدأ ويومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره والجملة خبر الاول (قوله أبصارها) أي أبصار أصحاب القلوب (قوله يقولون) حكاية لحالهم في الدنيا وهو استبعاد منهم (قوله وادخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراآت أربع سبعيات ٣ في كل من الموضعين (قوله في الحافرة) متعلق بمردودون (قوله الى الحياة) أشار بذلك الى أن في بمعنى الى وان الحافرة بمعنى الحياة (قوله والحافرة اسم لاول الامر) أي والاصل فيها ان الانسان اذا رجع في طريقه أثرت قدماه فيها حفرا فهو مثل لمن يرد من حيث جاء (قوله أئذا كنا عظاما) العامل في اذا محذوف يدل عليه مردودون والمعنى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث والاستفهام لتأكيد الانكار (قوله نخرة) من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير أي تصويت (قوله قالوا تلك الخ) حكاية لكفر آخر مفرع على كفرهم السابق وتلك مبتدأ مشار بها للرجعة والرد في الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة أي ذات خسران والمعنى ان كان رجوعنا الى القيامة حقا كما تقول فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها (قوله اذا) حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائما وقيل قد لا تكون جوابا (قوله ذات خسران) أي أو المراد خسران أصحابها (قوله قال تعالى) أشار بذلك الى ان هذا من كلامه تعالى ردا عليهم (قوله نفخة) سميت زجرة لانها صيحة لا يمكن التخلف عنها (قوله فاذا هم بالساهرة) جواب شرط محذوف قدره بقوله فاذا نفخت وسميت ساهرة لانه لا نوم عليها من أجل الخوف والحزن (قوله بوجه الارض) وقيل أرض من فضة يخلقها الله تعالى وقيل جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه وقيل غير ذلك (قوله احياء) خبر عن هم وقوله بالساهرة متعلق باحياء ولو قال فاذا هم أحياء بالساهرة لكان أولى (قوله هل أتاك الخ) المقصود منها تسليته صلى الله عليه وسلم وتحذير قومه من مخالفته فيحصل لهم ما حصل لفرعون فكأن الله تعالى يقول لنبيه اصبر كما صبر موسى فان قومك وان بلغوا في الكفر مهما بلغوا لم يصلوا في العتو كفرعون وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده وهل بمعنى قد ان ثبت انه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام وأما اذا لم يكن أتاه قبل ذلك فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار (قوله عامل في اذ ناداه) أي فاذ معمول لحديث لا لاتاك لاختلاف الوقت (قوله المقدس) أي المطهر حيث شرفه الله تعالى بانزال النبوة فيه على موسى (قوله اسم الوادي) أي وسمي طوى لطي الشدائد عن بني اسرائيل وجمع الخيرات لموسى وهو واد بالطور بين أيلة ومصر (قوله بالتنوين وتركه) أي فالتنوين باعتبار المكان

٣ قول المحشي فالقراآت أربع الخ هكذا في بعض النسخ وهي موافقة لما في حاشية العلامة الجمل وفي بعضها قوله وادخال ألف بينهما أي وتركه فالقراآت أربع سبعيات في الموضع الاول وأما الثاني ففيه التسهيل بوجهيه والتحقيق مع عدم الادخال فتلك ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر

وكونه

فقال تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) تجاوز الحد في الكفر (فقل هل لك) أدعوك (الى ان تزكى) وفي قراءة بتشديد الزاي بادغام التاء الثانية في الاصل فيها تتطهر من الشرك بان تشهد أن لا اله الا الله (وأهديك الى ربك) أدلك على معرفته بالبرهان (فتخشى) فتخافه (فأراه الآية الكبرى) من آياته التسع وهي اليد أو العصا (فكذب) فرعون موسى (وعصى) الله تعالى (ثم أدبر) عن الايمان (يسعى) في الارض بالفساد (فحشر) جمع السحرة وجنده (فنادى فقال أنا ربكم الاعلى) لا رب فوقي (فأخذه الله) أهلكه بالغرق (نكال) عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة (والاولى) أي قوله قبلها ما علمت لكم من اله غيري وكان بينهما أربعون سنة (ان في ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله تعالى (أأنتم) بتحقيق الهمزتين وابدال الثانية ألفا وتسهيلها وادخال ألف بين المسهلة والاخرى وتركه أي منكرو البعث (أشد خلقا أم السماء) أشد خلقا (بناها) بيان لكيفية خلقها (رفع سمكها) تفسير لكيفية البناء أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعا وقيل سمكها سقفها (فسواها) جعلها مستوية بلا عيب (وأغطش ليلها

وكونه نكرة وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله فقال تعالى) أشار بذلك الى أن قوله اذهب الى فرعون معمول لقول محذوف ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية (قوله الى فرعون) كان طوله أربعة أشبار ولحيته أطول منه وكانت خضراء فاتخذ القبقاب ليمشي عليه خوفا من أن يمشي على لحيته وهو أول من اتخذه (قوله انه طغى) تعليل للامر (قوله تجاوز الحد في الكفر) أي بتكبره على الله واستعباده خلقه (قوله فقل هل لك الخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بان يقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليجره الى الهدى باللطف والرفق (قوله أدعوك الخ) هذا حل معنى لا حل اعراب واعرابه أن هل لك خبر مبتدا محذوف والى ان تزكى متعلق بذلك المبتدا والتقدير هل ثبت لك سبيل وميل الى التزكية (قوله وفي قراءة بتشديد الزاي) أي سبعية أيضا وقوله بادغام التاء الثانية أي على التشديد وأما على التخفيف ففيه حذف احدى التاءين (قوله وأهديك) معطوف على تزكى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ اشارة الى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهي واجبة وجوب الفروع وأما التطهر بالدخول في الاسلام فمن وجوب الاصول (قوله فتخشى) جعل الخشية غاية للهدى لانها ملاك الامور اذ هي خوف مع تعظيم فمن خشي ربه أتى منه كل خير فالخشية أعظم من الخوف واعلم ان أوائل العلم بالله الخشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله فأراه الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب اليه وقال له ما ذكر فطلب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائد على موسى والبارز عائد على فرعون وهو المفعول الأول والثاني قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أو العصا) هذا هو التحقيق اذ كل ما في اليد حاصل في العصا وتزيد امورا أخر فغاية ما في اليد انقلاب لونها ولا شك أن العصا لما انقلبت حية لابد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وكونها تصير ثعبانا ثم تصير جمادا أو غير ذلك اذ كل واحد من هذه الوجوه معجز ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لان ما ظهر على يده من بقية الآيات انما كان بعد ما غلب السحرة (قوله فكذب فرعون موسى) أي في كون ما أتى به من عند الله (قوله وعصى) أي بعد ما رأى الآيات (قوله ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان (قوله يسعى) حال من الضمير في أدبر (قوله جمع السحرة) أي للمعارضة وقوله وجنده أي للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط والسبعون من بني اسرائيل وتقدم في الاعراف جملة أقوال في عددهم وكانت عدة بني اسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف (قوله فنادى) أي بنفسه أو بمناديه (قوله فقال أنا ربكم الاعلى) أي بعد ما قال له موسى رب أرسلني اليك فان آمنت بربك تكون أربعمائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة فقال حتى استشير هامان فاستشاره فقال أتصير عبدا بعد ما كنت ربا فعند ذلك جمع السحرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الاعلى (قوله نكال) منصوب على أنه مصدر لاخذ والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لاجله أي لاجل نكاله (قوله أي هذه الكلمة) أي وهي قوله أنا ربكم الاعلى (قوله المذكور) أي من التكذيب والعصيان والادبار والحشر والنداء الواقع من فرعون (قوله لمن يخشى) أي لمن كان من شأنه الخشية وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك (قوله أأنتم) استفهام تقريع وتوبيخ لمنكري البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف وتركه فالقراءات خمس سبعيات التحقيق والتسهيل امامع الالف أو تركها والابدال (قوله أم السماء) أي فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أأنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك الى ان قوله أم السماء مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله (قوله رفع سمكها) أي ثخنها وغلظها وهو الارتفاع الذي بين سطح السفلى الاسفل وسطحها الاعلى وقدره خمسمائة عام (قوله أي جعل سمتها) أي مقدار ذهابها في سمت العلو فالمراد بالسمت السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أي فمعنى رفع سمكها على هذا جعلها مرفوعة عن الارض (قوله جعلها مستوية) أي ملساء ليس فيها ارتفاع

أظلمه (وأخرج ضحاها) أبرز نور شمسها وأضيف اليها الليل لانه ظلها والشمس لانها سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أخرج) حال باضمار قد أي مخرجا (منها ماءها) بتفجير عيونها (ومرعاها) ما ترعاه

النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الاقوات والثمار واطلاق المرعى عليه استعارة (والجبال أرساها) أثبتها على وجه الارض لتسكن (متاعا) مفعول له لمقدر أي فعل ذلك متعة أو مصدر أي تمتيعا (لكم ولانعامكم) جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) النفخة الثانية (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا (ما سعى) في الدنيا من خير وشر (وبرزت) أظهرت (الجحيم) النار المحرقة (لمن يرى) لكل راء وجواب اذا (فأما من طغى) كفر (وآثر الحياة الدنيا) باتباع الشهوات (فان الجحيم هي المأوى) مأواه (وأما من خاف مقام ربه) قيامه بين يديه (ونهى النفس) الامارة (عن الهوى) المردي باتباع الشهوات (فان الجنة هي المأوى) وحاصل الجواب فالعاصي في النار والمطيع في الجنة (يسئلونك) أي كفار مكة (عن الساعة أيان مرساها) متى وقوعها وقيامها (فيم) في أي شئ (أنت من ذكراها) أي ليس عندك علمها حتى تذكرها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها لا يعلمه غيره (انما أنت منذر) انما ينفع انذارك (من يخشاها) يخافها

ولا انخفاض (قوله أظلمه) أي جعله مظلما بمغيب شمسها (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه في مقابلة الليل فكنى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحى لانه أكمل أجزائه (قوله لانه ظلها) أي لانه أول ما يظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لانها سراجها) أي الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضي ان ضوء الشمس يظهر في السماء مع ان المتقدم خلافه وهو ان نورها انما يظهر في الارض ونور السموات بنور العرش ويجاب بأنه لا يلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والارض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) اى بألفي عام وقوله دحاها يقال دحا يدحو دحوا ودحيا كدعا يدعو فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) اى فلا معارضة بين ما هنا وآية فصلت لانه ابتدأ خلق الارض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض (قوله واطلاق المرعى عليه) أي على ما يأكله الناس (قوله استعارة) أي مجاز فاستعمل المرعى في مطلق المأكول للانسان وغيره من استعمال المقيد في المطلق أو هو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعي الدواب (قوله مفعول له لمقدر) أي لفعل مقدر وقوله أو مصدر أي تمتيعا كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضا تقديره متعنا كم بها تمتيعا (قوله ولانعامكم) خص الانعام لشرفها والافهو متاع لسائر دواب الارض (قوله فاذا جاءت الطامة الكبرى) الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره اذا علمت ما تقدم الخ (قوله الطامة الكبرى) أي الداهية التي تعلو على الدواهي فهي أعظم من كل عظيم وخص ما هنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل فأراه الآية الكبرى بخلاف ما في عبس فانه لم يتقدمه شئ من ذلك فخصت بالصاخة وهي الصوت الشديد الواقع بعد الداهية الكبرى فناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة (قوله بدل من اذا) أي بدل كل أو بعض (قوله وبرزت) عطف على جاءت والعامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على أحد (قوله لكل راء) أي من كل من له عين و بصر من المؤمنين والكفار لكن الناجي لا ينصرف بصره اليها فلا يراها بالفعل والكافر هي مأواه (قوله وجواب اذا فأما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لان قوله فأما من طغى الخ بيان لحال الناس في الدنيا وقوله فاذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم في الآخرة فالاولى ما سلكه غيره من ان الجواب محذوف يدل عليه التفصيل المذكور تقديره دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أي المحرمات (قوله مأواه) أي فأل عوض عن الضمير العائد على من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فأما من طغى الخ واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة وهي الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهي الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وان كان وصفا للعبد من حيث كونه بين يديه ومقاما لحسابه (قوله الامارة) قيد بها لانها هي تكون مذمومة الهوى وأما غيرها فهواها محمود لما في الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به (قوله المردي) أي المهلك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالمردي والباء سببية (قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بذلك الى أن ان لمجرد التأكيد وليست للتفصيل لعدم تقدم مقتضيه وصار المعنى فالعاصي في النار الخ وفيه أنه يحوج لتكلف فالاحسن ما قدمناه من أن الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيان مرساها) تفسير لسؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخر وقوله من ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والاستفهام انكاري والمعنى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها في شئ فليس لك علم بها حتى تخبرهم به وهذا قبل اعلامه بوقتها فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ولكن أمر بكتم أشياء منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة (قوله انما أنت منذر من يخشاها) أي انك مرسل بالانذار لمن يخافها وهو لا يتوقف على علم المنذر بوقت قيامها وخص من يخشى بالذكر لانه المنتفع بها وقد أشار له المفسر بقوله انما ينفع انذارك (قوله يخافها) أي يخاف

هولها

هولها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله الا عشية) هي من الزوال الى غروب الشمس وقوله أو ضحاها أى ضحى عشية من العشايا وهي البكرة الى الزوال والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لا عشية بتمامها أو ضحوة بتمامها (قوله أى عشية يوم الخ) أشار بذلك الى أن التنوين عوض عن المضاف اليه (قوله وصح اضافة الضحى الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره العشية لا ضحى لها وانما الضحى لليوم فما وجه اضافة الضحى لضمير العشية فاجاب بانهما لما كانتا من يوم واحد كانت بينهما ملابسة فصح اضافة احداهما للاخرى (قوله وقوع الكلمة فاصلة) أى رأس آية تناسب رؤس الآى قبلها

﴿سورة عبس﴾

وتسمى سورة السفرة وسورة الاعمى (قوله عبس وتولى الخ) انما أتى بضمائر الغيبة تلطفا به صلى الله عليه وسلم واجلالا له لما فى المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى من الشدة والصعوبة وهذا نظير تقديم العفو على العتاب فى قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم لولا كتاب من الله سبق لمسكم الخ وناهيك بذلك محبة وشرفا ومن ذلك قول عائشة ما أرى ربك الا يسارع فى هواك فسيآت المحبوب حسنات قال أبو الحسن الشاذلى واجعل سيآتنا سيآت من أحببت (قوله كلح) بالتخفيف من باب خضع ووجهه فاعل (قوله أن جاءه الاعمى) تنازعه كل من عبس وتولى أعمل الاول على مذهب الكوفيين أو الثانى على مذهب البصريين وأضمر فى المهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأم أبيه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عامر المخزومى أسلم قديما بمكة وكان ابن خال خديجة بنت خويلد واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ما واقعة على القول بدليل قوله ممن يرجو اسلامه من أشراف قريش ففيه اطلاق ما على العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص على اسلامهم) نعت لاشراف قريش وكان المناسب التعبير بالذين (قوله فناداه) أى وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أى وهو القرآن والاسلام وايضاح ما قاله المفسر ان الاعمى جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الاشراف الذين كان يخاطبهم فيتأتى بهم الاسلام ويسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل النبى صلى الله عليه وسلم بالقوم فكره رسول الله قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فانزل الله هذه الآيات ان قلت ان ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ما يغنى عن البصر فهو وان لم ير القوم لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة النبى معهم وحينئذ فيكون اقدامه على قطع كلام رسول الله ايذاء له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف يقول المفسر ولم يدر الاعمى الخ أجيب بأن عدم علمه له من أجل دهشته بقدومه على رسول الله ولا شك أن جلاله صلى الله عليه وسلم وجماله يدهش العقول ولا سيما بالمحب المشتاق الراغب فى التعليم وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته لا بالنظر لظاهر شرعه والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الاولى اذ الاهم مقدم على المهم وانما ذلك من باب حسنات الابرار سيآت المقربين (قوله يبسط له رداءه) أى ويقول له هل لك من حاجة (قوله وما يدريك) فيه التفات من الغيبة الى الخطاب وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والكاف مفعول أول وجملة قوله لعله

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا) فى قبورهم (الا عشية أو ضحاها) أى عشية يوم أو بكرته وصح اضافة الضحى الى العشية لما بينهما من الملابسة اذ هما طرفا النهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة

﴿سورة عبس مكية اثنتان وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عبس) النبى كلح وجهه (وتولى) أعرض لاجل (أن جاءه الاعمى) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو اسلامه من أشراف قريش الذى هو حريص على اسلامهم ولم يدر الاعمى أنه مشغول بذلك فناداه علمنى مما علمك الله فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم الى بيته فعوتب فى ذلك بما نزل فى هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له اذا جاء مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويبسط له رداءه (وما يدريك) يعلمك (لعله يزكى) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الزاى

يزكى سادة مسد المفعول الثانى (قوله أى يتطهر من الذنوب) أى لا من الشرك لانه أسلم قديما بمكة (قوله أو يذكر) عطف على يزكى (قوله فتنفعه) بالرفع عطف على أو يذكر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أما من استغنى) أى عما عندك من الايمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدى) الجار والمجرور متعلق بتصدى قدم عليه رعاية للفاصلة وأصل تصدى تصدد أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تقبل) أى بالاصغاء الى كلامه (قوله وما عليك الخ) ما نافية وعليك خبر مبتدإ محذوف وقوله الا يزكى متعلق بالمبتدإ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس فى عدم تزكيته (قوله وأما من جاءك يسعى) أى يسرع ويمشى فى طلب الخير (قوله وهو الاعمى) تفسير لمن (قوله أى تتشاغل) أى بدعاء قريش الى الاسلام وهذا الشغل وان كان واجبا عليه الا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لا تفعل مثل ذلك) روى أنه ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (قوله ذكره) أى التذكرة وذكر الضمير لان التذكرة بمعنى التذكر والوعظ (قوله فى صحف) أى مثبتة فى صحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ قال المفسرون ان القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فى ليلة القدر أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصحف عندهم فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبى عليه الصلاة والسلام حتى استكمل انزال القرآن فى ثلاث وعشرين سنة (قوله وما قبله اعتراض) أى بين الخبرين (قوله سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب وزنا ومعنى (قوله كرام) أى مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أى طرد عن رحمة الله وفيه اشارة الى أن المراد بالانسان الكافر لا كل انسان وقوله ما أكفره تعجب من افراط كفره مع كثرة احسان الله عليه وفى الآية اشكال من وجهين الاول أن قوله قتل الانسان يوهم الدعاء وهو انما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شئ الثانى أن التعجب استعظام أمر خفى سببه وهذا المعنى محال على الله تعالى اذ هو العالم بالاشياء اجمالا وتفصيلا أجيب بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب لبيان استحقاقه لاعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم اذا تعجبوا من شئ قاتله الله ما أخبثه وأجيب أيضا بأن الاول ليس دعاء بل هو اخبار من الله بأنه طرده عن رحمته والثانى أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أى ما حمله على الكفر) أى أى شئ دعاه اليه (قوله استفهام تقرير) أى وتحقير لحقارة النطفة التى هى أصله ولذا قال بعضهم ما لابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل للعذرة (قوله ثم بينه) أى الشئ المخلوق هو منه (قوله فقدره) أى قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل فى قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالاضافة الى ضميره اشعارا بأنه سبيل عام (قوله أى طريق خروجه من بطن أمه) قال بعضهم ان رأس المولود فى بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو فى بطن أمه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى (قوله ثم أماته الخ) عد الاماتة من النعم باعتبار أنها وصلة فى الجملة للحياة الابدية والنعيم الدائم (قوله فأقبره) أى أمر بقبره يقال قبر الميت اذا دفنه بيده وأقبره اذا أمر غيره به فالقابر هو الدافن باليد والمقبر هو الله تعالى لامره به (قوله جعله فى قبر يستره) أى ولم يجعل ممن يلقى للطيور والسباع اكراما له (قوله ثم اذا شاء) مفعول المشيئة محذوف والتقدير اذا شاء انشاره أنشره (قوله حقا) أى فتكون متعلقة بما بعدها أى حقا لم يفعل ما أمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للانسان عما هو عليه من التكبر والتجبر وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أى لم يفعل الانسان من أول مدة تكليفه الى حين اقباره ما فرضه الله عليه (قوله ما أمره به ربه) أشار بذلك الى أن ما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والضمير عائد على الانسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فلينظر الانسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة

بحياته

أى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أو يذكر) فيه ادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يتعظ (فتنفعه الذكرى) العظة المسموعة منك وفى قراءة بنصب تنفعه جواب الترجى (أما من استغنى) بالمال (فأنت له تصدى) وفى قراءة بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية فى الاصل فيها تقبل وتتعرض (وما عليك ألا يزكى) يؤمن (وأما من جاءك يسعى) حال من فاعل جاء (وهو يخشى) الله حال من فاعل يسعى وهو الاعمى (فأنت عنه تلهى) فيه حذف التاء الاخرى فى الاصل أى تتشاغل (كلا) لا تفعل مثل ذلك (انها) أى السورة أو الآيات (تذكرة) عظة للخلق (فمن شاء ذكره) حفظ ذلك فاتعظ به (فى صحف) خبر ثان لانها وما قبله اعتراض (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء (مطهرة) منزهة عن مس الشياطين (بأيدى سفرة) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كرام بررة) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة (قتل الانسان) لعن الكافر (ما أكفره) استفهام توبيخ أى ما حمله على الكفر (من أى شئ خلقه) استفهام تقرير ثم بينه فقال (من نطفة خلقه فقدره) علقة ثم مضغة الى آخر خلقه (ثم السبيل) أى طريق خروجه من بطن أمه (يسره ثم أماته فأقبره) جعله فى قبر يستره (ثم اذا شاء أنشره) للبعث (كلا) حقا (لما يقض) لم يفعل (ما أمره) به ربه (فلينظر الانسان) نظر اعتبار (الى طعامه) كيف قدر ودبر له (أنا صببنا الماء)

من السحاب (صبا ثم شققنا الارض) بالنبات (شقا فأنبتنا فيها حبا) كالحنطة والشعير (وعنبا وقضبا) هو القت الرطب (وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا) بساتين كثيرة الاشجار (وفاكهة وأبا) ماترعاه البهائم وقيل التبن (متاعا) متعة أو تمتيعا كما تقدم في السورة قبلها (لكم ولانعامكم) تقدم فيها أيضا (فاذا جاءت الصاخة) النفخة الثانية (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) زوجته (وبنيه) يوم بدل من اذا وجوابها دل عليه (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) حال يشغله عن شأن غيره أي اشتغل كل واحد بنفسه (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة (ضاحكة مستبشرة) فرحة وهم المؤمنون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها) تغشاها (قترة) ظلمة وسواد (أولئك) أهل هذه الحالة (هم الكفرة الفجرة) أي الجامعون بين الكفر والفجور

﴿سورة التكوير مكية تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم
(اذا الشمس كورت) لففت وذهب بنورها (واذا النجوم انكدرت) انقضت وتساقطت على الارض (واذا الجبال سيرت) ذهب بها عن وجه الارض فصارت هباء منبثا (واذا العشار) النوق الحوامل (عطلت) تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الامر ولم يكن مال أعجب اليهم منها

بجباته في الدنيا اثر بيان النعم المتعلقة بايجاده (قوله من السحاب) أي بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الارض بالنبات) أي الذي هو أضعف الاشياء (قوله وعنبا) عطف على حبا (قوله هو القت الرطب) أي علف الدواب الرطب وسمي قضبا لانه يقضب أي يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلبا) جمع أغلب وغلباء كأحمر وحمراء (قوله كثيرة الاشجار) أي فاسناد الغلب لها مجاز اذ هو وصف للاشجار (قوله وفاكهة) اما عطف على عنبا من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأبا) اما من أبه اذا أمه وقصده لانه يقصد للرعي أو اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي (قوله ماترعاه البهائم) أي رطبا أو يابسا فهو أعم من القضب (قوله وقيل التبن) أي وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تمتيعا) أشار بذلك الى أن متاعا يصح أن يكون مفعولا لاجله أو مفعولا مطلقا عامله محذوف تقديره فعل ذلك متاعا أو متعكم تمتيعا (قوله تقدم فيها أيضا) أي وهو تفسير النعم بانها البقر والابل والغنم وتقدم لنا أنه خصها لشرفها (قوله فاذا جاءت الصاخة) شروع في بيان أحوال معادهم اثر بيان مبدا خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التي تصم آذان الخلائق أي تصمها الشدة وقعها وصفت بذلك مجازا لان الناس يصخون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) أي وسبب هربه ما حذرا من مطالبتهم له بحقوقهم فالاخ يقول لو تواسني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما أرشدتنا أو لما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من اذا) أي بدل كل أو بعض والعائد محذوف أي يفر فيه (قوله لكل امرئ) جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار (قوله أي اشتغل الخ) بيان لجواب اذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه في معرض التفصيل ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق وانقسامهم الى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم في الداهية العظيمة (قوله مضيئة) اما من قيام الليل أو من آثار الوضوء أو من طول ما اغبرت في سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أي بما رأته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار لكن القترة ما ارتفع منه الى السماء والغبرة ما انحط الى الارض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر وهو الكاذب المفتري على الله تعالى فجمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر الى الفجور

﴿سورة التكوير﴾

مناسبتها لما قبلها أن كلا فيه ذكر أهوال القيامة وفي الحديث من سره أن ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت (قوله اذا الشمس كورت) الارجح عند جمهور النحاة ان الاسم المرفوع الواقع بعد ان الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور ويمتنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لان أدوات الشرط لا يليها الا الافعال لفظا أو تقديرا وأجاز الاخفش والكوفيون ايلاءها الاسم فيرفع الاسم مبتدأ وما بعده خبره واذا في المواضع الاثني عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لففت) المناسب أن يقول لفت والمعنى لف بعضها ببعض ورمي بها في البحر ثم يرسل الله عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا (قوله بنورها) أي ضوئها (قوله سيرت) أي في الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أي بعد مصيرورتها كالعهن المنفوش فأولا تفتت ثم تصير كالصوف المندوف (قوله واذا العشار) جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر الى أن تضع وخصها بالذكر لانها أعلى ما يكون عند أهلها وأنفس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا فلم لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية واذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فحالهم مع غيره أولى والى هذا يشير المفسر بقوله ولم يكن مال أعجب اليهم منها (قوله تركت بلا راع) أي مهملة وقوله أو بلا حلب بفتح اللام مصدر حلب يحلب بالضم

و يقال بالسكون من باب قتل (قوله واذا الوحوش) أي دواب البر وقوله جمعت أي من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أوقدت فصارت نارا) هذا أحد أقوال في تفسير التسجير وقيل سجرت ملئت من الماء وقيل اختلط عذبها بمالحها حتى صارت بحرا واحدا وقيل يبست و يمكن الجمع بين تلك الاقوال فأولا يفيض بعضها البعض ثم تيبس ثم تقلب نارا ثم ماتقدم من الآيات الست يجوز أن يكون مقدمة النفخة الاولى فالاحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبي بن كعب قال ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس و بدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففزع الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله تعالى واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا نار تتأجج فبينما هم كذلك انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم و يجوز أن يكون في النفخة الثانية و يقال في تعطيل العشار يحتمل انه كناية عن شدة الهول حتى لايلتفت الشخص الى انفس أمواله أو تبعث معطلة بلا راع ولا يلتفت لها صاحبها لان البهائم تحشر للقصاص من بعضها البعض وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت بأجسادها) أي ردت الارواح الى أجسادها فالتزويج على هذا جعل الشئ زوجا والنفوس بمعنى الارواح وقيل قرن كل امرئ بشيعته فاليهودي بضم لليهود والنصراني للنصارى وهكذا وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح في الجنة والرجل السوء بالرجل السوء في النار وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وفي الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بها مطلق الانثى وقوله والحاجة أي الفقر فكان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم في البادية واذا أراد قتلها تركها حتى اذا كانت بنت ست سنين يقول لامها طيبيها و زينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا في الصحراء فيذهب بها الى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى تستوي بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة واذا ولدت ولدا أبقته (قوله تبكيتا لقاتلها) جواب عما يقال ما معنى سؤال الموؤدة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله اياها فأجاب بأن سؤالها هي لافتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لانه يقال ان كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب وانما رضي الله المقتولة باحسانه وان كان ممن بلغته الدعوة فهو آثم يعذب على القتل ان لم يغفر له الله تعالى (قوله وقرئ بكسر التاء) أي الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبني للمفعول وهذه القراءة شاذة وقرئ شذوذا أيضا بيناء سئل للفاعل مع قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراآت الشاذة ثلاث (قوله صحف الاعمال) أي فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت و بسطت) أي بعد أن كانت مطوية (قوله نزعت عن أماكنها) أي أزيلت عنه فالكشط القلع عن شدة التزاق والقشط لغة فيه و بها قرئ شذوذا فالسماء تنزع عن أماكنها كما ينزع الغطاء عن الشئ وقيل تطوى كما يطوى السجل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان (قوله أججت) أي أوقدت للكفار (قوله قربت لاهلها ليدخلوها) أي هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لا أنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أي الواقعة في أولها وقوله وماعطف عليها أي وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) ان قلت ان نفس نكرة في سياق الاثبات وهي لاتعم أجيب بجوابين الاول ان العموم استفيد من قرينة المقام والسياق الثاني ان وقوعها في سياق الشرط كوقوعها في سياق النفي فتعم أيضا ومعنى العلم بما أحضرته انها تشاهد أعمالها مكتوبة في الصحف (قوله وهو) أي وقت حصول هذه الامور (قوله هي النجوم الخ) أي

(واذا الوحوش حشرت) جمعت بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا (واذا البحار سجرت) بالتخفيف والتشديد أوقدت فصارت نارا (واذا النفوس زوجت) قرنت بأجسادها (واذا الموؤدة) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سئلت) تبكيتا لقاتلها (بأي ذنب قتلت) وقرئ بكسر التاء حكاية لما تخاطب به وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (واذا الصحف) صحف الاعمال (نشرت) بالتخفيف والتشديد فتحت و بسطت (واذا السماء كشطت) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة (واذا الجحيم) النار (سعرت) بالتخفيف والتشديد أججت (واذا الجنة أزلفت) قربت لاهلها ليدخلوها وجواب اذا أول السورة وما عطف عليها (علمت نفس) أي كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما أحضرت) من خير وشر (فلا أقسم) لا زائدة (بالخنس الجوار الكنس) هي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون

السيارة

أي ترجع في مجراها وراءها بينما ترى النجم في آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله و(تكنس) بكسر النون تدخل في كناسها أي تغيب في المواضع

التي تغيب فيها (والليل اذا عسعس) أقبل بظلامه أو أدبر (والصبح اذا تنفس) امتد حتى يصير نهارا بينا (انه) أي القرآن (لقول رسول كريم) على الله تعالى وهو جبريل أضيف اليه لنزوله به (ذي قوة) أي شديد القوى (عند ذي العرش) أي الله تعالى (مكين) ذي مكانة متعلق به عند (مطاع ثم) أي تطيعه الملائكة في السموات (أمين) على الوحي (وما صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على انه الى آخر المقسم عليه (بمجنون) كما زعمتم (ولقد رآه) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التي خلق عليها (بالافق المبين) البين وهو الاعلى بناحية المشرق (وما هو) أي محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) ما غاب من الوحي وخبر السماء (بظنين) بمتهم وفي قراءة بالضاد أي ببخيل فينتقص شيأ منه (وما هو) أي القرآن (بقول شيطان) مسترق السمع (رجيم) مرجوم (فأين تذهبون) فأي طريق تسلكون في انكاركم القرآن واعراضكم عنه (ان) ما (هو الا ذكر) عظة (للعالمين) الانس والجن (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار (أن يستقيم) باتباع الحق (وما تشاؤن) الاستقامة على الحق (الا أن يشاء الله رب العالمين) ان لا ئق استقامتكم عليه

﴿ سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا السماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) انقضت وتساقطت (واذا البحار

السيارة غير الشمس والقمر (قوله أي ترجع في مجراها) أي من آخر الفلك القهقري الى أوله وخصها بالذكر لانها تستقبل الشمس فتحبس بالنهار وتظهر بالليل وتخفى وقت غروبها عن البصر (قوله اذ كر راجعا) هو العامل في بينما وقوله الى أوله أي البرج (قوله في كناسها) أي محل اختفائها من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر (قوله والصبح اذا تنفس) مناسبته لما قبله ظاهرة لانه ان كان المراد اقباله فهو أول الليل وهذا أول النهار وان كان المراد ادباره فهذا مجاوره (قوله اذا تنفس) التنفس في الاصل خروج النفس من الجوف ووصف به الصبح من حيث انه اذا أقبل ظهر روح ونسيم فجعل نفساله (قوله ذي قوة) أي فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وأنه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام فنفخه بجناحه نفخة ألقاه الى أقصى جبل خلف الهند وانه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد في أسرع من رد الطرف (قوله ذي مكانة) أي اكرام وتشريف (قوله متعلق به عند) أي فهو حال من امكين وأصله وصف فلما قدم نصب حالا وقوله ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع (قوله أي تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع وقوله في السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على أنه الخ) أي فهو من جملة المقسم عليه بالاقسام السابقة وفي الحقيقة ذكر جبريل بالاوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لان المقصود منه رد قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا للزمخشري الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل اذا أمعنت النظر وجدت اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام دالا على بلوغ الغاية في تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه وبين الله هذا الملك الموصوف بتلك الصفات وفضل المصطفى مصرح به في هذا الكتاب وفي سائر الكتب السماوية كالشمس في رابعة النهار هذا زبدة ما أفاده الائمة في هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله انه لقول رسول كريم أيضا فهو من جملة المقسم عليه وهذه الرؤية كانت في غار حراء حين رآه على كرسيه بين السماء والارض في صورته الاصلية وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فوعده بحراء ثم أنجزله الوعد وتقدم بسطه في قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الاعلى الخ (قوله على الغيب) متعلق بظنين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي ببخيل) أي فلا يبخل به عليكم بل يخبركم به على طبق ما أمر ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا (قوله وما هو بقول شيطان الخ) نفي لقولهم انه كهانة وسحر (قوله فأين تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر فأي طريق تسلكون حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهو بريء من ذلك كله كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (قوله أن يستقيم) أي فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وما تشاؤن) رجوع للحقيقة واعلام بأن العبد مختار في الظاهر مجبور في الباطن على ما يريده الله منه

﴿ سورة الانفطار ﴾

مناسبتها لما قبلها ولما بعدها ظاهرة لان كلا متعلق بيوم القيامة (قوله اذا السماء انفطرت الخ) اعلم أن المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا وذلك أن السماء كالسقف والارض كالبناء ومن أراد تخريب دار فانه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الارض التي فيها الاموات (قوله انشقت) أي لنزول الملائكة (قوله انقضت وتساقطت) أي فالانتثار استعارة لازالة الكواكب فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه

وهو الانتشار فاثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية (قوله فجرت) العامة على قراءته مبنيا للمفعول مشددا وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف (قوله فتح بعضها فى بعض) أى لزوال البرزخ الحاجز (قوله بعثرت) يرادفه فى معناه بحثر بالحاء فهما مركبان من البعث والبحث مضموما اليهما راء (قوله قلب ترابها) أى الذى أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان فى باطن الارض ظاهرا على وجهها (قوله علمت نفس) أى علما تفصيليا والا فالعلم الاجمالى يحصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار واعلم أن الانسان يعلم ما قدمه من خير وشر عند موته علما اجماليا فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة فاذا بعث وقرأ صحيفته علم ذلك تفصيلا (قوله يا أيها الانسان الكافر) هذا أحد قولين والآخر أن المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن المنهمك فى المعاصى (قوله ما غرك بربك الكريم) ما استفهامية والمعنى أى شئ خدعك وجرأك على عصيان الكريم الذى من حقه عليك أن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ولا تغتر بحلمه وكرمه ان قلت كونه كريما يقتضى أنه يغتر الانسان بكرمه لانه جواد وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضى الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا منه أجيب بأن الآية واردة لتهديد الكافر والعاصى حيث أنعم عليه بتلك النعم وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم فلم يقم بشكرها فتضمنت مخالفته استخفافه بالنعمة وبأوامر المنعم ونواهيه فليس فى الآية ما يقتضى الاغترار كما زعمه الحشوية حيث يقولون انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وفى الحديث لما تلا هذه الآية قال غره جهله وقال عمر غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث (قوله حتى عصيته) أى بالكفر وجحد الرسل وانكار ما أتوا به (قوله الذى خلقك) أى أوجدك من العدم (قوله فسواك) أى جعل أعضاءك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فالتسوية ترجع الى عدم النقصان فى الاعضاء والتعديل يرجع الى نفى العوج والقبح (قوله فى أى صورة) متعلق بركبك وشاء صفة لصورة والمعنى ركبك فى أى صورة من الصور التى اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) اضراب انتقالى الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم كأنه قال انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون (قوله وان عليكم لحافظين) الخطاب وان كان مشافهة الا أن الآية عامة بالاجماع لجميع المكلفين والجملة حالية من الواو فى تكذبون (قوله من الملائكة) أى فلكل واحد من الآدميين له ملكان ملك عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات وقيل اثنان بالليل واثنان بالنهار واختلفوا فى الكفار فقيل ليس عليهم حفظة لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية ان قلت فأى شئ يكتب الذى على يمينه مع أنه لا حسنة له أجيب بأن الذى عن شماله يكتب باذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك فالمراد بالحفظة هنا حفظة الاعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون فى قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وفى هذه الآية دليل على أن الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون (قوله ان الابرار لفى نعيم) شروع فى بيان ما يكتبون لاجله كأنه قيل يكتبون الاعمال ليجازى الابرار بالنعيم الخ (قوله وان الفجار لفى جحيم) أل فى الفجار للعهد الذكرى أى المتقدم ذكرهم فى قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير فى خبران (قوله الجزاء) أى الذى كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة ما يوم الدين من المبتدا والخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الاول للانكار والثانى للتعظيم والتهويل والمعنى وأى شئ أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أى لا علم لك به الا باعلامنا

(قوله

فجرت) فتح بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح (واذا القبور بعثرت) قلب ترابها وبعث موتاها وجواب اذا وما عطف عليها (علمت نفس) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (ما قدمت) من الاعمال (و) ما (أخرت) منها فلم تعمله (يا أيها الانسان) الكافر (ما غرك بربك الكريم) حتى عصيته (الذى خلقك) بعد أن لم تكن (فسواك) جعلك مستوى الخلقة سالم الاعضاء (فعدلك) بالتخفيف والتشديد جعلك معتدل الخلق متناسب الاعضاء ليست يد أو رجل أطول من الاخرى (فى أى صورة ما) زائدة (شاء ركبك كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بل تكذبون) أى كفار مكة (بالدين) بالجزاء على الاعمال (وان عليكم لحافظين) من الملائكة لاعمالكم (كراما) على الله (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) جميعه (ان الابرار) المؤمنين الصادقين فى ايمانهم (لفى نعيم) جنة (وان الفجار) الكفار (لفى جحيم) نار محرقة (يصلونها) يدخلونها ويقاسون حرها

(قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على انه خبر لمحذوف أى هو يوم والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف وقرئ شذوذا برفعه منونا لقطعه عن الاضافة والجملة بعده نعت له (قوله شيأ من المنفعة) جواب عما يقال ان بعض الناس المقبولين عند الله يملكون الشفاعة لغيرهم فالجواب ان المنفى ثبوت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لا تكون الا باذن خاص (قوله والامر يومئذ لله) أى ظاهرا او باطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أى فالعبيد متصرفون فيها و ينسب لهم الملك والامر والنهى ظاهرا

﴿ سورة التطفيف ﴾

وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف فالاول قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل فى أحد قوليه والثانى قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل فى قوله الآخر وهذان قولان من أربعة أقوال ثالثها انها نزلت بين مكة والمدينة رابعها كلها مدنية الا قوله ان الذين أجرموا الى آخر السورة فمكى والمشهور أنها مدنية لما روى عن ابن عباس قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفراء فهم أوفى من الناس كيلا الى يومهم هذا وروى عنه أيضا قال هى أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال جماعة نزلت فى رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو وكان له صاعان يأخذ بواحد و يعطى بآخر ومناسبتها لما قبلها انه لما ذكر حال السعداء والاشقياء فيما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهى التطفيف الذى لا يكاد يغنى أحدهما و يفقر الآخر ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطائعين عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على أنه كلمة عذاب وأما على أنه اسم للوادى فهو معرفة و يجوز نصبه فى غير هذا الموضع و يختار فيما اذا كان مضافا أو معرفا (قوله كلمة عذاب) أى معلمة بشدة عذابهم فى الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو واد فى جهنم أى يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره فهما قولان و يمكن الجمع بأن الويل له اطلاقان (قوله للمطففين) جمع مطفف وهو الذى يأخذ فى كيل أو وزن شيأ قليلا ومنه قولهم دون الطفيف أى الشئ التافه لقلته وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا او يدفع الى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن ان لم يتب منه فان تاب قبلت توبته ومن فعل ذلك وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم فى التطفيف فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما وفى الحديث الصحيح خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة أى الزنا الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر و يصح أن يكون متعلقا بيستوفون قدم لافادة الاختصاص والمعنى يستوفون على الناس خاصة وأما لانفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أى يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط اذ ليس فى ذلك نهى (قوله أى كالوا لهم) أشار بذلك الى أن ضميرهم فى محل نصب مفعول لكالوا تعدى اليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وليس ضمير رفع

(يوم الدين) الجزاء (وما هم عنها بغائبين) بمخرجين (وما أدراك) أعلمك (ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأنه (يوم) بالرفع أى هو يوم (لا تملك نفس لنفس شيأ) من المنفعة (والامر يومئذ لله) لا أمر لغيره فيه أى لم يكن أحد من التوسط فيه بخلاف الدنيا

﴿ سورة التطفيف مكية أو مدنية ست وثلاثون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل) كلمة عذاب أو واد فى جهنم (للمطففين الذين اذا اكتالوا على) أى من (الناس يستوفون) الكيل (واذا كالوهم) أى كالوا لهم

(أو وزنوهم) أي وزنوا لهم (يخسرون) ينقصون الكيل أو الوزن (ألا) استفهام توبيخ (يظن) يتيقن (أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) أي فيه وهو يوم القيامة (يوم) بدل من محل ليوم فناصبه مبعوثون (يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) الخلائق لاجل أمره وحسابه وجزائه (كلا) حقا (ان كتاب الفجار) أي كتب أعمال الكفار (لفي سجين) قيل هو كتاب جامع لاعمال الشياطين والكفرة وقيل هو مكان أسفل الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده (وما أدراك ما سجين) ما كتاب سجين (كتاب مرقوم) مختوم (ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء بدل أو بيان للمكذبين (وما يكذب به الا كل معتد) متجاوز الحد (أثيم) صيغة مبالغة (اذا تتلى عليه آياتنا) القرآن (قال أساطير الاولين) الحكايات التي سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو اسطارة بالكسر (كلا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بل ران) غلب (على قلوبهم) فغشيها (ما كانوا يكسبون) من المعاصي فهو كالصدا (كلا) حقا (انهم عن ربهم يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) فلا يرونه (ثم انهم لصالوا الجحيم) لداخلوا النار المحرقة (ثم يقال) لهم (هذا) أي العذاب (الذي كنتم به تكذبون كلا) حقا (ان كتاب الابرار) أي كتب أعمال المؤمنين الصادقين في ايمانهم (لفي عليين) قيل هو كتاب جامع لاعمال الخير

اليهم

مؤكد للواو (قوله أو وزنوهم) حذفه مما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب اذا (قوله استفهام توبيخ) أي فلا نافية دخل عليها همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفتاحية بل هي همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والانكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشار المفسر الى أن الظن بمعنى اليقين أي لا يوقن أولئك اذ لو أيقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالاحوط وأولئك اشارة للمطففين أتى بها نظرا الى بعدهم عن مرتبة الابرار وعدهم من الاشرار (قوله فناصبه مبعوثون) أي مقدرا لان البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا) أي فكلا كلام مستأنف فالوقف على ما قبلها وقيل انها كلمة ردع وزجر والمعنى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فعلى هذا يكون الوقف عليها (قوله الفجار) أظهر في مقام الاضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أي كتب أعمال الكفار) أشار بذلك الى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف وبذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشئ في نفسه (قوله لفي سجين) اختلف في نونه فقيل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أي دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت الارض السابعة في مكان مظلم موحش هو مسكن ابليس وذريته يذهبون اليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان الخ) أي فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتي وما أدراك ما سجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر والاضافة على معنى في وقد يجمع بان سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل ابليس الخ) أي وفيه أرواح الكفار (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثاني والاستفهام الاول للانكار والثاني للتفخيم والتعظيم (قوله مرقوم) بيان للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى وقيل الرقم الختم بلغة حمير وعليه مشى المفسر والمعنى ان هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف انه كافر (قوله أو بيان) أي أو نعت (قوله ردع وزجر) أي للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل فهي حرف وقال الحسن ان كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أي أحاط وغطى كتغطية الغيم للسماء وردان المؤمن اذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا ازدادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه المبين وقال أبو معاذ الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى أم على قلوب أقفالها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أي ليس الامر كما يقولون بل انهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح وقيل يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة (قوله ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخي في الرتبة فان صلي الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أي من طرف الخزنة على سبيل التقريع والتوبيخ (قوله الذي كنتم به تكذبون) أي في الدنيا (قوله كلا ان كتاب الابرار) بيان لمحل كتاب الابرار وما أعد لهم من النعيم الدائم اثر بيان محل كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل ان في كل واحدة من الاربعة الواقعة في هذه السورة قولين (قوله لفي عليين) اسم مفرد على صيغة الجمع لا واحد له من لفظه سمي بذلك اما لانه سبب العلو الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة لما ورد مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش (قوله قيل هو كتاب الخ) أي فهو علم على ديوان الخير الذي دون فيه كل عمل صالح للثقلين وردان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى

اليهم أنتم حفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين وقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فتزكيه فاذا انتهوا به الى ماشاء الله قال لهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى وقال بعض أهل المعنى هو علو بعد علو وشرف بعد شرف (قوله من الملائكة) ظاهره أن الملائكة تكتب أعمالهم ويثابون عليها وانظر فى ذلك (قوله وقيل هو مكان الخ) قد يجمع بأن عليين اسم لكل من الكتاب والمكان (قوله ما كتاب عليين) هذا التقدير انما يحتاج له على القول الثانى فى تفسير عليين لا على الاول (قوله مختوم) وقيل الرقم الكتابة والمعنى مكتوب فيه ان فلانا آمن من النار (قوله يشهده المقربون) أى يحضرونه ويحفظونه ويشهدون بما فيه (قوله ان الابرار لفى نعيم) شروع فى بيان عاقبة أمرهم اثر بيان حال كتابهم على سنن مامر فى شأن الفجار (قوله السرر فى الحجال) جمع حجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى فى العرف الناموسية (قوله ينظرون) الجملة حالية من الضمير فى خبر ان أو مستأنفة وقوله على الارائك متعلق بينظرون (قوله تعرف فى وجوههم الخ) أى انك اذا رأيتهم تعرف انهم أهل النعمة لما ترى فى وجوههم من الحسن والبياض وفى قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه المعرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنيا للمفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرئ بالياء مبنيا للمفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا الى أن التأنيث مجازى (قوله بهجة التنعم الخ) أى لعدم ما يكدره من الامراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أى الكدر قال تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله مختوم على انائها) أى لشرفها ونفاستها ان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين أجيب بأن هذه الاوانى غير خمر الانهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفى قراءة سبعية أيضا خاتمه بتاء مفتوحة بعد الالف بيان لجنس الخاتم وقرئ شذوذا بكسر التاء والمعنى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أى ان رائحة المسك تظهر فى آخر الشراب فوجه التخصيص ان فى العادة على آخر الشراب فى الدنيا فأفاد ان آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفى ذلك) اشارة للرحيق وما بعده أو الى ماذكر من أحوال الابرار (قوله المتنافسون) أى الذين شأنهم المنافسة بكثرة الاعمال الصالحة والنيات الخالصة لعلو همتهم وطهارة نفوسهم قال تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون (قوله من تسنيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى أنها تجرى فى الهواء مسنمة فتصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة فاذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك الى أن التضمين اما فى الحرف أو فى الفعل (قوله ان الذين أجرموا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الابرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كابى جهل ونحوه) أى وهو الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من أهل مكة (قوله ونحوهما) أى كخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجعوا) أى من مجالسهم (قوله انقلبوا فاكهين) أى متلذذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة الى الاستسخار بغيرهم فى الحديث ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر وفى رواية يكون المؤمن فيهم أذل من الامة وفى أخرى العالم فيهم أنتن من جيفة حمار والله المستعان (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أى متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله واذا رأوهم) الضمير المرفوع عائد على المجرمين والمنصوب عائد على المؤمنين أى اذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم الى الضلال (قوله لايمانهم بمحمد الخ) أى فهم يرون أنهم على هدى والمؤمنون

من الملائكة ومؤمنى الثقلين وقيل هو مكان فى السماء السابعة تحت العرش (وما أدراك) أعلمك (ما عليون) ما كتاب عليين هو (كتاب مرقوم) مختوم (يشهده المقربون) من الملائكة (ان الابرار لفى نعيم) جنة (على الارائك) السرر فى الحجال (ينظرون) ما أعطوا من النعيم (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وحسنه (يسقون من رحيق) خمر خالصة من الدنس (مختوم) على انائها لا يفك ختمه الا هم (ختامه مسك) أى آخر شربه يفوح منه رائحة المسك (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغبوا بالمبادرة الى طاعة الله (ومزاجه) أى ما يمزج به (من تسنيم) فسر بقوله (عينا) فنصبه بأمدح مقدرا (يشرب بها المقربون) أى منها أو ضمن يشرب معنى يلتذ (ان الذين أجرموا) كابى جهل ونحوه (كانوا من الذين آمنوا) كعمار وبلال ونحوهما (يضحكون) استهزاء بهم (واذا مروا) أى المؤمنون (بهم يتغامزون) أى يشير المجرمون الى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (واذا انقلبوا) رجعوا (الى أهلهم انقلبوا فاكهين) وفى قراءة فكهين معجبين بذكرهم المؤمنين (واذا رأوهم) رأوا المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) لايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى

على ضلال حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شئ غائب لا يرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو في قالوا أي قالوا ذلك والحال انهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم الى مصالحهم) أي بل أمروا باصلاح أنفسهم لا باصلاح المؤمنين (قوله فاليوم) منصوب بيضحكون الواقع خبرا عن المبتدأ ولا يضر تقدمه على المبتدا لامن اللبس وذلك ان الظرف المهم لا يصح وقوعه خبرا عن المبتدا بخلاف في الدار زيد قام فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدا لصلاحيته للخبرية (قوله ينظرون) حال من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب لاهل الجنة كوى ينظرون منها الى أهل النار وقيل حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم وفي سبب هذا الضحك وجوه منها ان الكفار كانوا في ترفه ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من البؤس والضر وفي الآخرة ينعكس الحال فيكون المؤمنون في النعيم والكفار في الجحيم ومنها أنه يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا وتفتح لهم أبوابها فاذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا ومنها أنهم اذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الارائك ينظرون الى الكفار كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل أنه مقول قول محذوف والتقدير يقول الله لاهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل أنه متعلق بينظرون والمعنى ينظرون هل جوزي الكفار فمحلها نصب اما بالقول المحذوف أو بينظرون وقوله جوزي اشارة الى أن التثويب بمعنى الجزاء وهو يكون في الخير والشر والمراد هنا الثاني وقوله نعم جواب الاستفهام على كل

﴿ سورة الانشقاق ﴾

(قوله اذا السماء انشقت) أي انصدعت بغمام يخرج منها وهو البياض في جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أي انقادت لامره (قوله سمعت وأطاعت) أي فشبه حال السماء في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لامره وذلك ان السموات لما علمت مراد الله تعالى وتعلقت ارادته بانشقاقها سلمت وفوضت أمرها ولم تنازع في ذلك (قوله وحقت) بالبناء للمفعول والفاعل في الاصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والاصل وحق الله عليها استماعها فحذف الفاعل ثم المفعول وأسند الفعل الى ضمير السموات والمعنى وحق لها استماعها لعلمها بأن مراد الله نافذ فهي أهل لان تسمع وتطيع قال تعالى قالتا أتينا طائعين (قوله واذا الارض مدت) أي بسطت ودكت جبالها (قوله كمد الاديم) أي وهو الجلد لانه اذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أي فيزاد في سعتها لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية أن الارض تمد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدل الارض غير الارض (قوله من الموتى) أي والكنوز والمعادن والزروع (قوله وتخلت) أي خلا جوفها فلم يبق في بطنها شئ (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لان هذا في الارض وما تقدم في السموات (قوله وأطاعت في ذلك) أي الالقاء والتخلي (قوله دل عليه ما بعده) أي وهو قوله فملاقيه (قوله تقديره لقي الانسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو أحسن لانه تقدم في التكوير والانفطار * وخير ما فسرته بالوارد * (قوله يا أيها الانسان الخ) يحتمل أن المراد به الجنس وبه قال سعيد وقتادة ويحتمل أنه معين وهو الاسود بن عبد الاسد وقيل أبي بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله انك كادح) الكدح العمل والكسب والسعي (قوله الى ربك) الى حرف غاية والمعنى غاية كدحك في الخير أو الشر ينتهي بلقاء ربك وهو الموت (قوله فملاقيه) اما معطوف على كادح أو خبر مبتدا محذوف أي فأنت ملاقيه والجملة معطوفة على جملة انك كادح

(وما أرسلوا) أي الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) لهم أو لاعمالهم حتى يردوهم الى مصالحهم (فاليوم) أي يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك) في الجنة (ينظرون) من منازلهم الى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم في الدنيا (هل ثوب) جوزي (الكفار ما كانوا يفعلون) نعم

﴿ سورة الانشقاق مكية ثلاث أو خمس وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(اذا السماء انشقت وأذنت) سمعت وأطاعت في الانشقاق (لربها وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع (واذا الارض مدت) زيد في سعتها كما يمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل (وألقت ما فيها) من الموتى الى ظاهرها (وتخلت) عنه (وأذنت) سمعت وأطاعت في ذلك (لربها وحقت) وذلك كله يكون يوم القيامة وجواب اذا وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره لقي الانسان عمله (يا أيها الانسان انك كادح) جاهد في عملك (الى) لقاء (ربك) وهو الموت (كدحا فملاقيه)

أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة (فأما من أوتي كتابه) كتاب عمله (بيمينه) هو المؤمن (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه من نوقش الحساب هلك وبعد العرض يتجاوز عنه (وينقلب إلى أهله) في الجنة (مسرورا)

(قوله أي ملاق عملك) أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه عائد على الكدح الذي هو بمعنى العمل والكلام على حذف مضاف أي ملاق حسابه وجزاءه ويصح أن يكون عائدا على الله تعالى والمعنى ملاق ربك فلا مفر له منه (قوله هو المؤمن) أي ولو عاصيا مستحقا للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أي بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه (قوله كما فسر في حديث الصحيحين) أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب (قوله وينقلب) أي يرجع بنفسه (قوله إلى أهله) أي من الآدميات والحور العين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض (قوله تغل يمناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتي كتابه بشماله (قوله ينادي هلاكه) أي يتمناه إذ نداء ما لا يعقل هو تمنيه (قوله بطرا) أي فخرا ورياء فأبدله الله بذلك حزنا وغما لا ينقطع أبدا (قوله إنه ظن) أي تيقن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أي ولا يصح أن تكون مصدرية لما لزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسد مفعولي ظن (قوله يرجع إلى ربه) أي فالحور الرجوع والتردد في الأمر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب النفي وقوله إن ربه الخ جواب قسم مقدر فهو بمنزلة التعليل للجملة المستفادة من بلى (قوله فلا أقسم) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أي وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التي تكون عند ذلك سمي شفقا لرقته ومنه الشفقة على الإنسان وهي رقة القلب عليه (قوله وما وسق) ما موصول اسمي أو نكرة موصوفة أو مصدرية (قوله جمع ما دخل عليه) أي ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أي كالأشجار والبحار فإنه إذا دخل الليل انضم وسكن (قوله وذلك في الليالي البيض) أي وهي ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركبن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع وبفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أو حال (قوله بعد حال) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد صفة لطبقا (قوله وهو الموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وقيل المعنى لتركبن سنن من قبلكم وأحوالهم (قوله فما لهم) الفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للإيمان لظهور الحجة لأن ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة يبعد ممن له عقل عدم الإيمان به والانقياد له (قوله وإذا قرئ عليهم القرآن) أي من أي قارئ وهذا شرط وجوابه لا يسجدون وهذه الجملة الشرطية في محل نصب على الحال معطوفة على الحال السابقة وهي قوله لا يؤمنون (قوله يخضعون) أي فالمراد بالسجود اللغوي لا العرفي وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقي الذي هو سجود التلاوة وقد اختلفت الأئمة في ذلك (قوله في صحفهم) الأوضح أن يقول في صدورهم لأن الوعي معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ما قبل إلا في الكفار لا غير (قوله لهم أجر غير ممنون) استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء

﴿ سورة البروج ﴾

حكمة نزول هذه السورة تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم (قوله ذات البروج) أي صاحبة الطرق والمنازل التي تسير فيها الكواكب السبعة سميت

بذلك (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فسوف يدعو) عند رؤيته ما فيه (ثبورا) ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه (ويصلى سعيرا) يدخل النار الشديدة وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة (إنه كان في أهله) عشيرته في الدنيا (مسرورا) بطرا باتباعه لهواه (إنه ظن أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لن يحور) يرجع إلى ربه (بلى) يرجع إليه (إن ربه كان به بصيرا) عالما برجوعه إليه (فلا أقسم) لا زائدة (بالشفق) هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس (والليل وما وسق) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها (والقمر إذا اتسق) اجتمع وتم نوره وذلك في الليالي البيض (لتركبن) أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال والواو لالتقاء الساكنين (طبقا عن طبق) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال يوم القيامة (فما لهم) أي الكفار (لا يؤمنون) أي أي مانع لهم من الإيمان أو أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه (و) ما لهم (إذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه (بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث وغيره (والله أعلم بما يوعون) يجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء (فبشرهم) أخبرهم (بعذاب أليم) مؤلم (إلا) لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمن به عليهم

﴿ سورة البروج مكية ثنتان وعشرون آية ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم (والسماء ذات البروج) للكواكب اثنا عشر برجا

بروج الظهوره الان البرج في الاصل الامر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالي لظهوره (قوله تقدمت في الفرقان) نصه هناك تبارك الذي جعل في السماء بروجا اثنى عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو انتهى (قوله واليوم الموعود) اي الموعود به ففيه الحذف والايصال (قوله يوم الجمعة) خص مع ان باقي الزمان تشهد كذلك لاختصاصه بمزية وهي كونه فيه ساعة اجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة في الحديث) أي وهو ما روى اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي واختلف في تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة منها ما ذكره في الحديث ومنها الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة ومنها الشاهد هم الانبياء والمشهود عليهم هم الامم ومنها الشاهد أعضاء الانسان والمشهود عليه هو ابن آدم ومنها غير ذلك والاحسن أن يراد ما هو أعم ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أي لان المشهور عن النحاة أن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله اذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد لا يجوز الاقتصار على أحدهما الا عند طول الكلام أو في ضرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أي وعليه فالجملة خبرية والاصل فيها الدعاء (قوله الشق في الارض) أي فالاخدود مفرد وجمعه أخاديد (قوله بدل اشتمال منه) أي لان الاخدود مشتمل على النار (قوله ما توقد به) أي فالوقود بالفتح الاسم وأما بالضم فهو المصدر (قوله اذ هم عليها قعود) ظرف لقتل والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود (قوله شهود) أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية الخبر أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى الحضور وعليه اقتصر المفسر (قوله روى أن الله أنجى المؤمنين الخ) أي وكانوا سبعة وسبعين وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة أو أحد عشر وقوله الى من ثم أي الى من هم قعود على الاخدود ولم يرد نص بتعيينهم واعلم انه اختلف المفسرون في أصحاب الاخدود فروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فأعجبه فكان اذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا أتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي واذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس بسائر الادواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنا لك أجمع ان أنت شفيتني قال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فان آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن بالله فشفاه الله عز وجل فأتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال الله ربي وربك فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال اني لا أشفي أحدا انما يشفي الله عز وجل فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعى بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى

تقدمت في الفرقان (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة (ومشهود) يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة في الحديث فالاول موعود به والثاني شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قتل) لعن (أصحاب الاخدود) الشق في الارض (النار) بدل اشتمال منه (ذات الوقود) ما توقد به (اذ هم عليها) أي حولها على جانب الاخدود على الكراسي (قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين) بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) حضور روى ان الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى من ثم فأحرقتهم

فدعى بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به قال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك اذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقال له أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالاخدود فخددت بأفواه السكك وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أماه اصبرى فانك على الحق وروى عن مقاتل كانت الاخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار أما التى بالشام والتى بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه فى عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يضيء من قراءة الانجيل فذكرت لابيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون انسانا ما بين رجل وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى الى السماء وقبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف بن ذى نواس فخد لهم فى الارض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه فى النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه وروى أن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أماه انى أرى امامك نارا لا تطفأ يعنى نار جهنم ان لم تقعى فى هذه النار فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما فى النار فجعلهما الله فى الجنة فقذف فى النار فى يوم واحد سبعة وسبعين انسانا وروى غير ذلك (قوله وما نقموا منهم الخ) أى ما عابوا منهم الا ايمانهم وانما عبر بالمستقبل مع ان الايمان وقع منهم فى الماضى لان تعذيبهم والانكار ليس للايمان الذى وجد منهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى المستقبل اذ لو كفروا فى المستقبل لما عذبوا على ما مضى فكأنه قال الا أن يستمروا على ايمانهم (قوله الذى له ملك السموات والارض) بيان لكونه العزيز الحميد (قوله والله على كل شئ شهيد) فيه وعد ووعيد (قوله ان الذين فتنوا المؤمنين الخ) أى حرقوهم بالنار يقال فتنت فلانا اذا حرقته (قوله ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم ان تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعيد والتهديد ثم اشارة الى أن التوبة مقبولة ولو طال الزمن ما لم تحصل الغرغرة (قوله فلهم عذاب جهنم) هو خبر ان الذين افتنوا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدا من الشرط (قوله عذاب الحريق) من اضافة المسبب للسبب أى عذاب بسبب احراق المؤمنين (قوله ان الذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها وغرفها يتلذذون ببردها فى نظير الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والاحزان (قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الاشارة عائد على ما ذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالاشارة المفيدة للبعد لعلو درجتهم فى الفضل والشرف (قوله ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بعنف فاذا وصف بالشدة كان متضاعفا جدا وهو انتقامه وتعذيبه

(وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز) فى ملكه (الحميد) المحمود (الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد) أى ما أنكر الكفار على المؤمنين الا ايمانهم (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) بالاحراق (ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أى عذاب احراقهم المؤمنين فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك) بالكفار (لشديد)

بحسب ارادته (انه هو يبدئ) الخلق ٢٤٠ (ويعيد) فلا يعجزه ما يريد (وهو الغفور) للمذنبين المؤمنين (الودود) المتودد الى أوليائه بالكرامة

(ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو (فعال لما يريد) لا يعجزه شئ (هل أتاك) يا محمد (حديث الجنود فرعون وثمود) بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا (بل الذين كفروا في تكذيب) بما ذكر (والله من ورائهم محيط) لا عاصم لهم منه (بل هو قرآن مجيد) عظيم (في لوح) هو في الهواء فوق السماء السابعة (محفوظ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شئ منه طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما

﴿سورة الطارق مكية سبع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق) أصله كل آت ليلا ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وما أدراك) أعلمك (ما الطارق) مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لادرى وما بعد ما الاولى خبرها وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو (النجم) أى الثريا أو كل نجم (الثاقب) المضئ لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) بتخفيف ما فهي مزيدة وان مخففة من الثقيلة وعليها

للكفرة (قوله بحسب ارادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف وقد قال تعالى فعال لما يريد (قوله انه هو يبدئ ويعيد) أى ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه في غاية الشدة (قوله وهو الغفور) أى الماحي لذنوب المؤمنين وان لم يتوبوا لان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم فالحمل عليه أولى (قوله المتودد الى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك الى أنه فعول بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أى يوده عباده ويحبونه (قوله المجيد) بالرفع أى وبالجر قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه نعت للغفور والجار على أنه نعت للعرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أتى بصيغة فعال اشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها والمعنى يفعل ما يريد ولا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر وفي هذه الآية دليل على أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شئ لان أفعاله بحسب ارادته (قوله هل أتاك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد ان كان سبق له اتيان أو لطلب الاخبار ان لم يكن أتاه كما تقدم (قوله بدل من الجنود) أى على حذف مضاف أى جنود فرعون وهو بدل كل من كل أو المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لانهم اتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون وثمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم أنهم الخ) أى فهو ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أى من قومك وهو اضراب انتقالي للاشد كأنه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فانهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا (قوله في تكذيب بما ذكر) أى النبي والقرآن (قوله والله من ورائهم محيط) أى هم في قبضة قدرته وتصريفه كالشئ المحاط به الذي لا يجد مخلصا ولا مفرا فيجازيهم بأعمالهم (قوله بل هو قرآن مجيد) اضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه الى وصف القرآن بما ذكر اشارة الى أنه لا ريب ولا شك فيه ولا يصل اليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أى معلق بالعرش (قوله بالجر) أى والرفع فهما سبعيتان فالجر على أنه نعت للوح والرفع على أنه نعت للقرآن (قوله طوله ما بين السماء الخ) أى وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أى وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معقود بالعرش وأصله في حجر ملك

﴿سورة الطارق﴾

(قوله والسماء والطارق الخ) قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لان أحوالها في أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد صانعها بالكمالات لان الصنعة تدل على الصانع قال بعضهم

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

(قوله أصله كل آت الخ) أى ثم توسع فيه فسمي به كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم توسع به فسمي به كل ما ظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمي به الآتي ليلا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ومنه المطرقة بالكسر وهي ما يطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للانكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو واعلم أنه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيما وتعظيما ثم فسره بالنجم ازالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة ثالثها أن المراد به زحل ومحله في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أى وما بينهما اعتراض جئ به لتفخيم المقسم به (قوله فهي مزيدة) أى وكل مبتدا

وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هي مهملة لا عمل لها لأن لام الفرق يؤتى بها عند الاهمال لا عند الاعمال كما قال ابن مالك

وخففت إن فقل العمل * وتلزم اللام اذا ما تهمل

(قوله واللام فارقة) أي بين المخففة والنافية (قوله وبتشديدها) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله والحافظ من الملائكة الخ) يحتمل أن يراد الحفظ من العاهات والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمي فان كان مؤمنا وكل الله به مائة وستين ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين أو حفظ الاعمال وهما رقيب وعتيد وعليه درج المفسر وقيل المراد بالحافظ الله تعالى فتحصل ان الحافظ قيل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى والاحسن أن يراد ما هو أعم (قوله فلينظر الانسان الخ) لما ذكر تعالى ان كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر في أول نشأته والامر للايجاب (قوله مم خلق) الجار والمجرور متعلق بخلق والجملة في محل نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذي اندفاق) أي انصباب وأشار بذلك الى أن دافق صيغة نسب كلابن وتامر فالمعنى خلق من ماء مندفق أو مدفوق (قوله في رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب) أي وهو عظام الظهر وبين زائدة لان بين انما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك الا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب الخ (قوله والترائب للمرأة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب المرأة وترائب المرأة (قوله وهي عظام الصدر) أي وهي محل القلادة وهذا أحد أقوال وقيل الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر وقال القرطبي ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع في الانثيين ولا يعارضه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع في الانثيين (قوله انه على رجعه لقادر) نتيجة النظر المذكور لان الامر بالنظر انما هو لاجل التفكر في المعاد والبعث (قوله بعث الانسان الخ) هذا هو الصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل ما بعده وفي الآية تفاسير أخر منها أن الضمير يعود على الانسان والمعنى انه على رجع الانسان لحالة النطفية لقادر بان يرده من الشيوخة للشبوبة ومنها للصبا ومنه الى كونه جملا الى مضغة الى علقة الى نطفة ومنها أن الضمير عائد على الماء الدافق والمعنى انه على رجع الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصيرورته ولدا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا لقادر لانه تعالى قادر في جميع الاوقات لا تختص قدرته بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أي ما أخفي فيها وقيل السرائر فرائض الاعمال كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله وبين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها فيبيض وجه المؤدي ويسود وجه المضيع (قوله فما له من قوة) أي في نفسه وقوله ولا ناصر أي من غيره (قوله المطر) هذا أحد أقوال وقيل الرجع الاحوال التي تجيء وتذهب كالليل والنهار والامطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه وقيل المراد ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل غير ذلك واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلق الحيوان دليلا على معرفة المبدا والمعاد ذكر في هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله والسماء ذات الرجع أي هي كالاب والارض ذات الصدع هي كالام تتولد من بينهما النعم العظيمة التي ينتفع بها ما دامت الدنيا (قوله انه لقول فصل) جواب القسم الذي هو والسماء الخ والمراد بالفصل الحكم الذي ينفصل به الحق من الباطل (قوله وما هو بالهزل) أي بل هو جد كله فالواجب أن يكون مهابا في الصدور معظما في القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء اليه والاستماع له والائتمار

واسمها محذوف أي انه واللام فارقة وبتشديدها فان نافية ولما بمعنى الا والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر (فلينظر الانسان) نظر اعتبار (مم خلق) من أي شيء جوابه (خلق من ماء دافق) ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها (يخرج من بين الصلب) للرجل (والترائب) للمرأة وهي عظام الصدر (انه) تعالى (على رجعه) بعث الانسان بعد موته (لقادر) فاذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه (يوم تبلى) تختبر وتكشف (السرائر) ضمائر القلوب في العقائد والنيات (فما له) لمنكر البعث (من قوة) يمتنع بها من العذاب (ولا ناصر) يدفعه عنه (والسماء ذات الرجع) المطر لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) الشق عن النبات (انه) أي القرآن (لقول فصل) يفصل بين الحق والباطل (وما هو بالهزل) باللعب والباطل

بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض (قوله انهم يكيدون كيدا) اختلف فيها فقيل هي القاء الشبهات كقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم ونحو ذلك وقيل قصد قتله صلى الله عليه وسلم والاحسن أن يراد ما هو أعم (قوله وأكيد كيدا) أي أجازيهم على كيدهم وسمى الجزاء كيدا مشاكلة وقيل المعنى أعاملهم معاملة ذي الكيد بأن أمدهم ظاهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر (قوله فمهل الكافرين) أي لا تستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم (قوله مخالفة اللفظ) أي من حيث ان الاول مسند للظاهر مع التضعيف والثاني مسند للضمير مع الهمز (قوله على الترخيم) راجع لقوله أوار واد أي تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد واعلم ان رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويدا زيدا ويقع حالا نحو سار وارويدا أي متمهلين ونعتا لمصدر محذوف نحو سار وارويدا أي سيرا رويدا (قوله ونسخ الامهال بآية السيف) أي على ان المعنى اترك الكافرين ولا تتعرض لهم واصبر على أذاهم

﴿سورة الاعلى مكية﴾

أي في قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وفي الحديث سئلت عائشة بأي شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين ومن جملة فوائدها ان الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ (قوله سبح اسم ربك) الامر وان كان للنبي الا ان المراد منه العموم لان الاصل عدم الخصوصية الا لدليل (قوله أي نزه ربك) أي اعتقد أنه منزه عن كل ما لا يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فتنزيه الذات اعتقاد انها ليست كالذوات فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث وتنزيه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولا متناهية ولا ناقصة وتنزيه الافعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كافعال المخلوقين وتنزيه الاسماء عدم ذكره بالاسماء التي توهم نقصا بوجه من الوجوه وتنزيه الاحكام عدم الاغراض فيها فتكاليفنا لا لنفع يعود عليه (قوله ولفظ اسم زائد) ليس بمتعين بل كما تنزه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسمى به غيره ومن جملة تنزيه الاسم أن لا يذكر في مواضع الاقذار بأن يذكر على وجه التعظيم والتفخيم في المواضع الطاهرة الفاخرة ومن جملة تنزيه الاسم استحضارك عظمة المسمى عند ذكره (قوله الاعلى) من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا مكان (قوله صفة لربك) أي فهو مجرور بكسرة مقدرة على الالف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كانه قال سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقائص أزلا وأبدا ولا يصح أن يكون صفة لاسم منصوبا بالفتحة المقدرة مع جعل الذي خلق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير قولك جاءني غلام هند العاقل الحسنة وهو ممتنع فان جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز (قوله الذي خلق فسوى) جواب عن سؤال مقدر كانه قيل الاشتغال بالتسبيح انما يكون بعد معرفة المولى فما الدليل على وجوده فأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أي كل شئ (قوله متناسب الاجزاء الخ) أي جعله معتدل القامة تام المنافع (قوله والذي قدر) مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء أي من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها (قوله فهدى) أي أرشد ما قدره لمصالحه فهدى الانسان ودله على سبيل الخير والشر وهدى الانعام لمراعيها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها (قوله والذي أخرج المرعى) أي ما يرعى كالحشيش ونحوه (قوله غثاء) بضم الغين والمد من باب قعد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (قوله أحوى) نعت لغثاء وهو ما يشير له المفسر وقوله أسود باليا أي بعد وصفه بالغثاء يكون أسود باليا كما هو العادة في الزرع الجاف اذا تقادم ويطلق الاحوى على الاسود الذي يضرب الى الخضرة أو الاخضر الذي يضرب الى السواد وعليه

(انهم) أي الكفار (يكيدون كيدا) يعملون المكايد للنبي صلى الله عليه وسلم (وأكيد كيدا) أستدرجهم من حيث لا يعلمون (فمهل) يا محمد (الكافرين أمهلهم) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أي أنظرهم (رويدا) قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رود أو ارواد على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الامهال بآية السيف أي بالامر بالقتال والجهاد

﴿سورة الاعلى مكية تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبح اسم ربك) أي نزه ربك عما لا يليق به اسم زائد (الاعلى) صفة لربك (الذي خلق فسوى) مخلوقه جعله متناسب الاجزاء غير متفاوت (والذي قدر) ما شاء (فهدى) الى ما قدره من خير وشر (والذي أخرج المرعى) أنبت العشب (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) جافا هشيما (أحوى) أسود يابسا

فيكون

(سنقرئك) القرآن (فلا تنسى) ما تقرؤه (الا ما شاء الله) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تتعب نفسك بالجهر بها (انه) تعالى (يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منهما (ونيسرك لليسرى) للشريعة السهلة وهي الاسلام (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) من تذكره المذكور في سيذكر يعني وان لم تنفع ونفعها للبعض وعدم النفع لبعض آخر (سيذكر) بها (من يخشى) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (ويتجنبها) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت اليها (الاشقى) بمعنى الشقي أي الكافر (الذي يصلى النار الكبرى) هي نار الآخرة والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة هنيئة (قد أفلح) فاز (من تزكى) تطهر بالايمان (وذكر اسم ربه) مكبرا (فصلى) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة وكفار مكة معرضون عنها (بل يؤثرون) بالتحتانية والفوقانية (الحياة الدنيا) على الآخرة (والآخرة) المشتملة على الجنة (خير وأبقى ان هذا) أي افلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لفي الصحف الاولى) أي المنزلة قبل القرآن (صحف ابراهيم وموسى) وهي عشر صحف لابراهيم والتوراة لموسى

فيكون حالا من المرعى والاصل أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء والفاء لمجرد الترتيب والمعنى فمضت مدة فجعله الخ اذ لا يصير غثاء عقب اخراجه بل بعده بمدة (قوله سنقرئك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسوله اثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين الاول الاخبار من الله تعالى عما يحصل في المستقبل الثاني كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا ينساه أبدا (قوله فلا تنسى ما تقرؤه) أي منسوخا أو غيره ليظهر كون الاستثناء متصلا وقوله الا ما شاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية والمعنى ان نسخ تلاوته وحكمه مناسب في جواز نسيانك له وأما ما نسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينساه للاحتياج الى تبليغ حكمه أو تلاوته (قوله فكأنه قيل الخ) أي فهو نظير قوله ان علينا جمعه وقرآنه (قوله انه يعلم الجهر الخ) تعليل لما قبله جيء به تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تخشى ضياع ما ألقي عليك فانه تعالى يعلم الجهر وما يخفى ومنه ما ألقي عليك فيثبت في فؤادك ما ينفع وصنيع المفسر يقتضي أنه تعليل لمحذوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله وما يخفى) ما اسم موصول وعائده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضمير الا انا نقول يمنع منه عدم وجود ما يعود عليه (قوله ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك وما بينهما اعتراض جيء به للتعليل والمعنى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية وغير ذلك ولذا ورد ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما وورد بعثت بالحنيفية السمحاء وحكمة اسناد التيسير لذاته ولم يقل ونيسر اليسرى لك الايذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فبين طبعه ودينه موافقة في اليسر والسهولة (قوله للشريعة السهلة) أي الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله ان نفعت الذكرى) ان قلت هو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم ليكون حجة لهم أو عليهم أجيب بأن في الآية اكتفاء أي أو لم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد ويؤيده قوله سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فتدبر (قوله سيذكر من يخشى) أي من خلق الله في قلبه الخشية وهذا وعد من الله تعالى بان من يخشى يحصل له الاتعاظ به وينتفع والوعد لا يتخلف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن ويدل له ما ورد ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران وقيل النار الكبرى هي السفلى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل (قوله فيستريح) جواب عما يقال لا واسطة بين الحياة والموت فكيف وصف الله الاشقى بانه لا يموت فيها ولا يحيى فأجاب بأن المعنى لا يموت موتا يستريح به ولا يحيى حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أي تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تمهيد لارتباط هذه الآية بما بعده فقوله بل تؤثرون الخ اضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحتانية) أي وعليه فالضمير راجع للاشقى وقوله والفوقانية أي وعليه فهو التفات والخطاب اما للكفار فقط أو لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أي لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أي افلاح من تزكى الخ) أي فالاشارة الى قوله قد أفلح من تزكى الى قوله وأبقى وما ذكر في الصحف الاولى بالمعنى لا بهذا اللفظ فالشرائع المتقدمة متفقة على ما في هذه الآيات وردعن أبي ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل أنزل الله عليك شيأ مما كان في صحف ابراهيم وموسى قال يا أبا ذر اقرأ قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها

كيف يطمئن اليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل وعن أبي ذر أيضا قال قلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها أمثال وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون طامعا الا فى ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا الى آخره وقوله ومرمة لمعاش أى اصلاح له

﴿ سورة الغاشية مكية ﴾

أى بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار المفسر الى أن هل بمعنى قد وقوله أتاك أى فى هذه السورة فالماضى اخبار عما وقع له فى الحال ويصح أن يراد بالاستفهام التعجيب والتشويق الى استماع حديثها المذكور بقوله وجوه يومئذ الخ (قوله الغاشية) من الغشاء وهو الغطاء ومنه الغشاوة وهى شئ يغطى العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره وما حديث الغاشية ووجوه مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه فى معرض التفصيل وخاشعة خبره وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أى يوم اذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة ان قلت انه لم يتقدمها جملة يصلح أن يكون التنوين عوضا عنها أجيب بأنه تقدمها لفظ الغاشية وهو فى معنى الجملة لان أل موصولة باسم الفاعل فكانه قال التى غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التى انحل لفظ الغاشية اليها (قوله عبر بها عن الذوات) أى فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكل بالجزء وخص الوجه لانه أشرف الاعضاء ولانه يظهر عليه ذلك أولا (قوله بالسلاسل والاغلال) أى بسبب جر السلاسل وحمل الاغلال وكذلك يخوضون فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار قال تعالى اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون وهذا جزاء لما تركوه من ارادة أبدانهم فى اللذات والشهوات قال سعيد بن جبير تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فاعملها الله تعالى وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أى لانه أوقد عليها مدة طويلة فى الحديث أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (قوله آنية) أى بلغت اناها فى الحرارة والمعنى انتهى حرها (قوله ليس لهم طعام الا من ضريع) قال أبو الدرداء والحسن ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لا هنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها اهـ ذلك قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه وقوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ان قلت كيف حصر الطعام هنا فى الضريع مع أنه فى الحاقة قال ولا طعام الا من غسلين أجيب بأن العذاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه الضريع ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا (قوله لا يسمن ولا يغنى من جوع) كل منهما صفة لضريع والمعنى لا يحصل السمن لآكله ولا يدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أى ذات بهجة وحسن وقيل متنعمة والجمع حاصل فهى حسنة ومتنعمة (قوله لسعيها راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى انهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليه (قوله حسا) أى لان الجنة درجات على عدد آى القرآن بعضها أعلى من بعض فبين الدرجتين مثل ما بين السماء والارض وقوله ومعنى أى وهو الشرف

والرفعة

﴿ سورة الغاشية مكية ست وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(هل) قد (أتاك حديث الغاشية) القيامة لانها تغشى الخلائق بأهوالها (وجوه يومئذ) عبر بها عن الذوات فى الموضعين (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) ذات نصب وتعب بالسلاسل والاغلال (تصلى) بضم التاء وفتحها (نارا حامية تسقى من عين آنية) شديدة الحرارة (ليس لهم طعام الا من ضريع) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (لا يسمن ولا يغنى من جوع وجوه يومئذ ناعمة) حسنة (لسعيها) فى الدنيا بالطاعة (راضية) فى الآخرة لما رأت ثوابه (فى جنة عالية) حسا ومعنى (لا يسمع)

بالياء والتاء (فيها لاغية) أي نفس ذات لغو أي هذيان من الكلام (فيها عين جارية) بالماء بمعنى عيون (فيها سرر مرفوعة) ذاتا وقدرا ومحلا (وأكواب) أقداح لا عرى لها (موضوعة) على حافات العيون معدة لشربهم (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها بجنب بعض يستند اليها (وزرابي) بسط طنافس لها خمل (مبثوثة) مبسوطة (افلا ينظرون) أي كفار مكة نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) أي بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته وصدرت بالابل لانهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر في أن الارض سطح وعليه علماء الشرع لا كرة كما قال أهل الهيئة وان لم ينقض ركنا من أركان الشرع (فذكر) هم نعم الله ودلائل توحيده (انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر) وفي قراءة بالصاد بدل السين أي بمسلط وهذا قبل الامر بالجهاد (الا) لكن (من تولى) أعرض عن الايمان (وكفر) بالقرآن (فيعذبه الله العذاب الاكبر) عذاب الآخرة والاصغر عذاب الدنيا بالقتل والاسر (ان الينا ايابهم) رجوعهم بعد الموت (ثم ان علينا حسابهم) جزاءهم لا نتركه أبدا

والرفعة (قوله بالياء والتاء) أي ولكن الفعل على الياء مبني للمفعول لا غير وعلى التاء فهو مبني للفاعل والمفعول فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أي جماعة لاغية ويصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (قوله فيها عين جارية) أي على وجه الارض من غير أخدود ولا ينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالانهار المتقدم ذكرها في سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة في السماء ما لم يجئ أهلها فاذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع الى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لا عرى لها) أي ولا خرطوم (قوله معدة لشربهم) أي فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب ويصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر اليها ويصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهي متوسطة وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى قدروها تقديرا (قوله ونمارق) جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهي المعروفة بالمخدة (قوله مصفوفة) أي فوق الطنافس (قوله وزرابي) جمع زربية بتثليث الزاي (قوله طنافس) جمع طنفسة بتثليث الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبسط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء سجادة وطنفسة وزربية (قوله أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلا ينظرون وهو استفهام انكاري توبيخي وخصت الابل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها الى البلاد البعيدة وعيشها بأي نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهوضها وهي باركة بالاحمال الثقيلة ولا تؤذي من وطئته برجلها وتأثرها بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شيء من الحيوانات جمع هذه الاشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والابل اسم جمع لا واحد له من لفظه وانما له واحد من معناه كبعير وناقة وجمل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخلقت على الحال والجملة بدل اشتمال من الابل فهي في محل جر (قوله كيف رفعت) أي فوق الارض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أي على وجه الارض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة في تخصيص هذه الاشياء بالذكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الاودية والبراري منفردين عن الناس والانسان اذا انفرد أقبل على التفكر فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه فيرى منظرا عجيبا وان نظر الى فوق لم ير غير السماء وان نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال وان نظر الى تحت لم ير غير الارض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أي هذه الاربعة (قوله وان لم ينقض) أي ما قاله أهل الهيئة من قواعدهم التي ذكروها وقوله ركنا أي قاعدة من قواعد الشرع فلا يضر في العقيدة لان علماء الهيئة قالوا ان الارض كرة بطبعها وحقيقتها كالبيضة فالسموات السبع محيطة بالارض من كل جانب والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الارض عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكر) مفرع على ما تقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله انما أنت مذكر) تعليل للامر بالتذكير (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي بمسلط) هذا تفسير للقراءتين (قوله وهذا قبل الامر بالجهاد) أي فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون في الآخرة كالدنيا وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم في مبدا الامر فربما يتوهم أنهم في الآخرة كذلك فأفاد أنه وان أمهلهم في الدنيا لا يفلتهم من العذاب في الآخرة (قوله ان الينا ايابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر (قوله ثم ان علينا حسابهم) أي بمقتضى وعدنا لا وجوبا علينا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى

وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وجمع الضمير في ايابهم وحسابهم باعتبار معنى من

﴿ سورة الفجر مكية ﴾

أى في قول الجمهور وقوله أو مدنية أى في قول على بن أبي طلحة (قوله أى فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة في تفسير الفجر وهو قول على وابن الزبير وابن عباس أو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة أو فجر يوم النحر لان فيهما كثر مناسك الحج وفيه القربات أو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالى العشر (قوله أى عشر ذى الحجة) أى وانما نكرت لانها أفضل ليالى السنة وماذكره المفسر أحد أقوال وقيل هى العشر الاواخر من رمضان وقيل العشر الاول من المحرم (قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر هو الله تعالى قل هو الله احد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وقيل الوتر يوم عرفة لانه تاسع والشفع يوم النحر لانه عاشر وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان (قوله والليل) قسم خامس بعدما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم وقيل ليلة المزدلفة خاصة وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيهما (قوله اذا يسر) اذا معمول لمحذوف هو فعل القسم والمعنى أقسم بالليل وقت سراه (قوله مقبلا) أى باد بار النهار وقوله ومدبرا أى باقبال النهار وفيه اشارة الى أن اسناد السرى الى الليل حقيقة وقال غيره ان اسناد السرى له مجاز عقلى من الاسناد للزمان والمعنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل فى ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الامور المقسم بها واسم الاشارة عائد على الامور المقسم بها (قوله القسم) أى الحلف وال جنسية صادقة بالمذكور من الاقسام وهى خمسة وكذا يقال فى قوله وجواب القسم الخ (قوله عقل) سمى حجرا لانه يحجر صاحبه ويمنعه عن القبائح (قوله وجواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع فى بيان أحوال الامم الماضية وذكر منهم عادا وثمود وفرعون لان أخبارهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد (قوله ارم) هو فى الاصل اسم جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جدهم عاد وعاش ألف سنة ومائتى سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا (قوله أى الطول) هذا أحد أقوال وقيل ان المراد به الابنية المرتفعة على العمد كانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور وقيل ذات العماد ذات القوة والشدة قال تعالى من أشد منا قوة وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول الكازرونى طول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثلثمائة ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربى بقوله هو باطل لان فى الصحيح ان الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهواء فلم يزل الخلق ينقصون الى الآن اه وقال قتادة ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وقيل هى مدينة بناها شداد بن عاد * وحاصل قصتها أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فلكا بعده وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان

﴿ سورة الفجر مكية أو مدنية ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والفجر) أى فجر كل يوم (وليال عشر) أى عشر ذى الحجة (والشفع) الزوج (والوتر) بفتح الواو وكسرها لغتان الفرد (والليل اذا يسر) مقبلا ومدبرا (هل فى ذلك) القسم (قسم لذى حجر) عقل وجواب القسم محذوف أى لتعذبن يا كفار مكة (ألم تر) تعلم يا محمد (كيف فعل ربك بعاد ارم) هى عاد الاولى فارم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذات العماد) أى الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (التى لم يخلق مثلها فى البلاد)

بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت واذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة أشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار أنهار يجري ماؤها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما أتاه قال له يا أبا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض أن يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي أمر الملك أن نبني فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليماني وأقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعني سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون في كل قصر وزير من وزرائي ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة في الدنيا وهو من الخرافات بل هي في مكانها غير أن الله تعالى يعمي الخلق عنها فلم يهتد لها الا من وعد بها (قوله في بطشهم) متعلق بمثلها والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها (قوله الذين جابوا الصخر) صفة لثمود والباء في بالوادي بمعنى في وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود وروي أنهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة (قوله وادي القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أي يدقها للمعذب ويشده بها مطروحا على الارض ثم يعذبه بما يريد من ضرب واحراق وغيرهما (قوله الذين طغوا) اما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم (قوله نوع عذاب) فسره بذلك لقول الفراء سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب والمعنى أنزل على كل نوع من العذاب فأهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق (قوله ان ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله اعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك الى أن في الكلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لاعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطرق مترصدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فأما الانسان) اما هنا لمجرد التأكيد لا للتأكيد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يرضى من عباده الا الطاعة والاخلاص لما في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فأما الانسان فلا يلتفت لذلك لكونه مطبوعا على خلافه وانما يلتفت للعاجل وما قررناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة في كلام الزمخشري حيث نفى عن الله ارادة المعاصي والقبائح ونص عبارته فان قلت بما اتصل قوله فأما الانسان قلت بقوله ان ربك لبالمرصاد فكأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة فأما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة اهـ فتدبر (قوله اذا ما ابتلاه ربه الخ)

في بطشهم وقوتهم (وثمود الذين جابوا) قطعوا (الصخر) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بالواد) وادي القرى (وفرعون ذي الاوتاد) كان يتد أربعة أوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه (الذين طغوا) تجبروا (في البلاد فأكثروا فيها الفساد) القتل وغيره (فصب عليهم ربك سوط) نوع (عذاب ان ربك لبالمرصاد) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شئ ليجازيهم عليها (فأما الانسان) الكافر (اذا ما ابتلاه)

انما سمى كلا من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء لانه يختبر حال العبد في الحالين فاذا بسط له الرزق فقد اختبر
حال أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره)
أي عامله معاملة المختبر (قوله بالمال وغيره) أي كالجاه والولد (قوله ونعمه) أي جعله متلذذا بتلك النعم
(قوله فيقول ربي أكرمن) أي فضلني وأحسن الي (قوله وأما اذا ما ابتلاه) ما زائدة لوقوعها بعد اذا وكذا
يقال في الاولى (قوله فقدر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان ان قلت مقتضى المقابلة أن يقول فأهانه
وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه أجيب بأن البسط اكرام من الله لعبده وليس ضده اهانة بل ترك
للكرامة فاذا أهدى لك انسان هدية فقد أكرمك بها واذا لم يهد اليك فلم يحصل منه اكرام ولا اهانة وأيضا
فيه اشارة الى أن تقتير الرزق لا يلزم منه أن يكون دليلا على الاهانة بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما
ورد أشدكم بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فقول العبد ربي أهانني من قصوره وغفلته والا فالمطلوب
منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربي أهانن) أي لم يحسن الي ولم يفضلني وفي ياء أهانني وأكرمني خلاف بين
القراء فبعضهم يثبتهما وصلا ووقفا وبعضهم يحذفهما في الحالين وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا
(قوله ردع) أي عن الشقين بدليل قوله أي ليس الاكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله
بل لا يكرمون الخ وقوله لذلك أي لكون الاكرام بالطاعة والاهانة بالكفر والمعاصي وكثير من الجهلة
المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغرور (قوله بل لا يكرمون اليتيم) اضراب من قبيح
الى أقبح منه ترقيا في ذمهم (قوله ولا يحضون) أي يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا
غيرهم (قوله أي اطعام) أشار بذلك الى أن الطعام مصدر بمعنى الاطعام وفيه ايماء الى أن اكرام
اليتيم والحث على اطعام المساكين من أعظم الخصال فضيلة (قوله ويأكلون التراث) التاء فيه
مبدلة من الواو لانه من الوراثة كما في تجاه وتكاءة (قوله أكلا لما) أي جمعا فاللم الجمع يقال لممت
الشيء جمعته ومنه لم الله شعثه أي جمع ما تفرق من أموره (قوله أي شديدا) صفة لموصوف محذوف
أي جمعا شديدا (قوله للمهم نصيب النساء الخ) أي فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون
أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك ان قلت ان السورة مكية وآية
المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة الا من الشرع أجيب بان حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا
شريعة اسمعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وقرئ في
السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذفت احدى التاءين أي لا يحض بعضكم بعضا (قوله
ردع لهم عن ذلك) أي عن جمع المال وحبه وعدم اكرام اليتيم (قوله اذا دكت الارض) أي حصل
رجها وزلزالها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك رتبته
بابا بابا أي بابا بعد باب وكذا يقال دكا بعد دك حتى تزول الجبال وتستوي الارض (قوله أي أمره) دفع
بذلك ما يقال ان المجيء يقتضي الانتقال وهو على الله محال فأجاب بان الكلام على حذف مضاف
أي حصل أمره وظهر سلطان قهره وتجليه على عباده (قوله صفا صفا) أي صفا بعد صف لما ورد
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الخلائق اذا جمعوا في صعيد واحد الاولين والآخرين أمر الجليل جل
جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم انسانا وشخصا من المبعوثين انسا وجنا
ووحشا وطيرا وحولوهم الى الارض الثانية أي التي تبدل وهي أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت
الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذا هم أكثر من أهل الارض بعشر مرات ثم ان الله تعالى
يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة واذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة
السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذا هم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة
السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة
السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء

اختبره (ربه فأكرمه) بالمال وغيره (ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر) ضيق (عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا) ردع أي ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر وانما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بل لا يكرمون اليتيم) لا يحسنون اليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث (ولا يحضون) أنفسهم ولا غيرهم (على طعام) أي اطعام (المسكين ويأكلون التراث) الميراث (أكلا لما) أي شديدا للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم (ويحبون المال حبا جما) أي كثيرا فلا ينفقونه وفي قراءة بالفوقانية في الافعال الاربعة (كلا) ردع لهم عن ذلك (اذا دكت الارض دكا دكا) زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وجاء ربك) أي أمره (والملك) أي الملائكة (صفا صفا) حال أي مصطفين أي ذوي صفوف كثيرة

السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة الى الاذقان والى الصدور والى الحقوين والى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد في الحمام ومنهم من تصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش اذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والارق وقد قربت الشمس من رؤسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الارض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الارض وذاب الصخر ونشفت الانهار فبينما الخلائق يمرحون في تلك الارض البيضاء التي ذكرها الله حيث يقول يوم تبدل الارض غير الارض اذ جيء بجهنم الخ (قوله وجيء يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجيء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك) أي يجرونها حتى تقف عن يسار العرش قال أبو سعيد الخدري لما نزل وجيء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأني جبريل كلا اذا دكت الارض دكا دكا الآية وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجاء بها قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود بكل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالي ولك يا محمد ان الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى أحد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يارب أمتي أمتي (قوله لها زفير) أي صوت شديد (قوله وتغيظ) أي غليان كغليان صدر الغضبان (قوله بدل من اذا) أي والعامل فيهما يتذكر الذي هو الجواب وهذا مذهب سيبويه وقال غيره البدل على نية تكرار العامل فالعامل في البدل محذوف نظير عامل المبدل منه (قوله وأنى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفي) أي فهو انكاري (قوله للتنبيه) أي والتحسر (قوله الخير والايمان) أشار بذلك الى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتي) اللام اما للتعليل أي لاجل حياتي هذه الكائنة في الآخرة أو بمعنى وقت والمراد بالحياة الحياة الدنيوية وقد أشار لهما المفسر (قوله بكسر الذال وقوله بكسر الثاء) أي فاحد فاعل فيهما (قوله أي لا يكله الى غيره) أي لا يأمر غيره بمباشرته والمراد بالغير غير الملائكة فلا ينافي أنه تعالى يكله الى ملائكة العذاب لانهم يباشرونه باذن الله وأمره لهم ويحتمل أن المعنى لا يعذب أحد من خلق الله تعذيبا مثل تعذيب الله هذا الكافر ولا يوثق أحد من خلق الله ايثاقا مثل ايثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أي لا يشد ولا يربط بالسلاسل والاغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفي قراءة بفتح الذال والثاء) أي وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذي هو الله تعالى أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيتها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فسلم اليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أي التي لا يستفزها خوف ولا حزن (قوله وهي المؤمنة) هذا قول ابن عباس وقال الحسن المؤمنة الموقنة وعن مجاهد أيضا الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وان ما أصابها لم يكن ليخطئها وقال ابن عطاء العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين وقيل المطمئنة بذكر الله وقيل غير ذلك وفي الحقيقة كل من تلك المعاني صحيح لانه متى ثبت لها الايمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب فكلام المفسر من جوامع الكلم (قوله ارجعي الى ربك) هو خبر في المعنى وان كان أمرا في الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله بن عمر اذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل اليه ملكين وأرسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الارض روح طيبة

(وجيء يومئذ بجهنم) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يومئذ) بدل من اذا وجوابها (يتذكر الانسان) أي الكافر ما فرط فيه (وأنى له الذكرى) استفهام بمعنى النفي أي لا ينفعه تذكره ذلك (يقول) مع تذكره (يا) للتنبيه (ليتني قدمت) الخير والايمان (لحياتي) الطيبة في الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا (فيومئذ لا يعذب) بكسر الذال (عذابه) أي الله (أحد) أي لا يكله الى غيره (و) كذا (لا يوثق) بكسر الثاء (وثاقه أحد) وفي قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه (يا أيتها النفس المطمئنة) الآمنة وهي المؤمنة (ارجعي الى ربك) يقال لها ذلك عند الموت أي ارجعي الى أمره وارادته (راضية) بالثواب (مرضية) عند الله بعملك أي جامعة بين الوصفين وهما حالان ويقال لها في القيامة

ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها ولا بملك الا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ فيه الروح والريحان فان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا أحب أهله اليه واذا توفي الكافر أرسل الله اليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اهـ وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين والآخر انه عند البعث ومعنى قوله ارجعي الى ربك أي صاحبك وهو الجسد فيأمر الله تعالى الارواح أن ترجع الى الاجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فادخلي في عبادي) الاضافة للتشريف والا فالكل عباده (قوله وادخلي جنتي معهم) أي الصالحين لتفوزي بالنعيم المقيم ولاهل الاشارات تفاسير منها ان الله يناديها في الدنيا بهذا النداء حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له بأوصافك فادخلي في عبادي الصالحين أي فكوني معدودة فيهم وتحسو بهم وادخلي جنة شهودي في الدنيا مادمت فيها وهي الجنة المعجلة ويقال لها ذلك أيضا عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود وفسروا بذلك قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أي جنة الشهود في الدنيا التي قال فيها العارف ابن الفارض

أنلنا مع الاحباب رؤيتك التي * اليها قلوب الاولياء تسارع

وجنة الخلود في العقبى وهذا النداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون اما في المنام أو بالالهام وتقدم تقسيم النفس ومأخذ كل قسم في سورة القيامة

﴿سورة البلد مكية﴾

أي بالاجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر انها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله مكة) اي لانها مهبط الرحمات يجبى اليها ثمرات كل شيء جعلها الله حرما آمنا ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها وحرم فيها الصيد وجعل البيت المعمور بازائه وغير ذلك من فضائلها فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها (قوله وأنت حل بهذا البلد) جملة حالية جيء بها تسلية له صلى الله عليه وسلم وتعجيلا لمسرته حيث وعده فتح مكة في المستقبل وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد انك ميت وانهم ميتون وقد أنجز الله له ذلك فعند ما نزع المغفر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال يا رسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير وخص هذا الحال لان مكة وان كانت عظيمة في نفسها الا انها في تلك الحالة أعظم لانتقال أهلها من الظلمات الى النور وفيه اشارة الى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به فمكة زادها الله تشريفا بقدومه بها وهو حلال (قوله فالجملة اعتراض) أي لا تعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد بها الاخبار بما سيكون والاحسن جعلها حالية كما علمت لانه يستفاد منها تشريف مكة في تلك الحالة المستلزم زيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واكرامه وتعظيمه حيث أحل له ما لم يحل لاحد قبله ولا بعده (قوله ووالد وما ولد) أقسم الله بهم لانهم أعجب خلقه لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والصلحاء ولا سيما أمر الملائكة بالسجود لآدم وتعليمه جميع الاسماء وما مشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستفاد منه العموم للصالح والطالح وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الانسان) هذا هو المقسم عليه (قوله في كبد) بفتحتين المشقة من المكابدة للشيء وهي تحمل المشاق في فعله وفي الآية اشارة الى أنها قد أحاطت به احاطة الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لانه أول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد عليه يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الارتضاع ولو فاته لضاع ثم يكابد نبت أسنانه

(فادخلي في) جملة (عبادي) الصالحين (وادخلي جنتي) معهم

﴿سورة البلد مكية عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لا) زائدة (أقسم بهذا البلد) مكة (وأنت) يا محمد (حل) حلال (بهذا البلد) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه (ووالد) أي آدم (وما ولد) أي ذريته وما بمعنى من (لقد خلقنا الانسان) أي الجنس (في كبد) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (أيحسب) أيظن (الانسان) قوي قريش

وتحريك لسانه ثم يكابد الفطام الذى هو أشد من اللطام ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج ثم يكابد شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم ومصايب يكثر تعدادها ونوائب يطول ايرادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وغم الدين ويكابد محنا فى المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضى عليه يوم الا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما فى جنة واما فى نار هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الاشد) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو بالافراد فى كثير من النسخ تبعا لكثير من المفسرين وفى بعض النسخ الاشدين بصيغة التثنية تبعا لبعض المفسرين ولينظر وا وجهها واسمه اسيد بن كلدة (قوله بقوته) الباء سببية ومن قوته أنه كان يجعل الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يقدر عليه) أى على بعثه ومجازاته (قوله يقول) أى افتخارا (قوله على عداوة محمد) على بمعنى فى (قوله لبدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع لبدة وهو ما تلبد والمراد به الكثرة (قوله أيحسب أن لم يره أحد) استفهام انكارى (قوله ليس مما يتكثر به) أى يفتخر بكثرته لانه أنفقه فيما يغضب الله (قوله ألم نجعل له عينين) أى يبصر بهما المرئيات شققناهما له وهو فى ظلمة الرحم وقدرنا بياضهما وسوادهما وأودعناهما البصر على كيفية تعجز الخلق عن ادراكها (قوله ولسانا) أى يترجم به عما فى ضميره (قوله وشفتين) أى يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك وفى الحديث يقول الله يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق (قوله طريقى الخير والشر) وصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فانه هبوط من ذروة الفطرة الى حضيض الشقوة ففيه تغليب والمعنى بيناله أن طريق الخير ينجى وطريق الشر يردى وسلوك الاول ممدوح والثانى مذموم وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وقال عكرمة النجدان الثديان أى لانهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه (قوله فهلا) أشار بذلك الى ان لا بمعنى هلا للتحضيض وهو أحد احتمالين والآخر أنها باقية على أصلها للنفى أى لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة ان قلت لم أفردت لا مع أنها اذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى أجيب بانها مكررة فى المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا (قوله اقتحم العقبة) هى فى الاصل الطريق الصعب فى الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس فى فعل الطاعات وترك المحرمات والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها اذا علمت ذلك فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الاصل وليس مرادا هنا ولو قال أى تلبس بها ودخلها لكان واضحا أو يقال المراد بالعقبة الطريق التى توصل الى الجنة فانه ورد ان بين العبد والجنة سبع عقبات والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات فى الدنيا فمعنى قول المفسر جاوزها أى فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أى لبيان العقبة (قوله بأن أعتقها) أى مباشرة وهو ظاهر أو تسببا كشراء القريب (قوله ذى مسغبة) مصدر ميمى بوزن مفعلة من سغب يسغب من باب فرح جاع وقيد الاطعام بذلك الوقت لان اخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد اليتيم بكونه قريبا لانه يجتمع حينئذ فى الاطعام جهة الصلة والصدقة (قوله أى لصوق بالتراب) أى فهو كناية عن الافتقار (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضاف الاول لرقبة) أى من اضافة المصدر الى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) انما احتيج الى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر المفسر وذلك لان المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر

وهو أبو الاشد بن كلدة بقوته (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لن يقدر عليه أحد) والله قادر عليه (يقول أهلكت) على عداوة محمد (مالا لبدا) كثيرا بعضه على بعض (أيحسب أن) أى أنه (لم يره أحد) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء (ألم نجعل) استفهام تقرير أى جعلنا (له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) بينا له طريق الخير والشر (فلا) فهلا (اقتحم العقبة) جاوزها (وما أدراك) أعلمك (ما العقبة) التى يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله (فك رقبة) من الرق بأن أعتقها (أو أطعم فى يوم ذى مسغبة) مجاعة (يتيما ذا مقربة) قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أى لصوق بالتراب لفقره وفى قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الاول لرقبة وينون الثانى فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه

المضاف لكان المصدر وهو فك مفسر الاسم العين وهي المقتحمة وذلك غير جائز وأما القراءة الاولى فالفعل فيها بدل من قوله اقتحم فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله ثم كان من الذين آمنوا) أتى بثم اشارة لبعد رتبة الايمان وعلوها عن رتبة العتق والصدقة (قوله وثم للترتيب الذكرى) أى لان الايمان هو السابق ولا يصح عمل الا به (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أى وعلى ما أصابه من المحن والشدائد (قوله أولئك) مبتدأ وقوله أصحاب الميمنة خبره وأتى باسم الاشارة تشكرا عالهم بانهم حاضرون عنده في مقام قربه وكرامته وذكرهم بما يشار اليه للبعيد تعظيما لهم واشارة لعلو درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب الميمنة) أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أو لان منزلتهم عن يمين العرش (قوله هم أصحاب المشأمة) ذكرهم بضمير الغيبة اشارة الى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه (قوله الشمال) أى لانهم يأخذون كتبهم بشمائلهم أو لان منزلتهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أو مستأنف (قوله بالهمز والواو) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان يقال آصدت الباب وأوصدته اذا أغلقته وأطبقته (قوله مطبقة) أى عليهم تفسير لكل من القراءتين والمعنى لا يخرجون منها أبدا ولا يدخلها روح ولا ريحان

﴿سورة الشمس مكية﴾

أقسم سبحانه وتعالى بسبعة أشياء اظهار العظمة قدرته وانفراده بالالوهية واشارة الى كثرة مصالح تلك الاشياء وعموم نفعها (قوله وضحاها) أى وهو وقت ارتفاعها * والحاصل ان الضحوة ارتفاع النهار والضحى بالضم والقصر فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف (قوله ضوئها) هو أحد أقوال ثلاثة وقيل هو النهار كله وثالثها هو حر الشمس وحكمة القسم بذلك ان العالم في وقت غيبة الشمس عنهم كالاموات فاذا ظهر أثر الصبح صارت الاموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها (قوله تبعها) أى ظهر ضوؤه وسلطانه بعد غروبها وخلفها في انتشار الضياء فلا ينافى أنه قد يوجد مصاحبا لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلا (قوله طالعا عند غروبها) حال من ضمير تبعها والمراد ظهوره بعد غيبتها في أى وقت من الليل فيشمل أول الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار اذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع اما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب اما للشمس أو للظلمة والمعنى أظهرها وكشفها (قوله والليل اذا يغشاها) أتى به مضارعا ولم يقل غشيها مراعاة للفواصل أو اشارة لدوام القسم بهذا الامر واستمراره شيأ بعد شئ فلم يلزم فيه صيغة الماضي وأتى به متوسطا اشارة الى ان ما قبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطيها بظلمته) أى فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويسترها (قوله لمجرد الظرفية) من اضافة الصفة للموصوف أى الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والعامل فيها فعل القسم) استشكل بانه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول في الزمان وذلك لان فعل القسم انشاء وزمانه الحال واذا للاستقبال وحينئذ فلا يصح عمله في اذا أجيب بان فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقرونا بظرف يفيد الاستقبال كاذا والا فيكون للاستقبال تبعا لمعموله (قوله بسطها) أى على الماء (قوله بمعنى نفوس) أشار بذلك الى أن التنكير للتكثير (قوله وما سوّاها في الخلقة) أى عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن (قوله وما في الثلاثة مصدرية) أى وبناء السماء الخ وحينئذ فالكلام اما على حذف مضاف أى ورب البناء والطحو والتسوية أو القسم بتلك الاشياء لعظمها وجلالة قدرها كما تقدم في القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أى ومن بناها الخ وبه استدل من يجوز وقوعها على آحاد أولى العلم لان المراد به الله تعالى (قوله فألهمها فجورها وتقواها) الالهام في الاصل القاء الشئ في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيين (قوله طريق الخير والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام) أى لطول الكلام لان الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله عليه اذا وقع جوابا للقسم

تلزمه

(ثم كان) عطف على اقتحم وثم للترتيب الذكرى والمعنى كان وقت الاقتحام (من الذين آمنوا وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على الطاعة وعن المعصية (وتواصوا بالمرحمة) الرحمة على الخلق (أولئك) الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب الميمنة) اليمين (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) الشمال (عليهم نار مؤصدة) بالهمز والواو بدله مطبقة

﴿سورة والشمس مكية خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والشمس وضحاها) ضوئها (والقمر اذا تلاها) تبعها طالعا عند غروبها (والنهار اذا جلاها) بارتفاعه (والليل اذا يغشاها) يغطيها بظلمته واذا في الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (والسماء وما بناها والارض وما طحاها) بسطها (ونفس) بمعنى نفوس (وما سواها) في الخلقة وما في الثلاثة مصدرية أو بمعنى من (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها طريق الخير والشر وأخر التقوى رعاية لرؤس الآى وجواب القسم (قد أفلح) حذفت منه اللام لطول الكلام

تلزمه اللام وقد ويجوز الاقتصار على أحدهما عند طول الكلام أو للضرورة (قوله من زكاها الخ) الفاعل ضمير من في الموضعين وقيل ضمير عائد على الله تعالى والتقدير من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمعصية (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد اشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسسها) مأخوذ من التدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخملها وأخفاها بالكفر والمعصية لان المعاصي تذل النواصي (قوله كذبت ثمود) مناسبتها لما قبلها أنه لما أقسم بتلك الاقسام المذكورة على فلاح المطيع وخيبة العاصي ذكر في تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام والعاصي وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك الى أن الباء سببية (قوله اذ انبعث) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الامر فانبعث له والباعث لهم على ذلك التكذيب والطغيان (قوله واسمه قدار) أي بوزن غراب ابن سالف وهو أشقى الاولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب أتدري من أشقى الاولين قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك (قوله برضاهم) قال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم (قوله فقال لهم) أي بسبب الانبعاث والمعنى انه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ماذكر (قوله ناقة الله) الاضافة للتشريف من حيث انها دالة على توحيد الله بسبب ما فيها من الامور الغريبة المخالفة للعادة التي لا تمكن من غيره تعالى (قوله أي ذروها) أشار بذلك الى أن ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف أي ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم الشين وكسرها اسمان وبفتحها مصدر شرب والمعنى ومشروبها (قوله ولهم يوم) أي يشربون فيه هم ومواشيهم (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال ان تحذيرهم من الناقة وسقياها انشاء والتكذيب من عوارض الاخبار فأجاب المفسر بان تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول العذاب بهم) وذلك أن صالحا قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام قالوا وما العلامة على ذلك العذاب قال تصبحون في اليوم الاول وكان هو الاربعاء ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودة وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فعقروها) أي عقرها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أي الماء الذي كانت تشربه (قوله فدمدم أطبق عليهم الخ) أي فهو مأخوذ من الدمدمة وهي اطباق الشيء على الشيء يقال دمدم عليه القبر أطبقه والمعنى أهلكهم (قوله فلم يفلت منهم أحدا) أي الا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف (قوله بالواو والفاء) أي فهما سبعيتان أما الواو فاما للحال أو مستأنفة والفاء للتعقيب (قوله تبعتها) أي عاقبة هلكتهم كما تخاف الملوك عاقبة ما تفعله فهو استعارة تمثيلية لاهانتهم واذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول أي انه لا يخاف عاقبة انذاره لهم لعصمته بالله تعالى وقيل الضمير يرجع للعاقر فهو زيادة في التقبيح عليه

﴿ سورة الليل مكية ﴾

هذه السورة نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي أمية بن خلف فالصديق بلغ الغاية في الايمان والصدق والكرم وأمية بلغ الغاية في الكفر والكذب والبخل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل اذا يغشى) أقسم به تعالى لكونه محلا لاعظم النعم فيسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذي هو راحة لابدانهم (قوله كل ما بين السماء والارض) أشار به الى أن مفعول يغشى محذوف تقديره كل ما بين السماء والارض وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار اذا تجلى) أقسم به لانه مظهر جمال الله اذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تتحرك الناس لمعاشهم والطيور من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لعدمت الراحة فكانت المصلحة في تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أي الظرفية المجردة عن الشرط (قوله

(من زكاها) طهرها من الذنوب (وقد خاب) خسر (من دساها) أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا (كذبت ثمود) رسولها صالحا (بطغواها) بسبب طغيانها (اذ انبعث) أسرع (أشقاها) واسمه قدار الى عقر الناقة برضاهم (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) أي ذروها (وسقياها) شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم (فكذبوه) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم ان خالفوه (فعقروها) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فدمدم) أطبق (عليهم ربهم) العذاب (بذنبهم فسواها) أي الدمدمة (عليهم) أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحد (ولا) بالواو والفاء (يخاف) تعالى (عقباها) تبعتها

﴿ سورة الليل مكية احدى وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (والليل اذا يغشى) بظلمته كل ما بين السماء والارض (والنهار اذا تجلى) تكشف وظهر واذا في الموضعين لمجرد الظرفية

والعامل فيها فعل القسم) أى المقدر و يأتى هنا ما تقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهى اسم موصول و يكون تعالى أقسم بنفسه أى والقادر على خلق الذكر والانثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والانثى أى تعلق قدرته بخلقهما (قوله آدم وحواء) أى فتكون أل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات فأل للاستغراق وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون أل استغراقية استغراقا عرفيا (قوله والخنثى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا ظرف لقوله المشكل وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الخنثى المشكل فى عموم الذكر ولا فى عموم الانثى فأجاب بما ذكر (قوله فيحنث بتكليمه) أى لان الله تعالى لم يخلق من ذوى الارواح من ليس ذكرا ولا أنثى والخنثى انما هو مشكل بالنسبة الينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث ويرده قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا الآية (قوله ان سعيكم لشتى) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم فهو جمع فى المعنى وان كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (قوله مختلف) أى متباعد الابعاض لانه منقسم الى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع و يصح أن المعنى مختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك المساعى المختلفة وتبيين لاحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك الى أن مفعول أعطى واتقى محذوفان لافادة العموم فيشمل اعطاء حقوق الله فى المال بانفاقه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله أى بلا اله الا الله) أى مع محمد رسول الله وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى ومعنى تصديقه بها ايمانه بالبعث والجزاء (قوله فسنيسره لليسرى) التنفيس ليس مرادا لان التيسير حاصل فى الحال وانما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله الجنة) أى لما ورد ما من نفس منفوسة الا كتب الله مكانها من الجنة أو النار فقال القوم يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبرا وعنادا (قوله بالحسنى) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيئه) دفع بذلك ما يقال ان العسرى لا تيسير فيها فأجاب بأن المراد بالتيسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر والمعنى نجرى على يديه عملا يوصله للنار (قوله وما يغنى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى والمعنى اذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولا ينفعه ماله الذى بخل به وتركه لورثته (قوله اذا تردى) أى سقط (قوله ان علينا للهدى) أى بمقتضى حكمتنا وتعلق قدرتنا والا فلا يجب على الله تعالى شئ (قوله لتبيين طريق الهدى الخ) دفع بذلك ما يقال ان فى الآية اكتفاء والتقدير ان علينا للهدى والضلال أى تبيين كل منهما وايضاح جواب المفسر أن المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير ان علينا التبيين طريق الحق من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله تلظى) مرفوع بضمة مقدرة على الالف للتعذر صفة لنارا (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله لا يصلاها) مضارع صلى بكسر اللام والمصدر صليا بضم فكسر مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤول) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الرد على المرجئة القائلين لا يضر مع الايمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فمقتضاها أن المؤمن لا يدخلها ولو فعل الكبائر ووجه الرد أن الآية محمولة على الدخول المؤبد فلا ينافى أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة اذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لا يلاقى كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأبيد والخلود وأما قوله لقوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلا مدخل له فى رد كلام المرجئة الا أن يقال له مدخل من حيث مفهومه اذ مفهوم لمن يشاء ان من لم يشأ الغفران له لم يغفر له بل يدخله النار (قوله

(وما) بمعنى من أو مصدرية (خلق الذكر والانثى) آدم وحواء أو كل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (ان سعيكم) عملكم (لشتى) مختلف فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فأما من أعطى) حق الله (واتقى) الله (وصدق بالحسنى) أى بلا اله الا الله فى الموضعين (فسنيسره لليسرى) للجنة (وأما من بخل) بحق الله (واستغنى) عن ثوابه (وكذب بالحسنى فسنيسره) نهيئه (للعسرى) للنار (وما) نافية (يغنى عنه ماله اذا تردى) فى النار (ان علينا للهدى) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى (وان لنا للآخرة والاولى) أى الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ (فأنذرتكم) خوفتكم يا أهل مكة (نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من الاصل وقرئ بثبوتها أى تتوقد (لا يصلاها) يدخلها (الا الاشقى) بمعنى الشقى (الذى كذب) النبى (وتولى) عن الايمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) يبعد عنها (الاتقى) بمعنى التقى (الذى يؤتى ماله

يتزكى) بدل من يؤتي أو حال من فاعله ومشى المفسر على الثاني حيث قال متزكيا (قوله وهذا نزل في الصديق) الاشارة لقوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أي من سيده وهو أمية بن خلف وكان الصديق رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهري أريد فنزلت الآية وروى أنه كان بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك أحد أحد فمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك يعني الله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف أبو بكر الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى الى أمية بن خلف فقال له ألا تتقي الله في هذا المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه بما ترى ففي رواية أنه فداه برطل من ذهب وفي رواية أنه قال له عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاه له وأخذ بلالا فأعتقه وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له أتبيعه قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعك بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به وكان قد أعتق قبله ست رقاب وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة لبني عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهي تقول لهما والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها وفي ذلك يقول عمار بن ياسر

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما في بلال بسوءة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بأن الله ربي على مهل
فان تقتلوني تقتلوني ولم أكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجني ثم لا تمل
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

(قوله فقال الكفار الخ) المناسب أن يقول ولما قال الكفار انما فعل ذلك الخ نزل قوله تعالى وما لاحد الخ (قوله انما فعل) أي أبو بكر وقوله ذلك أي شراء بلال واعتاقه وقوله ليد كانت له أي نعمة كانت لبلال عند أبي بكر بأن صنع مع أبي بكر معروفا فأحب أبو بكر مكافأته بما فعله معه وقوله فنزل أي تكذيبا للكفار (قوله وما لاحد عنده) أي عند أبي بكر لا من بلال ولا غيره (قوله تجزى) صفة لنعمة أي يجزى الانسان بها وأتى به مضارعا مبنيا للمفعول رعاية للفواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك الى أن الاستثناء منقطع لان ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهو منصوب على أنه مفعول لاجله (قوله ولسوف يرضى) جواب قسم مقدر أي والله لسوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لابي بكر بنيل جميع ما يتمناه على أبلغ وجه وأجمله والعامة على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذا ببنائه للمفعول أي يرضيه الله أي يعطيه حتى يرضى

﴿سورة والضحى مكية﴾

(قوله كبر) أي قال الله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر أو لا اله الا الله والله أكبر ولله الحمد وحكمة تكبيره

يتزكى) متزكيا به عند الله تعالى بأن يخرجه لله تعالى لا رياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله وهذا نزل في الصديق رضي الله تعالى عنه لما اشترى بلالا المعذب على ايمانه وأعتقه فقال الكفار انما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا) لكن فعل ذلك (ابتغاء وجه ربه الاعلى) أي طلب ثواب الله (ولسوف يرضى) بما يعطاه من الثواب في الجنة والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب

﴿سورة والضحى مكية احدى عشرة آية﴾

ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم آخرها

تذكره عظمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن المنعم (قوله فسن التكبير آخرها) أى أخذا من فعله عليه السلام ومن أمره واعلم أنه اختلف هل التكبير لاول السور أو لخاتمها فعلى الاول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى ويكبر آخر الناس ومنشأ الخلاف انه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم واعلم أيضا انه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يمتنع منها وجه واحد وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السور وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصله بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيقف على كل منهما وقفا مستقلا واثنان منها على تقدير أن يكون لاولها وهما قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول السورة وثلاثة محتملة للتقديرين وهى وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة وبأول السورة التى بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة وهذه الاوجه السبعة تجرى من آخر الضحى الى آخر الفلق وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لاول السور والثلاثة المحتملة وبين الناس والفاتحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولا اله الا الله) هذه هى النسخة الصحيحة وفى بعض النسخ ولا اله الا الله بالواو وهى بمعنى أو فأفاد المفسر روايتين وبقيت رواية ثالثة وهى الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفى السورة التى قبلها قدم الليل وذلك لان فى كل مزية تقتضى تقديمه فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدو وحمل الخلوات والعطايا الربانية والنهار به النور والسعى فى المصالح واجتماع الناس أو لان السورة المتقدمة سورة أبى بكر وهو قد سبق له الكفر فقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور فقدم فيها الضحى * ان قلت ما الحكمة فى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته أجيب بأن فى ذلك اشارة الى أن ساعة من النهار توازى جميع الليل كما أن محمدا يوازى جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه اشارة الى أن سرور الدنيا أقل من شرورها (قوله أو كله) أى وعليه ففيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل (قوله اذا سجى) اذا لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) أى كل شئ (قوله أو سكن) اسناد السكون له مجاز عقلى والمعنى سكن أهله من اسناد الشئ لزمانه (قوله ما ودعك) بالتشديد فى قراءة العامة من التوديع وهو فى الاصل مفارقة المحبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وما قلى) مضارعه من باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف فى سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال الاول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب وقالت يا محمد انى لارجو أن يكون شيطانك تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا فنزلت الثانى انه أبطأ الوحى حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية الثالث ما روى أن خولة كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحى فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث فى بيتى ان جبريل لا يأتينى قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فلما نزل جبريل عليه سأله النبى عن التأخر فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة الرابع ما روى أن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح

فسن التكبير آخرها وروى الامر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أولا اله الا الله والله أكبر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والضحى) أى أول النهار أو كله (والليل اذا سجى) غطى بظلامه أو سكن (ما ودعك) تركك يا محمد (ربك وما قلى) أبغضك نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحى عنه

وذي القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله وأخبره بما سأل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جريج اثنى عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوما روى انه لما جاءه جبريل قال له ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اليك أشوق ولكني عبد مأمور وأنزل عليه وما نتنزل الا بأمر ربك (قوله وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة (قوله خير لك) انما قيد بقوله لك لانها ليست خيرا لكل أحد بل الناس على أربعة أقسام منهم من له الخير في الدارين وهم أهل الطاعة الاغنياء ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ومنهم من له صورة خير في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الاغنياء ومنهم من له صورة شر في الدنيا وخير في الآخرة وهم الفقراء المؤمنون قال بعض أهل الاشارات في الآية اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى في الكمالات الى غير نهاية فمقامه في المستقبل أعلى منه في الماضي وهكذا ويدل لذلك أيضا قوله في الحديث انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فاستغفاره لكونه ارتقى مقاما أعلى من الاول فرأى أن الذي انتقل منه بالنسبة للذي انتقل اليه ذنبا (قوله ولسوف يعطيك ربك في الآخرة) المناسب أن تبقى الآية على عمومها لان اعطاءه حتى يرضى ليس قاصرا على الآخرة بل عام في الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعلم كنهه سواه تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها والحق التعميم بما لا يعلم كنهه الا الله تعالى (قوله وواحد من أمتي) أي الموحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله

قرأنا في الضحى ولسوف يعطي * فسر قلوبنا ذاك العطاء

وحاشا يا رسول الله ترضى * وفينا من يعذب أو يساء

(قوله ألم يجدك يتيما الخ) القصد من هذا تسليته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكرا وصبرا والوجود بمعنى العلم فيتيما مفعول ثان والكاف مفعوله الاول (قوله استفهام تقرير) أي بما بعد النفي (قوله بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أي بعد حمله بشهرين وقيل قبل ولادته بشهرين وقوله أو بعدها أي وعليه فقيل بشهرين وقيل بسبعة وقيل بتسعة أشهر وقيل بثمانية وعشرين شهرا والصحيح الاول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن في دار التابعة وقيل دفن بالابواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالابواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب لانه كان شقيق أبيه وورد انه لما مات أبواه قالت الملائكة بقي نبيك يتيما فقال الله تعالى أنا له كافل وسئل بعض العلماء لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم كمال ولذا قال البوصيري

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

(قوله فآوى) العامة على قراءته بألف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وأصله أأوى بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا ومصدره الايواء كالاكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذا بغير ألف ثلاثيا كرمى ومصدره أوى بوزن كتاب وأوى بوزن فعول بالضم وأوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازما ومتعديا (قوله بأن ضمك الى عمك أبي طالب) أي بعد وفاة جدك عبد المطلب وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة) أي وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها اليك والمراد بضلاله كونه من غير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلا عليه قبل النبوة وبعدها فهذا كقوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا

خمسة عشر يوما ان ربه ودعه وقلاه (وللآخرة خير لك) لما فيها من الكرامات لك (من الاولى) الدنيا (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فترضى) به فقال صلى الله عليه وسلم اذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار الى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين (ألم يجدك) استفهام تقرير أي وجدك (يتيما) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فآوى) بأن ضمك الى عمك أبي طالب (ووجدك ضالا) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فهدى) أي هداك اليها (ووجدك

الايمان وماذكره المفسر أحد أقوال في تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الاول وقيل ووجدك ضالا أى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرك وقيل ووجدك طالبا القبلة فهداك اليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى انك لفى ضلالك القديم أى محبتك وقيل ان حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيألك يابطحاء مكة اليوم يرد الله اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لاصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يامعشر الناس أين الصبى فقالوا لم نر شيأ فصحت وامحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شاء أن يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يارب لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يد محمد فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش الى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى أن يرده فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان وبالورق وفى رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول الا تدرى ماذا يجرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال انى أنخت الناقة وأركبته خلفى فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى الى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل انه عليه السلام خرج مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة جاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبشة ورده الى القافلة (قوله عائلا) هذه قراءة العامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثرت عياله وقرئ شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنعك به) أى بما رضاك به وقوله من الغنيمة أى وان كانت لم تحصل الا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان الواقع وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبى طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى جعل رزقى تحت ظل سيفى ورمحى (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبى بكر وباعانة الانصار حين الهجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحتين المال وفى الحديث قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه (قوله فأما اليتيم) منصوب بتقهر وهذا مفرع على قوله ألم يجدك يتيما فآوى فالمعنى اصنع مع عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل فى أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال باصبعيه أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وهو يشير باصبعيه (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بتنهر والمعنى اما ان تطعمه أو ترده برفق وقيل المراد بالسائل ما يشمل طالب العلم فيكرمه ويتعلمه ولا يعبس فى وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى والمعنى أغن عبادى وأعطهم كما أغنيتك وأعطيتك (قوله وأما بنعمة ربك الخ) هذا عام وانما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لانهما محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولان المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب فى ذكر الله تعالى وشكره فختمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لان التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم اذا قصد به الشكر وان يقتدى به غيره وأمن على نفسه

الفرود

عائلا) فقيرا (فأغنى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفى الحديث ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس (فأما اليتيم فلا تقهر) بأخذ ماله أو غير ذلك (وأما السائل فلا تنهر) تزجره لفقره (وأما بنعمة ربك) عليك بالنبوة وغيرها (فحدث) أخبر وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم

الغرور والكبر قال الحسن بن علي رضي الله عنهما اذا عملت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك وورد ان شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قال نعم فقال له اذا آتاك الله مالا فلير أثره عليك وورد ان الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده وقوله بالنبوة وغيرها أي من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التي لا تتناهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فبلغ القرآن ونشر العلوم وأعطى حقوق ربه عز وجل (قوله في بعض الافعال) أي وهو فآوى فهدى فاغنى والاصل فآواك فهداك فأغناك

﴿سورة ألم نشرح مكية﴾

أي في قول الجمهور وقال ابن عباس انها مدنية (قوله استفهام تقرير) أي وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفي لان الاستفهام اذا دخل على منفي قرره فصار معناه قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضي وليس معناه الانشاء حتى يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لا محل له من الاعراب وهو مردود او ضعيف بل المراد لازمه وهو الاخبار بشرح الصدر وما بعده فهذه السورة من جملة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها (قوله أي شرحنا) الشرح في الاصل بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الالهي ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فصار مهبط الرحمات ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روي ان جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملأه علما وايمانا ثم رده في صدره وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال ولا يعبث كالاطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتي عليه البلوغ وهو على أجل الاخلاق وأطيبها وعند البعثة ليتحمل القرآن والعلوم وليلة الاسراء ليتهيأ لملاقاة أهل الملا الاعلى ومناجاة الحق جل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه فمرات الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكملا لا يعلم قدره غير ربه والحكمة في قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك التنبيه على ان منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا لغرض يعود عليه تعالى الله عن الاغراض والعلل (قوله ووضعنا عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحنا لك صدرك ووضعنا وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على المفعول الصريح تعجيلا للمسرة وتشويقا الى المؤخر (قوله الذي أنقض ظهرك) الانقاض في الاصل الصوت الخفي الذي يسمع من الرحل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الخ) أي فهو مصروف عن ظاهره فيجاب عنه بأجوبة منها ان المراد ووضعنا عنك وزر أمتك وانما اضافه اليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى عزيز عليه ما عنتم فأوزار أمته قبل اسلامهم موضوعة عنهم بالاسلام فلا يؤاخذون بها لان الاسلام يجب ما قبله وبعد الاسلام توضع عنهم بالتوبة أو بشفاعته صلى الله عليه وسلم لمن مات مصرا ومنها أن المراد ووضعنا عنك أثقال النبوة والتبليغ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء البعثة يشق عليه الامر ويقول أخاف أن لا أقوم بحق الدعوة فوضعه الله عنه ومنها أن المراد بالوزر خلاف الاولى فكان اذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الامر عليه وشق وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كاذنه للمنافقين في التخلف حين اعتذروا وأخذه الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك ومنها ان المراد بالوضع العصمة فالمعنى عصمناك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم تقدر عليك وزرا أصلا وكل من هذه الاجوبة صحيح ولا مانع من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أي أعلناه فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وأخذنا على الانبياء العهد ان ظهرت وأحدهم حي ليؤمنن بك ولينصرنك وهم يأخذون على أممهم ذلك العهد كما تقدم في قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية وفي هذا المعنى قال البوصيري ما مضت فترة من الرسل الا * بشرت قومها بك الانبياء

والحكمة في زيادة لك ما سبق من ان رفع الذكر عائد ثمرته عليه لا لغرض يعود عليه تعالى (قوله

في بعض الافعال رعاية للفواصل

﴿سورة ألم نشرح مكية ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ألم نشرح) استفهام تقرير أي شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذي أنقض) أثقل (ظهرك) وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك (ورفعنا لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكري في الاذان والاقامة والتشهد

والخطبة) أي على المنابر وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أي كيوم الفطر والاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارق الارض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا (قوله فان مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها اشارة الى ان اليسر يجيء عقب العسر بسرعة كانه مقارن له زيادة في التسلية وتقوية القلوب وأل في العسر الاول للجنس وفي الثاني للعهد الذكرى ولذلك ورد في الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وورد لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قوله الشدة) أي المشاق التي تحصل للشخص في الدنيا أو الآخرة وقوله سهولة أي تحصل له في الدنيا أو الآخرة والتنكير في يسرا للتفخيم والتعظيم (قوله ان مع العسر يسرا) جرت عادة العرب انها اذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الاول فجاء القرآن على أسلوبهم ففيه اشارة الى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك أن العسر الذي يصيب المؤمن في الدنيا لا بد له من يسر في الدنيا ويسر في الآخرة فيسر الدنيا ما ذكره في الآية الاولى ويسر الآخرة ما ذكره في الآية الثانية ومعلوم ان يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل فنفي غلبة العسر لليسرين انما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن الا اليسر فتدبر قال بعض الشعراء في هذا المعنى

فلا تيأس اذا أعسرت يوما * فقد أيسرت في دهر طويل
ولا تظنن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فاذا فرغت من الصلاة الخ) ما ذكره المفسر أحد أقوال وقيل اذا فرغت من دنياك فصل وقيل اذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والحمل على العموم أولى قال عمر بن الخطاب اني أكره أن أرى أحدكم فارغا لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة وفي الحديث ان الله يكره العبد البطال (قوله والى ربك فارغب) أي اجعل رغبتك الى ربك الذي أحسن اليك بفضائل النعم في جميع أحوالك لا الى أحد سواه فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعيا في حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه ويكون أكبر همه الآخرة

(فائدة) ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها أن من كتبها في اناء من زجاج ومحاها بماء ورد وشربه يزول عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب في مطلق اناء وتمحى بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس عشر مرات حصل له التيسير في الرزق والتوفيق في العبادة ولقضاء ما أهم العبد يصلي ركعتين ويجلس مستقبلا على طهارة ويقرؤها عدد حروفها مائة وثلاثة ثم يدعو بما أهمه يستجاب له ان شاء الله تعالى وهو مجرب صحيح

(سورة التين مكية)

أي في قول الجمهور وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للمقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أي المأكولين) هو قول ابن عباس وخص التين لانه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الانهضام لا يمكث في المعدة يخرج رشحا ويلين الطبع ويقل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل وهو مرض يستولي على مقر البول فيصير الماء عن انكروج باجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الانسان فاذا زاد صار حصاة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أكله مناما نال مالا ورزقه الله أولادا وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة

والانطلمة وغيرها (فان مع العسر) الشدة (يسرا) سهولة (ان مع العسر يسرا) والنبي صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فاذا فرغت) من الصلاة (فانصب) اتعب في الدعاء (والى ربك فارغب) تضرع

(سورة التين مكية أو مدنية ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والتين والزيتون) أي المأكولين

مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في أغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية ويثبت في الارض ألوفا من السنين ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذكره المفسر قولان من أقوال كثيرة في المراد بالتين والزيتون ومنها ان التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ومنها ان التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك (قوله الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى) أي وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار ان قلت كيف ذلك مع قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا المقتضي انه دك ولم يبق له أثر أجيب بأنه متسع والذي دك قطعة منه وتخصيصه لكونه مباركا تشرف بتكليم موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أي فهو من اضافة الموصوف لصفته وسينين يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزوم الياء في أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة لانه علم على البقعة أو الارض وان يعرب كجمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا (قوله لامن الناس فيها) أي فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أي الماهية من حيث هي الشاملة للمؤمن والكافر (قوله في أحسن تقويم) أي في أعدل قامة وأحسن صورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والادب (قوله في بعض افراده) أشار بذلك الى أن في الآية استخداما حيث ذكر الانسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الانسان بمعنى بعض افراده (قوله أسفل أسفلين) السافلون هم الصغار والزمنى والاطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وثقله على أهله وجيرانه (قوله كناية عن الهرم والضعف) أي فالمعنى ثم جعلناه ضعيفا هرما فهو بمعنى ومنكم من يرد الى أرذل العمر ومن نعمره ننكسه في الخلق وماذكره المفسر أحد قولين في المراد بالرد الى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحينئذ فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملونه في حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا حسا ومعنى وهم أهل النار الا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا (قوله غير مقطوع) أي ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر ما يعجز) من تعليلية وما مفعول به واقعة على زمان والمعنى اذا بلغ المؤمن بسبب الكبر زمانا يعجز فيه عن العمل وفي بعض النسخ ما يعجزه وحينئذ فيكون من الكبر بيان لما مقدما عليه والمعنى اذا بلغ المؤمن كبرا يعجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام انكاري والخطاب للانسان الكافر بطريق الالتفات والمعنى فما الذي يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث أي أي سبب يحملك على التكذيب ففي الكلام تعجب وتعجيب وذلك أنه تعالى لما قرر انه خلق الانسان في أحسن تقويم ثم رده الى أرذل العمر دل على كمال قدرته على الانشاء والاعادة سأل بعد ذلك عن تكذيب الانسان بالجزاء لان ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مشى عليه المفسر وقيل ان ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقك (قوله وحكمه بالجزاء) مبتدأ وقوله من ذلك أي من جملة قضائه خبره

﴿سورة اقرأ﴾

وفي نسخة سورة العلق وفي أخرى سورة القلم فاسماؤها ثلاثة (قوله أول ما نزل من القرآن) أي ثم بعده

أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين (وطور سينين) الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالاشجار المثمرة (وهذا البلد الامين) مكة لامن الناس فيها جاهلية واسلاما (لقد خلقنا الانسان) الجنس (في أحسن تقويم) تعديل لصورته (ثم رددناه) في بعض افراده (أسفل سافلين) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (الا) أي لكن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون) غير مقطوع وفي الحديث اذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل (فما يكذبك) أيها الكافر (بعد) أي بعد ما ذكر من خلق الانسان في أحسن صورة ثم رده الى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بالدين) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أي ما يجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي هو أقضى القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك وفي الحديث من قرأ والتين الى آخرها فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين

﴿سورة اقرأ مكية تسع عشرة آية﴾ صدرها الى ما لم يعلم أول ما نزل من القرآن وذلك بغار حراء

ن والقلم ثم المزمل ثم المدثر هكذا قال الخازن ولكن المشهور عن غيره ان أول ما نزل بعد اقرأ سورة المدثر
واختلف السلف في ترتيب سور القرآن والصحيح ان اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة
الاخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن
عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول انما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر ابن الانباري في كتابه الرد ان الله تعالى أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ثم فرقه على النبي صلى
الله عليه وسلم في عشرين سنة وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل ويوقف
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف
فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد
نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الانعام والانعام نزلت
قبل البقرة لان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا
وكذا من القرآن وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات اه ان قلت حيث كان الجمع والترتيب
من رسول الله فما معنى قولهم ان عثمان بن عفان جامع القرآن فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم روى
عنه القرآن وترتيبه حفظا لا وضعا في المصاحف وعثمان جمعه في المصحف على طبق الحفظ المروى عن
رسول الله فان المحفوظ كان مفرقا في صدور الرجال وفي صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله
رواه البخاري) أي وعبارته عن عائشة أم المؤمنين انها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان
يخلو بغار حراء ويتحنث فيه الليالي ذوات العدد ثم يرجع الى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق
وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال
اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ
فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده
فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة
وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق
فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة
وكان ممن تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له يا ابن أخي ماذا ترى
فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى
يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم
قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث
ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا الى أن يتردى
من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك
رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى
بذروة الجبل ليلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أي قل
باسم الله ثم اقرأ ما يوحى اليك فالباء متعلقة بمحذوف حال ومفعول اقرأ محذوف وقيل ان الباء مزيدة
والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تلطفا به صلى الله عليه وسلم واشارة الى أنه تعالى كما ربى جسمه يربي أمته
وقرآنه قال البوصيري في هذا المعنى

رواه البخاري

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(اقرأ) أوجد القراءة
مبتدئا (باسم ربك

سورمنه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

واضافة رب الى كاف الخطاب للتشريف (قوله الذى خلق خلق الانسان) يجوز أن يكون الثانى توكيدا لفظيا نظير قام قام زيد ويجوز أن يكون تفسيرا للاول أبهمه ثم فسره تفخيما لخلق الانسان ويجوز أن يكون حذف المفعول من الاول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الانسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أى الصادق بالذكر والانثى (قوله جمع علقة) أى لان كل واحد مأخوذ من علقة كما فى الآية الاخرى وأطلق الجمع على العلق تسمحا أو هو جمع لغوى والافعلق اسم جنس جمعى (قوله من الدم الغليظ) أى الذى أصله المنى فأول الاطوار المنى ثم العلقة وهو الدم الغليظ المتجمد ثم المضغة الى آخر ماذكر الله تعالى فى آية المؤمنون (قوله تأكيد للاول) هذا أحد قولين والآخر انه تأسيس فالاول معناه اقرأ فى نفسك والثانى معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الامة (قوله الذى لايوازيه كريم) أى لايساويه فضلا عن أن يزيد عليه لانه تعالى يعطى الشئ من غير عوض ولا غرض وليس ذلك لاحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أى فالمعنى اقرأ مايوحى اليك والحال ان ربك الاكرم لاينتظر منك عوضا ولايخزيك فهو تطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشى على نفسه أن لايقوم بما أمره به ربه (قوله الذى علم) علم ينصب مفعولين وهما محذوفان هنا والتقدير علم الانسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثانى وسكت عن تقدير الاول اتكالا على قوله بعد علم الانسان (قوله الخط) أى الكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وعرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة مااستقام أمر الدين ولا الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل الا القلم والخط لكفى فيه (قوله بالقلم) قال القرطبى الاقلام ثلاثة فى الاصل القلم الاول الذى خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله ادريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل المراد به آدم ومصدوق ماالاسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الاسماء كلها وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالنفى والمعنى علمه الشئ الذى انتفى علمه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والمراد به الرشد والصواب فى القول والفعل (قوله حقا) هذا مذهب الكسائى ومن تبعه وعليه فكلا مرتبطة بما بعدها لانه ليس قبلها شئ يقتضى الزجر والردع حتى تكون كلا ردعا له وقال أبو حيان وصوبه ابن هشام انها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة ان بعدها ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت ان بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل ان كونها بمعنى حقا صحيح من جهة المعنى الا انه يبعده كسر ان فكان المناسب للمفسر ان يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أى نفسه) أشار بذلك الى أن فى رأى ضميرا عائدا على الانسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائد عليه أيضا مفعوله ورأى هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصلين فيها فتقول رأيتنى وظننتنى وقوله استغنى مفعول ثان والمعنى أن الانسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنيا عن الله تعالى (قوله نزل فى أبى جهل) أى والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فكل من اعتقد أنه غنى عن ربه طرفة عين فقد تحقق بالطغيان والكفر لان كل مخلوق مفتقر لخالقه فى حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أى لاجله (قوله يا انسان) أشار بذلك الى ان الضمير فى ربك عائد على الانسان المتقدم ذكره ففيه التفات من الغيبة للخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان كانه قال لاتغتر باستغنائك فان مرجعك الى خالقك فكما أغناك هو قادر على افقارك فلا تعتقد انه غنى حقيقة فلو أعطى العبد الدنيا ومثلها معها هو فقير الى ربه فى كل طرفة عين (قوله أى الرجوع) أى من الغنى للفقر ومن العز

الذى خلق) الخلائق (خلق الانسان) الجنس (من علق) جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ (اقرأ) تأكيد للاول (وربك الاكرم) الذى لايوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الذى علم) الخط (بالقلم) وأول من خط به ادريس عليه السلام (علم الانسان) الجنس (مالم يعلم) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كلا) حقا (ان الانسان ليطغى أن رآه) أى نفسه (استغنى) بالمال نزل فى أبى جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (ان الى ربك) يا انسان (الرجعى) أى الرجوع تخويف له فيجازى الطاغى بما يستحقه (أرأيت) فى مواضعها الثلاثة

للذل ومن القوة للعجز ومن الحياة للممات فلا مفر من الله (قوله للتعجب) أى التعجيب وهو ايقاع المخاطب في العجب والخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه الخطاب واعلم ان أرأيت هنا بمعنى أخبرني فتتعدى الى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية فهي في موضع المفعول الثاني لتلك الثالثة ومفعولها الاول محذوف وهو ضمير يعود على الذى ينهى عبدا وذكر مفعول الاولى الاول وهو الاسم الموصول ومفعولها الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه وأما الثانية فمفعولاها محذوفان لدلالة المفعول الاول من الاولى والمفعول الثاني من الثالثة عليه فتحصل انه حذف المفعول الثاني من الاولى والمفعولان من الثانية والاول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنازع لانه يقتضي اضمارا والجمل لا تضمر وانما الاضمار في المفردات وجواب الشرط الواقع في حيز الثانية والثالثة محذوف دل عليه الجملة الاستفهامية (قوله أبو جهل) وذلك أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه بالتراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك ان بيني وبينه خندقا من نار وهؤلاء أجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (قوله عبدا) لم يقل نبيك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله للتقسيم) المناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله ان كذب وتولى) أى دام على التكذيب والتولي (قوله أى يعلمه) تفسير ليرى (قوله ردع له) أى لابي جهل (قوله لنسفعا) يحتمل ان النون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى أو لله وملائكته والسفع القبض على الشيء بشدة والنون في نسفعا للتوكيد الخفيفة فيوقف عليها بالالف تشبيها لها بالتنوين وتكتب ألفا اتباعا للوقف وقرئ شذوذا لنسفعن بالنون الثقيلة (قوله بالناصية) هي في الاصل مقدم الرأس أو شعر المقدم أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه (قوله الى النار) وقيل في الدنيا يوم بدر لما ورد انه جاء عبد الله ابن مسعود فوجده طريحا بين الجرحى وبه رمق فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخره من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقي على صدره لضعفه وقصره فارتقى اليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يارويعي الغنم لقد رقيت مرقى عاليا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لانه أحد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيه خيطا وجره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك (قوله كاذبة) أى في قولها وقوله خاطئة أى في فعلها والخطأ ضد الصواب في الدين وغيره والمراد هنا ارتكاب خلاف الصواب عن قصد لقول بعضهم الخاطئ المرتكب خلاف الصواب عن عمد والمخطئ المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد (قوله أى أهل ناديه) أشار بذلك الى أن الكلام على حذف مضاف لان النادي هو المجلس الذي يتحدث فيه القوم والمجلس لا يدعى فاحتيج لتقدير المضاف والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما انتهره) أى انتهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقوله حيث نهاه أى نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لقد علمت ما بها) أى بمكة (قوله خيلا جردا) أى قصيرة الشعر وقوله مردا أى شبابا (قوله سندع الزبانية) واحدها زبنية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزبن وهو الدفع (قوله الغلاظ الشداد) أى وهم خزنة جهنم أرجلهم في الارض ورؤسهم في السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار أى يدفعونهم في جهنم (قوله صل) أى دم على الصلاة وعبر عنها بالسجود لانه أفضل أركانها لما في الحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله واقترب منه) أى من الله وما مشى عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الائمة وقال الشافعي المراد بالسجود سجود التلاوة لما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك سجدتين فيسن السجود عند الشافعي

للتعجب (الذى ينهى) هو أبو جهل (عبدا) هو النبي صلى الله عليه وسلم (اذا صلى أرأيت ان كان) أى المنهي (على الهدى أو) للتقسيم (أمر بالتقوى أرأيت ان كذب) أى الناهي النبي (وتولى) عن الايمان (ألم يعلم بأن الله يرى) ما صدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه أى أعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث ان المنهي على الهدى آمر بالتقوى ومن حيث ان الناهي مكذب متول عن الايمان (كلا) ردع له (لئن) لام قسم (لم ينته) عما هو عليه من الكفر (لنسفعا بالناصية) لنجرن بناصيته الى النار (ناصية) بدل نكرة من معرفة (كاذبة خاطئة) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها (فليدع ناديه) أى أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة لقد علمت ما بها رجل أكثر ناديا مني لأملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا (سندع الزبانية) الملائكة الغلاظ الشداد لاهلاكه في الحديث لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع له (لا تطعه) يا محمد في ترك الصلاة (واسجد) صل لله (واقترب) منه بطاعته

في هذين الموضعين ومعنى اقترب تقرب الى ربك بطاعته و بالدعاء قال صلى الله عليه وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فيه فقمن أي حقيق أن يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده البكاء والتضرع

﴿سورة القدر مكية﴾

(قوله أو مدنية) هذا هو الارجح وحكى بعضهم أنها أول ما نزل بالمدينة ولعله تكرر نزولها تنبيها على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أو ست آيات) أي بناء على ان قوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة (قوله انا) يؤتى بان لتأكيد الحكم والرد على منكر أو شاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الاولين وقالوا تنزلت به الشياطين فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لأنه مختلق ولا من أساطير الاولين ان قلت ان المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا تأكيد والكافرون يعاندون ولو تعدد التأكيد أجيب بجوابين الاول نمنع ان الكافرين يعاندون مع التأكيد فان عادتهم الانقياد للتأكيدات فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك الثاني على تسليم أنهم يعاندون مع التأكيد فلا نسلم حصره في التأكيد بل قد يؤتى بها تر غيبا في تلقي الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه ونا يحتمل انها للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى اشعارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره فان الله أنزله والملائكة لهم مدخلية في انزاله والمعنى انا وملائكته قد سناه أنزلناه على حد ان الله وملائكته يصلون والاسناد لله حقيقة اجماعا وللملائكة قيل كذلك وقيل مجاز وعليه فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز يقال بنى الامير وعملته المدينة ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد فانه حاصل في ضمير يصلون أليس الله بأحكم الحاكمين ونحوه وأما قوله عليه السلام للخطيب بئس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلان الخطيب محل اطناب وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه) ان قلت الانزال وصف للاجسام والقرآن عرض لا جسم فكيف يوصف بالانزال أجيب بجوابين الاول ان الانزال بمعنى الايحاء وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الايحاء بالانزال واستعير الايحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا الثاني أن اسناد النزول اليه مجاز عقلي وحقه أن يسند لحامله فالتجوز اما في الطرف أو الاسناد (قوله أي القرآن) أشار بذلك الى أن الضمير في أنزلناه عائد على القرآن ان قلت انه لم يتقدم له ذكر أجيب بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لا يحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أي ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما مفرقة في مدة عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة ومعنى انزاله جملة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا أن جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله الى سماء الدنيا) أي الى بيت العزة منها وما ذكره المفسر من أن المراد انزال القرآن جملة الى سماء الدنيا أحد أقوال في تفسير الآية وقيل المعنى ابتدأنا انزاله على محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ان قلت ان البعثة على رأس الاربعين وميلاده كان في ربيع فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر أجيب بأنه ألغى الكسر أو جبر أو ذلك بناء على ان ميلاده في رمضان وقد قيل به أو مبدأ الوحي المنام في ربيع ومبدأ انزال القرآن في رمضان وحكمة انزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم انزاله منها مفرقا ولم ينزله مفرقا من اللوح أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي فانزاله اليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه وانزاله منها مفرقا فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطف به صلى الله عليه وسلم و بأمته فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقا (قوله الشرف والعظم) هذا أحد أقوال وقيل القدر بمعنى تقدير الامور أي اظهارها في دواوين الملا الاعلى سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره الى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك ويسلمه الى مدبرات

﴿سورة القدر مكية أو مدنية خمس أو ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (انا أنزلناه) أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا (في ليلة القدر) أي الشرف والعظم (وما أدراك) أعلمك يا محمد

الامور وهم الاربعة الرؤساء جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقولنا أى اظهارها فى دواوين الملا الاعلى يدفع ما أورد أن تقدير الامور أزلى فان قلت ان تقدير الامور ليلة النصف من شعبان يجاب بأن ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلة القدر وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله ومن قدر عليه رزقه فظن أن لن نقدر عليه لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها (قوله ما ليلة القدر) أى ما مقدار شرفها وليس المراد ما حقيقتها فانها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم لشأنها) أى تفخيم لامرها قال سفيان بن عيينة ان كل ما فى القرآن من قوله وما أدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وما فيه وما يدريك لم يعلمه به والمراد اعلام الله تعالى فى ذلك السياق نفسه فلا ينافى انه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بكل ما خفى عنه مما يمكن البشر علمه وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خير من ألف شهر) أى وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر واختلف فى حكمة ذكر العدد فقيل المقصود مطلق الكثرة وقيل انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله عز وجل ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت أمتى أقصر الامم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر فهى من خصائص هذه الامة وهى باقية على الصحيح خلافا لمن قال برفعها مستدلا بحديث خرجت لاعلمكم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ورد بأن الذى رفع تعيينها بدليل أن فى آخر الحديث نفسه وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى العشر الاواخر اذ رفعها بالمرة لا خير فيه ولا يتأتى معه التماس ان قلت الرفع بسبب الملاحاة يقتضى أنه من شؤم الملاحاة فكيف يكون خيرا قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فاذا تلقى بالرضا والتسليم صار خيرا ان قلت فما هو الذى فات بشؤم الملاحاة وما هو الخير الذى حصل قلت الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد فى خصوصها والخير الذى حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيى ليالى كثيرة فى الجملة قالوا أخفى الرب أمورا فى أمور لحكم ليلة القدر فى الليالى لتحيى جميعها وساعة الاجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل والاسم الاعظم فى أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه فى طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه فى معاصيه لينزجر عن الكل والولى فى المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم ومجىء الساعة فى الاوقات للخوف منها دائما وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها نعم العالم بها أكمل هذا هو الاظهر واختلفت المذاهب فيها فقال مالك انها دائرة فى العام كله والغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الاواخر منه وقال أبو حنيفة والشافعى هى فى رمضان لا تنتقل منه والغالب كونها فى العشر الاواخر واشتهر عن أبى بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر التى أعز الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها مددا للمسلمين وأيده بعضهم بطريق الاشارة بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان واتفق أن كلمة هى تمام سبعة وعشرين وطريق آخر فى الاشارة ان حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت فى السورة ثلاث مرات وثلاثة فى تسعة بسبعة وعشرين ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الاسبوع فعن أبى الحسن الشاذلى أن كان أوله الاحد فليلة تسع وعشرين أو الاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثاء فسبع وعشرين أو الاربعاء فتسعة عشر أو الخميس فخمس وعشرين أو الجمعة فسبعة عشر أو السبت فثلاث وعشرين ومنها ما قاله بعضهم

يا صاحب الاثنين والجمعة مواعيدك * والحد والاربعا طى لتب عيدك
بكالى السبت هى يا خميس عيدك * كابدثلاثا ليالى القدر مع سيدك

فاذا كان أول الشهر الاثنين أو الجمعة تكون ليلة احدى وعشرين ورمزه يا صاحب الحل أو الاحد أو الاربعاء فتسع وعشرين ورمزه طى أو السبت فثلاث وعشرين رمزه بكا أو الخميس فخمس وعشرين

(ما ليلة القدر) تعظيم لشأنها وتعجيب منه (ليلة القدر خير من ألف شهر)

ورمزه هي أو الثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد والمشهور في ألسنة علماء الحديث أن الغالب كونها في العشر الاواخر وأنها في الاوتار قال سيدي أحمد زروق وغيره لاتفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربي (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال ان الالف شهر لابد فيها من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشيء على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أي من صلاة ودعاء وتسبيح وغير ذلك (قوله تنزل الملائكة) أصله تتنزل بتاءين حذفت احداهما تخفيفا كما قال المفسر على حد قول ابن مالك

وما بتاءين ابتدي قد يقتصر * فيه على تا كتبين العبر

والتاء في ملائكة لتأنيث الجمع واذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يلغز فيقال كلمة اذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها جمع ملك وأصله ملائك ووزنه فعائل فالهمزة زائدة ومادته تدل على الملك والقوة والسلطنة وقيل وزنه مفعل فالميم زائدة وقيل هو مقلوب وأصله مألك من الالوكة وهي الرسالة قلب قلبا مكانيا فصار ملائك وفي وزنه القولان المتقدمان وعلى كل فيقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لايوصفون بذكورة ولا بأنوثة لهم قدرة على التشكلات بالصور الغير الخسيسة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وعبر بتنزل اشارة الى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج ويصعد فوج روي أنه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولايدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة الادخله وسلم عليه ويقول يامؤمن أو يامؤمنة السلام يقرئكم السلام الاعلى مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وروي ان الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى (قوله والروح) اما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفا على الملائكة (قوله جبريل) هذا أحد أقوال في تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه وقيل الروح نوع مخصوص منهم وقيل خلق آخر غير الملائكة وقيل أرواح بني آدم وقيل عيسى ينزل مع الملائكة وقيل ملك عظيم الخلقة تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكل لسان لغة لاتشبه لغة الآخر فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وانما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل في ليلة القدر لشرفها وعلو شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الافواه كلها الى طلوع الفجر (قوله فيها) اما متعلق بتنزل أو حال من الملائكة والروح وقوله باذن ربهم اما متعلق بتنزل أو بمحذوف حال أيضا والمعنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين باذن ربهم لامن تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل أن من بمعنى باء السببية وعليه درج المفسر ويصح أنها للتعليل متعلق بتنزل أي تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاه الله فيها) أي أراد اظهاره لملائكته هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الازلي (قوله لتلك السنة) أي مما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر الموت والاجل والرزق وغير ذلك (قوله الى قابل) متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة الى مثلها من قابل (قوله سلام هي) يصح أن يكون ضمير هي عائدا على الملائكة وسلام بمعنى التسليم والمعنى ان الملائكة يسلمون على المؤمنين ويصح أن يعود على ليلة القدر وسلام أيضا بمعنى التسليم والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة على المؤمنين أو على بعضهم بعضا ويصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شر قال القرطبي ليلة القدر سلامة

ليس فيها ليلة قدر فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها (تنزل الملائكة) بحذف احدى التاءين من الاصل (والروح) أي جبريل (فيها) في الليلة (باذن ربهم) بأمره (من كل أمر) قضاه الله فيها لتلك السنة الى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سلام هي)

وخيركلها الاشر فيها حتى مطلع الفجر وقال الضحاك لايقدر الله في تلك الليلة الا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة (قوله خبر مقدم) أي فيفيد الحصر أي ماهي الا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وماذكره المفسر هو المشهور وجوز الاخفش رفع سلام بالابتداء وهي بالفاعلية به لانه لايشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام (قوله حتى مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه انه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدا على اعراب المفسر الا أن يتوسع في الجار واما على اعراب الاخفش فلا اشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أي وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر والمكسور اسم مكان خلاف ﴿فائدة﴾ ذكر العلماء لليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير وعذوبة الماء الملح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وسماع كل شيء يذكر الله بلسان المقال وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة بالانوار وطلوع شمس يومها صافية نقية ليست بين قرني الشيطان كيوم غيرها وأحسن مايدعى به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ماورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن وكاواخر البقرة لما ورد من قام بهما في ليلة كفتاه وكسورة اذا زلزلت لما ورد أنها تعدل نصف القرآن وكسورة الكافرون لما ورد أنها تعدل ربع القرآن والاخلاص تعدل ثلثه ويس لما ورد أنها قلب القرآن وانها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أحب لنفسه ولاحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بما تيسر له ويحفظ جوارحه عن المعاصي ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة وورد من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر وورد من صلى العشاء في جماعة فكانما قام شطر الليل فاذا صلى الصبح في جماعة فكانما قام شطره الآخر وقد ورد من قال لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر فينبغي الاتيان بذلك كل ليلة

﴿سورة البينة﴾

وتسمى سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيمة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها أنه لما ثبت انزال القرآن أخبر تعالى بان الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت انزالها عليه وفيها تسلية له صلى الله عليه وسلم كان الله يقول له لاتحزن على تفرقهم وكفرهم بل تسل بما أوحي اليك روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا فقال أبي وسماني لك قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبي فقرأها صلى الله عليه وسلم عليه واستفيد من الحديث آداب منها قراءة الاعلى على من دونه للتواضع ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير ومنها تخصيص سريع الحفظ والاتقان بالعلم وفي ذلك فضيلة عظيمة لابي حيث جعل موضع سر رسول الله ونظره اشعارا بانه ثقة يصلح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله من الله بأن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون ان قلت أهل الكتاب لم يكونوا جميعا كفارا قبل النبي بل بعضهم كان متمسكا بنبيهم وكتابهم والبعض كفار كمن غير وبدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالاحسن جعل من للتبعيض والواو في المشركين للمعية والمشركين مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من انفك الذي يعمل عمل كان واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله عما هم عليه ويصح أن تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أي واسمها الاسم الموصول وهي ناقصة وقوله من أهل الكتاب حال من فاعل كفر والمعنى أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الاوثان من العرب كانوا

خبر مقدم ومبتدا (حتى مطلع الفجر) بفتح اللام وكسرها الى وقت طلوعه جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لاتمر بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه

﴿سورة لم يكن مكية أو مدنية تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (لم يكن الذين كفروا من) للبيان (أهل الكتاب والمشركين) أي عبدة الاصنام عطف على أهل (منفكين) خبر يكن

يقولون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في التوراة والانجيل فلما بعث تفرقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فعلوه آخرا (قوله أي زائلين الخ) أشار بذلك الى أن الانفكاك بمعنى الزوال والمعنى أنهم متعلقون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية لعدم انفكاكهم عماهم عليه والحاصل ان في الآية تفسيرين الاول حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الاصنام في حق المشركين فالمعنى لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه لم يفارقوه الا وقت مجيء محمد فلما ظهر محمد تفرقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقي على ما كان عليه وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم الثاني أن المراد بما كانوا عليه هو اعمانهم بمحمد اذا ظهر والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الايمان بمحمد اذا ظهر أي لم يفارقوه ولم يتركوه الا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم وفي هذا المعنى توبيخ لهم اذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته اذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر أولا محتمل للمعنيين وآخرا مصرح على المعنى الثاني (قوله بدل من البينة) أي بدل اشتمال ومن الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أو حال من صحفا لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله وهو النبي محمد) وقيل جبريل (قوله مطهرة) أي مطهرا ما فيها وهو القرآن (قوله من الباطل) أي فتطهير الصحف كناية عن كونها لا يأتيها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أي مكتوبات في قراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وان كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها فصحت نسبة تلاوة الصحف اليه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب (قوله أي يتلو مضمون ذلك) أي مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن لا نفس المكتوب لانه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن عن ظهر قلب ولم يكن يقرؤه من كتاب فتحصل أن المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الاحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصريح بما أفادته الغاية قبله وأفرد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين اشارة لبشاعة حالهم لانهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الاولى وذلك لانهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا والمعنى تفرقوا بعد ما جاءتهم البينة والحال أنهم ما أمروا الا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الاولى أن تجعل بمعنى الباء والمعنى وما أمروا الا بان يعبدوا الخ (قوله مخلصين) حال من ضمير يعبدوا والاخلاص هو صفاء القلب من الاغيار بان يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى (قوله حنفاء) حال ثانية والحنف في الاصل الميل مطلقا ثم استعمل في الميل الى الخير وأما الميل الى الشر فيسمى الحادا والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فاذا ترقى العبد منه الى ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فهو مقام الورعين فاذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع في الشبهات فهو مقام الاورع والزاهد فالآية جامعة لذلك كله (قوله ويقيموا الصلاة) عطف على يعبدوا الله وخص الصلاة والزكاة لشرفهما (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على المأمور به من العبادة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة (قوله الملة القيمة) قدره اشارة الى أن دين مضاف لمحذوف والقيمة صفة لذلك المحذوف دفعا لما يقال ان اضافة دين الى القيمة من اضافة الموصوف الى صفته وهي بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه وفيها خلاف (قوله ان الذين كفروا) شروع في بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله في نار جهنم) خبر ان والمعنى أنهم مشتركون في جنس العذاب لا في نوعه لان عذاب الكفار مختلف على حسب كفرهم (قوله حال مقدرة) أي من الضمير المستكن في الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلودهم والمعنى نحن ننتظر

أي زائلين عماهم عليه (حتى تأتيهم) أي أتتهم (البينة) أي الحجة الواضحة وهي محمد صلى الله عليه وسلم (رسول من الله) بدل من البينة وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يتلو صحفا مطهرة) من الباطل (فيها كتب) أحكام مكتوبة (قيمة) مستقيمة أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) في الايمان به صلى الله عليه وسلم (الا من بعد ما جاءتهم البينة) أي هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائي به معجزة له وقبل مجيئه صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الايمان به اذا جاء فحسده من كفر به منهم (وما أمروا) في كتابيهم التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله) أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مخلصين له الدين) من الشرك (حنفاء) مستقيمين على دين ابراهيم ودين محمد اذا جاء فكيف كفروا به (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين) الملة (القيمة) المستقيمة (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها) حال مقدرة أي مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أولئك هم

خلودهم بسبب اعتقادنا ان الله يخلدهم فيها فالتقدير منا والخلود المقدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لانهم أشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الحق على الخلق وأشر من الجهال لان الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز في الموضعين وتشديد الياء سبعيتان (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا وما فيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجري من تحتها الانهار) أي الاربعة الخمر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عامله محذوف أي دخلوها وأعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخالدين ورضي الله عنهم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وعبر هنا في أهل الجنة بابدا ولم يذكرها في أهل النار لان المقام مقام بسط وجمال فالاطناب فيه من البلاغة (قوله بطاعته) أي بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله أي طاعتهم اياه أي قبلها منهم وجازاهم عليها (قوله بثوابه) أي بسبب اثابته لهم فهو من اضافة المصدر لفاعله قال الجنيد الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ويصحب العبد في الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الاحوال التي تزول عن العبد في الآخرة بل العبد يتنعم في الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائي أحلكم داري أي برضائي عنكم وقال محمد بن الفضل الروح والراحة في الرضا واليقين والرضا باب الله الاعظم ومحل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشي ربه) اسم الاشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن

﴿سورة الزلزلة مكية﴾

أي في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة (قوله اذا زلزلت الارض الخ) اذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب في اذا ولذا يقولون خافض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو ان الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الاولى ويشهد له قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية وعليه جمهور المفسرين والثاني أنها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد تحدث أخبارها فان شهادتها بما وقع عليها انما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور وأما قوله وأخرجت الارض أثقالها فمحتمل (قوله زلزالها) مصدر مضاف لفاعله وهو بالكسر في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح وهما مصدران بمعنى واحد وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم (قوله تحريكها الشديد الخ) أي فلا تسكن حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء (قوله وأخرجت الارض) اظهار في مقام الاضمار لزيادة التقرير (قوله أثقالها) جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال (قوله كنوزها وموتاها) المناسب أن يعبر باو لانهما قولان قيل المراد اخراج الاموات وقيل المراد اخراج الكنوز والاول بعد النفخة الثانية والثاني في زمن عيسى وما بعده وهما مفرعان على القولين المتقدمين فاعطى الله الارض قوة على اخراج الاثقال كما أعطاها القوة على اخراج النبات اللطيف الطري الذي هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أي بخلاف المؤمن فانه يعترف بها ويقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (قوله انكار لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجبا من تلك الحالة لانه وقت وقوع ذلك لا يسعه انكار بل يتعجب من تلك الحالة الفظيعة (قوله بدل من اذا) أي والعامل فيه هو العامل في المبدل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد اذا (قوله تحدث أخبارها) اختلف في هذا التحديث فقيل هو كلام حقيق بان يخلق الله فيها حياة وادراكا فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى الى مفعولين الاول

شر البرية ان الذين آمنوا آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) الخليقة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم) بطاعته (ورضوا عنه) بثوابه (ذلك لمن خشي ربه) خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى

﴿سورة الزلزلة مكية أو مدنية تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا زلزلت الارض) حركت لقيام الساعة (زلزالها) تحريكها الشديد المناسب لعظمها (وأخرجت الارض أثقالها) كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وقال الانسان) الكافر بالبعث (مالها) انكار لتلك الحالة (يومئذ) بدل من اذا وجوابها (تحدث أخبارها) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بان) بسبب أن (ربك)

محذوف تقديره الناس والثاني قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عداه باللام لمراعاة الفواصل والوحي اليها اما بالهام أو رسول من الملائكة (قوله بذلك) أي بالتحديث بأخبارها (قوله في الحديث الخ) أشار بذلك الى حديث جرير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها فقال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على كذا وكذا رواه أحمد والترمذي وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله ومنصوب بيصدر (قوله من موقف الحساب) أي وقيل يرجعون من قبورهم الى ربهم (قوله أشتاتا) حال من الناس جمع شتيت وقوله متفرقين أي على حسب وصفهم بالايمان وضده وتفاوتهم في الاعمال فأهل الايمان على حدة وأهل الكفر على حدة فآخذ ذات اليمين في الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وهو من الرؤية البصرية تتعدى بالهمز الى اثنين أولهما الواو التي هي نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو في قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت في رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان في الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية ترغبهم في القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ولتحذرهم اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق وقال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ان قلت كيف عمم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر أجيب بان المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيآته مكتوبة في الصحف ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها لما ورد عن ابن عباس ليس من مؤمن وكافر عمل خيرا كان أو شرا الا أراه الله اياه فأما المؤمن فيغفر له سيآته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعذب بسيآته وهذا ما يساعده النظم الكريم (قوله زنة نملة صغيرة) أي وكل مائة منها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة وقال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسر الذرة بعضهم بالهباءة التي ترى طائرة في الشعاع الداخل من الكوة وقيل الذرة جزء من ألف وأربعة وعشرين جزأ من الشعيرة (قوله خيرا) تمييز من مثقال وكذا شرا ويصح أنهما بدلان من مثقال ويره في الموضعين جواب الشرط مجزوم بحذف الالف وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا باثباتهما ويكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاعر

اذا العجوز غضبت فطلق * ولا ترضاها ولا تملق

وفي الهاء قراءتان سبعيتان احداهما سكونها وقفا ووصلا في الحرفين والثانية بضمها وصلا وسكونها وقفا

﴿فائدة﴾ ورد أن من قرأ اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن

﴿سورة والعاديات﴾

وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أي في قول ابن مسعود وغيره وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وغيره ويؤيده ما روي أنه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت اعلاما له بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيما للمقسم به وتشنيعا على المقسم عليه والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة (قوله الخيل تعدو في الغزو) أي تسرع في الكر على العدو وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم

أوحى لها) أي أمرها بذلك في الحديث تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها (يومئذ يصدر الناس) ينصرفون من موقف الحساب (أشتاتا) متفرقين فآخذ ذات اليمين الى الجنة وآخذ ذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) أي جزاءها من الجنة أو النار (فمن يعمل مثقال ذرة) زنة نملة صغيرة (خيرا يره) يرى ثوابه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) يرى جزاءه

﴿سورة والعاديات مكية أو مدنية احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعاديات) الخيل تعدو في الغزو

وتضبح (ضبحا) هو صوت أجوافها اذا عدت (فالموريات) الخيل توري النار (قدحا) بحوافرها اذا سارت في الارض ذات الحجارة بالليل (فالمغيرات صبحا) الخيل تغير على العدو وقت الصبح باغارة أصحابها (فأثرن) هيجن (به) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نقعا) غبارا بشدة حركتهن (فوسطن به) بالنقع (جمعا) من العدو أي صرن وسطه وعطف الفعل على الاسم لانه في تأويل الفعل أي واللاتي عدون فأورين فأغرن (ان الانسان) الكافر (لربه لكنود) لكفور يجحد نعمته تعالى (وانه على ذلك) أي كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بصنعه (وانه لحب الخير) أي المال (لشديد) أي لشديد الحب له فيبخل به (أفلا يعلم اذا بعثر) أثير وأخرج (ما في القبور) من الموتى أي بعثوا (وحصل) بين وأفرز (ما في الصدور) القلوب من الكفر والايمان (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعا نظرا لمعنى الانسان وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم أي انا نجازيه

(قوله وتضبح ضبحا) أشار بذلك الى أن ضبحا منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا حمحمة قال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من تعب أو فزع (قوله فالموريات) عطفه وما بعده بالفاء لانه مرتب على العدو (قوله توري النار) أي تخرجها من الحجارة اذا ضربتها بحوافرها يقال وري الزند يري وريا من باب وعد فهو لازم وأوريته ورياء الازما ومتعديا وما في الآية من قبيل المتعدي بدليل تفسير المفسر (قوله قدحا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره المفسر اتكالا على ما قاله في ضبحا (قوله فالمغيرات) أسند الاغارة وهي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الاسر للخيل مجازا عقليا والمجاز رنم بالاصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصبح) أشار بذلك الى أن صبحا منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد في الغارات يسيرون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهن الخ) أعاد الضمير على المكان وان لم يتقدم له ذكر لان العدو لا بد له من مكان وقوله أو بذلك الوقت أي وقت الصبح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى في (قوله فوسطن) أتى بالفاء في هذا والذين قبله لترتب كل على ما قبله فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك الى ان ضمير به عائد على النقع والباء للملابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الاعداء ملتبسات بالنقع (قوله أي صرن وسطه) أي الجمع ووسط بسكون السين ان صح حلول بين محله كما هنا والا فهو بالتحريك ويجوز على قلة اسكانها يقال جلست وسط القوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك (قوله على الاسم) أي على كل من الاسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتي عدون الخ وقوله لانه أي الاسم وقوله في تأويل الفعل أي لوقوعه صلة لال والى ذلك أشار ابن مالك بقوله

واعطف على اسم شبه فعل فعلا ۞ وعكسا استعمل تجده سهلا

(قوله ان الانسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) هذا أحد وجهين والصحيح الآخر أن المراد به الجنس والمعنى ان الانسان مجبول على ذلك الا من عصمه الله من تلك الخصال (قوله لكفور) أي يقال كند النعمة أي كفرها وبابه دخل وفي الحديث الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رفده أي عطاءه ويضرب عبده وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه الشر جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره وفي الحكم من جهل قدره هتك ستره وقيل الحقود الحسود (قوله وانه على ذلك) الضمير عائد على الانسان واسم الاشارة عائد على الكنود والمعنى وان الانسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته في الدنيا فان حاله وعمله يدلان على كنوده وكفره وهذا ما مشى عليه المفسر وهو أحد احتمالين والآخر أن الضمير في انه عائد على الله تعالى والمعنى وان الله تعالى لشهيد على كنود الانسان فيكون زيادة في الوعيد (قوله بصنعه) أي بما صنعه وعمله فالباء سببية (قوله لحب الخير) متعلق بشديد قدم كالذي قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه المال يحمله على البخل وقيل للتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم الخ والهمزة للانكار ويعلم بمعنى عرف فتتعدى لمفعول واحد وهو محذوف تقديره انا نجازيه دل عليه قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير وقوله اذا بعثر ظرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفا للعلم لان الانسان لا يقصد منه العلم في ذلك الوقت وانما يراد العلم وهو في الدنيا ولا ليعثر لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا لقوله خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها فتعين أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف تأمل (قوله اذا بعثر ما في القبور) البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء استخراج الشيء واستكشافه وعبر بما تغليبا لغير العاقل (قوله نظرا لمعنى الانسان) أي لانه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أي المحذوف الذي هو عامل في اذا والتنوين في يومئذ عوض عن جملتين والتقدير

يوم اذ بعثر ما فى الصدور وحصل ما فى القبور وهو يوم القيامة (قوله وقت ماذكر) أى من البعثرة وتحصيل ما فى الصدور وأشار بذلك الى أن اذا ظرفية بمعنى وقت لا شرطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبير بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع أنه تعالى خبير بهم فى كل زمن فاجاب بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة فمعنى قوله لخبير انه يجازيهم ولا شك ان الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم أى يجازيهم

﴿ سورة القارعة ﴾

مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور وختم السورة المتقدمة بقوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير أتبعه بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فقيل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل احدى عشرة آية (قوله القارعة) هى فى الاصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وعليه درج المفسر وقيل لان اسرافيل يقرع الصور بالنفخ فاذا نفخ النفخة الاولى مات جميع الخلائق وبالثانية يحيون (قوله التى تقرع القلوب) أى تفزعها ولا مفهوم للقلوب بل تؤثر فى الاجرام العظيمة فتؤثر فى السموات بالانشقاق وفى الارض بالتبديل وفى الجبال بالدك والنسف وفى الكواكب بالانتثار وفى الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أى وتأكيد لفظاعتها بكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق وفى كلام المفسر اشارة الى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر القارعة وقوله القارعة أى الاولى الواقعة مبتدأ والرابط اعادة المبتدأ بلفظه (قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك الى أن الاستفهام الثانى وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الاول وهو وما أدراك فهو انكارى والمعنى أنت لا تعلم هول القارعة لشدته وفظاعته الابوحى منا فالمنفى علمه من غير وحى (قوله فى محل المفعول الثانى لادرى) أى والكاف مفعول أول (قوله دل عليه القارعة) أى ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ القارعة الاول للفصل بينهما بالخبر ولا الثانى ولا الثالث لعدم التئامه معه فى المعنى فتعين أن يكون عامله محذوفا دل عليه لفظ القارعة (قوله كالفراش المبثوث) أى ووجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى النار والطيش الذى يلحقهم وركوب بعضهم بعضا فى هذا التشبيه مبالغات شتى (قوله كغوغاء الجراد) الغوغاء الجراد الصغير بعد أن ينبت جناحه الذى ينتشر فى الارض ولا يدرى أين يتوجه وقيل هو شئ يشبه البعوض ولا يعض لضعفه ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية كأنهم جراد منتشر ان أول حالهم كالفراش يقومون من قبورهم متحيرين لا يدرون أين يتوجهون ثم لما يدعون للحساب يكونون كالجراد لان لها وجها تقصده (قوله كالصوف المندوف) أى بعد ان تتفتت كالرمل السائل ثم بعد كونها كالعهن تصير هباء منبثا فمراتب الجبال ثلاثة تفتتها ثم صيرورتها كالعهن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أى المضروب بالمندفة وهى الخشبة التى يطرق بها الوتر ليرق وانما جمع بين حال الناس وحال الجبال تنبيها على أن تلك القارعة أثرت فى الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة فكيف حال الانسان الضعيف الذى هو مقصود بالتكليف والحساب (قوله فأما من ثقلت موازينه) تفصيل لاحوال الناس فى ذلك اليوم والمراد بالموازين الموزونات أى الاعمال التى توزن (قوله بأن رجحت حسناته الخ) أى وأولى اذا عدمت سيا ٓته ولم يوجد له الا حسنات (قوله فهو فى عيشة راضية) أى حياة طيبة وقوله فى الجنة تفسير باللازم (قوله أى ذات رضا) أشار بذلك الى أن المراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر ولذا فسرها بقوله أى مرضية وفى نسخة أو مرضية فهو اشارة الى أن الاسناد مجازى أى راض صاحبها بها فهو مجاز عقلى أو أطلق اسم الفاعل

وقت ماذكر وتعلق خبير بيومئذ وهو تعالى خبير دائما لانه يوم المجازاة

﴿ سورة القارعة مكية ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (القارعة) أى القيامة التى تقرع القلوب بأهوالها (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر للقارعة (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) زيادة تهويل لها وما الاولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لادرى (يوم) ناصبه دل عليه القارعة أى تقرع (يكون الناس كالفراش المبثوث) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم فى بعض للحيرة الى أن يدعوا للحساب (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف فى خفة سيرها حتى تستوى مع الارض (فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيا ٓته (فهو فى عيشة راضية) فى الجنة أى ذات رضا بأن يرضاها أى مرضية له (وأما من خفت موازينه)

وأراد اسم المفعول فهو مجاز مرسل والمعنى أن من رجحت حسناته على سيئاته فهو في حياة طيبة في الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضي الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجحت سيآته على حسناته) أي وأولى اذا عدمت حسناته رأسا ان قلت ان ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي اذا زادت سيآته على حسناته تكون أمه هاوية وأجيب بأن ذلك لا يدل على خلوده فيها بل ان عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها الى الجنة فقوله فامه هاوية يعني ابتداء ان عامله بالعدل وهذا ما درج عليه المفسر وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار والمراد بثقل الموازين خلوها من السيآت بالكلية أو وجود سيآت قليلة لا توازي الحسنات وبقي قسم ثالث وهو من استوت حسناته وسيآته وحكمه أنه يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيآته فهو في الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيآته فهو يحاسب حسابا يسيرا ويدخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته فهو تحت المشيئة ان شاء الله عفا عنه وان شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيآت فقط وهو الكافر فمأواه النار خالدا فيها نسأل الله السلامة (قوله فمسكنه) عبر عن المسكن بالام لان أهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى أمه فتضمهم اليها كما تضم الام الاولاد اليها وقيل المراد أم رأسه يعني أنهم يهوون في النار على رؤسهم وبه قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طباقها وتطلق على طبقة أسفل يعذب فيها المنافقون فمثل لظى والحطمة والهاوية وجهنم وبقية أسمائها تطلق عامة وخاصة وفي الآية احتباك حذف من الاول فأمه الجنة وذكر في عيشة راضية وحذف من هنا في عيشة ساخطة وذكر فأمه هاوية فحذف من كل نظير ما أثبته في الآخر (قوله ماهيه) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعول الثاني لادراك والكاف مفعوله الاول (قوله هي نار) أشار بذلك الى أن نار خبر لمحذوف (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان وقوله تحذف وصلا أي وتثبت وقفا

﴿ سورة التكاثر ﴾

أي السورة التي ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها (قوله ألهاكم التكاثر) ألهى فعل ماض رباعي والكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو في الدرج والمعنى شغلكم التباهي بكثرة الاموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين لان أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا وأل في التكاثر للعهد وهو التكاثر في الدنيا ولذاتها وعلائقها المشغل عن حقوق الله تعالى (قوله عن طاعة الله) هي شاملة للواجبة والمندوبة (قوله والرجال) أي الانتساب اليهم كالاقرباء والاحباب (قوله حتى زرتم المقابر) حتى غاية للالهاء المذكور وهذا هو محط الذم والافمن تاب من ذلك قبل موته قبل وكأنه لم يحصل منه تكاثر (قوله بأن متم ودفنتم فيها) أي يقال زار قبره اذا مات ودفن والمعنى ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك ولا يقال ان الزيارة تكون ساعة وتنقضي والميت يمكث في قبره لانا نقول ان الموتى يرتحلون من القبور للحساب فكان مدة مكثه في قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثليث الباء وهي المحل الذي تدفن فيه الاموات (قوله أو عددتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وعليه فزيارة المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات تفاخرا وانما كان تهكما لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القساوة

بأن رجحت سيآته على حسناته (فأمه) فمسكنه (هاوية وما أدراك ماهيه) أي ما هاوية هي (نار حامية) شديدة الحرارة وهاء هيه للسكت تثبت وصلا ووقفا وفي قراءة تحذف وصلا

﴿ سورة التكاثر مكية ثمان آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألهاكم) شغلكم عن طاعة الله (التكاثر) التفاخر بالاموال والاولاد والرجال (حتى زرتم المقابر) بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا (كلا)

والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة فحاصل الوجهين راجع الى أن المراد بالزيارة اما الانتقال الى الموت أو الانتقال من ذكر الاحياء الى ذكر الاموات وتعدادهم والتفاخر بهم ومن ذلك ما يفعله أهل زماننا من زخرفة النعوش والقبور وما يتبع ذلك مما هو مذموم شرعا وطبعا وأما ذكر مكارم الاخلاق والطاعات فيجوز ان لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقتدى به (قوله ردع) مشى المفسر على ان كلا الاولى والثانية حرف ردع والثالثة بمعنى حقا ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهى فيها اما للردع أو بمعنى حقا وقيل انها في الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم في القبر) لف ونشر مرتب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون الاول وقوله ثم في القبر راجع للثاني وثم على بابها من المهلة وهذا قول على بن أبي طالب والحكمة في حذف متعلق العلم من الافعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لا متعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم (قوله أى علما يقينا) أشار بذلك الى أن اضافة العلم الى اليقين من اضافة الموصوف الى صفته والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علما يقينا ما شغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى (قوله عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله جواب قسم محذوف) أى ولا يصح أن يكون جوابا للو لانه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه والرؤية هنا بصرية تتعدى الى مفعول واحد (قوله وحذف منه لام الفعل) أى وهى الياء وقوله وعينه أى وهو الهمزة لان أصله ترأيون بوزن تفعلون نقلت حركة الهمزة للراء قبلها فسقطت الهمزة وتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الالف لالتقاء الساكنين ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة فحذفت نون الرفع لتوالى الامثال وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين ولم تحذف لعدم الدليل الذى يدل عليها (قوله تأكيد) هذا أحد قولين والآخر أن الاول هو رؤية اللهب والثانى هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة لمصدر محذوف أى لترونها رؤية هى عين اليقين ووصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة والفرق بين علم اليقين وعين اليقين ان علم اليقين هو ادراك الشئ من غير مشاهدة وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة وقد أخبر الله هنا بالاولين وأخبر بالثالث في سورة الواقعة حيث قال وأما ان كان من المكذبين الآية (قوله ثم لتسئلن) الاظهر أن الخطاب للكفار لانهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله تعالى وقيل هو عام في حق المؤمن والكافر فعن أنس انه لما نزلت الآية قام رجل أعرابى محتاج فقال هل على من النعم شئ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد والاولى أن يقال السؤال يعم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تشريف واظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم على بابها من الترتيب المعنوى لانهم يرون النار في الموقف محدقة بهم ثم يذهبون للحساب فيسئلون (قوله حذفت منه نون الرفع) أى فأصله تسئلونن حذفت نون الرفع لتوالى النونات فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله عن النعيم) أى عن جميع أفراده وأنواعه فأل للاستغراق (قوله وغير ذلك) أى كظلال المساكن والاشجار والاخبية التى تقى من الحر والبرد والماء البارد وكحل العين ولبس الانسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما لا يحصى عددا روى الحاكم والبيهقى ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر

﴿سورة والعصر مكية﴾

أى في قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدنية أى في قول قتادة ونقل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكوثر أقصر سور القرآن وهما وان كانتا من جهة الالفاظ قليلتان فمعناهما كثير لا يقف عند حده (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه

ردع (سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم في القبر (كلا) حقا (لو تعلمون علم اليقين) أى علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به (لترون الجحيم) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقى حركتها على الراء (ثم لترونها) تأكيد (عين اليقين) مصدر لان رأى وعاين بمعنى واحد (ثم لتسئلن) حذفت منه نون الرفع لتوالى النونات و واو الضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يومئذ) يوم رؤيتها (عن النعيم) ما يلتذ به في الدنيا من الصحة والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك

﴿سورة والعصر مكية أو مدنية ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والعصر)

قوله ان الانسان لفي خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الاقوال الثلاثة التي ذكرها المفسر في معنى العصر و وجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك ولان العمر لا يقاوم بشيء فلو ضيعت ألف سنة فيما لا يعني ثم ثبتت السعادة في اللمحة الاخيرة بقيت في الجنة أبد الآباد فكان أشرف الاشياء حياتك في تلك اللمحة ولان الدهر والزمان من جملة أصول النعم وقوله أو ما بعد الزوال الى الغروب أي و وجه القسم به ان فيه العجائب وأيضا يدرك المقصر فيه ما فاته أول النهار وقوله أو صلاة العصر أي فأقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى في قول بدليل ما في مصحف عائشة وحفصة حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ولما ورد من فاتته العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد و بعمره في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون ففيه تنبيه على ان عصره أفضل العصور و بلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره وقيل العصر زمانه و زمان أمته لانه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعجائبها (قوله ان الانسان لفي خسر) مشى المفسر على ان المراد بالانسان الجنس الشامل للمسلم والكافر وذلك لان الانسان لا ينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع العمر فان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فان كانت في معصية فهو الخسران البين وان كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا وأيضا يجتهد الانسان في طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا فلما كانت الاسباب الداعية الى الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة وكثر اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا في خسار و بوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله لفي خسر أي غبن وقيل هلكة وقيل عقوبة وقيل شر وقيل نقص والمعنى متقارب وقيل المراد الانسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله الا الذين آمنوا) الاستثناء متصل ان أريد بالانسان الجنس وأما ان أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لان المؤمنين لم يدخلوا في عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أي امتثلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات واعلم انه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس الا من أتى بهذه الاشياء الاربعة وهي الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحكمة في ذلك أن هذه الامور اشتملت على ما يخص الانسان في نفسه وهو الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر فاذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضا) أشار بذلك الى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أي الايمان) أي وفروعه من الطاعات واتباع السلف الصالح والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الفعل لاختلاف المفعولين والصبر وان كان داخلا في عموم الحق الا انه أفرده بالذكر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أي وعلى البلايا والمصائب وهذا ما ذكره المفسر وقيل المعنى أن الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع حسا ومعنى الا الذين آمنوا فان الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم فانهم وان ضعفت أجسامهم لا ينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون

﴿ سورة الهمزة ﴾

مناسبتها لما قبلها انه لما قال ان الانسان لفي خسر بين في هذه حال الخاسرين ومآلهم (قوله كلمة عذاب) أي كلمة يطلب بها العذاب و يدعى بها وعلى هذا فتكون الجملة انشائية سوغ الابتداء بها مع كونها نكرة قصد الدعاء عليهم بالهلكة ان قلت كيف يدعو الله بذلك مع انه هو الخالق

الدهر أو ما بعد الزوال الى الغروب أو صلاة العصر (ان الانسان) الجنس (لفي خسر) في تجارته (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فليسوا في خسران (وتواصوا) أوصى بعضهم بعضا (بالحق) أي الايمان (وتواصوا بالصبر) على الطاعة وعن المعصية

﴿ سورة الهمزة مكية أو مدنية تسع آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ويل) كلمة عذاب

للافعال كلها أجيب بأنه طلب من نفسه الحاق الويل لهم لاظهار الآثار غضبه كما يفعل الغضبان بمن غضب عليه وتقدم ذلك (قوله أو واد في جهنم) أو لتنويع الخلاف وعلى هذا فالجملة خبرية ويكون ويل حينئذ معرفة لكونه علما (قوله لكل همزة لمزة) الهمز في الاصل الكسر واللمز الطعن الحسيان ثم خصهما بالكسر لاعراض الناس والطعن فيهم والتاء فيهما للمبالغة في الوصف واطرد بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي المكثر من الفعل واذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين اذا كان ملعونا للناس والهمز كاللمز وزنا ومعنى وبابه ضرب قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون العيب للبرىء وقال صلى الله عليه وسلم شر عباد الله المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وعلى هذا القول فاللمزة تأكيد للهمزة من باب التأكيد بالمرادف كقولهم حسن بسن وعفريت نفريت وقيل ان معناهما مختلف فقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل بالعكس وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه وهذه الاقوال كلها ترجع الى الطعن واظهار العيب فيدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه (قوله وغيرهما) أي كالاخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمي وجميل بن معمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا وعيد لمن يغتاب المسلمين ولاسيما العلماء والصلحاء ولكن يقال هو مخلد في النار ان مات كافرا والا فهو تحت المشيئة (قوله الذي جمع مالا) بدل كل من كل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان فقراءة التشديد تفيد التمادي والمبالغة في الجمع بخلاف قراءة التخفيف ونكر مالا للتعظيم (قوله وعدده) العامة على تشديد الدال الاولى وقرئ شذوذا بتخفيفها والضمير اما عائد على المال والتقدير وجمع عدده أي أحصاه وعده أو عائد على نفسه والمعنى جمع مالا وجمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه وعلى هذين الوجهين فعدده اسم معطوف على مالا ويحتمل أن عدد فعل ماض بمعنى عده الا أنه غير مدغم (قوله وجعله عدة) الواو بمعنى أو لانهما تفسيران فعلى الاول هو مأخوذ من العد وعلى الثاني من العدة بمعنى الاستعداد والادخار لحوادث الزمن (قوله يحسب أن ماله الخ) اما مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به أو حال من فاعل جمع (قوله أخلده) هو ماض معناه المضارع أي يظن لجهله أن ماله يوصله الى رتبة الخلود في الدنيا فيصير خالدا فيها ولا يموت أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من ظن أن ماله أبقاه حيا (قوله ردع) أي عن حسبانه المذكور فالمعنى ليس الامر كما يظن أن المال أخلده وقيل ان كلا بمعنى حقا (قوله التي تحطم) أي تكسر في الحطمة مماثلة لعمله لفظا ومعنى لانها بوزن همزة ولمزة (قوله وما أدراك) استفهام انكاري بمعنى النفي أي لم تعلم قدر هولها وعظمها الا بوحي من ربك (قوله نار الله) الاضافة للتفخيم والتعظيم (قوله المسعرة) بالتخفيف والتشديد أي المهيجة الشديدة اللهب التي لا تخمد أبدا (قوله التي تطلع على الافئدة) أي تغشاها وتحيط بها وخص الافئدة بالذكر لكونها ألطف ما في الجسد وأشده تألما بأدنى عذاب أو لانها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة فهي منشأ الاعمال السيئة (قوله وألمها) أي القلوب والمعنى تألمها أشد من تألم غيرها من بقية البدن ومن المعلوم أن الالم اذا وصل الى الفؤاد مات صاحبه فهم في حال من يموت وهم لا يموتون قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى قال محمد بن كعب تأكل النار جميع ما في أجسادهم حتى اذا بلغت الى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فترجع تأكلهم وهكذا (قوله بالهمز وبالواو) أي فهما سبعيتان (قوله بضم الحرفين وبفتحهما) أي فهما سبعيتان وقرئ شذوذا بضم فسكون وهو تخفيف للقراءة الاولى فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسل وقيل هو جمع عماد ككتاب وكتب وعلى الفتح يكون اسم

أو واد في جهنم (لكل همزة لمزة) أي كثير الهمز واللمز أي الغيبة نزلت فيمن كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما (الذي جمع) بالتخفيف والتشديد (مالا وعدده) أحصاه وجعله عدة لحوادث الدهر (يحسب) لجهله (أن ماله أخلده) جعله خالدا لا يموت (كلا) ردع (لينبذن) جواب قسم محذوف أي ليطرحن (في الحطمة) التي تحطم كل ما ألقي فيها (وما أدراك) أعلمك (ما الحطمة نار الله الموقدة) المسعرة (التي تطلع) تشرف (على الافئدة) القلوب فتحرقها وألمها أشد من ألم غيرها للطفها (انها عليهم) جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مؤصدة) بالهمز وبالواو بدله مطبقة (في عمد) بضم الحرفين وبفتحهما (ممددة) صفة لما قبله فتكون النار داخل العمد

جمع العمود وقيل هو جمع له وفي بمعنى الباء أي مؤصدة بعمد ممددة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث اليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه أي يحجبهم عن رحمته ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة وقيل ان النار داخل العمد وهم داخله ويطبق عليهم وعليه درج المفسر وقيل المعنى يعذبون بعمد وقيل العمد الاغلال في أعناقهم وقيل القيود في أرجلهم وقيل معنى عمد ممددة دهر مؤبد لا آخر له

﴿سورة الفيل﴾

(قوله ألم تر) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤية علمية لا بصرية لانه لم يكن وقت الواقعة موجودا (قوله استفهام تعجيب) أي وتقرير والمعنى أقر بأنك علمت قصة الفيل وحذفت الالف من تر للجازم (قوله كيف فعل ربك) كيف معلقة للرؤية منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها وربك فاعل والتقدير أي فعل فعله والجملة سدت مسد مفعولي تر ولا يصح نصبها على الحال من الفاعل لانه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز (قوله هو محمود) أي وهو الذي برك وضربوه في رأسه وكان معه اثنا عشر فيلا وقيل ثمانية عشر وقيل ألف وأفرد الفيل اما موافقة لرؤس الآي أو لكونه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي يقال له محمود (قوله أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء واسمه الاشرم سمي بذلك لان أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وكان نصرانيا (قوله ملك اليمن) بدل من أبرهة وكان من قبل النجاشي ملك الحبشة وكان جيش أبرهة ستين ألفا وقوله وجيشه معطوف على أبرهة (قوله بنى بصنعاء كنيسة الخ) شروع في بيان قصة أصحاب الفيل وحاصل تفصيلها على ما ذكره محمد بن اسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النجاشي ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشي الذي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كان بعث أبرهة أميرا على اليمن فأقام به واستقامت له الكلمة هنالك ثم انه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فحسد العرب على ذلك ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخلها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ علي فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج أبرهة من الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذا نفر فقال لابرهة يا أيها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ نفيلا فقال له نفيل أيها الملك اني دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره الآن وبعث أبرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود مقدمة خيل وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال أهل الحرم وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير ثم ان أبرهة أرسل حناطة الحميري الى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد المطلب فقال له ان الملك أرسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن

﴿سورة الفيل مكية خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
(ألم تر) استفهام تعجيب أي اعجب (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه بنى بصنعاء

تقاتلوه وانما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه
عما جاء له فان هذا بيت الله الحرام و بيت ابراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه
و بين ذلك فوالله ما لنا بدفعه قوة قال فانطلق معي اليه فزعم بعض العلماء انه أردفه على بغلة كان عليها وركب
معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء أي نفع فيما
نزل بنا قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل بكرة أو عشية ولكن سأبعث الى أنيس سائس الفيل فانه لي
صديق فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير و يعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل الى
أنيس فاتاه فقال ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال
وقد أصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير
فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا
مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس
تحته وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجنبه ثم قال لترجمانه
قل له ما حاجتك الى الملك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتي الى الملك أن يرد علي مائتي بعير
أصابها فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت
الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير غصبتها — كنيسة ليصرف اليها الحجاج عن مكة
لك قال عبد المطلب أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذاك
فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا في
الشعاب و يتحرزوا في رؤس الجبال خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة
الباب وجعل يدعو فلما فرغ من دعائه توجه في بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ
للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت الافيال اثني عشر فيلا فاقبل
نفيل الى الفيل الاعظم ثم أخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه
فأبى فضربوه بالمعول في رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى
اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم
فبرك وأبى أن يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال
الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران في رجليه وحجر في منقاره أكبر من العدسة وأقل من
الحمصة فلما غشيت القوم أرسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة أحدا الا هلك وخرجوا هاربين لا يهتدون الى
الطريق الذي جاؤا منه وصرخ القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل
منهل وبعث الله على أبرهة داء في جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعها مدة من قيح ودم فانتهى
الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وانفلت وزيره أبو يكسوم
وطائره فوق رأسه حتى وقف بين يدي النجاشي فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه وأما محمود
فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيلة الاخر فشجعوا فحصبوا بالحصباء (قوله كنيسة) أي
وكان قد بناها بالرخام الابيض والاحمر والاسود والاصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل
أهل اليمن في بنائها ونقل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على
فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك وكان بناؤها
مرتفعا عاليا تسقط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره اليها (قوله ليصرف اليها الحجاج) أي وقد
صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت في هذه المدة أيضا كذا قيل

(قوله فأحدث رجل) أي من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أي فرجموا بها وصاروا يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح وقيل بوادي محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب ابرهة في جسده بداء الجدري فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انشق قلبه (قوله ألم يجعل كيدهم) أي مكرهم وسماه كيدا لان سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفي فسمي كيدا لذلك (قوله أي جعل) أشار بذلك الى أن المضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عليهم) عطف على قوله يجعل والاستفهام مسلط عليه فالمعنى قد جعل وأرسل (قوله طيرا) الطير اسم جنس يذكر ويؤنث (قوله أبابيل) أي وكانت من جهة السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وورد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انها طير بين السماء والارض تعشش وتفرخ قال ابن عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عائشة انها أشبه شيء بالخطاطيف وقيل بل كانت أشباه الوطاويط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات) أي بعضها اثر بعض (قوله قيل لا واحد له) أي من لفظه فيكون اسم جمع (قوله ابول) بكسر الهمزة وفتح الموحدة المشددة وسكون الواو كسنور (قوله طين مطبوخ) أي محرق كالآجر وكان طبخه بنار جهنم وهي من الحجارة التي أرسلت على قوم لوط وناسب اهلاكهم بالحجارة لانهم أرادوا هدم الكعبة قال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على أحدهم نفط جلده وكان ذلك أول الجدري ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم وعنه أيضا انه رأى من تلك الحجارة عند أم هاني نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري (قوله كعصف) واحده عصفة وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته أي ألقته روثا ثم يبس وتفتت ولم يقل فجعلهم كروث استهجانا للفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أي وادراك الطائر أن هذا فلان بخصوصه انما بمجرد الالهام أو بمعرفته ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أي التي فوق رأس الرجل من حديد وقوله والرجل أي فيدخل من دماغه ويخرج من دبره وقوله والفيل أي الذي هو راكبه وجميع الفيلة قد هلكت الا كبيرها وهو محمود فانه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذي لم يقع مثله من العقلاء ولذا قال البوصيري

كم رأينا ما ليس يعقل قد ألـ ـهم ما ليس يلهم العقلاء
اذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ ـل ولم ينفع الحجى والذكاء

(قوله عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم) أي قبل مولده بخمسين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور المحمدي ان قلت انه انتقل من عبد المطلب بل ومن عبد الله الى أمه آمنة أجيب بأنه وان انتقل من جده وأبيه الا ان بركته حاصلة وباقية في محله كوعاء المسك اذا فرغ منه فان رائحته تبقى وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين وقيل غير ذلك

﴿سورة قريش﴾

أي السورة التي ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليوحدوه ويشكروه (قوله مكية) أي في قول الجمهور وهو الاصح وقوله أو مدنية أي في قول الضحاك والكلبي (قوله لايلاف قريش) اختلف المفسرون في هذه اللام فقيل هي متعلقة بقوله فجعلهم كعصف مأكول في السورة قبلها كأنه قال أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلة الشتاء والصيف قال الزمخشري وهو بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به ولهذا جعل أبي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما في مصحفه بسملة ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك أي اهلاك أصحاب الفيل لايلاف قريش وقيل تقديره اعجبوا والمعنى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف

فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها فحلف ابرهة ليهدمن الكعبة فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله (ألم يجعل) أي جعل (كيدهم) في هدم الكعبة (في تضليل) خسار وهلاك (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) جماعات جماعات قيل لا واحد له كأساطير وقيل واحده ابول أو ابال أو ابيل كعجول ومفتاح وسكين (ترميهم بحجارة من سجيل) طين مطبوخ (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وافنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل الى الارض وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم

﴿سورة قريش مكية أو مدنية أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لايلاف قريش ايلافهم)

وتركهم عبادة رب هذا البيت وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف أي ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعمة وإنما دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط كأنه قال إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فإنها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر وقريش مشتق إما من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم قال شاعرهم

أبونا قريش كان يدعى مجمعاً * به جمع الله القبائل من فهر

أو من التقريش يقال قرش يقرش بمعنى فتش لكونهم كانوا يفتشون على ذوي الخلات ليسدوا خلتهم قال الشاعر أيها الشامت المقرش عنا * عند عمرو فهل له إبقاء

وقال ابن عباس سميت باسم دابة في البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش * يأكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالا * يحشرون المطي حشرا كميشا

وهو مصروف هنا إجماعاً لكونه مراداً به الحي إذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه قال سيبويه في معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها أسماء للقبائل فهو جائز حسن واختلف القراء في قوله لإيلاف فبعضهم قرأ لئيلاف بإثبات الياء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بحذفها وأجمع الكل على إثبات الياء في الثاني وهو قوله إيلافهم ومن غريب ما اتفق في هذين الحرفين أن القراء اختلفوا في سقوط الياء وثبوتها في الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطاً واتفقوا على إثبات الياء في الثاني مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطاً فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعاً لمجرد الخط (قوله تأكيد) أي لفظي ورحلة مفعول للأول عليه وقيل بدل لأنه أطلق المبدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أي أن إيلاف الثاني وكذا الأول على قراءة إثبات الياء مصدر آلف بالمد كأكرم يقال آلفته أوالفه إيلافاً وأما على قراءة حذف الياء فهو مصدر لألف الثلاثي ككتب كتاباً (قوله رحلة الشتاء) مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أي لأن ألفوا رحلة والأصل رحلتي الشتاء والصيف وإنما أفرد لأمن اللبس وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم واتبع هاشماً على ذلك اخوته فكان هاشم يؤالف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الاخوة أي بأمانهم الذي أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحي والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال وأما بالضم فهو الشيء الذي يرتحل إليه مكاناً أو شخصاً (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أي فكل من ولده النضر فهو قرشي دون من لم يلده النضر وإن ولده كنانة وهذا هو الصحيح وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشي وإن ولده النضر قال العراقي

أما قريش فالأصح فهر * جماعها والأكثرون النضر

فالحاصل أن بني فهر قرشيون اتفاقاً وبنو كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين واختلف في بني النضر وبني مالك وفهر هو الجد الحادي عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) أي ولهذا جاز تقديم معمول ما بعدها عليها وقيل إنها ليست زائدة بل هي واقعة في جواب شرط

تأكيد وهو مصدر آلف بالمد (رحلة الشتاء) إلى اليمن (و) رحلة (الصيف) إلى الشام في كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم وهم ولد النضر بن كنانة (فليعبدوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع)

مقدر تقديره ان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لايلافهم فانه اظهر نعمه عليهم (قوله أى من أجله) أشار بذلك الى أن من تعليلية والكلام على حذف مضاف والتقدير أطعمهم من أجل ازالة الجوع عنهم وآمنهم من أجل ازالة الخوف عنهم وقيل ان من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف والمعنى فاطعمهم بدل الجوع وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقيل من بمعنى بعد وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع فقالوا يا محمد أدع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول ان السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسبتها لما قبلها وذلك أنه بعد أن ذكرهم أسباب خوفهم امتن عليهم بازالتها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها فى مصارفها وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وكل حاصل

﴿سورة الماعون﴾

وتسمى سورة الدين (قوله أونصفها ونصفها) أى نصفها الاول نزل بمكة فى العاص بن وائل والثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبى ابن سلول المنافق وعلى القول بان جميعها مكى تكون توبيخا لكفار مكة كالعاص ابن وائل وأضرابه وتسميتهم مصلين باعتبار انها مفروضة عليهم وعلى القول بانه مدنى يكون توبيخا للمنافقين الكائنين فى المدينة كعبد الله بن أبى وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم والعبرة على كل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالوعيد المذكور لمن اتصف بتلك الاوصاف (قوله أى هل عرفته) أشار بذلك الى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتنصب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول وقيل ان الرؤية بصرية فتتعدى لمفعول واحد أيضا وقيل انها بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنين الاول الموصول والثانى محذوف تقديره من هو (قوله بتقدير هو بعد الفاء) أى فاسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذى بدل أو عطف بيان على اسم الاشارة والجملة جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله ان لم تعرفه وقرنت بالفاء لان الجملة اسمية (قوله الذى يدع اليتيم) كابى جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ودع بالتشديد من باب رد وقرئ شذوذا بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا (قوله أى اطعامه) أشار بذلك الى ان الحض يتعلق بالمصدر الذى هو فعل الفاعل لا بالشئ المطعوم (قوله نزلت فى العاص بن وائل) وقيل نزلت فى أبى جهل وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وقيل فى عبد الله بن أبى ابن سلول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدأ وللمصلين خبره والفاء سببية والمعنى أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة ووضع الظاهر وهو المصلين موضع المضمر لانهم مع التكذيب وما أضيف اليه ساهون عن الصلاة غير مكترثين بها وهذا على أن السورة كلها اما مكى أو مدنى وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون وما بعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره ان أردت معرفة جزاء أهل النفاق فى الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الذين) نعت للمصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن صلاتهم) انما عبر بعن دون فى لان صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها لا السهو فيها لوقوعه من الانبياء (قوله يؤخرونها عن أوقاتها) أى ولا يفعلونها بعد ذلك ووجه تسميتهم مصلين مع أنهم تاركون لها أنها مفروضة عليهم فكانت جديرة بان تضاف لهم فتحصل أن معنى ساهون تاركون لها رأسا وان حصلت منهم تكون رياء وسمعة قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية اذا

أى من أجله (وآمنهم من خوف) أى من أجله وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل

﴿سورة الماعون مكية أو مدنية أو نصفها ونصفها ست أو سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (أرأيت الذى يكذب بالدين) بالجزاء والحساب أى هل عرفته ان لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء (الذى يدع اليتيم) أى يدفعه بعنف عن حقه (ولا يحض) نفسه ولا غيره (على طعام المسكين) أى اطعامه نزلت فى العاص ابن وائل أو الوليد بن المغيرة (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون يؤخرونها عن أوقاتها

حضروا

حضر وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فان مات وهو مصر على تركها فهو تحت المشيئة وأما ان تاب وشرع في القضاء فمات قبل تمامه فانه مغفور له (قوله الذين هم يراؤن) أصله يرائيون كيقاتلون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة باعتبار ان المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح أما من يظهر النوافل ليقتدي به وقلبه خالص مع الله فليس بمذموم (قوله في الصلاة وغيرها) أي كالصدقة ونحوها من أنواع البر (قوله ويمنعون الماعون) منع يتعدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل يقال مال معن أي قليل أو اسم مفعول من أعان يعين فأصله معوون دخله القلب المكاني فصار موعون تحركت الواو الاولى وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وهو اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفاس ونحوهما وعليه درج المفسر لما روى عن ابن عباس قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر وهذا أحد تفاسير للماعون وقيل هو الزكاة وقيل هو ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلحق بذلك البئر والتنور وقيل هو المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ففي هذه الآية زجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج اليه الجيران فيبرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب

﴿ سورة الكوثر ﴾

وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أي في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والجمهور وقوله أو مدنية أي في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والمشهور الاول ويؤيده سبب النزول وهو ان العاص بن وائل السهمي تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد عند باب بني سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ولده القاسم (قوله انا أعطيناك) أي انا بجلالنا وعظمتنا قدسنا فالاتيان بان ونون العظمة لتأكيد ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم والمعنى قضينا به لك وخصصناك به وأبرزناه لك في علمنا وتقديرنا الازلي وان لم تستول عليه وتتصرف فيه الا في القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل ان قلت انه عبر هنا بالماضي وفي الضحى بالمضارع حيث قال ولسوف يعطيك ربك فكيف الجمع بينهما أجيب بان ما في الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء وذلك يحصل في المستقبل في يوم القيامة وما هنا باعتبار التقدير الازلي (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف مبالغة في البالغ الغاية في الكثرة (قوله هو نهر في الجنة) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أو هو حوضه لانهما قولان مذكوران في التفاسير من جملة ستة عشر قولا ويدل لهذا الثاني قول أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول يا رب انه من أمتي فيقول ماتدري ما أحدث بعدك وورد في صفة الحوض أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا زاد في رواية وزواياه سواء ومنها غير ذلك الثالث أنه النبوة الرابع القرآن الخامس الاسلام السادس تيسير القرآن

(الذين هم يراؤن) في الصلاة وغيرها (ويمنعون الماعون) كالابرة والفاس والقدر والقصعة

﴿ سورة الكوثر مكية أو مدنية ثلاث آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(انا أعطيناك) يا محمد (الكوثر) هو نهر في الجنة هو حوضه ترد عليه أمته أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة

وتخفيف الشريعة السابع كثرة الاصحاب والامة والاتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور في قلبك ذلك على وقطعك عما سواى العاشر الشفاعة الحادي عشر المعجزات الثاني عشر لا اله الا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه في الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر الحظيم من الامر السادس عشر الخير الكثير الدنيوى والاخروى وكل من هذه الاقوال تحقق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لا يعلم غايته الا الله تعالى وزاد بعضهم فوق تلك الاقوال انه الذرية الكثيرة المباركة وقد حقق الله ذلك فلا تجد ذرية لاحد من الخلق مثل ذرية المصطفى في الكثرة ولا في البركة الى يوم القيامة واختلف في الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الميزان أو قبله والصحيح أنه قبلهما لان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيشربون منه شربة لا يظمؤن بعدها أبدا روى عن ابن عباس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء قال اى والذى نفسى بيده ان فيه لماء وان أولياء الله ليردون حياض الانبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بايديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء وهذا الطرد لا يكون بعد الصراط لانه لا يسلم من الصراط الا المؤمنون فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم في جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى من الحكمة وكثرة الاتباع والامة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل الى الاسم الظاهر لانه يوجب عظمة ومهابة (قوله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة وهو يؤيد كون السورة مدنية وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة وانحر البدن بمنى وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية (قوله وانحر نسكك) أى هدايك وضحاياك وهو في الابل بمنزلة الذبح في البقر والغنم فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم نحر من خالص ماله في حجة الوداع صبيحة من مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد على وخص الصلاة والنحر بالذكر لان الصلاة تجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه اطعام الطعام ولا شك أنه قيام بحقوق العباد ففى تلك الخصلتين القيام بحقوق الله وحقوق عباده (قوله ان شانئك) اسم فاعل شنئ من باب سمع ومنع شنأ بفتح النون وسكونها (قوله هو الابتر) يصح أن يكون هو مبتدأ والابتر خبره والجملة خبر ان ويصح أن يكون ضمير فصل والابتر خبر ان والابتر في الاصل الشئ المقطوع من بتره قطعه وحمار أبتر لا ذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبى صلى الله عليه وسلم أبتر) أى حيث قال بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلية وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم (قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش سنتين وقيل سبعة عشر شهرا وقيل بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعثة وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وابراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة الا ابراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعا في حياته الا فاطمة فعاشت بعده زمنا يسيرا وماتت رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية الى يوم القيامة من نسلها

﴿سورة الكافرون﴾

وتسمى سورة المعابدة أى المخالفة في العبادة والمعاندة فيها وسورة الاخلاص لانها دالة على الاخلاص في العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد تسمى سورة الاخلاص لكن هذه دالة على الاخلاص في الظاهر والباطن والصمدية دالة على اخلاص القلب من الشرك فمن عمل بهما واعتقدهما برئ ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان في منافق ولا كافر ويقال لهما والاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان وورد في فضلها أحاديث منها أنها تعدل ثلث القرآن ومنها قوله صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ومنها ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك

ونحوها (فصل لربك) صلاة عيد النحر (وانحر) نسكك (ان شانئك) أى مبغضك (هو الابتر) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب نزلت في العاص بن وائل سمى صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم

﴿سورة الكافرون

قل

قل ياأيها الكافرون فانها براءة من الشرك ومنها قول ابن عباس ليس فى القرآن أشد غيظا لابليس منها
لانها توحيد و براءة من الشرك وانما زادت الاخلاص فى الثواب عنها لانها مشتملة على صفات الرب تعالى
صريحا مع دلالتها على الاخلاص فى التوحيد (قوله مكية) أى فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقوله
أو مدنية أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) حاصله كما قال ابن عباس
ان سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن مطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد و نعبد ما تعبد و نشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان
الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وان كان الذى بأيدينا خيرا مما بيدك
كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فأنزل الله عز وجل قل ياأيها الكافرون الى آخرها والرهط
بسكون الهاء أفصح من فتحها جمع لا واحد له من لفظه يقال على مادون العشرة من الرجال وقيل ما فوق
العشرة الى الاربعين (قوله الكافرون) هم جماعة من الكفار مخصوصون علم الله تعالى عدم ايمانهم أصلا
(قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون فى هذه السورة هل فيها تكرار أولا فعلى الاول هو
للتأكيد وفائدته قطع أطماع الكفار وتحقيق الاخبار بانهم لا يسلمون أبدا وعلى الثانى فكل جملة مقيدة
بزمن غير الزمن الذى قيدت به الاخرى فدرج المفسر على أن النفى الاول محمول على الحال والثانى على
الاستقبال ودرج غيره على العكس وما يصح أن تكون موصولة بمعنى الذى فان كان المراد بها الاصنام كما فى
الاولى والثالثة فالامر واضح لانهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله
تعالى وتكون دليلا لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتى أى
مثل عبادتى و يصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الاوليان موصولتان والاخريان مصدريتان
فتحصل ان ما فى هذه السورة فيها أربعة أقوال الاول أنها كلها بمعنى الذى الثانى انها كلها مصدرية
الثالث أن الاوليين بمعنى الذى والاخريان مصدريتان الرابع ان الاولى والثالثة بمعنى الذى والثانية
والرابعة مصدرية ان قلت ما الحكمة فى التعبير فى جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ أعبد وفى جانبهم بلفظ
عبدتم أجيب بانه صلى الله عليه وسلم وان كان يعبد الله تعالى قبل البعثة الا أنه لم يدع الناس الا بعدها فلم
يشتهر بها الا حين الدعوة وأما هم فكانوا متلبسين قديما بعبادة الاصنام متظاهرين بها (قوله علم الله
منهم أنهم لا يؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الايمان مع أنه مبعوث لهدايتهم
وقد كان حريصا على ايمانهم * وحاصل الجواب أن هذا فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون أبدا فأخبر نبيه بذلك
لتظهر شقاوتهم (قوله واطلاق ما على الله) أى فى الثانية والرابعة وأما فى الاولى والثالثة فهى واقعة
على الاصنام (قوله على وجه المقابلة) أى المشاكلة وهذا مبنى على القول بانه لا يجوز وقوع ما على
العالم وأما على مذهب من يجوز ذلك فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة وكان المناسب للمفسر أن يقول
واطلاق ما على العالم فصيح وحسنه المشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) أتى بهاتين الجملتين المثبتتين بعد
جمل منفية لانه لما كان الاهم تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفى سابقا فلما تحقق النفى رجع
الى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الاربعة (قوله ولى دين) بفتح
الياء من لى واسكانها سبعيتان (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الاشارة راجعة الى الآية
الاخيرة وقيل الى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين وقيل ان المراد
بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى وعليه فلا نسخ (قوله وقفا و وصلا) أى لانها
من آيات الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهى غير ثابتة فيها اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب)
أى وهو من العشرة

﴿ سورة النصر مدنية ﴾

مكية أو مدنية ست آيات ﴾
نزلت لما قال رهط من
المشركين للنبى صلى الله
عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة
ونعبد الهك سنة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
(قل ياأيها الكافرون
لا أعبد) فى الحال
(ما تعبدون) من الاصنام
(ولا أنتم عابدون) فى الحال
(ما أعبد) وهو الله تعالى
وحده (ولا أنا عابد) فى
الاستقبال (ما عبدتم ولا
أنتم عابدون) فى الاستقبال
(ما أعبد) علم الله منهم
أنهم لا يؤمنون واطلاق
ما على الله على وجه المقابلة
(لكم دينكم) الشرك (ولى
دين) الاسلام وهذا قبل
أن يؤمر بالحرب وحذف
ياء الاضافة السبعة وقفا
و وصلا وأثبتها يعقوب
فى الحالين

﴿ سورة النصر مدنية
ثلاث آيات ﴾

أي بالاجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على ان هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه منها أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام قال الشاعر

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالا اذا قيل تم

ومنها أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الامة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضي انقضاء الاجل اذ لو بقي بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز (قوله اذا جاء نصر الله) المجيء في الاصل اسم لوجود الغائب اذا حضر والمراد حصل وتحقق ففيه استعارة تبعية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالمجيء اشعارا بان الامور متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها وان ما قدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كأنه موجود حضر من غيبته واذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها ان كانت السورة نزلت قبل الفتح فان كان النزول بعد الفتح فاذا بمعنى اذ متعلقة بمحذوف تقديره أكمل الله الامر وأتم النعمة على العباد اذ جاء نصر الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف اليه عند الكوفيين أي وفتحه أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي الذي حصل به أعظم فتوح الاسلام وأعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية على أنه صلى الله عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وأنهم لا يتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعادين فخرج بعض بني بكر وبنو خزاعة فاقتتلوا فامد قريش بني بكر فخرج أربعون من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه فقام وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي ولما أحس أبو سفيان جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس أنه سائر الى مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عامدا الى مكة لعشر مضين من رمضان وقيل لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى اذا كان بالكديد أفطر وعقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل ثم مضى حتى نزل مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المسلمين ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه أحد فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على حدة فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وكان العباس بن عبد المطلب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله فلما رأى ذلك الامر قال والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه لهلكت قريش الى آخر الدهر قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لاجد حطابا أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة واذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فاستأمنه لك فاردفته ورجع صاحباه فخرجت اركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا جاء نصر الله) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (والفتح) فتح مكة (ورأيت الناس

حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال يا أبا سفيان
عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله وركضت البغلة فسبقته
فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله
قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه قال فقلت يا رسول الله اني قد أجرته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبحت فأتني به قال فذهبت به الى رحلي فبات
عندي فلما أصبح غدوت به الى رسول الله فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله
قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم قال العباس يا رسول الله ان أبا سفيان
رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن
دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي حتى
تمر به جنود الله قال ففعلت ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء يا عباس فأقول
سليم فيقول مالي ولسليم ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة فلا تمر قبيلة الا سألني
عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا
الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء يا عباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين
والانصار فقال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت
ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ في
المسجد بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار
أبي سفيان فهو آمن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو
آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأسلما وبايعاه ثم بعثهما رسول الله بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبني سليم أن
يدخلوا من أسفل مكة وقال لهم لا تقاتلوا الا من قاتلكم وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس فقال
سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب اليوم تستحل الحرمة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأمره
على لسان علي كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم
المرحمة وأن الله يعز قريشا وخشي سعد أن ابنه يقع منه شيء أيضا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فدفعها
للزبير وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير أيضا فمعه ومعه المهاجرون وخيلهم
وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه وأما خالد بن الوليد فقدم على
قريش وبني بكر والاحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك فقتل من المشركين
اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الا ثلاثة وكان قد أمرهم النبي أن لا يقاتلوا الا من
قاتلهم الا نفرا سماهم أمر بقتلهم وان وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل
كانا قد أسلما ثم ارتدا ومنهم قينتان كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن خطل ومنهم
الحويرث ابن وهب ومقيس بن صبابة وأناس أخر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن
بالناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان
ابن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس
في المسجد فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم
قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا أنتم الطلقاء
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكنه منهم عنوة فبذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم جلس

رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أحدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فقال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف (قوله يدخلون) نصب على الحال ان كانت رأى بصرية أو مفعول ثان ان كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاء العرب لامفهوم له بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أى قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجيب انعامه عليك (قوله واستغفره) أى سل الله الغفران وانما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع الى حضرة الحق فانه وان كان مشغولا بهداية الخلق الا أن مقام الصفوة والحضور والانس أعلى وأجل فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ليزداد في التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تشريع للامة اذا طعن أحدهم في السن فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به (قوله انه كان توابا) أى ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه توابا أنه يكثر قبول التوبة وبهذا اندفع مايقال ان كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها في الماضي واذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار في الحال أو المستقبل (قوله وعلم بها أنه قد اقترب أجله) أى لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعم قال نعيت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها ستين يوما مارؤي فيها ضاحكا وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم أى اخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدى وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة عشر) ان قلت ان سنة عشر حج فيها وتوفى فيها ولده ابراهيم فالصواب سنة احدى عشرة وأجيب بان المراد على تمام عشر من الهجرة الى المدينة وذلك لان الهجرة كانت لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الاول وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع الاول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وان كانت لشهرين وشئ مضت من الحادية عشرة اذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فيصح أن يقال توفى سنة احدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفى سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة

﴿ سورة تبت ﴾

وتسمى سورة أبي لهب (قوله مكية) أى بالاجماع (قوله لما دعا النبي) أى نادى وقوله قومه أى المؤمنين والكافرين وذلك انه لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يابني فلان يابني فلان يابني عبد مناف يابني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم

يدخلون في دين الله) أى الاسلام (أفواجا) جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الارض طائعين (فسبح بحمد ربك) أى ملتبسا بحمده (واستغفره انه كان توابا) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفى صلى الله عليه وسلم في ربيع الاول سنة عشر

﴿ سورة تبت مكية خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قومه وقال اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال عمه أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا نزل

بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك قال ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه أي ذو ذمة وعهد صادق وقال صاحب الهمزية في هذا المعنى

وأعدت حمالة الحطب الفهـــــر وجاءت كأنها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـــلي من أحمد يقال الهجاء
فتولت وما رأته ومـــن أيـــن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى ان آمنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال مالي عليهم فضل قال وأي شيء تبتغي قال تبا لهذا من دين ان أكون وهؤلاء سواء (قوله تبت يدا أبي لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعيتان ولغتان جيدتان واتفق القراء على فتح الهاء في قوله ذات لهب والفرق انها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل (قوله وهذه خبر) أي اخبار بحصول التباب له الذي دعا به عليه في الجملة الاولى وهذا أحد قولين وقيل ان كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبح اسمه فان اسمه عبد العزى أو لان الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون ما نافية أو استفهامية وعلى الثاني فهو في محل نصب بأغنى والتقدير أي شيء أغنى قدم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أي الموروث من آبائه (قوله وكسبه) أشار بذلك الى أن ما مصدرية ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف أي والذي كسبه (قوله أي ولده) وهو عتيبة بالتصغير وأما عتبة ومعتب فقد أسلما قال بعضهم

كرهت عتيبـــة اذ أجرما * وأحببت عتبـــة اذ أسلما
كذا معتب مســـلم فاحترز * وخف أن تسب فتى مسلما

ومات أبو لهب بداء يسمى العدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال والعدسة قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها كانت العرب تهرب منها لزعمهم انها تعدي (قوله سيصلى نارا) أي يحترق بها (قوله فهي مآل تكنيته) جواب عما يقال كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع أن ذلك اكرام واحترام وايضاحه انه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها فان مصيره الى النار ذات اللهب أو لان ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لانه عبد الله لا عبد العزى (قوله وهي أم جميل) أي وهي أخت أبي سفيان بن حرب وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها (قوله حمالة الحطب) ان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت انها لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم لا تستعين في ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أي على أنه نعت لامرأته وقرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم أو الحال من امرأته والمعنى انها تصلى النار حال كونها حمالة الحطب لما ورد انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا (قوله والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حلمة الثدي وهو بوزن سرحان (قوله تلقيه) أي بالليل لقصد أذية النبي صلى الله عليه وسلم (قوله في جيدها حبل من مسد) قيل انها في الدنيا كانت تحتطب في حبل من ليف تحمله في عنقها فبينما هي ذات يوم حاملة للحزمة قعدت على حجر لتستريح اذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقا بحبلها وقيل هذا في الآخرة قال ابن عباس هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما اه ويكون المراد

(تبت) خسرت (يدا أبي لهب) أي جملته وعبر عنها باليدين مجازا لان أكثر الافعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء (وتب) خسر هو وهذه خبر كقولهم أهلكه الله وقد هلك ولما خوفه النبي بالعذاب فقال ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أفتدي منه بمالي وولدي نزل (ما أغنى عنه ماله وما كسب) وكسبه أي ولده وأغنى بمعنى يغني (سيصلى نارا ذات لهب) أي تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه اشراقا وحمرة (وامرأته) عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل (حمالة) بالرفع والنصب (الحطب) الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم (في جيدها) عنقها (حبل من مسد)

بالمسد الحديد فانه يطلق عليه أيضا كما يؤخذ من القاموس ولا مانع من الجمع (قوله أى ليف) قيل هو ليف المقل وهو شجر الدوم أبيض مشهور وقيل مطلق الليف (قوله وهذه الجملة) أى المركبة من المبتدا الذى هو حبل ومن الخبر الذى هو فى جيدها (قوله أو خبر مبتدا مقدر) أى وتقديره المرأة المذكورة فى جيدها حبل من مسد

﴿سورة الاخلاص﴾

مناسبتها لما قبلها انه لما تقدم فى التى قبلها ذكر عداوة المشركين له صلى الله عليه وسلم ولا سيما أقرب الناس اليه وهو عمه أبو لهب جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عبدة الاوثان تسلية له صلى الله عليه وسلم واشعارا بأن من تعلق بالله لا يكله الى غيره ولا يعتريه حزن ولهذه السورة أسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى أنهاها بعضهم الى عشرين اسما أولها الاخلاص ثانيها التنزيل ثالثها التجريد لان من تعلق بها تجرد عن الاغيار رابعها التوحيد لانها دالة عليه خامسها النجاة لنجاة قارئها من النار سادسها الولاية لان من تعلق بها أعطاه الله الولاية سابعها النسبة لقولهم فى السؤال أنسب لنا ربك ثامنها المعرفة لان من فهمها عرف الله تعالى تاسعها الجمال لدلالتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص عاشرها المقشقشة أى المبرئة من الشرك والنفاق الحادى عشر المعوذة أى المحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة الثانى عشر الصمد لذكره فيها الثالث عشر الاساس لانها أصل الدين وفى الحديث أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد الرابع عشر المانعة لانها تمنع فتنة القبر وعذاب النار الخامس عشر سورة المحتضر لان الملائكة تحضر لاستماعها اذا قرئت السادس عشر المنفرة لان الشياطين تنفر عند قراءتها السابع عشر سورة البراءة لانها براءة من الشرك الثامن عشر المذكرة لانها تذكر العبد خالص التوحيد التاسع عشر النور لانها تنور القلب العشرون سورة الانسان لانه لا غنى له عنها * وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبدى ادخل بيمينك الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله اذن نكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنتى عشرة مرة بنى الله له اثنى عشر قصرا فى الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قرأها مائتى مرة كفر الله عنه ذنوب مائتى سنة فان قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له ومنها أنه شكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت البيت فسلم ان كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه ومنها أن من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا ان فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل فهى عتاقة من النار لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلا أو عليه وهو عاجز عن أدائها الى غير ذلك مما ورد فى الحديث

أى ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأته أو خبر مبتدا مقدر

﴿سورة الاخلاص مكية أو مدنية أربع أو خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحديث ياداود قل للظلمة لايذكروني فانهم ان ذكروني ذكرتهم وذكرى لهم أن العنهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أي والسائل له قريش أو أحبار اليهود أو النصارى حيث قالوا ان آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بواحد أو صورة السؤال وما صفة ربك هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو قولان في كيفية السؤال وورد أن ابن سلام لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم يثرب قال نعم قال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انسب ربك فأرتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام قل هو الله أحد الى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله التوراة يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة العوجة حتى يقولوا لا اله الا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (قوله فالله خبر هو الخ) هذا مبني على أن ضمير هو عائد على المسؤل عنه في كلام الكفار وقيل انه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فالله مبتدأ أو أحد خبره والجملة خبر هو وهمزة أحد بدل من واو لانه من الوحدة أو ليست مبدلة من شيء قولان واثبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرئ شذوذا بحذف قل وقرئ أيضا قل هو الله الواحد وقرئ أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين واعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لان الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والارادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السلبية وهي القدم والبقاء والغنى المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والمنفصل في الافعال وبذلك انتفت الكموم الخمسة وهي الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الافعال فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير والمنفصل في الافعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى وأما المتصل في الافعال فهو ثابت لان أفعال الله متعددة لا نهاية لها بقي شيء آخر وهو أن أحدا يستعمل في النفي وأما واحد فيستعمل في الاثبات فلم ذكر في الاثبات أجيب بأن ذلك أغلبي وقد يستعمل كل في كل والقرآن وارد بذلك في غير آية وآثر الاحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز (قوله الله الصمد) نتيجة ماقبله ولذا ترك العاطف وذلك لانه حيث ثبت انه متصف بالكمالات منزه عن النقائص فلا يقصد غيره ولا يعول الا عليه (قوله أي المقصود في الحوائج) هذا أحد أقوال في معنى الصمد وهو المشهور وقيل هو الذي لا جوف له وقيل هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل هو الذي ليس فوقه أحد وقيل غير ذلك وانما عرف الصمد لعلمهم به ومعرفتهم اياه بخلاف أحديته وكرر لفظ الله اشعارا بأن من لم يتصف به لا يستحق الالوهية (قوله لم يلد ولم يولد) رد على مشركي العرب القائلين الملائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ماقبلها لانه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص مقصود في جميع الامور فلم يكن علة في غيره ولا غيره علة فيه وأتى بالعاطف في الجملتين الاخيرتين دون ماعداهما لانهما سيقتا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لان المماثلة اما ولدا أو والدا أو نظيرا فلتغاير الاقسام أتى بالعطف لانه يقتضي المغايرة وترك العاطف في لم يلد لانه مؤكد للصمدية لان الغني عن كل شيء المحتاج اليه كل ماسواه لا يكون والدا ولا مولودا فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة (قوله لانتفاء مجانسته) أي لغيره لان الولد من جنس أبيه والله لا يجانسه أحد لانه واجب وغيره ممكن ولان الولد يطلب اما للاعانة والدة أو لتخلفه بعده والله تعالى غني عن كل شيء ولا يفنى (قوله لانتفاء الحدوث عنه) أي لان كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف تفسير واعلم

سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فنزل (قل هو الله أحد) فالله خبر هو وأحد بدل منه أو خبر ثان (الله الصمد) مبتدأ وخبر أي المقصود في الحوائج على الدوام (لم يلد) لانتفاء مجانسته (ولم يولد) لانتفاء الحدوث عنه (ولم يكن له كفوا أحد) أي مكافئا ومماثلا وله متعلق بكفوا

أن الكفؤ يعم الشبيه والنظير والمثيل فالمثيل هو المشارك في جميع صفاتك والشبيه هو المشارك في غالبها والنظير هو المشارك في أقلها والله تعالى منزه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أي وكان الاصل أن يؤخر الظرف لكن قدم لاهميته اعتناء بنفي المكافأة عنه تعالى لانه المقصود (قوله لانه محط القصد بالنفي) أي فالقصد نفي المكافأة عن ذات الله فكان تقديمه أولى وهذه السورة الشريفة نفت أصول الكفر الثمانية التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير أما الكثرة والعدد فانتفاؤهما بقوله تعالى قل هو الله أحد والنقص والقلة بقوله الله الصمد والعلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد والشبيه والنظير بقوله لم يكن له كفوا أحد.

﴿سورة الفلق﴾

مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الالوهية في السورة قبلها بين هنا ما يستعاذ منه بالله تعالى لانه لا ملجأ سواه (قوله مكية) أي في قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح ويؤيده سبب النزول فانه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه وورد في فضل هذه السورة والتي بعدها أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانه لن يقرأ أحد سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين وقوله ما أنزل مثلهما أي في التحصن والتعوذ ومنها قوله صلى الله عليه وسلم يا ابن عامر ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ومنها أنه كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجان ومن عين الانس فلما نزلت سورتا المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاثا يكفيك من كل شئ وفي رواية من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات اذا أخذ مضجعه فاذا قبض قبض شهيدا وان عاش عاش مغفورا له (قوله نزلت هذه السورة والتي بعدها الخ) أي باجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أي ابن الاعصم وحاصله أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا انت أسحرنا أي أعلمنا بالسحر وقد سحرنا محمدا فلم يؤثر فيه سحرنا شيأ ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنانير فأتى غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنان من مشطه وأعطاها له فسحره بها وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعلوا في تلك الصورة ابرا مغروزة احدى عشرة ووترا فيه احدى عشرة عقدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها ألما في بدنه ثم يجد بعدها راحة وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر وقيل عاما قال ابن حجر وهو المعتمد ان قلت كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع انه معصوم بنص الله والله يعصمك من الناس أجيب بأن المعصوم منه ما أدى لخلل في عقله أو اضياع شرعه أو لموته وأما ما عدا ذلك فهو من الاعراض البشرية الجائزة في حقه كما أن جرحه وكسر رباعيته لا يقدح في عصمته وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشككفيها وما أدى لذلك فهو باطل وزعموا أيضا أن تجويز السحر على الانبياء يؤدي لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع اذ يحتمل أن يخيل اليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر باجماع الصحابة وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الانبياء وصدقهم فيما يبلغونه عن الله وأما ما كان متعلقا بأمور الدنيا فهم كسائر البشر تعتريهم الاعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك وأما ما ورد في قصة السحر من انه كان يخيل اليه أنه يأتي أهله ولم يأت فمعناه انه يظهر له من نشاطه وسابق عادته

وقدم عليه لانه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة

﴿سورة الفلق مكية أو مدنية خمس آيات﴾

نزلت هذه السورة التي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم

الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود وتسميه العامة المربوط لماورد أنه حبس عن عائشة سنة وعن ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب ففي ذلك دليل على أن السحر انما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله ثم اعلم أن مذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ومن جملة أنواعه السيمياء وهي حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل اليها الا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخيلات فيعظم عند من لا يعرف ذلك والحق انه من الاسباب العادية التي توجد الاشياء عندها لا بها فيؤثر في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالألم والسقم وأما قلب الجماد حيوانا وعكسه فباطل لا يتصور اذ لو قدر الساحر على هذا القدر أن يرد نفسه الى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت وهو حرام ان لم يكن بما يعظم به غير الله أو يعتقد تأثيره بنفسه والا فهو كفر (قوله في وتر) بفتحتين أي وتر القوس (قوله فأحضر بين يديه) روي أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما ذات يوم اذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رأسه ما بال الرجل فقال الذي عند رجليه طب أي سحر قال ومن سحره قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال وأين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة واذا تمثال من شمع على صورته صلى الله عليه وسلم مغرز فيه احدى عشرة ابرة وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة في الجف وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه المائح ٢ (قوله كأنما نشط من عقال) أي كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال في معنى الفلق وآثره اشارة الى التفاؤل الحسن فان مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف الى الامن ومن الوحشة الى السرور والصبح أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة باشراق أنواره وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته وقيل الفلق سجن في جهنم وقيل بيت في جهنم اذا فتح صاح أهل جهنم من حره وقيل هو اسم من أسماء جهنم وقيل واد في جهنم وقيل شجرة في النار وقيل الرحم لانفلاقه عن الولد وقيل كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات وقيل غير ذلك (قوله من شر ما خلق) هذا عام وما بعده خاص والجار والمجرور متعلق بأعوذ وما موصولة أو مصدرية (قوله وغير ذلك) أي كالاحراق بالنار والاغراق في البحار (قوله ومن شر غاسق) نكر غاسق وحاسد لافادة التبعيض لان الضرر قد يتخلف فيهما وعرف النفاثات لانهن معهودات فقيل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أي الليل اذا أظلم) سمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه واذا منصوب بشر أي أعوذ بالله من الشر في وقت كذا (قوله أو القمر) سمي غاسقا لذهاب ضوئه بالكسوف أو المحاق في آخر الشهر واسوداده وقوله اذا غاب أي استتر بالكسوف أو أخذ في المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر وفيه تتوفر أسباب السحر المعدة له ويسميه المنجمون اذ ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة وقيل الثريا وذلك لانها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك وقيل هو الشمس اذا غربت وقيل هو الحية اذا لدغت وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف أي النساء السواحر وخص النساء بالذكر لان سحرهن أشد من سحر الرجال لما ورد أنه بعد اغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين ملك نساء القبط مصر وأقمن فيها ستمائة سنة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الاعين وقطع الاعضاء فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العساكر (قوله بشيء) أي مع شيء أي قول تقوله وقوله من غير ريق متعلق بتنفخ واختلف في النفث عند الرقية والمسح باليد فنهه

في وتر به احدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قل أعوذ برب الفلق) الصبح (من شر ما خلق) من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك (ومن شر غاسق اذا وقب) أي الليل اذا أظلم أو القمر اذا غاب (ومن شر النفاثات) السواحر تنفث (في العقد) التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق

٢ قوله يقوم عليه المائح لعله الماتح

قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازها آخرون وهو الصحيح لما ورد عن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينفث في الرقية وورد عنها أيضا انهما رقت ونفثت وقال علي كرم الله وجهه اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد انتهى (قوله وقال الزمخشري معه) أي الريق ففي النفث قولان (قوله ومن شر حاسد اذا حسد) الحسد تمني زوال نعمة المحسود عنه وان لم يصر للحاسد مثلها والغبطة تمني مثلها فالحسد مذموم دون الغبطة وعليها حمل حديث لا حسد الا في اثنتين والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي به في الأرض فحسد ابليس آدم وقابيل هابيل والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون قال بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها انه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانيها انه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لي هذه القسمة ثالثها انه يعاند فعل الله تعالى رابعها انه يريد خذلان أولياء الله خامسها انه أعان عدو الله ابليس وقال بعضهم الحاسد لا ينال في المجالس الا ندامة ولا ينال عند الملائكة الا لعنة وبغضا ولا ينال في الخلوة الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وفي الحديث في الانسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الحسد أن لا يبغي (قوله أظهر حسده) أي حمله الحسد على اظهاره لانه اذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به الا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره وفي هذا المعنى قال بعض العارفين

ألا قل لمن بات لي حاسدا * أتدري على من أسأت الادب
أسأت على الله في فعله * لانك لم ترض لي ما وهب
فكان جزاؤك أن خصني * وسد عليك طريق الطلب

وقال بعضهم

اصبر على حسد الحسود * فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تأكله

﴿ فائدة ﴾ كرر لفظ شر مع كل جملة لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع

﴿ سورة الناس مكية ﴾

(قوله أو مدنية) أي وهو الصحيح لما تقدم من أن سبب النزول واقعة السحر وهي بالمدينة سنة سبع (قوله ست آيات) أي والسورة التي قبلها خمس فتكون الجملة احدى عشرة آية عدة العقد والابر الحاصلين في السحر (قوله قل أعوذ) أي أتحصن والامر للنبي صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من امته لان أوامر القرآن ونواهيه لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله اما أناس حذفت الهمزة أو نوس مأخوذا من ناس اذا تحرك خص بالبشر لانه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن روية وتدبر تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا أو من الانس ضد الوحشة لانه يؤنس به أو من النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أي موجدهم من العدم (قوله خصوا بالذكر) أي وان كان رب جميع الخلائق (قوله تشريفا لهم) أي من حيث انه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم ما في الأرض جميعا وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته فان قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى وان لم يقوموا بها طردوا الاسفل السافلين فلما ساووا كل الاولا تحيروا واذا علمت بذلك انه رب الناس فهو رب غيرهم بالاولى (قوله ومناسبة للاستعاذة الخ) أي فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك لهم (قوله ملك الناس) باسقاط الالف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان ثبوت الالف وحذفها ومعنى الملك المتصرف فيهم بانواع التصرفات من اعزاز واذلال واغناء وافقار وغير ذلك (قوله اله الناس) هذا الترتيب بديع وذلك أن الانسان أولا يعرف أن له

وقال الزمخشري معه

كنفاثات لبيد المذكور (ومن شر حاسد اذا حسد) أظهر حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر الثلاثة الشامل لها ما خلق بعده لشدة شرها

﴿ سورة الناس مكية أو مدنية ست آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قل أعوذ برب الناس) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم (ملك الناس اله الناس) بدلان أو صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف اليه فيهما

ربا

ر بالمشاهدة من أنواع التربية ثم اذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف في خلقه غني عن غيره فهو الملك ثم اذا زاد تأمله عرف انه يستحق أن يعبد لانه لا يعبد الا الغني عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه (قوله زيادة للبيان) حاصله أنه ورد اشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكتف بضميرهم مع ان اتحاد اللفظين في اللفظ والمعنى معيب كالايطاء في الشعر فاجاب المفسر بقوله زيادة للبيان وهو جواب خفي وأحسن منه أن يقال ان التكرار لاظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما أنه حسن التكرار للتلذذ واظهار فضل المكرر في قول بعضهم

محمد سادا الناس كهلا ويافعا * وساد على الاملاك أيضا محمد

محمد كل الحسن من بعض حسنه * وما حسن كل الحسن الا محمد

محمد ما أحلى شمائله وما * ألذ حديثا راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس في الجميع شيء واحد وأما ان أريد بالناس الاول الصغار وأضيفوا للرب لاحتياجهم الى التربية أكثر من غيرهم وبالثاني الشباب وأضيفوا للملك لان شأنهم الطغيان والطيش وهم محتاجون لملك يسوسهم ويكسر هيجان شبوبيتهم وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للاله لان شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم فهم أقرب من غيرهم للتعلق بالاله فلا اتحاد في المعنى (قوله من شر الوسواس) متعلق بأعوذ * ان قلت ما الحكمة في وصف الله تعالى في هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل المستعاذ منه شيأ واحدا وفي السورة قبلها بعكس ذلك لانه وصف نفسه بوصف واحد وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء * أجيب بانه في السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضر في ظاهر البدن وهنا وان كان أمرا واحدا الا أنه يضر الروح وما كان يضر الروح يهتم بالاستعاذة منه * ان قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة من شر الوسواس اذ سلامة الروح مقدمة على البدن * أجيب بان تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات وهو سلامة الروح (قوله سمي بالحدث) أي المصدر وقوله لكثرة ملابسته له أي ملازمته للوسوسة فهو على حذف مضاف وما ذكره المفسر ليس بمتعين فان الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس ويطلق أيضا على ما يخطر بالقلب من الشر واعلم أن خواطر القلب أربعة رحماني وملكي ونفسي وشيطاني فالرحماني ما يلزم طاعة بعينها والملكي ما يلزم طاعة لا بعينها والنفسي ما يلزم معصية بعينها والشيطاني ما يلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لانه يخنس) من باب دخل أي يتوارى ويختفي بعد ظهوره المرة بعد المرة (قوله كلما ذكر الله) أي فالذكر له كالقامع الذي يقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا وعن بعض السلف ان المؤمن يضني شيطانه كما يضني الرجل بعيره في السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس وتأخر واذا غفل رجع وهل المراد الحقيقة أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الاذية ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن كل محتمل (قوله اذا غفلوا عن ذكر الله) أي بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم وذلك لان الوسوسة حالة في القلب فلا يطردها الا الذكر الحال في القلب فمن كان من أهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليه قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولا يترك الانسان الذكر اللساني اذا وجد الغفلة والوسواس في قلبه بل يكثر الذكر ويديمه فلعله يستيقظ قلبه ويتنور قال العارفون الذكر اللساني كقدح الزناد فاذا تكرر أصاب قال بعضهم في ذلك

اطلب ولا تضجر من مطلب * فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل لتكراره * في الصخرة الصماء قد أثرا

زيادة للبيان (من شر الوسواس) أي الشيطان سمي بالحدث لكثرة ملابسته له (الخناس) لانه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الذي يوسوس في صدور الناس) قلوبهم اذا غفلوا عن ذكر الله

(قوله من الجنة) اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالياء فيقال جن وجني كزنج وزنجي وغالبا يفرق بالتاء كتمر وتمرة وزيدت التاء في الجنة لتأنيث الجماعة سموا بذلك لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وتقدم ما فيهم (قوله بيان للشيطان الموسوس) أي المذكور بقوله من شر الوسواس فمن بيانية مشوبة بتبعيض أي بعض الجنة وبعض الناس (قوله كقوله تعالى الخ) أي ويشهد له حديث تعوذوا بالله من شياطين الجن والانس (قوله والناس) عطف على الوسواس أي ولفظ شر مسلط عليه كانه قال من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لا يصدر منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أي من الاحتمالين وقوله يشمل الشر أي المستعاذ منه شر لبيد الخ (قوله المذكورين) أي في السورة السابقة وفيه تغليب المذكر وهو لبيد على المؤنث وهو بناته (قوله واعترض الاول) أي وهو أنه بيان للشيطان الموسوس (قوله لا يوسوس في صدورهم الناس) كذا في بعض النسخ والمناسب كما في بعضها لا يوسوسون في صدور الناس (قوله بمعنى يليق بهم) أي كالغيبة ويخنسون اذا زجروا (قوله المؤدي) أي الموصل الى ثبوتها في القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك الى تمام القرآن وفي ختم القرآن بهذه السورة اشارة حسنة كانه قيل ما أنزلناه كاف ما فرطنا في الكتاب من شيء فلا تطلب بعده شيأ بل اقتصر على العمل به واستعذ بالله من الشيطان والحاسد لان العبد اذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده انساوجنا قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفا وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن وهو سر بديع وأول القرآن باء البسملة وآخره سين والناس كانه قال بس أي تم وكمل * ثم اعلم أن الجلال المحلي رضي الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الاخير وابتداؤه من سورة الكهف شرع في تفسير النصف الاول وأوله سورة الفاتحة فقال في شرعه فيه سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصد الاختصار وروما للاقتصار على محط الفائدة * ثم انه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفي الى رحمة الله تعالى فقيض الله تعالى تلميذه الجلال السيوطي لتتميم تفسيره فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بالاسراء كما ذكر في خطبته فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال مضموما لتفسير آخر القرآن لاوله ليكون تفسير المحلي مضموما بعضه لبعض رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم

﴿ سورة الفاتحة مكية ﴾

هو قول الاكثر وقيل مدنية وجمع بعضهم بين القولين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والاول هو الصحيح لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم والحجر مكية باجماع وأيضا فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع في الاسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب بل هي من أوائل القرآن نزولا وسميت فاتحة لانها مفتاح الكتاب العزيز وهذا اسم من جملة عشرين اسما أولها فاتحة الكتاب ثانيها أم القرآن لانه مفتتح بها فكانها أصله وأساسه رابعها سورة الكنز لانها نزلت من كنز تحت العرش خامسها الكافية سادسها الوافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها سابعها الشافية ثامنها الشفاء لما ورد هي شفاء من كل داء تاسعها السبع المثاني لانها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا ان البسملة منها أولا عاشرها النور الحادي عشر الرقية الثاني عشر سورة الحمد والشكر الثالث عشر الدعاء الرابع عشر تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك الخامس عشر سورة المناجاة السادس عشر سورة التفويض السابع عشر سورة السؤال الثامن عشر سورة أم الكتاب التاسع عشر فاتحة القرآن العشرون الصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله

(من الجنة والناس) بيان للشيطان الموسوس انه جني وانسي كقوله تعالى شياطين الانس والجن أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس وعلى كل يشمل شر لبيد وبناته المذكورين واعترض الاول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس انما يوسوس في صدورهم الجن وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم الى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي الى ذلك والله تعالى أعلم

﴿ سورة الفاتحة مكية ﴾
سبع آيات بالبسملة

ان كانت منها والسابعة
صراط الذين الى آخرها
وان لم تكن منها فالسابعة
غير المغضوب الى آخرها
ويقدر في أولها قولوا
ليكون ماقبل اياك نعبد
مناسبا له بكونها من
مقول العباد

رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الرب أثنى على عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ماسأل وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ماهو مسلسل بالحلف بالله العظيم عن ابن العربي قال اذا قرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله في نفس واحد من غير قطع فاني أقول بالله العظيم لقد حدثني أبو الحسن علي أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة احدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبي بكر من فيه ولفظه وهو أبو الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشاشي الشافعي من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد ابن يحيي الوراق الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسن العلوي الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثني موسى بن عيسى وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجحي وقال بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد المصطفى وقال بالله العظيم لقد حدثني جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثني اسرافيل وقال قال تعالى يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا اني غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيآت ولا أحرق لسانه في النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفزع الاكبر ويلقاني قبل الانبياء والاولياء أجمعين اه من المناوي على الجامع الصغير (قوله ان كانت منها الخ) هذا التعبير يوهم في بادئ الرأي انها ان لم تكن منها ليست سبعا مع انه يخالف مابعده فالمناسب أن يقول سبع آيات فان كانت البسملة منها فالسابعة صراط الذين الى آخرها وان لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وبعضهم يجعل البسملة منها ويجعل غير المغضوب عليهم الخ ثامنة وبعضهم يجعلها ست آيات والبسملة ليست منها وهذان القولان مرجوحان واعلم أنه اختلف في البسملة فقيل ليست آية من الفاتحة بل ولا من كل سورة سوى سورة النمل وانما يندب الابتداء بها كالاستعاذة وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك مستدلين بما روي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أنه كان يفتتح أحدهم بالفاتحة في صلاته اماما من غير أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وعمل أهل المدينة حجة وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعي مستدلين بما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها * والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعا فمن أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أولا خلاف بين الائمة (قوله فالسابعة غير المغضوب الخ) ان قلت ان لفظ غير صفة لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد فكيف تكون آية مستقلة أجيب بأن الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله مع انه مجمع على انهما آيتان فكذلك يقال هنا ونوقش بأن لفظ غير أشد افتقارا الى ماقبله من غيره لانه لايتم معناه الا بماقبله فكان معه كالشئ الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه اذا أعرب نعتا فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعهما أونصبهما فانهما يخرجان عن الارتباط أجيب بأن الآية لايشترط فيها عدم ارتباطها بماقبلها وقد تخلص المفسر من هذا الاشكال باعرابه بدلا كما يأتي (قوله ويقدر في أولها) أي الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى في أي في كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفي نسخة بكونه وهي أوضح والضمير عائد على ماقبل اياك ومحصله أن اياك نعبد لما كان من مقول العباد احتيج الى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ماقبله من مقول العباد أيضا فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله

الحمد لله رب العالمين الى آخر الآيات الاربع ثناء على الله فيكون بعضها الاول من مقول الله وبعضها الثاني من مقول العبد ثناء من الله على نفسه فيكون من مقوله هو وذلك صحيح في حد ذاته لكن التناسب أبلغ (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) لم يتكلم الجلال المحلى ولا تلميذه عليها ولعلهما اتكلا على شهرته ونتكلم على شيء منها فنقول ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة تعليما لعباده الاقتداء بذلك والاتيان بها في كل أمر ذي بال اشعارا بأنها أم الفاتحة كما أن الفاتحة أم القرآن كما أن القرآن أم الكتب السماوية والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد والرحمن المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيا وأخرى والرحيم المنعم بدقائقها كذلك ﴿ فائدة ﴾ روى الشعبي والاعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها وعن عبد الله بن مسعود قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال ان كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالباء مفتاح اسمه تعالى بصير وباقي وبر ونحو ذلك والسين مفتاح اسمه تعالى سميع سلام والميم مفتاح اسمه ملك ونحوه والالف مفتاح اسمه الله ونحوه واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه والهاء مفتاح اسمه هادي ونحوه والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه والحاء مفتاح اسمه حليم ونحوه والنون مفتاح اسمه نافع ونحوه فكان المفتتح بها مفتتحا بجميع أسمائه تعالى (قوله جملة) أي مركبة من مبتدأ وخبر وقوله خبرية أي لفظا وهي انشائية معنى بدليل قوله قصد بها الثناء أي قصد بها انشاء الثناء (قوله من أنه تعالى الخ) بيان للمضمون وفي ذلك اشارة الى أن أل في الحمد جنسية وهو الاولى من جعلها استغراقية أو عهدية أما الاول فلانه ليس في طاقة العبد حصر أفراد الحمد وأما الثاني فلقصوره كذا قال النحويون واختار الصوفية أنها للعهد قائلين ان الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وضمنه لهم يحمدونه به وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقع في القرآن فتدبر (قوله أو مستحق الخ) أشار بذلك الى أن اللام في لله للملك أو للاستحقاق (قوله والله علم على المعبود بحق) أي علم شخص عربي مرتجل جامد وهو الصحيح ومعنى كونه علم شخص أنه علم على ذات معينة مستجمعة لصفات الكمال وقال الزمخشري انه اسم جنس صار علما بالغلبة مشتق من أله كعبد وزنا ومعنى أو من أله بمعنى سكت أو من وله بمعنى تحير ودهش أو طرب أو من لاه بمعنى احتجب أو ارتفع أو استتار ومجموع الاقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع اليه في الامور العظام المرتفع عن الاوهام المحتجب عن الافهام الظاهر بصفاته العظام الذي سكنت الى عبادته الاجسام وولهت به نفوس الانام وطربت اليه قلوب الكرام (قوله رب العالمين) الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب للمقام وجمع العالمين جمع قلة مع كثرتها جدا في الواقع تنبيها على انهم وان كثروا فهم قليلون في جانب عظمته تعالى ان قلت الجمع يقتضي اتفاق الافراد في الحقيقة وهي هنا مختلفة أجيب بأنها متفقة من حيث ان كلا منها علامة على موجدها (قوله يقال عالم الانس الخ) الاضافة بيانية أي عالم هو الانس (قوله وغلب في جمعه الخ) وقيل لا تغليب بل هو اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم بطريق التبع (قوله أولوا العلم) أي لشرفهم (قوله وهو) أي العالم وهو ما سوى الله تعالى علامة على موجده لانه حادث وكل حادث يحتاج الى محدث (قوله أي ذي الرحمة) أشار بذلك الى أن الرحمن الرحيم بناءا مبالغة من رحم والرحمة في الاصل رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وهي بهذا المعنى مستحيلة في حقه تعالى فتحمل على غايتها الان ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد منه لازمه وغايته (قوله وهي ارادة الخير الخ) أشار بذلك الى أنهما صفتا ذات ويصح أن يكونا صفتي فعل أي التفضل المحسن وفي الاتيان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الحمد لله) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لان يحمدوه والله علم على المعبود بحق (رب العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون أولوا العلم على غيرهم وهو من العلامة لانه علامة على موجده (الرحمن الرحيم) أي ذي الرحمة وهي ارادة الخير لاهله

بالرحمن

بالرحمن الرحيم عقب اتصافه برب العالمين ترغيب بعد ترهيب فيكون أعون للعبد على الطاعة وأمنع من المعصية (قوله ملك يوم الدين) من الملك بضم الميم وهو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي بالامر والنهي (قوله أي الجزاء) أي بالثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين (قوله لا ملك ظاهرا فيه لاحد) أي وأما في الدنيا ففيها الملك ظاهر الكثير من الناس فتحصل أن الوصف بالملكية ثابت أزلا وظهوره يكون يوم القيامة لاقرار جميع الخلق به (قوله لمن الملك اليوم) الجار والمجرور خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف للمبتدا وقوله لله جواب منه تعالى عن السؤال (قوله ومن قرأ مالك الخ) اعلم أن في لفظ ملك قراءتين سبعيتين الاولى بحذف الالف والوصف بها ظاهر والثانية باثباتها وفيها اشكال وهو أن مالك اسم فاعل واضافته لفظية لا تفيده التعريف فكيف توصف المعرفة بالنكرة وأجاب المفسر بأن محل كون اضافة اسم الفاعل لفظية ان لم يكن بمعنى الزمان المستمر والا كانت اضافته حقيقية والحاصل ان اسم الفاعل ان قصد به الحال أو الاستقبال فاضافته لفظية وان قصد به المضي أو الدوام كما هو شأن أوصاف الله تعالى فاضافته حقيقية والتعويل على القرائن واختلف في أي القراءتين أبلغ فقيل ملك أعم وأبلغ من مالك اذ كل ملك مالك ولا عكس ولان أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف المالك الا عن تدبير الملك وقيل مالك أبلغ لما فيه من زيادة البناء فتدل على كثرة الثواب (قوله اياك نعبد) اياك مفعول مقدم لنعبد قدم لافادة الحصر والاختصاص واياك نستعين معطوف على اياك نعبد أي لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك لانك الحقيق بتلك الصفات العظام والمعنى يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة فهذا ترق من البرهان الى العيان والغيبة الى الحضور فهو تعليم من الله تعالى لعباده كيفية الترقي فان العبد اذا ذكر الحقيق بالحمد وهو رب الارباب عن قلب حاضر يجد ذلك العبد من نفسه محركا للاقبال عليه وكلما أجرى على قلبه ولسانه صفة من تلك الصفات العظام قوي ذلك المحرك الى أن يؤول ذلك الامر لخاتمة تلك الصفات فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه في القوة اقبال ذلك العبد على ربه وخالقه المتصف بتلك الصفات فانتقل من الغيبة لخطابه والتلذذ بمناجاته فأول الكلام مبني على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في أسمائه العظام والنظر في آلائه والاستدلال بصنعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم بعد ذلك أتى بمنتهاه وهو الخطاب والحضور المشعر بكونه في حضرة الشهود والى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مقام الاحسان المشار له بقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه واعلم أن اياك واجب الانفصال واختلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر وبه قال الزجاج أو هو ضمير وعليه الجمهور واختلف القائلون بأنه ضمير على أربعة أقوال أحدها انه كله ضمير الثاني ان ايا وحده ضمير وما بعده اسم مضاف اليه يفسر ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب الثالث أن ايا وحده ضمير وما بعده حروف تفسر ما يراد منه وهو المشهور الرابع ان ايا عماد وما بعده الضمير والضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم وحاجته يجاب اليها ببركة حاجاتهم ومن هنا شرعت الجماعة في الصلوات قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة (قوله واياك نستعين) كرر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة والتلذذ بالمناجاة والخطاب وقدم العبادة على الاستعانة لانها وصلة لطلب الحاجة فاذا أفرد العبد ربه بالعبادة أعانه وحذف المعمول من كل ليؤذن بالعموم فيتناول كل معبود به وكل مستعان عليه وأصل نستعين نستعون استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى الساكن قبلها فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ما قبلها فقلبت ياء والقراءة السبعية بفتح النون وقرئ شذوذا نستعين بكسر

(ملك يوم الدين) أي الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهرا فيه لاحد الا لله تعالى بدليل لمن الملك اليوم لله ومن قرأ مالك فمعناه مالك الامر كله في يوم القيامة أي هو موصوف بذلك دائما كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (اياك نعبد واياك نستعين) أي نخصك بالعبادة

حرف المضارعة وهي لغة مطردة في حروف المضارعة بشرط أن لا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموما فان ضم كتقوم امتنع كسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر الى الضم و بشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو علم أو في أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان للعبادة وهو اشارة الى العبادات الاصلية الاعتقادية وقوله وغيره اشارة الى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله و بطلب المعونة) بالباء عطف على بالعبادة ولا يجوز أن يكون بالنون عطفا على نخصك لخروجه عن افادة التخصيص (قوله وغيرها) أى من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أى زدنا هداية وأدمنا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين وان لم يحصل وصول نحو وأما ثمود فهديناهم أى بينا لهم وتطلق على ما مع الوصول للخير وهو المراد هنا ومادة الهداية تتعدى لمفعولين الاول بنفسها والثاني اما كذلك كما هنا واما باللام أو الى قال تعالى يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم (قوله الصراط) هو في الاصل الطريق الحسي والمراد به هنا دين الاسلام ففيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالطريق الحسي بجامع ان كلا موصل للمقصود واستعير اسم المشبه به للمشبه وأصل صراط بالصاد سراط بالسين و بها قرأ قنبل حيث ورد أبدلت صاد الاجل حرف الاستعلاء وقد تشم الصاد زايا و به قرأ خلف وكلها سبعي لكن لم ترسم في المصحف الا بالصاد والصراط يذكر و يؤنث فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز وجمعه صرط ككتاب وكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام أى استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم أعل كاعلال نستعين (قوله و يبدل منه) أى بدل كل من كل أتى به زيادة في مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الانعام ايصال الاحسان الى الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا على حماره (قوله بالهداية) أشار بذلك الى أن المراد بالمنعم عليهم المؤمنون وهو أحد أقوال للمفسرين وقيل هم المذكورون في قوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقيل هم الانبياء خاصة وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ وحذف متعلق أنعمت ليؤذن بالعموم فيشمل كل نعمة ونعم الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأما باعتبار جملتها فتحصى لانها قسمان دنيوية وأخروية والاول اما وهبي أو كسبي والوهبي اما روحاني كنفخ الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق أو جسماني كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكمال الاعضاء والكسبي كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والفضائل والثاني وهو الاخروي أنه يغفر ما فرط منه و ينزله أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين ودهر الداهرين (قوله عليهم) لفظ عليهم الاول في محل نصب على المفعولية والثاني في محل رفع نائب المغضوب وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الاول منها سبعيات وهي كسر الهاء وضمها مع اسكان الميم فيهما وكسر الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للاشباع وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة و بدونها وأربع لم يقرأ بها وهي ضم الهاء مع كسر الميم وادخال ياء بعدها وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء والميم من غير ياء (قوله و يبدل من الذين بصلته) أى بدل كل من كل ولا يضر ابدال النكرة من المعرفة وقيل نعت للذين واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لا يصح لان غير متوغلة في الابهام لا تتعرف بالاضافة كمثل وشبه وشبيه وأجيب بجوابين الاول ان غيرا انما تكون نكرة اذا لم تقع بين ضدين وأما اذا وقعت بين ضدين فتتعرف حينئذ بالاضافة تقول عليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل والثاني ان الموصول أشبه النكرات في الابهام الذي فيه فعومل معاملة النكرات وغير من الالفاظ الملازمة للاضافة لفظا أو تقديرا فادخال أل عليها خطأ وقد يستثنى بها حملا على الا كما يوصف بالا حملا عليها (قوله غير المغضوب) بكسر الراء بدل كما قال المفسر أو نعت وتقدم ما فيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا

من توحيد وغيره و بطلب المعونة على العبادة وغيرها (اهدنا الصراط المستقيم) أى ارشدنا اليه و يبدل منه (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية و يبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم)

بالنصب

بالنصب على الحال أو الاستثناء والغضب ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ألم تروا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه فاذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو ارادة الانتقام فهو صفة فعل أو صفة ذات وبنى الغضب للمجهول ولم يقل غير الذين غضبت عليهم تعليما للعباد الادب حيث أسند الخير لنفسه وأبهم في الشر نظير قوله تعالى فأردت أن أعيبها فاراد ربك أن يبلغا أشدهما واذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أي لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه الآية ولحديث ان المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى (قوله غير الضالين) أشار بذلك الى أن لا بمعنى غير فهي صفة ظهر اعرابها فيما بعدها ويؤيده قراءة عمر بن الخطاب وأبي ابن كعب وغير الضالين بدل لا وأتى بلا ثانيا لتأكيد معنى النفي المفهوم من غير ولئلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الذين أنعمت عليهم والضلال يطلق على الخفاء والغيبة ومنه قولهم ضل الماء في اللبن والهلاك ومنه قوله تعالى أئذا ضللنا في الارض والنسيان ومنه قوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا وفي الضالين مدان مد لازم على الالف بعد الضاد وقبل اللام المشددة وعارض على الياء قبل النون للوقف (قوله وهم النصارى) أي لقوله تعالى وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قوله افادة أن المهتدين) أي المذكورين بقوله الذين أنعمت عليهم فمصدوق الذين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المغضوب عليهم وغير الضالين فمصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون لكن استشكل بان تفسير الذين أنعمت عليهم بالفرق الاربعة المذكورة في سورة النساء لا يشمل بقية المؤمنين وتفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى لا يشمل بقية طوائف الكفار فيقتضي ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا ممن أنعم الله عليهم وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال فالمبدل منه يخرجهم والبدل يدخلهم في المبدل منه والخلاص من هذا الاشكال أن يفسر المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه المفسر في قوله أنعمت عليهم بالهداية ويراد من المغضوب عليهم والضالين عموم الكفار اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ان قلت ما فائدة الاتيان بغير المغضوب عليهم الخ بعد قوله الذين أنعمت عليهم أجيب بان الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف فقوله الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل فيتقوى الايمان بالرجاء والخوف ﴿ فائدة ﴾ لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسن الاتيان به للقارئ الفاتحة مفصولة منها بسكتة ليتميز ما هو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهي اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبني على الفتح ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها وقيل هي اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ورد بوجهين الاول أنه لو كان كذلك لكان ينبغي ان يبنى على الضم لانه منادى مفرد معرفة الثاني أن أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الامة لم يعط لاحد قبلهم الا ما كان من موسى وهرون لما ورد في الحديث ان الله أعطى أمتي ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين الا ما كان من موسى وهرون ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عند ما ذكر دعاء موسى قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هرون فسماه داعيا وقال علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم بها دعاء عباده وفي الخبر ان آمين كالطابع الذي يطبع به على الكتاب وفي حديث آخر آمين درجة في الجنة قال أبو بكر انه حرف يكتب به لقائله درجة في الجنة وقال وهب بن منبه آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي لما عرفت انه قد شرع في تفسير النصف الاول فكمل الفاتحة وارتحل الى رضوان الله تعالى فيبعد أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والصواب ضد الخطأ والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أي كافينا وقوله ونعم الوكيل أي المفوض اليه الامر

وهم اليهود (ولا) وغير (الضالين) وهم النصارى ونكتة البدل افادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ خاتمة نسأل الله حسنها في آداب تتعلق بالقرآن ﴾

منها أن لا يمسه الا طاهر اقال تعالى لا يمسه الا المطهرون ومنها ان التالي يتطيب له و يستاك اقول يزيد ابن أبي مالك ان أفواهكم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها ما استطعتم ومنها ان يستوي له قاعدا ولا يكون متكئا ومنها أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لانه مناج ربه ومنها أن يستقبل القبلة لانها أشرف المجالس ومنها أنه اذا تثاءب يمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبه لانه من الشيطان ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة وان لم يكن في أول سورة ويبسمل ان كان في أول سورة والا فيخير ومنها اذا أخذ في القراءة لم يقطعها لمكالمة أحد من غير ضرورة ومنها أن يقرأه على تؤدة وترتيل وتدبر حتى يعقل ما يخاطبه به ربه فيرغب في الوعد ويخاف عند الوعيد ومنها اذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ومنها أن يقرأ القرآن على الترتيب ولا ينكس ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أو في حجره ومنها أن لا يمحو القرآن من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء ويشرب الغسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها في مكان طاهر بعيد عن ممر الاقدام ومنها أن لا يتخذ الصحيفة اذا بليت بل يمحوها بالماء ويغسل بها ما تقدم ومنها أن يعطي عينيه حقهما من النظر في المصحف في الحديث قال صلى الله عليه وسلم أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه وقال صلى الله عليه وسلم أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظرا ومنها أن لا يتأول القرآن بشيء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل اذا جاءه أحد جئت على قدر ياموسى وكقوله لضيوفه مثلا كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية ومنها أن لا يقرأ القرآن بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ومنها أن يجوف خطه اذا كتبه ومنها أن لا يقرأ في الاسواق أو في مواطن اللغط وجمع السفهاء والتعرض بتلاوته لسؤال الخلق ومنها أن لا يصغر المصحف فانه ورد النهي عن تصغير المسجد والمصحف ومنها أن لا يكتب على الارض ولا على حائط كما يفعل في المساجد في الحديث مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب في أرض فقال لشاب من هذيل ما هذا قال من كتاب الله كتبه يهودي فقال لعن الله من فعل هذا لا تضعوا كتاب الله الا موضعه ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فضربه ومنها أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ختم القرآن يقرأ من أوله قدر خمس آيات وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل ومنها اذا ختم القرآن أن يجمع أهله ويدعو بخير الدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لاجابة الدعاء عند ختمه كما هو مذكور في الاحاديث الصحيحة ومنها اذا كتبه وشربه ينوي به الشفاء من كل داء وبلوغ الآمال من كل خير فان الله يؤتيه على قدر نيته ومنها اذا كتبه حرزا فليجعله في شمع يحفظه من كل أذى كما هو مشروط بوضعه اه ملخصا من القرطبي وهذا آخر ما قدره الله تعالى من هذا التعليق الشريف ولم يكن في ذلي أن يجيء على هذا المنوال المنيف لقصور باعي وفتور همتي وضعف ذهني ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا الكرام بدور الظلام فجاء ذلك التعليق متعة مناما في أصله وفائقا صغيرا لحجم سهل الالفاظ رائقا كافيا للقتصر عليه شافيا للناظر فيه بعين الرضا وافيا بالمطالب كلها منقولا ومعقولا شريعة وطريقة وحقيقة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيد المخلوقات وعلى آله وأصحابه السادات وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات ثم بحمد الله وعونه يوم الثلاثاء المبارك لاربع بقين من شهر ربيع الثاني سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والالف من هجرته عليه الصلاة والسلام

قوله ومنها أن لا يتخذ الصحيفة الخ عبارة الملا علي أن لا يتخذ الصحيفة اذا بليت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء عظيم ولكن يمحوها بالماء اه

﴿ يقول راجى عفو ربه الكريم * مصححه ابن الشيخ حسن الفيومى ابراهيم ﴾

نحمدك أن منحت الصفوة من عبادك تنزيلك يا حكيم يا حميد * ونشكرك أن أعجزت البلغاء عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله وأيدت به رسولك أبلغ تأييد * ونصلى ونسلم على أجل مبعوث بأفضل كتاب الى خير أمه * سيدنا محمد وآله وصحبه ومن انتهج شرعه المستقيم وأمه ﴿ وبعد ﴾ فلما كان من المعلوم لدى كل خبير * أن أفضل العلوم علم التفسير * وكان من أجل ما كتب عليه حاشية أوحد الزمان * وفريد العصر والاوان * ذى الاسرار والفيض السماوى * سيدنا ومولانا الشيخ أحمد الصاوى * على تفسير الامامين الجليلين * اللذين اشتهر فضلهما فى الخافقين التزم بطبعها

* رجاء نشر عبير نفعها * ذو الهمم العاليه * والمساعى الخيرية الساميه (حضرة الشيخ سيد موسى شريف وشريكه حسين افندى شرف) أثابهما الله الثواب الجزيل * على هذا المسعى النافع الجميل * وكان هذا الطبع الزاهى الزاهر * وتمثيل هذا الشكل النضر الباهر * بالمطبعة العامرة الشرفيه * الثابت محل ادارتها بشارع الخرنفش من مصر المحميه * وقد وافق التمام * أوائل شهر الله رجب الفرد الحرام * من سنة ١٣٢٧ من هجرة بدر التمام * عليه الصلاة والسلام * وآله وصحبه ما تعاقبت الليالى والايام آمين آمين

فهرست الجزء الرابع من حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين

تمت